

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي
والبحوث العلمي
جامعة الأنبار

السنة التاسعة، المجلد التاسع، العدد السابع والثلاثون

ISSN: 2071-6028 رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (١٢٣٥) سنة ٢٠٠٩م



الجزء الثاني

من البحث رقم (١٩)

إلى البحث رقم (٣٦)



صفر ١٤٤٠هـ

تشرين الأول ٢٠١٨م

عدد خاص بوقائع
المؤتمر الدولي الأول
لجامعة الأنبار
الاعتدال
في الخطاب الديني والسياسي
وأثره
في تعزيز التنمية المجتمعية
الاعتدال في الخطاب
طريقنا إلى السلام



أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ
الْقُرْآنَ

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
لَوَجَدُوا فِيهِ
أَخْتِلَافًا كَثِيرًا

(سورة النساء: الآية ٨٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة السيد رئيس جامعة الأنبار المحترم

لطالما ارتبط موضوع التطرف بالدين ومنذ القدم، وللتاريخ شواهد على ذلك وفي مختلف الأديان والعقائد إلا أن موضوع التطرف والارهاب قد رُبط بشكل وثيق بالاسلام وكانت

وراء ذلك ماكنات إعلامية ولوبيات كبيرة تعمل بشتى الوسائل والطرق لترسيخ هذا الربط غير الصحيح ولما كان الاعتدال نقيض التطرف وبعد موجة الإرهاب الأعمى الذي تعرضت له بلدان كثيرة وخصوصاً العراق بعد موجة داعش وتحرير محافظة الأنبار العراقية من قبضة هذه العصابة المجرمة ولترسيخ دور الجامعة وعلمائها وباحثيها في محاربة الفكر المتطرف فقد أقامت مؤتمراً دولياً حول هذا الموضوع بعنوان **(الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز التنمية المجتمعية)** وأفرزت محوراً خاصاً للخطاب الديني وأثره في استقرار المجتمعات وتنميتها المستدامة.

استلم القائمون على المؤتمر العديد من البحوث ذات الصلة وبعد تقييمها علمياً ومراجعتها لغوياً تم قبول البحوث الرصينة منها ونشرها في هذا العدد الخاص من مجلة الأنبار للعلوم الاسلامية ونأمل أن تقدم ردوداً واضحة ودلائل بينة على عدم ارتباط التطرف بالدين الاسلامي ودحض كل القرائن التي يستند عليها المتطرفون في تصرفاتهم وعقيدتهم لتكون الدعوة إلى الاعتدال حاضرة في جميع المحافل الدينية والفكرية والأكاديمية لتنعم المجتمعات بالأمن والسلام والعيش الرغيد في ظل احترام الأديان والعقائد الأخرى .
فالشكر والتقدير للباحثين والخبراء العلميين وهيئة التحرير والقائمين واللجنة العلمية للمؤتمر للجهود المبذولة لإنجاحه.

والله ولي التوفيق

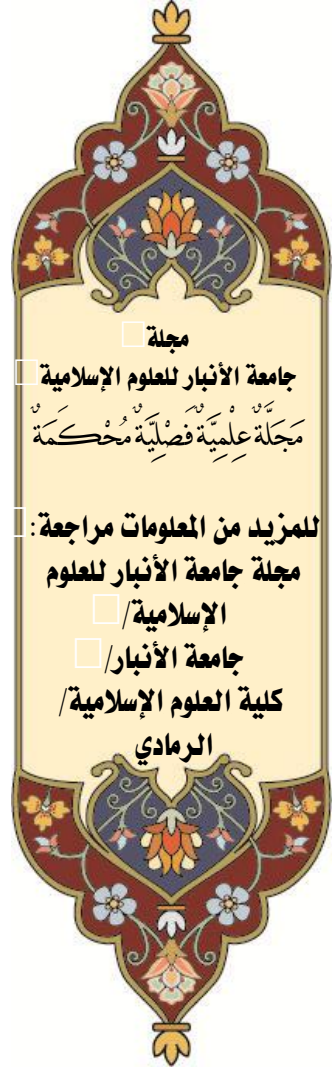
الأستاذ الدكتور
خالد بتال النجم
رئيس جامعة الأنبار
رئيس المؤتمر

شروط النشر

١. تهدف مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية إلى نشر البحوث الإنسانية العلمية الأصيلة والتميزة.
٢. تُنشر البحوث باللغة العربية وتُصدر المجلة أربعة أعداد في السنة.
٣. تُقومُ البحوث من قِبَل ذوي الاختصاص قبل قبولها للنشر.



٤. يشترط في البحث أن لا يكون قد نُشر أو قُبِلَ للنشر في أيِّ مجلةٍ أخرى.
٥. يشترط أن تكون البحوث في اختصاصات (العلوم الإسلامية في جميع فروعها، والعلوم الأخرى المتعلّقة بالعلوم الشرعية).



٦. يشترط في البحث المقدم إلى مجلّتنا إرساله إلى مركز الحاسبة الإلكترونية في جامعتنا لغرض فحصه على برنامج «Turnitin» على أن لا تزيد نسبة الاستلال في البحث عن ٢٠ % على وفق التعليمات النافذة.

٧. على الباحث أو الباحثين إرسال ثلاث نسخ مطبوعة من البحث، ويطلب الباحث بنسخة مطبوعة جديدة وبقرص مدمج للبحث بعد قبوله للنشر وتقييمه من قبل الخبراء .

٨. يطلب الباحث بملخص تعريفى للبحث باللغتين العربية والإنجليزية، على أن لا يزيد على (٢٠٠) كلمة مصادق عليه من قبل المركز الاستشاري للترجمة في كلية التربية/ جامعة الأنبار، مع قرص مدمج بذلك .

٩. يطبع البحث بالحاسوب وبمسافات منفردة وعلى وجه واحد على ألا يزيد على (٣٠) سطراً في الصفحة الواحدة .

١٠. لا تنشر البحوث إلا بعد دفع أجور النشر والتقويم من قبل الباحثين .



١١. أجور النشر، كالآتي:

أ- يؤخذ من الباحثين الذين يحملون لقب (أستاذ) مبلغ قدره: (٧٥,٠٠٠)

ألف دينارٍ عراقيٍ للخمس والعشرين صفحة الأولى ما عدا أجور

الخبراء .

ب- يؤخذ من الباحثين الذين يحملون لقب (أستاذ مساعد) مبلغ قدره:
(٦٠,٠٠٠) ألف دينارٍ عراقيٍ للخمس والعشرين صفحة الأولى ما عدا
أجور الخبراء.

ت- يؤخذ من الباحثين الذين يحملون لقب (مدرس فما دونه) مبلغ قدره:
(٥٠,٠٠٠) ألف دينارٍ عراقيٍ للخمس والعشرين صفحة الأولى ما عدا
أجور الخبراء.

ث- يُضاف مبلغ قدره: (٢٥٠٠) ألفان وخمسمائة دينارٍ عراقيٍ عن كلِّ
صفحةٍ زائدةٍ على الخمس والعشرين صفحة الأولى.

ج- يضاف مبلغ قدره: (٣٠,٠٠٠) ألف دينارٍ عراقيٍ، عن أجور الخبراء
(للبحوث الشرعية والعلوم المتصلة بها).

ح- يتم استلام مبلغ مقدّم يودع في المجلة قدره: (١٢٥,٠٠٠) ألف دينارٍ
عراقيٍ ككأمينات، من كلِّ باحثٍ (من ضمنها أجور الخبراء المشار لها
في أعلاه)، ويتم احتساب التكاليف النهائية للنشر بعد نشر البحث في
المجلة.

خ- في حالة سحب البحث من قِبَل الباحث بعد ارسال البحث إلى الخبراء، يُعاد المبلغ الذي تم استلامه من الباحث ويخصم منه أجور الخبراء فقط.

د- يزود الباحث بمسئلة من مجته.

ذ- يتحمل الباحث المسؤولية القانونية الكاملة في حالة الاعتداء على الحقوق الفكرية للآخرين.



١٢. البحوث المنشورة لا تمثل رأي المجلة، وإنما تمثل رأي أصحابها فقط.

١٣. لا تعاد مسودات البحوث إلى أصحابها سواء أنشر البحث أم لم ينشر.

١٤. إعداد الصفحة: أعلى وأسفل (٢) سم يمينا ويسارا (٢) سم حجم الورقة

(B5) يكتب البحث على وجه واحد (صفحة) من الورقة وترقم

الصفحات.

١٥. تكتب الحروف العربية بالخط (Simplified Arabic).

١٦. يكتب على الصفحة الأولى فقط من البحث عبارة (مجلة جامعة الأنبار

للعلوم الإسلامية) أعلى يمين الصفحة ، ويكون تحتها خط من يمين إلى يسار

الصفحة (١٢ اسود عريض).

١٧. يكون عنوان البحث الرئيس بالحجم (١٨) اسود عريض وسط الصفحة.

١٨. تكتب أسماء الباحثين وعناوينهم بالحجم (١٧) اسود عريض وسط

الصفحة

١٩. يكون تسلسل الكتابة للبحث على النحو الآتي: عنوان البحث الرئيس،

أسماء الباحثين وعنواناتهم، ملخص البحث باللغتين العربية والإنكليزية،

المقدمة، المباحث أو المطالب، الخاتمة، ثم قائمة المصادر والمراجع.

٢٠. تكتب العناوانات الأولية: (المقدمة ،المباحث أو المطالب ،الخاتمة ،الهوامش،

المصادر) بالحجم (١٦) أسود عريض وسط الصفحة.

٢١. تكتب العناوانات الثانوية بالحجم (١٥) اسود عريض يمين الصفحة.

٢٢. يكتب متن البحث بالحجم (١٤) مع ضبط الصفحة وتترك مسافة بادئة

(١سم) للسطر الأول فقط لكل فقرة من المتن.

٢٣. توضع الهوامش في نفس الصفحة مع متن البحث ويكون حجم الخط (١٢)

ويكون رقم الهامش بين قوسين على الشكل التالي (١) ويكون ترقيم

الهوامش لكل صفحة على حدة.

٢٤. يكون ترتيب المصادر بحسب الحروف العربية ويكون ترقيمها تلقائياً

باستخدام التنسيق الذي يكون فيه الرقم مع نقطة فقط.

٢٥. يوضع بين كل فقرة وأخرى مسافة (١٠ سم) (عنوان البحث الرئيس، أسماء

الباحثين وعنواناتهم).

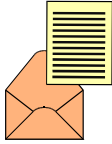
مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية
مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ فَضْلِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ

رسوم الاشتراك السنوي

١. للأفراد والجامعات والدوائر
الأخرى داخل العراق
(٥٠,٠٠٠) خمسون ألف
دينار عراقي.

٢. للأفراد والجامعات والمنظمات
والشركات

خارج العراق (٦٠ \$) دولاراً أو ما يعادله بالدينار العراقي بحسب
سعر صرف البنك المركزي العراقي.



توجه المراسلات إلى

العنوان الآتي:

جمهورية العراق- محافظة الأنبار- جامعة الأنبار/

كلية العلوم الإسلامية/ الرمادي

مدير التحرير: أ.م. د. عبد الستار إبراهيم صالح

Email : Islamic_anbcoll@univ_anbar.org

الموقع الإلكتروني الجامعي

www. univ_anbar.org



رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور
فراس يحيى عبد الجليل

مدير التحرير
الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الستار إبراهيم صالح



أعضاء

هيئة التحرير

١. أ. د. خليل رجب حمدان

٢. أ. د. صادق خلف أيوب

٣. أ. د. قاسم صالح علي

٤. أ. د. عبد الرحمن حمدي شافي

٥. أ. د. أحمد طوران أرسلان

٦. أ. د. عبد الله كريم عليوي

٧. أ. د. عبد الله محمد علي الفلاحي

٨. أ. م. د. صلاح الدين نامق خميس

الهيئة

الاستشارية

١. أ. د. حمدي صالح مجيد

٢. أ. د. صبحي فندي

٣. أ. د. مشعان سعود عبد

٤. أ. د. أحمد عبد الملك السعدي

٥. أ. د. عبد المنعم خليل إبراهيم

٦. أ. م. د. عمر علي محمد

المحتويات

ت	اسم الباحث	عنوان البحث	الصفحة	الجزء
١	أ.د. أحمد صالح محمد قطران	التجديد في المحتوى طريق إلى خطاب الاعتدال	٢٦-١	الأول
٢	أ.د. خليل رجب حمدان	قواعد الاعتدال في الخطاب وضوابطه في القرآن الكريم	٥٤-٢٧	الأول
٣	أ.د. رعد حميد توفيق م.م. نور علي إبراهيم	تجديد الخطاب الديني المعاصر وانعكاساته على الأمن الفكري للمجتمع بين التكييف السياسي والتوظيف الشرعي	٧٢-٥٥	الأول
٤	أ.د. صهيب عباس عودة	اختيار أيسر الأقوال وأثره في نشر الاعتدال	٩٤-٧٣	الأول
٥	أ.د. عبد الرحمن حمدي شافي	ما غيب من أدوات الاعتدال في الخطاب الإسلامي عمداً أو عن تقصير	١٢٨-٩٥	الأول
٦	أ.د. فراس يحيى عبد الجليل	جهود الشيخ عبد الجليل إبراهيم الهيتي في توجيه الخطاب الديني المعتدل	١٥٨-١٢٩	الأول
٧	أ.د. محمود حميد مجبل	المعالم النبوية لإقامة الألفة والاعتدال بين المسلمين دراسة موضوعية لنماذج تطبيقية من الصحيحين	١٩٢-١٥٩	الأول
٨	أ.د. معن نوري محمد أ.د. علي منصور علي	التعصب وأثره على الخطاب الدعوي	٢٠٦-١٩٣	الأول
٩	أ.د. وليد هاشم كردي	مقومات التعايش السلمي في القرآن والسنة وأثرها في تحقيق الوسطية والاعتدال والسلام الأهلي	٢٣٤-٢٠٧	الأول
١٠	أ.م.د. أحمد شاكر محمود	تعزيز قيم الاعتدال الديني من خلال عرض الخلاف الفقهي في الإعلام	٢٦٠-٢٣٥	الأول
١١	أ.م.د. تكليف لطيف رزج أ.م.د. محمد مصدق ذير	مهددات التسامح الاجتماعي (التشدد العقدي أنموذجا)	٢٨٢-٢٦١	الأول
١٢	أ.م.د. جاسم محمد حرجان أ.م.د. عمار ياسم صالح	توحيد الخطاب الديني ضرورة معرفية	٣٠٠-٢٨٣	الأول
١٣	أ.م.د. خالد إبراهيم مسلم	تراجع الخطاب الديني بين أبناء الأمة وقادتها وإشكاليته على واقع المجتمع	٣١٨-٣٠١	الأول
١٤	أ.م.د. خولة حمد خلف	ملامح الاعتدال والوسطية في الخطاب الفقهي المعاصر للمرأة	٣٤٠-٣١٩	الأول
١٥	أ.م.د. شاكر محمود مهدي أ.م.د. حسين علي ريس	الإرهاب أسبابه وعلاجه في ضوء القرآن الكريم	٣٦٢-٣٤١	الأول
١٦	أ.م.د. رقية شاكر منصور	مظاهر وسطية الإسلام وأثرها في التعايش السلمي	٣٨٦-٣٦٣	الأول
١٧	أ.م.د. طه إبراهيم شبيب أ.د. أحمد ختال مخلف	معالم الاعتدال في الخطاب المستنبطة من خطاب الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم	٤٠٦-٣٨٧	الأول
١٨	أ.م.د. عبدالستار عايش عبد أ.د. محمد نبهان إبراهيم رحيم	الاعتدال في الخطاب الديني تأصيلا وتطبيقا	٤٣٨-٤٠٧	الأول

ت	اسم الباحث	عنوان البحث	الصفحة	الجزء
١٩	أ.م.د. عثمان أحمد إبراهيم	منهجية الاعتدال وسلمية الخطاب في العقيدة الإسلامية	٤٦٤-٤٣٩	الثاني
٢٠	أ.م.د. فاضل محمد كمبوع	منهج القرآن الكريم في تربية الأجيال على الاعتدال والوسطية	٤٨٤-٤٦٥	الثاني
٢١	أ.م.د. محمد سلمان داود	مقومات الاعتدال وأثرها في السلوك الاجتماعي - القدوة الحسنة أنموذجاً	٥٠٢-٤٨٥	الثاني
٢٢	أ.م.د. نزار عامر حسين	دور الإعلام الديني في تعزيز قيم التسامح والاعتدال .	٥٢٤-٥٠٢	الثاني
٢٣	أ.م.د. نضال علي حسين أ.م.د. عبد الله إبراهيم رحيم	ظاهرة التعصب وطرق معالجتها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة	٥٥٢-٥٢٥	الثاني
٢٤	أ.م.د. هيثم عبد الرحمن عبد القادر	خطاب الاعتدال والتسامح الإسلامي وأثره في استقرار المجتمع وتنميته	٥٧٢-٥٥٣	الثاني
٢٥	أ.م.د. وليد عبد الحميد خلف	الاعتدال في الخطاب الديني لمدرسة النجف الأشرف	٥٩٦-٥٧٣	الثاني
٢٦	أ.م.د. ياسر إحسان رشيد	الخطاب الديني الإسلامي المعتدل مفهومه وأهم مرتكزاته	٦١٨-٥٩٧	الثاني
٢٧	أ.م.د. ياسر حسين مجباس	الدين في خطاب بعض الأنبياء والصالحين في ضوء الآيات القرآنية	٦٤٠-٦١٩	الثاني
٢٨	د. طه حميد حريش	مسؤولية الخطاب الديني بين دقة الفهم وتجديد المفاهيم	٦٦٦-٦٤١	الثاني
٢٩	د. عبد الجبار حميد صالح أ.م.د. نافع حميد صالح	الخطاب الديني المعتدل ودوره في تعزيز السلم المجتمعي	٧٠٦-٦٦٧	الثاني
٣٠	د. عبد القادر محمد حسين	حسن الفهم وأثره في خطاب الاعتدال دراسة موضوعية في كتاب العلم من صحيح البخاري	٧٢٨-٧٠٧	الثاني
٣١	م.د. كريم حمزة حميدي	أثر خطاب القرآن الكريم والسنة النبوية في نشر ثقافة المحبة والتسامح	٧٤٨-٧٢٩	الثاني
٣٢	د. محمد حامد محمد سعيد	أثر التوسط والاعتدال في الخطاب الديني في تحقيق التنمية المجتمعية	٧٧٠-٧٤٩	الثاني
٣٣	د. محمد عزت فاضل	الشرعية الإسلامية لنظم التعايش بين أتباع الديانات	٧٩٢-٧٧١	الثاني
٣٤	د. محمد محسن راضي	العفو وأثره في خطاب الاعتدال في ضوء الكتاب والسنة	٨٢٤-٧٩٣	الثاني
٣٥	د. محمود عريبي سلمان	أهم الآثار المترتبة على خطاب الاعتدال	٨٤٢-٨٢٥	الثاني
٣٦	سهيل بن عبدالله الفيضي	وسطية الإسلام وأهميتها في الدعوة الإسلامية	٨٦٢-٨٤٣	الثاني



منهجية الاعتدال في سُلَامِيَّة الخطابة

في العقيدة الإسلامية

أ.م.د. عثمان أحمد إبراهيم
جامعة الأنبار

كلية العلوم الإسلامية

oth60man@gmail.com

ISSN: 2071-6028





ملخص باللغة العربية

يعد الاعتدال في الإسلام من أهم المرتكزات التي تساهم بتأسيس مجتمع متوازن يقوم على مبدأ الحريات واحترام كرامة الإنسان، وتحقيق دولة العدل والاعتدال بعيداً عن الظلم وامتهان إنسانية الإنسان لأي سبب كان. وسأحاول في هذا البحث بيان العلاقة الطردية بين الاعتدال والسلم المجتمعي، وكيف أن الإسلام حدد الأسس الكفيلة لضمان مجتمع سليم معافى من كل الأمراض الاجتماعية، وبالوقت نفسه يتطلب أن يكون الإنسان معتدلاً في حياته وتعاملاته في الاعتدال نستطيع الوقوف بوجه تيارات الغلو والانحراف التي يريد أن تشبع الخوف والفوضى المجتمعية وما يرافق ذلك من تدمير للبنى التحتية للدولة ولكل أفراد المجتمع بشتى اصنافهم ودياناتهم ومذاهبهم سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين. لقد تضمنت العقيدة الإسلامية بقيمتها ومبادئها كل الوسائل الكفيلة لعيش الناس الذين يستصلون بظلمها أمنين مطمئنين على انفسهم وممتلكاتهم وهم يستشفون الحرية والحياة الكريمة من خلال استلهاهم بمبادئها والعيش بظلالها لتكون واقع عملي وليس نظريات مكتوبة بعيدة عن معتزك الحياة. ان اهم ما يوجب ان نواجهه هو الفهم العميق لتعاليم الإسلام من خلال القصور في الفهم والتعليم المجتزئ والذي اودى بالأمّة المهالك وجعل من ذوي الفهم القاصر يفتي في امور ما كان يتجرا عليها كبار اهل العلم. والاعتدال في اللغة فهو: "الاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف، كقولهم: جسم معتدل بين الطول والقصر، وماء معتدل بين البارد والحار، ويوم معتدل طيب الهواء، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عدلته". ولا يوجد عند الفقهاء معنى آخر للاعتدال غير المعنى اللغوي، ولذلك ستركز بحثنا حول الاعتدال بمعنى الاستقامة والوسطية، ويعد الاعتدال من أهم مميزات الخطاب الديني، وهو ليس كلمات تقال فحسب وإنما هو رسالة ذات مضامين فكرية ورؤية دينية لها بعد اجتماعي ودلالات خاصة الغاية منها تشكيل نموذج انساني معتدل لمجتمع متعاون سليم. ومن مميزات الخطاب الديني يجب ان يكون معاصراً إيجابياً محيط بمستجدات العصر وملبياً للحاجات الإنسانية ضمن ما يسمح به النص الشرعي، وان هدف الخطاب هو ايصال رسالة عبر الزمان والمكان تستند لرؤية فكرية علمية يستفيد منها الفرد والمجتمع وما يميزه "عدم اللعب بمشاعر العامة، بما يخدم ايدولوجيات معينة، تتخذ من هذه الشريحة الاجتماعية وسيلة لتحقيق مآربها، سواء على الصعيد السياسي أو الديني". وقد قسمت بحثي (منهجية الاعتدال وسلمية الخطاب في العقيدة الإسلامية) على ثلاثة مباحث فكان الأول مفهوم الاعتدال والخطاب والسلم وأهميته والثاني هو دور العقيدة في ترسيخ العدالة والثالث الانحرافات الفكرية والاعتدال في الخطاب ثم الخاتمة والمصادر.

الكلمات المفتاحية: اعتدال ، سلمية ، عقيدة

The Methodology of Moderation and the Peaceful Discourse in Islamic Dogma

Assist. Prof. Dr. Othman Ahmed Ibrahim

Abstract: Moderation in Islam is one of the fundamentals that contributes to the establishment of a balanced society on the principle of liberties, respect of human dignity, and moderation as opposed to injustice and slavery for any possible reason. This paper explains the direct correlation between moderation and societal peace because when society losses moderation chaos and extremism prevails and refusal of other and dialogue dominates. Societal chaos shall revail leading to the destruction of the infrastructure of the state affecting all members of society regardless of their ethnicities and religious denominations, whether Muslims or non-Muslims. This paper also aims to focus on establishing the values of moderation and their role in building society and forming its societal culture that protects it from chaos, exaggeration, stray from right path. Islamic dogma is the first and foremost base of our Islamic life. The paper follows the analytical and deductive methods in the analysis of negative phenomena that should be addressed with wisdom, mind, power of law, respect of the state, and assign a role to the enlightened class to exercise its role in awareness and directing. The paper find that extremism and exaggeration are phenomena alien to our Islamic and Arabic society and do not reflect its truth. It also found that our nation still retains the potential for positive interaction and to participate in progress away from all aspects of backwardness and extremism. The correct understanding of our religion and the promotion of the middle path teachings of Islam is the ideal answer to all our problems of extremism and exaggeration.

Keywords: moderation, peaceful, doctrine



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين.. وبعد: يعد العدل في الإسلام أساساً للملك في الأرض، وإن كل التشريعات السماوية تهدف إليه، ومن أجله بعث الله تعالى الرسل والأنبياء، مصداقاً لقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١).

والاعتدال في الإسلام من أهم المرتكزات التي تساهم بتأسيس مجتمع متوازن يقوم على مبدأ الحريات واحترام كرامة الإنسان، وتحقيق دولة العدل والاعتدال بعيداً عن الظلم وامتتهان إنسانية الإنسان لأي سبب كان .

وسأحاول في هذا البحث بيان العلاقة الطردية بين الاعتدال والسلم المجتمعي، وكيف أن الإسلام حدد الأسس الكفيلة لضمان مجتمع سليم معافى من كل الأمراض الاجتماعية، وبالوقت نفسه يتطلب أن يكون الإنسان معتدلاً في حياته وتعاملاته فبالاعتدال نستطيع الوقوف بوجه تيارات الغلو والانحراف التي يريد أن تشيع الخوف والفوضى المجتمعية في المجتمع وأفراده بشتى اصنافهم ودياناتهم ومذاهبهم سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين وما يرافق ذلك من تدمير للبنى التحتية للدولة.

لقد تضمنت العقيدة الإسلامية بقيمها ومبادئها كل الوسائل الكفيلة لعيش الناس الذين يستصلون بظلمها آمنين مطمئنين على انفسهم وممتلكاتهم وهم يستنشقون الحرية والحياة الكريمة من خلال استلهاهم مبادئها والعيش بظلالها لتكون واقع عملي وليس نظريات مكتوبة بعيدة عن معترك الحياة ان اهم ما يوجب ان نواجهه هو الفهم العقيم لتعاليم الإسلام من خلال القصور في الفهم والتعليم المجتزئ والذي اودى بالأمة المهالك وجعل من ذوي الفهم القاصر يفتي في امور ما كان يتجرا عليها كبار اهل العلم.

وقد قسمت بحثي (منهجية الاعتدال وسلمية الخطاب في العقيدة الإسلامية) على ثلاثة مباحث فكان الأول مفهوم الاعتدال والخطاب والسلم وأهميته والثاني هو دور العقيدة في ترسيخ العدالة والثالث الانحرافات الفكرية والاعتدال في الخطاب ثم الخاتمة والمصادر .

المبحث الأول: مفهوم الخطاب والاعتدال والسلم وأهميته

المطلب الأول: معنى الخطاب والاعتدال والسلم لغة واصطلاحاً

الخطاب في اللغة "هو مصدر خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة وهو يعني الكلام بين الاثنين"^(١).

ووصف الخطاب بالديني (نسبة إلى الدين والدين في اللغة: الجزاء والمكافأة، يقال دنته بفعل: أي جزيته، ويوم الدين: يوم الجزاء. ومنو قوله تعالى ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾^(٢) أي محاسبون مجزيون"^(٣).

والخطاب في الاصطلاح: "الخطاب الديني هو الخطاب الذي يستند إلى مرجعية دينية، تستند إلى القرآن والسنة، من أجل نشر الدين الإسلامي عقيدة وشريعة وفكر وسلوك والدفاع عنه وتوعية الآخرين به ولا يشترط أن يتحدد بجهة ما أو أفراد أو جماعات حيث يتميز بعودته إلى منهج السلف بعيداً عن البدع والضلالات"^(٤). ولذا فالخطاب الديني الإسلامي هو ما صدر من أهل الخبرة والاجتهاد وغير ذلك لا يمكن أن نحمل الإسلام أخطاء أناس لا تعي أهمية المسألة وخطورتها. وهو اجتهاد أهل الاختصاص ضمن المرجعية من الكتاب والسنة وأدوات الاجتهاد الأخرى، والمجتهد قد يصيب ويخطئ، أي أن الخطاب الديني هو المنسوب إلى الدين، ونقصد به الدين الإسلامي وإن كان البعض يسمي الخطاب الديني غير الإسلامي خطاباً دينياً، ولا نعني بهذا أن الخطاب الديني هو المقدس، بل هو اجتهادات تتطرق من ثوابت قابلة للتغيير ضمن ضوابط المصلحة الشرعية. ولذلك فالخطاب الإسلامي هو الخطاب المنضبط بالشريعة الإسلامية وهو الذي يحدد علاقات البشر بعضهم ببعض بعد أن يحدد علاقتهم بالخالق تعالى، ويمكن تعريفه بأنه "الخطاب الذي ينبثق من أي جهة دعوية إسلامية رسمية أو غير رسمية والمستند إلى القرآن والسنة وعلى أصل ثابت سعياً لنشر الدين الإسلامي كنظام وعقيدة اعتماداً على منهج السلف الصالح بعيداً عن الخرافات والشبهات"^(٥).

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ: ١ / ٣٦١، مادة خطب.

(٢) سورة الصافات، الآية ٥٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: ١٦/٧.

(٤) خصائص المنهج السلفي وصلته بتجديد الخطاب الديني، د. أحمد محمد هليل، بحث مقدم لندوة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص ٢.

(٥) ينظر: خصائص المنهج السلفي وصلته بتجديد الخطاب الديني، د. أحمد محمد هليل، بحث مقدم لندوة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص ٢.



وقبل ان نوضح معنى الاعتدال نود ان نحدد منهجية الخطاب الديني:

فنحن هنا لا نعني بالخطاب الديني مجموعة المواعظ والخطب المألوفة التي يرددها الخطباء على المنابر من وعظ وارشاد وتوجيه واما هو رسالة تربوية تعليمية تتصدى لتتوير العقل المسلم وتوعيته واعادة صياغته لجعله قادرا على فهم الدين فهما واعيا مع القدرة على مواجهة التحديات المعاصرة التي تستهدف وجوده كمسلم ونظام وشريعة، وهذا لا يعني محاولة التمرد على النص أو الخروج من محدداته الشرعية، وهي حالة تتطلبها المرحلة لما يروج به العلم من افكار ورؤى تحاول ان تطمس الحقيقة وتشوه معالم الدين الإسلامي بما تمتلكه من قدرات وامكانيات على كافة الاصعدة.

فالاعتدال في المفهوم اللغوي والاصطلاحي تعطي معاني مترادفة ومن مضامينها: "الاستقامة والعدل والفضل والجود والخيرية"^(١).

وقد بين لنا رسولنا ﷺ معنى الوسط بقوله: "والوسط: العدل"^(٢).

ومن تعريفات الجرجاني للعدل "هو اجتناب ما منعه ونهى عنه الدين والاستقامة على الحق"^(٣). وعرفه الإمام علي كرم الله وجهه بقوله: "العدل ان تضع الامور في وضعها الصحيح"^(٤). ولكلمة العدل في اللغة العربية معاني كثيرة كلها تتضمن مرادفات الخيرية للإنسان وأهمها: "قسط، قصد، استقامة، وسط، حصة، ميزان.... وغيرها كثير"^(٥).

ومن مشتقات العدل الاعتدال وهو اي الاعتدال في اللغة يعني: "الاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف، كقولهم: جسم معتدل بين الطول والقصر، وماء معتدل بين البارد والحرّ، ويوم معتدل طيّب الهواء، وكلّ ما تناسب فقد اعتدل، وكلّ ما أقمته فقد عدلته"^(٦).

(١) ينظر: الوسطية والاعتدال في القرآن والسنة مفهوم الوسطية والاعتدال، العقل، ناصر بن عبد الكريم، بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية ١٤٢٥هـ، ١٠/١.

(٢) ينظر: صحيح الجامع، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الرشد، الرياض، ٢٠٠٦م، كتاب التفسير، ٢١/٦ برقم (٤٤٨٧) وهو جزء من حديث نبوي شريف.

(٣) ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ١٤٧.

(٤) ينظر: نهج البلاغة، الشريف الرضي، تد: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٠٢/٤.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٥.

(٦) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٢٠/٤.



ولذلك عند البحث في موضوع الاعتدال سواء عند الفقهاء أو المفكرين لن يحيد المعنى عن الاستقامة والوسطية.

ويمكن القول ان مفهوم العدل والاعتدال قد اخذ حيزا كبيرا في تشريعات الإسلام وتطبيقاته العملية بصورة فريدة سواء على مستوى الحاكم أو المحكوم وتختلف عن كل التطبيقات الارضية في عصرنا الحاضر والتي تحاول ان تترجم المنهج الإسلامي، ومهمل يكن فلا يمكن مقارنته بالقوانين الاوربية حيث "ان المجتمع الاوربي لا يطلب العدل كقيمة لذاتها لأنه يدرك انه لولاه لحلت بالمجتمع الكوارث والتزامه به كي يتم التعامل معه بالطريقة نفسها ولم يصلوا لهذه المرحلة الا بعد توضيحات من قبل الطبقات المسحوقة التي دفعت ثمننا باهضا لذلك"^(١).

في حين العدل في الإسلام مطلوب لذاته بغض النظر عن نتائجه وعلاقتها بالمصلحة الذاتية.

معنى السلم لغة: يعد السلم من المعاني الجميلة التي يسعى اليها المشرع الإسلامي من اجل فرد ومجتمع آمن يعيش حالة من الانسجام بين النظرية الإسلامية وتطبيقاتها العملية ولذلك فالسلم له مشتقات عديدة كلها تدور حول السلام والسلامة من عدم انتهاك الحقوق أو الحاق الاذى.

السلم في اللغة: "السِّلم، السَّلامُ والسَّلامَةُ، البراءة، وتسلمَ منه، تبرأ. وقال ابن الأعرابي: السلامة العافية، وقيل: السِّلمُ (بالكسر) السَّلامُ"^(٢).

والسلم اصطلاحاً: ضد الحرب وهو وضع يسود فيه الامن والسلام ويشعر فيه الفرد بالامان والسكينة والاستقرار وهو عامل اساسي لتقدم الامم وازدهارها، كما انه يعني العلاقات الودية بين الناس وانعدام العدوانية، والعنف داخل المجموعة البشرية"^(٣).

فالسلم ليس الا الاستقرار والتعايش بين افراد وجماعات واعراق مختلفة تمتلك لغة خطاب يضمن للجميع ان يمارس حريته ويحترم حريات الاخرين مع تقاهم وتعايش بعيدا من مفهوم الاقلية العرقية أو المذهبية أو الفئوية.

المطلب الثاني: اهمية السلم المجتمعي

لقد خلق الله الإنسان ليعيش في سلام من اجل تحقيق الخلافة اعمار الارض ولا يمكن أبداً ان نهمل قيمة السلام من اجل نشر روح المحبة والاطمئنان بين الشعوب، ولقد عمل الإسلام منذ بداية تأسيس الدولة على ترسيخ مفهوم السلم سواء داخل المدينة المنورة أو مع الجهات

(١) ينظر: نظرية العدل في الفكر الأوربي والفكر الإسلامي، جمال البناء، دار الفكر الاسلامي والقاهرة، ص: ١٢.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٢٨٩/١٢.

(٣) مفهوم السلام في الاسلام، د. اياد كامل الزبياري، موقع الحوار اليوم.



المجاورة من القبائل أو الدول، ولم يقف بوجه تطبيق العدالة اية قوة كانت حتى ولو كان امير المؤمنين نفسه، كما روته لنا كتب التاريخ التي وثقت لنا الروايات، وعن أبي حاتم عن العُثْبِي (كذا فيه)، قال: "بعث إلي عمر بطلٍ فقسمها فأصاب كل رجل ثوباً. ثم صعد المنبر وعليه حلة، والحلة ثوبان، فقال: أيها الناس ألا تسمعون؟ فقال سلمان: لا نسمع. فقال عمر: لم يا أبا عبد الله؟ قال: إنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة. فقال: لاتعجل يا أبا عبد الله. ثم نادى: يا عبد الله. فلم يجبه أحد فقال: يا عبد الله بن عمر. فقال: لبيك يا أمير المؤمنين. فقال: نشدتك الله، الثوب الذي انتزرت به أهو ثوبك؟ قال: اللهم نعم قال سلمان: فقل الآن نسمع" (١).

إن للسلام دور مهم وكبير في تقارب المجتمعات الانسانية في كل دول العالم، ويعزز التلاحق الحضاري والثقافي بين الامم "ان السلام هو المحبة ونعمة للإنسانية جمعاء والحروب لعنة وتخلق التفرقة والعداء بين الشعوب" (٢).

إن القراءة الواعية للسيرة النبوية والاطلاع على منهجية الرسول ﷺ في تعزيز السلم المجتمعي والخارجي توضح ان الرسالات السماوية كان السلم احد اهدافها مصداقاً لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً﴾ (٣).

وما بنود صلح الحديبية الا اكبر دليل على مطلب ترسيخ السلام في المجتمعات، حيث تنازل الرسول محمد ﷺ عما رآه كبار الصحابة مساساً بالسيادة والرفعة لهذا الدين.

وللإسلام نظريته المتكاملة حول السلم وليس كما ينظر العالم الغربي، فهي نظرة شمولية تعبر حدود الوطن إلى العالم اجمع، وان رسالة السلام هي رسالة انسانية لأن دعوة الإسلام دعوة عالمية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤)، ولا يمكن ان يكون هناك سلم مجتمعي ما لم توجد منظومة متكاملة تشريعية وقضائية وتنفيذية تأخذ على عاتقها تطبيق العدالة على كل افراد المجتمع وفي كل جزئياته ومن ثم تحمي هذه العدالة من ان يتم التجاوز عليها أو استغلالها، وبدون وجود للعدالة لن يتحقق السلام فهي التي تحقق التوازن وتكون جسراً للسلام ولقد كانت التشريعات السماوية بمثابة دستور الحق بين الشعوب.

فليس هناك فرق في الانسانية فلا اللون ولا العرق ولا الجنس هي من تعطي للإنسان قيمته بل هي ما حدده الحديث الشريف "لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا

(١) صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج، المحقق: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، ٥٣٥/١.

(٢) ينظر: عقيدة الإسلام، وحيد الدين خان،، السعودية، الرياض: العبيكان للنشر، ٢٠١١م، ص ٧٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.



لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"^(١)، وهذا في ميزان الآخرة وأما في الدنيا فالكل سواسية أمام القانون.

ومن معاني انتشار السلام:

١. تأمين حياة الإنسان وحقوقه وكرامته وبغير السلام لا يمكن أن تأمن على شيء حيث تمتهن الكرامة ويعيش المجتمع في خوف واضطهاد لقوى ظلمية، وحقوق الإنسان تعني حق الحياة والتعبير عن الرأي والتعليم والصحة والمعتقد الديني والسياسي وغيرها من الحقوق كالعدالة والمساواة وبذلك كانت العدالة المظهر السماوي المطلوب في الأرض سواء على مستوى الفرد أم الجماعة أو الإنسانية " .حيث يستوي القوي والضعيف وأن يكون تطبيق العدالة بعيدة عن الأمور الشخصية سواء كان الفرد فقيراً أم غنياً قريباً أم بعيداً مسلماً أم غير مسلم"^(٢).

والسلام بالنسبة للأجيال هو المرتكز الأساسي من أجل العمل لبناء مجتمع آمن مطمئن إذ بدونه لا يمكن أن يكون مواطن مستقر يساهم في تكوين دولة متطورة مستقلة تشارك في بناء الحضارة الإنسانية.

٢. بالسلام تنمو العجلة الاقتصادية للشعوب والمجتمعات حيث تشغل الناس بالعمل والتحصيل والبناء والتطور، على عكس ما في الحروب من الدمار والتخريب "إن أهمية السلم ليس على الأرض فقط حيث الكائنات الحية بل حتى المحيط الخارجي بحاجة إليه وما شيوخ الحروب والدمار إلا نتيجة لإنعدام السلم والأمان الدوليين حيث يعم الخراب إلى أقصى حد ممكن وغير متصور"^(٣).

٣. السلام يُقَرِّب بين الناس ويجمعهم على المحبة والتعايش، وينتشر الحوار البناء والتقارب وبالحوار نضمن السلم وتحقيق الضرورات التي جاء بها الشرع "بالسلم يتوحد المجتمع تتناسق علاقات أفراد مع بعضهم البعض وتترابط كما هو مع الكون مرتبط بانظمة وقوانين حيث تشملهم العناية الإلهية معاً"^(٤).

٤. رعاية الإبداع والاهتمام بالمبدعين وتوفير فرص النجاح لهم.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم (٢٢٣٩١).

(٢) ينظر: الإسلام عقيدة وشريعة: الإمام الأكبر محمود شلتوت شيخ الأزهر، دار الشروق، القاهرة، ط٦، ١٩٧٢، ص٤٧٢.

(٣) ينظر: الآثار البيئية للحروب والنزاعات، حسن برتو، البيئة والتنمية، العدد ١٣١، ٢٠٠٣، صفحة زاوية التربية البيئية.

(٤) ينظر: الحوار القرآني، حسين حمادة، مجلة المعرج، بيروت، ١٤١٢هـ، ١/٣٧.



٥. توطيد العلاقات بين الشعوب بالعهود والمواثيق "ان الحفاظ على العهود والمواثيق والمعاهدات التي تقطعها الدولة الإسلامية مع باقي الدول والشعوب غير المسلمة تعد اهم ما يميزها"^(١).

٦. السلام يعزز بناء الروح عند الانسان ويرفعه إلى آفاق من السمو، ويساعد على الهدوء والسكينة بين الشعوب ونجد ذلك واضحا في روح الشعائر التعبدية والذكر وما تضيفه على النفس من السكينة والطمأنينة لقوله تعالى ﴿لَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢).

المبحث الثاني: دور العقيدة الإسلامية في ترسيخ العدالة والتعايش السلمي المطلب الأول: دور العقيدة الإسلامية في ترسيخ العدالة

استطاعت العقيدة الإسلامية ان تغرس في الفرد مجموعة القيم التي اعتبرت الاساس المتين لبناء الانسان وتهيئته لعمارة الارض وتحقيق معنى العبودية لله تعالى، ومن تلك القيم هي العدالة اضافة للقيم الاخرى فهو لا يغش ولا يكذب ولا يخون أو يسرق وهو بالنهاية انسان مرتبط بالآخرة يعد العدة للوصول اليها وهو خاليا من المعاصي ومن الموبقات التي تضربه كفرد أو كمجموع، وبذلك يكون الفرد المؤمن نوعي، فريدة ونموذج رائع يصلح للقيادة وتحمل المسؤولية. ونستطيع ان نقسم اثر العقيدة على قسمين :

أ - اثر العقيدة على الفرد

١. تعميق الصلة بالله ﷻ

وهذه من شأنها ان ترسخ معاني الايمان في النفس ثم الاطمئنان على نفسه ومستقبله بخلق حالة من السكينة والهدوء والرضا بأقدار الله مع الاخذ بالأسباب والعمل لعمارة الارض وذلك تختفي كل امراض النقص والصراعات النفسية ليكون فردا صالحا مصلحا في آن واحد مصداقا لقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٣).

٢. الحرية

رسخ الإسلام مفهوم الانسانية عند المسلم وجعل معيار الانسانيه هي التقوى بعيدا عن الاعراق والاجناس وبذلك حرر الانسان من كل اشكال العبودية فالإسلام " يحرر الانسان من كافة اشكال العبودية ولا تكتمل حريته التي يريدها الإسلام الا بعد ان يكون عبدا لله وحده متحررا من عبودية ما سواه متوازن بين جانب الايمان وجانب الاجتماع في توازن عجيب لتنتطلق بعدها

(١) ينظر: العلاقات الدولية، دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، د. علي العقابي، ٢٠١٠م، ص ٣٧-٤٣.

(٢) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٦.



حرية الانسان نحو الآفاق متحررا من كل العلائق التي تكبله^(١). لقد ولد الإنسان ليعيش حراً وهذا مبدأ قرره الإسلام وتكفل بالحفاظ عليه، وأعلى ما في الإنسان هو أن يكون حراً وله شخصيته وكرامته الانسانية ومسؤولا بارادته عن كل أفعاله، وعن الحرية يقول سيد قصب " وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحمله تبعه عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني"^(٢).

٣. الاستقامة والمسؤولية

ان العقيدة الإسلامية اذا توغلت في القلب احبته وفي المشاعر ايقظتها وتدفع النفس إلى الطريق المستقيم الذي امرنا الله به، فالاستقامة هي حصيلة الايمان المستقر بالقلب وهي مطلب لكل مسلم واثراً من آثار رسوخ الايمان بالقلب ومن دونها تنتفي كل ادعاءات الايمان، وقد امرنا الله تعالى بها من خلال توجيه الامر لرسوله ﷺ فقال ﴿فَاسْتَمِعْ كَمَا أَمُرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣)، وبالوقت نفسه تعمل العقيدة على زرع المسؤولية الفردية والاحساس بالواجب والمهام الملقاة على الفرد ليمارس حياته كعضو نافعا في المجتمع يؤدي ما عليه من الواجبات ليتمتع بالحقوق وبذلك ضمنت العقيدة للفرد المسلم الاستقامة والمسؤولية في وقت واحد.

ب - اثر العقيدة على المجتمع

١ - التعايش السلمي: ان العقيدة الإسلامية تعد النظام الشمولي الذي استطاعت من خلال ما تحمله من القيم والتعاليم ان تنشئ مجتمعات امنة مطمئنة يسودها روح المحبة والالفة والمواطنة على مدى القرون الماضية وهي بذلك تعد اكبر دليل على ان التمسك بها سيكون عامل خير على الامة اجمع . وإن من دواعي اثر العقيدة هي حرية الاعتقاد، التكليف الإلهي المبني على الابتلاء والاختبار، مما يعني حرية اختيار منهج أو سلوك طريق، بعد نصب الأدلة وإرسال الرسل^(٤). وان السلام يجب هو مطلب الشعوب جميعا وهو ما تقره العقيدة الإسلامية ليعم السلام بين:

أ . السلام بين أهل الدين الواحد.

ب. السلام بين أهل الاديان المختلفة.

ت. السلام بين الدول المختلفة سياسياً.

(١) ينظر: معالم شخصية المسلم، د. يحيى فرغل، المكتبة العصرية . ١٣٩٩هـ، ص ٧٩-٨٠.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ١٠، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ١/٢٩١.

(٣) سورة هود، الآية ١٢١.

(٤) ينظر: اسس التعايش في الاسلام، د. نصار اسعد نصار، ص ٧، (مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الاسلامية، جامعة دمشق، كلية الشريعة، ١١-١٢/٧/٢٠٠٩م).



ث. السلام بين الدول المختلفة دينيا.

مصدقا لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢).

٢- الأخوة الإيمانية

يعد الايمان بالله الركيزة الأولى في قيام المجتمع المسلم حيث قامت عليه قيم الإسلام ووقع على عاتق المسلمين مسؤولية الحفاظ على امن لمجتمع بمن فيه من الاجناس والقبائل. ليس بعد الايمان بالله شيء اعظم من الاخوة التي من دونها لا يمكن الاقرار للمسلم به بل ان الايمان لا يتحقق الا بها ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"^(٣).

٣ - التكافل والتعاون الاجتماعي :

لابد للمجتمع ان يكون متماسكا قويا وان تنتشر الرحمة بين ابناءه وان يشعر الضعيف انه بأمن وليس هناك من يسرق حقوقه وينتهك كرامته وان التعايش السلمي هو افضل الوسائل للشعوب والمجتمعات وان " ليس هناك مانع من استخدام مصطلح التعايش والتوسع فيه في الدولة التي يعيش فيها اقلية واتباع ديانات غير مسلمة ويعتبر التعايش بديلا عن الكره والعداء بين الدول ذات الديانات والانظمة المختلفة "^(٤).

ومن اقوى مظاهر التكافل هو العدالة المجتمعية حيث ان العقيدة الإسلامية التي يعد الايمان اهم اركانها يقيم العدالة ويرسخها في التعامل مع النفس أولا ثم الاسرة فالمجتمع لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(٥). ان المؤمن يعرف ان تحقيق العدالة في المجتمع هو امر من الله تعالى لتحقيق عبودية البشر لله تعالى واعتبار انسانية الانسان وتحقيق كرامته فالكل سواسية امام القانون وامام الله وان تحقيق العدالة هو جزء من اداء الامانة التي كُلف الانسان بأدائها وعدم تحقيق العدالة تعد مخالفة صريحة للأوامر الالهية قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٦).

(١) سورة المائدة، الآية ٨.

(٢) سورة النحل، الآية ٩.

(٣) صحيح البخاري، ١/١٢، برقم (١٣) كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(٤) مشكلة الحرب والسلام: مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي، ترجمة: شوقي جلال وسعد رحمي، دار الثقافة الجديد بمصر، بدون تاريخ، ص ٢١٠.

(٥) سورة النساء، الآية ١٣٥.

(٦) سورة النساء، الآية ٥٧.



ومع ترسخ قيم العدالة يترسخ التسامح بين افراد المجتمع جميعا بكل اطيافهم ومعتقداتهم بعيدا عن المجاملات الفارغة أو النفاق الاجتماعي وبكل الاحوال لن يخسر اصحاب الحق شيئا وهو امر يسري على الجميع مسلما كان ام لا ومعنى التسامح: "ان لا نطعن في اديان غيرنا أو نؤلمهم في اعتقاداتهم أو نجبرهم على تركها وان نتحمل آرائهم ونسمح لهم بالإدلاء بأصواتهم ونراعي احساسهم ولا نمنعهم من القيام بأعمالهم"^(١)، ولا يفهم من هذا الكلام ان نقر اصحاب الباطل على بطلانهم أو ان نبارك اخطائهم أو ان نسكت عن الحق وانما ترشدنا في ذلك الآية الكريمة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٢).

المبحث الثالث: الانحرافات الفكرية والاعتدال في الخطاب الإسلامي المطلب الأول: الانحرافات الفكرية واشكالها

في ضوء المستجدات العالمية وانتشار ثقافة العولمة يتطلب من المسلم الوعي والثقافة لفهم مجريات الاحداث والايجابية في التعامل مع الحدث بعيدا عن ردود الافعال المتشنجة واستفزازات الاطراف التي ينقصها الوعي السليم لما تحتاجه الأمة من اشاعة ثقافة الاعتدال انطلاقا من اصالة المشروع الإسلامي المستند إلى الكتاب والسنة والاجماع والقياس.

وللانحراف الفكري اسماء عديدة وكلها تؤدي لمعنى واحد وهو غياب الوسطية التي هي ميزة هذا الدين، ولقد واجهت الامة الإنحراف وهو "والتحريف لغة: "مأخوذ من الحرف، وهو يدل على حد الشيء والعدول وتحريف الكلام عن مواضعه تغييره وعدله عن جهته"^(٣).

والتحريف اصطلاحا: "هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره"^(٤).

فكل فكر لا ينضبط بالقواعد الشرعية في تطبيقاته النظرية والعملية في المجتمع يعد فكرا عدوانيا وخطرا على الجميع وخروجا عن اسس المنهجية الإسلامية التي امر الله بها، وهو بذلك يكون خطرا على الحاضر والمستقبل.

لذلك لم يكن الانحراف حالة جديدة على امتنا الإسلامية، فقد عاشتها منذ بداية نشوء الدولة الإسلامية من خلال الفرق والتيارات المتمزقة والخارجة عن النهج القويم، ولكنها اي الأمة وقفت بكل اشكالها من العلماء والقادة وعموم ابناءها بوجه هذا الانحراف واستطاعت ان تقضي عليه وان تعيد مسار الحياة إلى وضعه الطبيعي.

(١) ينظر: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، الأستاذ أبو الأعلى المودودي، تعريب خليل أحمد الحامدي، دار السعودية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص ٣٩.

(٢) سورة الكافرون، الآية ٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ٤٢/٢ - ٤٣.

(٤) لسان العرب، ٤٣/٩، مادة حرف.



ومن نتائج الانحراف الفكري:

١. الغلو

الغلو في اللغة: مجاوزة الحد والقدر وغلاً الرَّجُلُ في الأمر غُلُوًّا، إذا جاوزَ حدَّهُ. وغلاً بِسَهْمِهِ غُلُوًّا، إذا رَمَى به سَهْمًا أَقصى غايته^(١).

والغلو اصطلاحاً: اجتهد العلماء في وضع تعريف للغلو بعبارة موجزة، ومن هذه التعريفات "الغلو: مجاوزة الحد، بأن يزداد في الشيء، في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك"^(٢)، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٣). وقال ﷺ "إياكم والغلو في الدين"^(٤).

وقال النووي في شرحه لحديث الرسول ﷺ: "هلك المتطعون، قالها ثلاثاً، أي المتعمقون، المغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"^(٥).

ويعتبر الغلو الاعتقادي من اشد حالات الغلو "وهو المتعلق بكليات الشريعة، وأمات مسائلها، والمراد بالاعتقادي ما كان متعلقاً بباب العقائد، فهو محصور في الجانب العقدي الذي يكون منتجاً للعمل بالجوارح، وأمثلة هذا النوع كثيرة منها: الغلو في البراءة من المجتمعات العاصية، وتكفير أفرادها واعتزالهم"^(٦).

ويتخذ الغلو مظاهر منها:

١. تأويل آيات القرآن الكريم وفق اهواء الغالين والمتطرفين
٢. تحريم الطيبات التي احلها الله تعالى لهم .
٣. ترك الضروريات والمباحات والتعلق بالشكليات التي لا تعد من الاصول أو الفروع اصلاً. وبذلك يكون الغلو حركة مضادة للفطرة البشرية بل تحدي واضح لكل القيم والمبادئ السماوية "اذ الغلو ليس بالدين وانما هو في الاسلوب الذي يمارسه المتدين"^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (غلو)، ص ٣٩٠.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٨٩/١.

(٣) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٤) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، ١٣٨٧هـ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب: ١/١٩٦.

(٥) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، شرح النووي على صحيح مسلم، ط ٢، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٦/٢٢٠.

(٦) ينظر: الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عبد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ٢/٢٠١.

(٧) ينظر محمد سعيد العشماوي: التطرف في الدين وأبعاده، مجلة المنار عدد: ٣٦، ص ٨١.



٤. التطرف: التطرف في اللغة هو: "مجاورة حد الاعتدال وعدم التوسط في الأمور"^(١).

إن التطرف ظاهرة عالمية تتمثل في التطرف الديني أو السلوكي "فالتطرف لا يختص بدين معين أو مذهب معين وهو موجود بكل المجتمعات المعاصرة حالياً حيث يتنوع بين التطرف الديني والتطرف السياسي والفكري وغيره"^(٢).

ويعرفه القرضاوي بأنه: "أن التطرف أبعد ما يكون عن الأمان والسلام وأقرب إلى التهلكة فهو بعيد عن الوسط سواء في الأمور المعنوية كالفكر والتدين ثم السلوم أو في القضايا الحسية إلى حد الوقوف والجلوس والمشي"^(٣).

التطرف اصطلاحاً: عرفه الحافظ ابن حجر رحمه الله بأنه: "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"^(٤).

ومن مظاهر التطرف:

١- من أكبر مظاهر التطرف هو التعصب للرأي بشكل لا يضع للآخرين أي اعتبار بحيث لا يعترف المتعصب بالمتغيرات أو مستجدات العصر، بحيث يرى أنه وحده صاحب الحق ولا يحق لأحد تجاوزه بالفكر أو الاجتهاد أو التعالي عليه .

٢- التشدد بالرأي والتأكيد على فرعيات الأمور واعتبارها اصولاً عقائدية ومن يخالفها يتهم بالكفر والخروج من الملة .

٣- "الخشونة في التعامل اسلوباً وهدم الاعتراف بالحوار أو بالرأي الآخر"^(٥).

٤- اتهام الآخرين وسوء الظن بهم، فليس لديهم حسنات أو ان السيئات تلاحقهم مما يجعلهم تحت طائلة الادانة والاتهام دوماً إلى حد احتقارهم.

٥- اتهام الآخرين وعدم رضاهم عنهم إلى الحد في استباحة دمائهم واموالهم والحكم عليهم بالردة والخروج من الدين وعلى الاقليات الدينية بالكفر وهو "اسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أي معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو التسامح معها"^(٦).

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٣، ١٩٨٥م، ٢/٥٧٥.

(٢) ينظر: حقيقة موقف الاسلام من التطرف والارهاب، د. سليمان عبد الرحمن الحقييل، د.ت، ط٢، ٢٠٠١م، ص١٩.

(٣) ينظر: القرضاوي، الصحو الإسلامية بين الجمود والتطرف، ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة بيروت، ص: ٢٧.

(٤) فتح الباري: ١٣/٢٧٨.

(٥) ينظر: التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية، محمد ياسر الخواجة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدين وقضايا المجتمع، الرباط، المملكة المغربية، ص١٣.

(٦) المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني، في كتاب (الدين في المجتمع العربي)، سمير نعيم احمد، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، ١٩٩٠، ص٨٧.



٦- الشعور بالاستعلاء على الآخرين والعيش في عالم خاص بهم بعيدا عن المجتمع المرتد في نظرهم ليكونوا أمة لوحدهم حسب افكارهم الغالية

٣. الارهاب

والإرهاب في اللغة "مأخوذ من رهب بالكسر يرهب، رهبة أو رهبا، وهو بمعنى خاف مع تحرز واضطراب"^(١). ويقول تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٢).

والارهاب اصطلاحاً: عرفه الفقيه شريف بسيوني هو "استراتيجية عنف محرم دولياً، تحفزها بواعث عقائدية، وتتوخى إحداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين، لتحقيق الوصول إلى السلطة، أو دعوى لمظلمة سواء عملوا لأنفسهم أو لحساب آخرين"^(٣).

والارهاب ظاهرة مستحدثة في الفكر الإسلامي حاول اعداء الامة ايجاد ثغرات في القرآن الكريم للربط بين الارهاب والدين ويمكن ارجاعها للأسباب الآتية:

١. سوء التربية الاسرية واهمال الناشئة وعدم محاسبته والاخذ بيدهم نحو الطريق

الصحيح

٢. القدوة السيئة التي تمارس اخطر الادوار على الفرد في بدايات عمره " سيقع المجتمع فريسة سهلة عندما يفقد المجتمع الوعي الصحيح ويقع في مستنقع الصراعات بين المطالب الشرعية وبين مستجدات الواقع المعاصر"^(٤).

٣ . البطالة حيث تعد من اكثر الاسباب المؤدية للانحراف والشذوذ الفكري وتقبل الافكار الهدامة ولذلك حارب الإسلام البطالة فقال ﷺ: "لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره، فيتصدق منه، فيستغني به عن الناس خير من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول"^(٥).

(١) ينظر: الفيرزو أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط٢، ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة، مادة: رهب، ص: ١١٨.

(٢) سورة الانفال، الآية ٦٠.

(٣) ينظر: الجريمة الإرهابية في التشريع المغربي، عبد السلام بوهوش وعبد المجيد الشفيق، مطبعة الكرامة، الرباط، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢١.

(٤) ينظر: التطرف الديني، حنان درويش، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٣ م، ص ١٤٠.

(٥) الجامع الصحيح، أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، باب ما جاء في النهي عن المسألة، برقم (٦٧٩)، ص ٢٢٦.



٣. انتشار المنكرات في المجتمع وعدم وجود جدية في محاربتها من خلال الحكم العادل: "الحكم في الإسلام من الأصول وليس الفروع، فبه ومن خلاله تُؤدّى الحقوق وتُردّ المظالم وتُعمّر الأرض ويُساس الخلق"^(١).

٤. الفهم السقيم لنصوص الشريعة الإسلامية .

المطلب الثاني: الاعتدال في الخطاب الإسلامي

الخطاب الديني ليس كلمات تقال فحسب وانما هو سمة امة لقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٢).

وهو رسالة ذات مضامين فكرية ورؤية دينية لها بعد اجتماعي ودلالات خاصة الغاية منها تشكيل نموذج انساني معتدل لمجتمع متعاون سليم.

ومن ميزات الاعتدال في الخطاب الديني يجب ان يكون معاصرا ايجابيا محيط بمستجدات العصر وملبيا للحاجات الانسانية ضمن ما يسمح به النص الشرعي مصداقا لقوله تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٣)، وان هدف الخطاب المعتدل هو ايصال رسالة عبر الزمان والمكان تستند لرؤية فكرية علمية يستفيد منها الفرد والمجتمع وما يميزه و"لا يجب ان يتخذ اي وسيلة لإيهام المجتمع واستغلاله من اية ايديولوجية تحاؤل ان تحقق مكاسب على مستوى السياسة أو الدين"^(٤).

ان دور الخطاب الديني المعتدل هو احداث تغيير في المجتمع كون الدين من اكبر عوامل البناء والتغيير لأنه يستند إلى اسس رابنية تقوم على فهم للطبيعة الانسانية وما تحتاج اليه من خطوات صادقة من اجل ان يأخذ الاصلاح مجراه وتستقيم الحياة.

ويجب ان يتمتع الخطاب الديني المعتدل بأخلاقيات ومرتكزات ومن اهمها :

١. السلمية في الطرح واعتماد مبدأ الحوار البناء، فالسلم مسؤولية الجميع وصناعته يجب ان يشارك بها الجميع ولذلك "فإن ثقافة السلام تهدف إلى تغيير اتجاهات البشر للقضاء على النزاعات العدوانية ونقد ما يمكن تسميته ثقافة الحرب وترسيخ قيم احترام الآخر من خلال حوار فعال بين الثقافات بدلاً من الدعوات العنصرية للصراع بين الحضارات"^(٥).

(١) معايير الجودة في التنمية الشاملة للدولة المعاصرة من منظور إسلامي، د. عبدالقادر السماري، بحث في مؤتمر الدولة الثالث "الدولة والمجتمع رؤية مقاصدية"، اسطنبول، ٢٠١٥م، ص ١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣) سورة القصص، الآية ٧٧.

(٤) ينظر: حوارين الفلاسفة والمتكلمين، د. حسام الدين الألوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٣٢.

(٥) ثقافة السلام من اجل الاطفال والشباب، محمد عبده الزغير، سلطنة عمان، وزارة التنمية الاجتماعية، ٢٠١٢م، ص ١.



٢. ان يتسم الخطاب بمعالجة الازمات ومعرفة اسبابها للوصول إلى العلاج الناجح لها.
٣. هيمنة الدولة على عملية التغيير من خلال توجيه الخطاب توجيهها منضبطا وفق رؤية شاملة واهداف واضحة محددة وبمراحل متدرجة.

١. معاني الاعتدال

أ - الاعتدال يعني اليسر والرحمة

قال ﷺ "يَاكُمْ وَالْعُلُوَّ فِي الدِّينِ" ^(١) فالإسلام دين الاعتدال والتيسير "في الإسلام تتحقق معنى الاستقامة والصالح حيث لا تطرف ولا جنوح ولا تكبر ولا عبودية لغير الله تعالى وليس هناك تشدد أو تراخي أو تطرف أو تقصير أو تهاون في حق الله" ^(٢).

قال ﷺ: "الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من الأرض يرحمكم من في السماء" ^(٣). وفي ذلك قال الحافظ: قال ابن بطل "فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل فيه الكافر والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والشقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب" ^(٤).

ب - الاعتدال يعني الامان

في الاعتدال يتحقق الامن والامان المجتمعي لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَيْنًا أَوْ أَنْ يَطَغَى﴾ ^(٥). حيث يولد الإفراط التجاوز على الآخرين سواء ماديا أو معنويا حيث جاء في تفسير البيضاوي "وقرئ «يَفْرِطُ» من أفرطته إذا حملته على العجلة، أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان إنسي أو جني على المعالجة بالعقاب، و- يَفْرِطُ - من الإفراط في الأذية. أو أَنْ يَطَغَى أو أن يزداد طغياناً فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراسته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب" ^(٦).

ان الحياة الآمنة المطمئنة لا تصلح بغير التوسط والاعتدال والتوفيق بين متطلبات الجسد وشؤون الحياة وبين حاجة الروح إلى السمو والشفافية وبذلك يحدث التوازن بين الجسد

(١) سنن ابن ماجه، برقم (٢٠٢٩).

(٢) ينظر: إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، وهبة الزحيلي، مجلة الوعي الاسلامي، العدد رقم ٤٨١، وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الكويت، ٢٠٠٥-١٠-٩.

(٣) رواه الترمذي: ٣٢٣/٤ برقم (٣٥٢٢).

(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطل أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ١/٤٤٠.

(٥) سورة طه، الآية ٤٥.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، ٣٨/٤.



والروح مصداقا لقوله تعالى ﴿وَأَنبَغَ فِيمَا ءَاتَلَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

حيث جاء في تفسير الطبري "وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ" قال: أحسن فيما رزقك الله. ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: ولا تلتبس ما حرم الله عليك من البغي على قومك. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ يقول: إن الله لا يحب بغاة البغي والمعاصي"^(٢).

فالاعتدال هو توسط بين الإغراق في الدين والذوبان في الروحانيات أو الإقبال على الدنيا وشهوتها، وبالاعتدال ينتشر الامن بالمجتمع فلا ذل ولا عبودية لغير الله ولا كره أو تعصب أو ترويع للأمنين وبالوقت نفسه دعوة للدين بالنبي هي احسن وباستخدام افضل الاساليب الدعوية من الحكمة والموعظة الحسنة بعيدا عن التشدد والمغالاة كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٣).

ت - الاعتدال يعني الخيرية

تعد الخيرية من اهم ميزات امة الاعتدال - الامة الإسلامية - لقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٤). ومما جاء في تفسيرها عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، يَقُولُ: "أَنْتُمْ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ"^(٥).

بل ان وجود هذه الامة المسلمة هي لمصلحة البشرية وخيريتها "أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" صفة لأمة واللام متعلقة بأخرجت أي أظهرت لهم وقيل بخير أمة أي كنتم خير الناس فهو صريح في أن الخيرية بمعنى النفع للناس وإن فهم ذلك من الإخراج لهم أيضاً أي أخرجت أجلهم ومصلحتهم"^(٦).

ان صفة الخيرية ميزة لم تحض بها باقي الامم سابقا وان "الامة الإسلامية هي امة الخير حيث تعتمد على كتاب الله تعالى من خلال وحيه الكريم المسدد في كل شؤونها وهذا ما

(١) سورة القصص، الاية ٧٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٩/٦٣٥.

(٣) سورة البقرة، الاية ١٨٥.

(٤) سورة ال عمران، الاية ١١٠.

(٥) تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ٣٥٧/١.

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٧٠/٣.



يؤهلها للقيادة لصواب عقيدتها واعتدال منهجها وتوازن فكرها واسلوب حياتها واحسانها لمن حولها"^(١).

يعد الاعتدال والوسطية جزء من خيرية هذه الامة المعطاء من أهم مزايا المنهج الإسلامي، فأمة الإسلام أمة الوسط والصراط المستقيم، بمعنى "انها تحقق التوازن بين الدين والدنيا والمادة والروح وبين الواقع والمثال بدون تقصير أو تجاوز في كل منها، فهي امة تستجمع كل امكانياتها وتسخر كل طاقاتها نحو البناء المادي والعلمي"^(٢).

٢. ميزات الخطاب الديني الناجح

أ. الواقعية مواكبة الاحداث

لابد للخطاب الديني ان يركز جهده على معرفة القضايا التي تهم الناس وعدم التمحور حول قضايا الماضي وانما حاجات الناس هي ما يجب ان من أولويات الخطاب الديني، ومسؤولية النهضة بالواقع الحاضر ... والواقعية في الخطاب الديني تعني انها ان تعيش العصر وتحدياته مع تطوير اساليب العرض والدفاع للخطاب الديني، وان مستجدات الاحداث وتطوراتها منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر-٢٠٠١م- وأن " هذه الأحداث شكلت نقطة فاصلة في تاريخ العلاقات الدولية، وبدأت الكتابات والتحليلات تتخذ هذا التاريخ كبداية لنمط جديد من أنماط التعامل الدولي والتفاعلات الإنسانية، فهذه الأحداث أعطت دفعة جديدة للخطاب الديني وأن الصراع الدولي القادم هو صراع حضارات، والحضارات في تصورهم تتمحور حول الأديان، فكل دين يمثل حضارة، والعدو الأوحده للغرب هو الإسلام"^(٣).

ب- يخاطب القلوب والعقول معا

بمعنى ان يلامس شغاف القلب ويراعي عقول الناس ومستوياتهم الفكرية ولا يستهين بقدراتهم . بل يحسن ان يتعامل من الناس وفق مستوياتهم التعليمية والفكرية، ان الناس طوائف ومشارب شتى تمتلك عقول متباينة وثقافات مختلفة تنتمي لشعوب لها عادات وتقاليد خاصة بها ولها قدرة على التواصل والاستيعاب خاضعة لظروف واعتبارات شتى ولذلك جاء في الاثر عن علي عليه السلام "حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتريدون أن يُكذَّبَ الله ورسوله؟"^(٤)، مع الاعتدال في التوجيه

(١) ينظر: وسطية الإسلام وسماحته، وهبة مصطفى الزحيلي، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٤، ص ٧ .

(٢) ينظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، مرزوق بن صنيثان ابن تنباك، الوسطية، دار رواح للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٩-١٠.

(٣) الخطاب الديني والصراعات الدولية، عبدالعزيز شادي، مجلة شؤون عربية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ٢٠٠٢م، ص ١٤٨.

(٤) البخاري: كتاب العلم (١٢٧): باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية لا يفهموا.



بعيدا عن لغة التجهيل والاستهانة بالمقابل ولذلك يقول الامام الشاطبي: " وعلى هذا النحو مر السلف الصالح في بث الشريعة للمآلف والمخالف، ومن نظر في استدلالهم على إثبات الأحكام التكليفية علم أنهم قصدوا أيسر الطرق وأقربها إلى عقول الطالبين، لكن من غير ترتيب متكلف ولا نظم مؤلف، بل كانوا يرمون بالكلام على عواهنه ولا يبالون كيف وقع ترتيبه إذا كان قريب المأخذ سهل الملتمس" (١).

ت . نبذ التعصب أو التمذهب

ان سوء الفهم للدين يعد احد اهم اسباب التطرف من خلال خطاب مجتزأ قاصر متشنج ليس له هدف واضح سوى نشر الخوف واشاعة الرعب وان النار مثنى الخاطئين متناسين ان هناك ربا رحيمًا غفورا يغفر الزلة ويعفو عن الذنب وان الخطاب الإسلامي هو محض عملية اجتهادية تركز على نصوص قابلة للتغيير وفق متطلبات العصر وان التعصب والركود يعد احد اسباب انتكاسة المسلمين الحضارة حاليا " فقد اكد ابن رشد في -بداية المجتهد ونهاية المعتقد- على انه ليس هناك قداسة لكلام العلماء واجتهاداتهم اذ كل شيء منه يمكن ان تتم مناقشته والإضافة اليه وهذا ما عليه كل علماء الإسلام" (٢).

ج . التجديد

لا نعني بالتجديد الخروج عن النص أو محاولة التمرد عليه أو التأول البعيد غير المنضبط والذي نريده هنا هو معالجة المستجدات من النوازل وفهم النص بطريقة تخدم الواقع وتؤثر فيه "...فليس كل من تمسك بالنص نطلق عليه انه عدو للعقل أو من يدافع عن الاجتهاد بانه خصم للعقل أو ان كل المجتهدين ليس لديهم بدعا في" (٣).

(١) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، المحقق:

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ١/٥٩.

(٢) ينظر: التراث وقضايا العصر، محمود اسماعيل، القاهرة، رؤيا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ص ١.

(٣) ينظر: السلم والسياسة، عبد الله بلقزيز، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨م، ص ٧٨.



الخاتمة

في ختام البحث لابد ان نؤكد ان الاعتدال في الخطاب هو مطلب ضروري لنجاحه وان التعامل الايجابي مع كافة افراد المجتمع بشتى اصنافهم امر حتمي يضمن نشر العدل والسلام فيه.

وان توخي المصلحة امر ضروري حيث ان دفع المفاصد مسؤولية الجميع وان تجديد الخطاب ليكون معاصرا ملما بالمستجدات امر لابد منه لبناء مجتمع آمن مطمئن.

واخيرا ان الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية من خلال الوعي بالحاضر واستشراف المستقبل هي الضمان الحقيقي الوحيد لديمومة حياتنا.



المصادر والمراجع

القران الكريم

١. إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، وهبة الزحيلي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد رقم: ٤٨١، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت، ٢٠٠٥م.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣. اسس التعايش في الإسلام، د. نصار اسعد نصار، (مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية، جامعة دمشق، كلية الشريعة، ١١-١٢/٧/٢٠٠٩م.
٤. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ٧ط، ١٩٩٩م.
٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البیضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
٦. التراث وقضايا العصر، محمود اسماعيل، القاهرة، رؤيا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
٧. التطرف في الدين وأبعاده، محمد سعيد العشماوي، مجلة المنار، العدد ٣٦.
٨. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
٩. التطرف الديني، حنان درويش، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٣م.
١٠. الآثار البيئية للحروب والنزاعات، حسن برتو، البيئة والتنمية، العدد ١٣١، ٢٠٠٣م.
١١. الحوار القرآني، حسين حمادة، مجلة المعرج، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٢. الإسلام عقيدة وشريعة: الإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة ، ط٦، ١٩٧٢م.



١٣. الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، الأستاذ أبو الأعلى المودودي، تعريب خليل أحمد الحامدي، دار السعودية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
١٤. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٥. التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية، محمد ياسر الخواجة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدين وقضايا المجتمع، الرباط، المملكة المغربية.
١٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
١٧. الخطاب الديني والصراعات الدولية، عبدالعزيز شادي، مجلة شؤون عربية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ٢٠٠٢م.
١٨. الجريمة الإرهابية في التشريع المغربي، عبد السلام بوهوش وعبد المجيد الشفيق، مطبعة الكرامة، الرباط، ٢٠٠٤م.
١٩. السلم والسياسة، عبد الله بلقزيز، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨م.
٢٠. الصحو الإسلامية بين الجمود والتطرف، القرضاوي، ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢١. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٢. العلاقات الدولية، دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، د. علي العقابي، ٢٠١٠م.
٢٣. المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني، في كتاب (الدين في المجتمع العربي)، سمير نعيم احمد، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، ١٩٩٠م.
٢٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط ٣، ١٩٨٥م.



٢٥. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢٦. الوسطية والاعتدال في القرآن والسنة مفهوم الوسطية والاعتدال، ناصر بن عبد الكريم العقل، بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤٢٥هـ.
٢٧. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة، ٢٠٠٢م.
٢٨. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٩٨٩م.
٢٩. ثقافة السلام من أجل الاطفال والشباب، محمد عبده الزغير، سلطنة عمان، وزارة التنمية الاجتماعية، ٢٠١٢م.
٣٠. حقيقة موقف الإسلام من التطرف والارهاب، د. سليمان عبد الرحمن الحقييل، ط٢، ٢٠٠١م.
٣١. حوار الفلاسفة والمتكلمين، د. حسام الدين الألوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
٣٢. خصائص المنهج السلفي وصلته بتجديد الخطاب الديني، د. احمد محمد هليل، بحث مقدم لندوة في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٣٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
٣٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
٣٥. شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٣٦. شرح صحيح البخاري، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م.



٣٧. صحيح الجامع، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الرشد، الرياض، ٢٠٠٦م.
٣٨. صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج، المحقق: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي.
٣٩. عقيدة الإسلام، وحيد الدين خان،، السعودية، الرياض، العبيكان للنشر، ٢٠١١م.
٤٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٤١. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ١٠، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٤٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٤٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.
٤٤. مشكلة الحرب والسلام: مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي، ترجمة: شوقي جلال وسعد رحمي، دار الثقافة الجديد بمصر، بدون تاريخ.
٤٥. معالم شخصية المسلم، د. يحيى فرغل: ، منشورات المكتبة العصرية، عام ١٣٩٩هـ.
٤٦. معايير الجودة في التنمية الشاملة للدولة المعاصرة من منظور إسلامي، د. عبدالقادر السماري، بحث مقدم إلى مؤتمر الدولة الثالث " الدولة والمجتمع رؤية مقاصدية"، اقيم في اسطنبول، ٢٠١٥م.
٤٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٤٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٩. مفهوم السلام في الإسلام، د. اياد كامل الزبياري، موقع الحوار اليوم.
٥٠. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، مرزوق بن صنيان ابن تنباك، دار رواح للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ.



٥١. نظرية العدل في الفكر الأوربي والفكر الإسلامي، جمال البناء، دار الفكر الإسلامي، القاهرة نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٢. وسطية الإسلام وسماحته، وهبة مصطفى الزحيلي، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٤م.





منهج القرآن الكريم

في تربية الأجيال على الاعتدال والوسطية

أ.م.د. فاضل محمد كمبوع

جامعة الأنبار

كلية العلوم الإسلامية

drfadhlgamboa@gmail.com

ISSN: 2071-6028





ملخص باللغة العربية

موضوع الاعتدال والوسطية يعد من مواضيع الساعة بسبب ما تواجه الأمة من تحديات كثيرة وذلك لكثرة المناهج وتعددتها مما أدى إلى الابتعاد عن المنهج الصافي الذي ارادة رب العزة لهذه الامة، فكانت النتيجة ان وقع الخلاف والتنافر مما أدى إلى خرج فرق متنازعة متخاصمة ذهب بعض افرادها إلى اصدار احكاما لا تمت إلى الدين بصلة ويفعلون ما لا يرضى من القول ويعثون في الارض فسادا، فكثرت الفتن والآراء وكل ذلك مما يستدعي الخيرين للوقوف بوجه هذه الفتن ببيان الحق والعدل فجاء هذا المؤتمر الموقر والذي نرجو من الله ان ينفع به البلاد والعباد. كان الهدف من البحث توجيه النشأ إلى حكم الله وحكم رسوله - صلى الله عليه وسلم - وذلك بالتزام المنهج السوي الذي اراده رب العزة لهذه الأمة الوسط وعدم الانجراف وراء كل من هب ودب. وقد اتسمت المنهجية باستقراء الآيات القرآنية والتي ندعو إلى الاعتدال والتوسط في كل شيء وتحليلها التحليل العلمي النافع، وبيان الطريق الحق الذي رسمه القرآن الكريم لتربية الاجيال. والذي يرجى من ذلك ان يكون هناك جيل يحكم كتاب الله ولا ينجر وراء الاهواء والرغبات التي تفرق الأمة وتقتل ابنائها، ولو وقفنا على المنهج القرآني الصحيح الذي رسمه لنا الحبيب ﷺ للتربية لخرج عندنا جيل يعرف كيف يبني مجتمعه ويكون خليفة في الارض يصلح فيها ولا يفسد كما امرنا ربنا بإصلاح الارض وعدم الافساد فيها.

الكلمات المفتاحية: منهج ، سلوك ، قدوة

The Quranic Approach to the Education of Generations on Moderation

Assist. Prof. Fadhil Mohammad Qambou

Abstract: The issue of moderation and moderation is one of the topics of the present because of the challenges faced by the nation to many of the curriculum and multiple, which led to move away from the net approach that the will of the Lord of pride for this nation, the result was that the difference and dissonance, which led to the emergence of conflicting teams quarreling went to some members to issue And there is a lot of strife and opinions and all that calls for the good to stand up to these strife in the statement of truth and justice came this important conference, which we ask God to benefit the country and the people. The aim of the research was to direct young people to the rule of Allah and the rule of His Messenger - may Allah bless him and grant him peace - by adhering to the proper approach that the Lord of Glory to this middle nation wanted and not to drift behind each and every one. The methodology was characterized by extrapolation of the Quranic verses, which call for moderation, mediating in everything, making useful scientific analysis, and showing the right path that the Holy Quran has drawn up to educate generations on the hope that there would be a generation that makes the Quran its law and does not drift behind the selfish interests and desires that divide the nation and kill its children. If we follow the correct Quranic approach, which was drawn by our Prophet - peace be upon him - for education, we would have a generation that knows how to build its community and be a successor in the land, as ordered by our Lord to reform the land and not spoil it.

Keywords: curriculum, behavior, role model



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله التواب الهادي إلى الصواب غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين... اما بعد:

فموضوع الاعتدال والتوسط يعد موضوع الساعة، وذات أثر كبير في الساحة بسبب ما تواجه الأمة اليوم من تحديات بكثرة المناهج، مما أدى إلى الابتعاد عن المنهج الصافي الذي اختاره رب العزة لهذه الأمة، وكلما ابتعد الناس عن هذا المنهج حصلت الفرقة والتشتت والتنافر الذي أدى إلى ظهور الغلو الذي افتتن به كثير من الناس حتى من أهل العلم «الغير محصنين»، فكانت النتيجة الحتمية أن وقع الخلاف والتنافر مما أخرج لنا فرق متنازعة متخاصمة، راح بعض ممن ينتسبون إليها يصرون أحكاما لا تمت إلى الدين بصلة فيكفرون الناس ويفعلون ما لا يرضى من القول ويعثون في الأرض فسادا بالتفجير والتفخيخ، فاصبح الغلو في الدين افراطا وتفریطا، فكثر الفتن والآراء وكل ذلك مما يستدعي الخيرين للوقوف بوجه هذه الفتن ببيان الحق والعدل ومن ثم الإشارة إلى الخل ووضوع العلاج والذي لا يكمن الا بالاعتدال والسير على صراط الله المستقيم وذلك بفهم العقيدة الصافية من مواردها الحققة-كتاب الله وسنة رسوله-النبع الصافي.

وكما هو معلوم أن الدين الإسلامي يواجه اليوم تحديات وهجمات شرسة على مبادئه وتلصق به التهم والشبهات مرة بوصفه دين الإرهاب، ومره بوصفه انه يناقض ما تقرره العقول السليمة، ومرة بوصفه انه ضد السلم والسلام العالميين، وكل ما قيل وهو من البهتان والدعايات التي لا تسعفها الأدلة والبراهين فلا يوجد دين يحفظ السلم والسلام كدين الإسلام الذي لا يميز ولا يفرق بين أبناء البشر الا بالقوى والعمل الصالح، وهو الدين الوحيد الذي يوفق بين حاجيات وواجبات الناس، وهو الدين الذي تكفل لبنى الإنسان بحفظ النسل والعقل وكل ما تحتاجه الحياة المادية والاجتماعية من مقومات، فقد جاء القرآن بمنهجه المنير ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم صراطا مستقيما وقد جاءت آياته تدلل على اعتداله ووسطيته، ولم تكن في جزئية معينة، بل منهجا كاملا شاملا وسطا بين صراط المغضوب عليهم -اليهود- الذين غلو في الدين وصراط الضالين -النصارى- وهم من غالوا في التعبد فخرجوا عن الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(١)، ولذلك كله وددت أن

(١) سورة النساء، الآية ١٧١.



اشارككم مؤتمرهم الدولي الموقر والموسوم «الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز التنمية المجتمعية» ببحثي الموسوم «منهج القرآن الكريم في تربية الاجيال على الوسطية والاعتدال» والذي اشتمل على المحاور الاتية:

المحور الأول: مفهوم الاعتدال والوسطية.

المحور الثاني: الأمة الوسط

المحور الثالث: الاعتدال والتوسط في الحكم بين الناس

المحور الرابع: الاعتدال في الدعاء

المحور الخامس: الاعتدال في طلب الدنيا

المحور السادس: الاعتدال في الانفاق

المحور السابع: الاعتدال في تناول الطعام

ثم الخاتمة وفيها ما تم التوصل اليه من النتائج والمعالجات والتوصيات، ومن ثم قائمة المصادر والمراجع.

واخيرا الله اسال السداد والرشاد، والثبات والإخلاص في السر والعلن، وان يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى، انه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

المحور الأول: مفهوم الاعتدال والوسطية

أولاً: - مفهوم الاعتدال:

الاعتدال لغة: ذكر صاحب القاموس المحيط أن العدل: ضد الجور، وما قام في النفس أنه مستقيم، وعدل الحكم تعديلاً: أقامه، والاعتدال توسط بين حالين في الكيف والكم، وكل ما اقمته فقد عدلته وعدلته، ومن معانيه: الحكم بالعدل والاستقامة والانصاف، واتزن العدل: اعتدل^(١)، وهذا هو الطريق الحق الذي يجب ان يسير عليه اهل الايمان لتأدية واجباتهم اتجاه ربهم، واتجاه انفسهم.

أما اصطلاحاً: لا يكاد يختلف المعنى اللغوي عن الاصطلاحي فكلاهما يؤدي إلى التوسط بين حالين فقد ذكر الجرجاني ان الاعتدال هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتتبع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط^(٢).

ثانياً: مفهوم الوسطية:

الوسطية لغة: الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه، والوسطُ من الناس وكلّ شيءٍ: أَعَدَلَهُ، وأفضله، ليس بالغالي ولا المُقَصِّر، ويقال

(١) ينظر: القاموس المحيط: ١/١٠٣٠.

(٢) ينظر: التعريفات: ١٤٧.



أيضا: شئ وسط، أي بين الجيد والردئ. وواسطة القلادة: الجواهر الذي في وَسَطِهَا، وهو أجودها، وقيل الوسط وهو أحسن وأفضل وأجمل الأمور وأنفعها للناس^(١)، فالوسطية هي الاعتدال في كلّ أمور الحياة ومنهاجها وتصوراتها ومواقفها، فهي ليست مجرد موقف بين الانحلال والتشديد، بل مطلب شرعي أصيل ومقصد أسمى ومظهر حضاري رفيع، فقد جاء في الحديث "خير الأمور أوسطها"^(٢).

اصطلاحاً: وهي كلمة تدل على العدل والفضل والخيرية والنصف والتوسط بين الطرفين. وقد تعني الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين بين إفراط وتفریط أو غلو وتقصير، وهذه الوسطية إذن هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة.

الوسطية في القرآن الكريم:

وردت على معاني عدة منها:

- ١- وردت الوسطية بمعنى: ما بين طرفي الشئ وحافتيه، قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٣)، أي صلاة العصر، وسميت بذلك؛ لأن قبلها صلاتين من النهار وبعدها صلاتين من الليل^(٤). وبهذا المعنى يأتي قوله تعالى: ﴿فَوَسَّطْنَاهُ جَمْعًا﴾^(٥).
- ٢- ذكرت الوسطية على اعتبار التوسط بين الجيد والردئ، قال تعالى: ﴿مَنْ أَوْسَطَ مَا تَطْعَمُونَ آهْلِيكُمْ﴾^(٦).
- ٣- وردت بمعنى الخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، ومن ذلك قوله ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٧)، أي بمعنى التوسط بين الإفراط والتفريط^(٨).
- ٤- وردت بمعنى العدل، قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأَقْلَ لَكَوَلَا سُبْحُونَ﴾^(٩)، أي اعدلهم^(١٠).
- ٥- جاءت الوسطية مقابل الغلو: وهو مجاوزة الحد. قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(١١).

(١) ينظر: الصحاح: ١١٦٧/٣، العين: ٢٧٩/٧، مجمل اللغة: ٩٢٤/١، لسان العرب: ٤٢٧/٧.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي: ٥ / ٢٦١ ج ٦٦٥١، إسناده صحيح موقوف.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٧٩/٥.

(٥) سورة العاديات، الآية ٥.

(٦) سورة المائدة، الآية ٨٩.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٨) ينظر جامع البيان: ٢٢٣/٣.

(٩) سورة القلم، الآية ٢٨.

(١٠) جامع البيان: ٥٥٠/٢٣.

(١١) سورة المائدة، الآية ٧٧.



الوسط في السنة المطهرة:

وردت احاديث كثيرة تحمل معاني الوسطية سنقف على بعضها حتى لا يطول بنا المقام ومنها:

١. فسر رسول الله ﷺ الوسط: العدل كما في حديث أبي سعيد الخدري^(١).
٢. جاءت الوسطية في السنة كذلك بمعنى الأوسط والأعلى كما وصف النبي ﷺ الفردوس بأنه "أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ"^(٢).
٣. وردت بمعنى الاعتدال والتوسط في اقامة الصلاة بين يدي الامام، ومن ذلك قوله ﷺ: "وَسَطُوا الْإِمَامَ وَسُدُّوا الْخَلَلَ"^(٣).

مما تقدم يتبين ان الاعتدال والوسطية، مترادفان في المعنى اللغوي، والاصطلاحي، فهما يدلان على: العدل والاستقامة والخير والفضل والتوسط بين الاشياء، ويمثلان منهج الحق الذي سار عليه الأنبياء وأتباعهم، وخير من يمثل ذلك الإسلام وامة الإسلام.

المحور الثاني: وسطية الأمة واعتدالها

خاطب الحق سبحانه هذه الأمة بالوسطية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٤)، وسطا في كل أمور الدين، وسطا في الشريعة، لا كاليهود في تشديدهم وأصارهم، ولا كالنصارى في تهاونهم، وسطا في الأنبياء، فلا غلو ولا جفا كاليهود والنصارى، بأن آمنوا بالجميع، وسطا في المطاعم والطهارة، لا كاليهود الذين لا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا يحرمون شيئا ولا ينجسون شيئا، بل أباحوا ما دب ودرج، إنها الأمة الوسط والاعتدال في العبادات والمعاملات، وفي الارتباطات والعلاقات، ووهبهم الله من الهبات ما لم يهبه لأمة سواهم، ففي يوم القيامة يسأل الحق سبحانه المرسلين عن تبليغهم امهم، فينكرون أن الأنبياء بلغتهم، فيطلب الأنبياء شهادة هذه الأمة ﴿شُهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، فيحكمون على سائر أهل الأديان، ولا يحكم غيرهم عليهم، فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يُدْعَى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فتشهدون أنه قد بلغ، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى "وكذلك جعلناكم امة وسطا"، برقم (٤٤٨٧).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، برقم (٢٧٩٠).

(٣) سنن ابي داود، كتاب الصلاة، باب مقام الامام في الصف، برقم (٦٨١).

(٤) سورة البقرة، الآية ١٤٣.



شَهِيدًا^(١)، وهذه الشهادة على الأمم، ميزة هذه الأمة، وهي ميزة مرتبطة بسببها، وهي أنها خير وأعدل الأمم، وأكثرها بعدا عن الغلو الذي اصاب العقول والأفهام، فجعلها تتحرف عن الصراط المستقيم.

والحقيقة التي يجب الالتفات إليها، لم توصف أمة من الأمم السابقة بأنها الأمة الوسط؛ لأن تلك الصفة إنما تتفق وتتمشى مع خيرية هذه الأمة، التي جاءت وصفاً آخر لها في قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢)، ولم تكن هذه الخيرية التي انتصفت بها هذه الأمة من فراغ بل حصل لها من وجوه عدة منها:

١. كون نبيها أفضل الأنبياء وكتابها خير الكتب السماوية، كما انها تتقدم على الأمم في يوم الحشر، كما اخبر الصادق الامين رسول الله ﷺ: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة"^(٣).

٢. كون هذه الأمة أكثر الامم استجابة للأنبياء، اذ ورد في الصحيح عنه ﷺ قال: "أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء، ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد"^(٤).

٣. لا تجتمع امة الإسلام على ضلالة.

٤. إيمانها بالله وأمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر.

٥. بفضل الله ورحمته سيكون افراد هذه الأمة أكثر أهل الجنة، كما قال الحبيب ﷺ: "إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة"^(٥).

وبذلك يتوافق معنى الوسطية السابق مع معنى الخيرية الواردة في الآية اعلاه.

المحور الثالث: الاعتدال والتوسط في الحكم بين الناس

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٦).

في هذه الآية نجد الدلالة البينة الواضحة على منهج العدل والوسط الذي جاء به القرآن الكريم، ومن ثم التحذير من الجور والحيف واتباع الهوى، وأمر سبحانه وتعالى بالقيام بالقسط، ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ أي: قوموا بالقسط لله عند شهادتكم، أو حين شهادتكم ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾، أو على

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: وكذلك جعلناكم امة وسطا، برقم (٤٤٨٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله "يريدون ان يبدلوا كلام الله، برقم (٧٤٩٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب قوله ﷺ: انا اول الناس يشفع، برقم (١٩٦).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب كون هذه الامة نصف اهل الجنة، برقم (٢٢١).

(٦) سورة النساء، الآية ١٣٥.



والديكم أو أقربيكم، وأقيموا على صحتها بأن تقولوا فيها الحق، ولا تميلوا فيها لطرف معين على حساب مكسب من مكاسب الدنيا، فلم يفرق ربنا جل وعلا بين الغني والفقير، وامرنا بإقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل، فهو أعلم بمصلحة كل واحد منهما في ذلك، وفي الأمور كلها، فلذلك أمر بالتسوية بينهما في الشهادة لهما وعليهما. ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ مَنْ تَعَدَّلُوا﴾ ثم امر بعدم اتباع هوى النفس والميل في الشهادة، والقيام بها بالقسط والعدل لمن شهد عليه أو له^(١).

ومنهج القرآن لم يتوقف على الأمر بالعدالة على اصحاب الملة الواحدة بل تجاوز ذلك حتى مع الأعداء فمنهج القرآن في ذلك القيام بالعدل والقسط مع الجميع الأولياء والأعداء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٢)، أي يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله، شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم، فتجاوزوا ما حدّدت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصّروا فيما حدّدت لكم في أحكامي وحدودي في أوليائكم لولائيتهم، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقاً كان أو عدواً^(٣)، وهذا التفسير للآية واضح الدلالة على منهج الوسطية في الشهادة والحكم.

كما يتبين منهج القرآن العظيم بالاعتدال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾^(٤)، أي قولوا الحق بينهم، واعدلوا، ولا تجوروا، إذا حكمتم بين الناس فتكلمتم، ولو كان الذي عليه الحق والحكم قرايبكم، أو صديقكم فحكمتم بينه وبين غيره، أن تقولوا غير الحق فيما احتكمتم إليه فيه^(٥). مما تقدم يتبين خيرية هذه الأمة وإن اهلها عدولا، فأمرهم ربهم بالحكم بالعدل ليس مع بعضهم البعض فحسب بل حتى مع اعدائهم وهذا مما اختص الله به هذه الأمة.

وقد كان المنهج واضحا في النهي عن الغلو في الحكم بين الناس، وأمر بالعدل في تعيين الأشياء لمستحقها، وفي تمكين كل ذي حق من حقه، بدون تأخير، وهذا من المساواة في استحقاق الأشياء، وفي وسائل تمكينها بأيدي أربابها، فالأول هو العدل في تعيين الحقوق، والثاني هو العدل في التنفيذ، وليس العدل في توزيع الأشياء بين الناس سواء بدون استحقاق^(٦).

(١) ينظر: جامع البيان: ٣٠٢/٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ٨.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١٤١/٦، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣٠/٢.

(٤) سورة الانعام، الآية ١٥٢.

(٥) ينظر: جامع البيان: ٨٦/٨، والجامع لإحكام القرآن: ١٣٧/٧، ايسر التفاسير، الجزائري: ١٧٦/١.

(٦) ينظر: التحرير والتوير: ٩٤/٥.



كما بين المنهج ان الظلم خلاف العدل، وهو ميل إلى أحد الطرفين على حساب الآخر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(١)، ولم يقل وإذا حكمتم بين المسلمين فالعدالة شاملة للجميع، فالعدل وسط بين طرفين، هما: الإفراط في تحويل ذي الحق حقه، أي بإعطائه أكثر من حقه، والتفريط في ذلك، أي بالإجحاف له من حقه، وكلا الطرفين يسمى جورا، وكذلك الإفراط والتفريط في تنفيذ الإعطاء بتقديمه على وقته، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

وقد ورد هذا المنهج في آيات كثيرة تأمر بالعدل، وتنتهي عن الهوى، ومنها قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤)، وقريب من هذه الآية ما جاء في سورة الشورى ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾^(٥)، وفي سورة النحل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِمِثْلِ مَا عُوتِبْتُمْ بِهِ﴾^(٦).

والآيات في مثل ذلك كثيرة ومعلومة، وكلها تأمر بالعدل، وتنتهي عن الظلم والعدوان، وهذه هي الوسطية التي هي منهج القرآن الكريم، والنهي عن الإفراط والتفريط، والتي تبين عدالة وعظمة هذا الدين الذي ظل قويا بها إلى الآن على رغم ما اعترى هذا الركن من ضعف واضطراب، لتستمر قاعدة "العدل أساس الملك" والتي تعد قاعدة إسلامية واجبة التطبيق. ومعلوم ان شريعتنا مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وتمثل العدالة والرحمة والحكمة والمصلحة، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل. ولذلك حرم الله الظلم على نفسه كما حرمه على الخلق، وأوجب عليهم ألا يتظالموا فيما بينهم، ودعوة المظلوم مستجابة ولو كان هذا المظلوم كافرا، فالظلم ظلمات يوم القيامة^(٧).

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٢) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٣) سورة الاعراف، الآية ٢٩.

(٤) سورة ص، الآية ٢٦.

(٥) سورة الشورى، الآية ١٥.

(٦) سورة النحل، الآية ١٢٦.

(٧) ينظر: اعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم: ٣/٣.



المحور الرابع: إنفاق المال

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١).

قبل الوقوف على منهج القرآن في التوسط والاعتدال في الانفاق وكيفية ذلك، يجب الوقوف على معاني الاسراف والتقتير.

الإسراف: "تجاوز الحد في النفقة، وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة. وقيل الإسراف: تجاوز في الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق. وقيل الإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي؛ بخلاف التبتير؛ فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي"^(٢).

والتقتير: تقليل النفقة، ويقابله الإسراف، وهما مذمومان^(٣).

بعد الوقوف على معاني الاسراف والتقتير يجب ان نبين منهج القرآن الكريم؛ ذلك المنهج الوسط في إنفاق المال وكما قرره القرآن الكريم، فالناس في ذلك فريقان ووسط: الأول: مسرفون مترفون، باسطو أيديهم كل البسط. والآخر: القابضون أيديهم، البخلاء بأموالهم، المقترنون على أنفسهم وأهليهم، فضلا عن سواهم. وبين هؤلاء وأولئك من سلك السبيل القويم، والترم العدل والاعتدال بين المنهجين المتطرفين، واتخذ بين ذلك سبيلا. وقد جاءت الآيات الكريمات، تبين وسطية واعتدال هذا المنهج، وتحت عليه، مع النهي عن منهج الافراط والتقريط، وسأذكر من الآيات ما يبين هذا المنهج القويم، دون إطناب ممل، أو إيجاز مخل، بل سأخذ بين ذلك سبيلا.

فالطرف الأول، وهم المسرفون المفرطون الذين يبالغون في إنفاق المال فيضعونه في غير محله الشرعي وكأنه ملك لهم يتصرفون فيه حيث شاءوا وكيف شاءوا، والواقع أنه أمانة عندهم من الله ﷻ استخلفهم فيها لينظر كيف يعملون.

ولهذا أدب الله رسوله ﷺ على هذا المنهج القويم، فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(٤)، فلا بد أن يكون الإنسان متوسطاً في الصرف، وألا يكون مسرفاً وألا يكون مقصراً، فالحد الوسط هو المنهج الصحيح وهو الاعتدال في هذا الباب، الذين يفرطون في جانب الإنفاق يسرفون فيبالغون في الإنفاق، سواء كان ذلك في أمور الدنيا أو في أمور الآخرة، فيتجاوزون الحد المرضي شرعاً، ففي أمور الآخرة ينفقون أكثر مما حدده الشارع ويريدون بذلك المبالغة فيرجعون إلى الحد الذي ذكرناه في الإفراط في العبادة، وكذلك فإن الذي يبالغ في

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

(٢) التعريفات، الجرجاني: ٢٤.

(٣) التوقيف على مهمات التعريفات: ١٠٥.

(٤) سورة الاسراء، الآية ٢٩.



السرف فيما يتعلق بأمور الدنيا لابد أن يكون من المبذرين وهم إخوان الشياطين كما جاء في الذكر الحكيم ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(١).

اما الطرف الآخر: القابضون أيديهم، البخلاء بأموالهم، اذ جاءت الآيات تبين انحراف هذا المنهج، وتنتهي عن هذا المسلك، قال ﷺ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، وقال مبيّنًا خصلة من خصال المنافقين: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(٣).

وقال ﷺ: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤِلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(٤).

وقال ﷺ: ﴿قَدْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾^(٥)، اي قل لهم يا محمد لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف في خزائن الله لأمسكتم خشية الإنفاق، قال ابن عباس وقتادة: أي: الفقر خشية أن تذهبوها، مع أنها لا تنفد ولا تفرغ أبدًا، وهذا من طبعكم وسحيتكم، فقد قال: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾، قال ابن عباس وقتادة: أي: بخيلا منوعًا^(٦). وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَالِ إِذَا لَمْ يُوْتُوا نَاسًا بَقِيْرًا﴾^(٧)، أي: لو أن لهم نصيبًا في الملك لما أعطوا أحدًا شيئًا ابدا. ويصف الحق سبحانه الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وهداه، فإن البخل والجزع والهلع صفة له، ويدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه سبحانه وتعالى^(٨).

وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾^(٩)، هذه الآية نزلت في البخل بالمال، والإنفاق في سبيل الله، وأداء الزكاة المفروضة.

وقيل: إن الشح هو البخل مع حرص، وهو الصحيح، لما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: "انقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وانقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"^(١٠).

(١) سورة الاسراء، الآية ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٠.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧٦.

(٤) سورة محمد، الآية ٣٨.

(٥) سورة الاسراء، الآية ١٠٠.

(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٥٦٣/١٧.

(٧) سورة النساء، الآية ٥٣.

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١٢٤/٥.

(٩) سورة آل عمران، الآية ١٨٠.

(١٠) صحيح مسلم، كتاب، كتاب البرِّ والصَّلة والأَدَاب، باب تحريم الظُّلْم، برقم (٢٥٧٨).



وهذا يردّ قول من قال: إن البخل منع الواجب، والشح: منع المستحب، إذ لو كان الشح منع المستحب لما دخل تحت هذا الوعيد العظيم، والذم الشديد الذي فيه هلاك الدنيا والآخرة^(١)، فالمقترون مقصرون عن أداء الحقوق وهم متصفون بصفة البخل التي هي شر الصفات، والذي يتصف بها ويصاب بالشح لابد أن يبغى بنقص الإيمان وتراجعه دائماً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)، فالشحيح لا يفلح أبداً، ولابد من التوسط في هذا المنهج بين المبالغة بالإنفاق وبين التقنير والتقصير.

كما نهانا ربنا ﷻ عن إضاعة المال، فقال جل وعلا: ﴿وَلَا تُؤْثِرُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾^(٣)، ففي هذه الآية الكريمة ينهى الله تعالى عن إعطاء الأموال للسفهاء؛ لأنهم يصرفونها في غير مصارفها.

وبهذا يتضح لنا أن البخل والإسراف ضدان قد نهى الله عنهما، وحرهما على عباده، وهذان المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني آدم، ولهذا حذر السلف منهما أشد التحذير، وخوفوا من بلي بأحدهما بالهلاك. وقد يجتمعان في الشخص الواحد، كما هو حال أكثر الخلق يكون مقصراً مفرطاً في بعض دينه غالباً متجاوزاً في بعضه^(٤).

كل الآيات التي سبق ذكرها فيها البيان الشافي لطرفي الانحراف والتحذير منه، ومع ذلك جاءت آيات كثيرة يدل مفهومها وينص بعضها على أن الطريق الحق الذي يجب أن نسير عليه ونلتزم به هو طريق الاعتدال والوسطية والذي لا تستقيم الحياة إلا به. مما تقدم يتبين لنا منهج الاعتدال والوسطية جلياً واضحاً في الكسب والجمع والإنفاق، كما بينت الآيات النهي عن الإفراط والتفريط، ووجوب الالتزام بالمنهج الوسط الذي به قوام الحياة.

المحور الخامس: نهيه عن الغلو في طلب الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥).

في هذه الآية الكريمة يتبين لنا منهجية هذا الدين وأنه دين كامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو دين الاعتدال والوسطية فلا يجوز فيه النقصان ولا الزيادة فقد أمر الشارع الحكيم بالتوسط بكل شيء واثبت أن الفضيلة تكون بين رذيلتين فيجب التوسط في جل

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢٩١/٤-٢٩٣.

(٢) سورة الحشر، الآية ٩.

(٣) سورة النساء، الآية ٥.

(٤) ينظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن القيم: ٣٤٧.

(٥) سورة القصص، الآية ٧٧.



الامور، ونهى عن الغلو التطرف، فلم نأمر بالخروج إلى الفياقي ونترك الدنيا، ولا الانهماك فيها، بل نأخذ منها ما احله الله الحق سبحانه وتعالى واباحه، ولا ننس الاخرة.

والمتمتع في الآية يُقن ان ترك الاعتدال والتوسط يعد فسادا في الارض، اذ يقول ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، فمن كانت الدنيا همه ومبتغاه وتعلق قلبه بها يكون عابدا لها فسعيه وخدمته لها، وهذا هو البلاء العظيم الذي اصاب جل الناس وقد يصل بهؤلاء إلى حد الطغيان، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَرِهٌ﴾ (١)، فيصل الطغيان والبغي إلى تجاوز الحد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُرَدِّ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ (٢)، وكثير من المنشغلون بها ليسوا اغنياء، وربما يكون غناهم في ايديهم وليس في قلوبهم، على العكس تماما من كثير فقراء الدنيا فهي ليست في ايديهم ولكنها في قلوبهم. وكثير من الناس يبتلى بحبة الدنيا دون الشعور بذلك، وان كان لا يصرح بذلك أو يتظاهر بعدم محبتها وقلبه اليها مائل.

وفي الجانب المقابل يعد التقصير في جمعها قصورا من قبل الإنسان فتراه ينصرف عنها بالكلية وليس بإمكانه ان يدبر شيئا من امورها وهذا ليس هو المأمور به شرعا، وفيه مخالفة لمنهج الحبيب المصطفى ﷺ، الذي امر بأخذ الاسباب ولم يتركها، ولو كان ذلك مقتضيا لانقطع للعبادة وترك ما سواها، ولم يفعل ذلك هو ولا اصحابه، ومع ذلك وجد منهم التجار والاغنياء الذين ينفقون في سبيل الله، كأبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي يعول من اسر المسلمون الكثير وينفق عليهم مما افاء الله عليه من تجارته.

وعبد الرحمن بن عوف الذي كان ينفق على كثير من المساكين والايتام، والذي بارك له ربه في تجارته وماله فقد اوصى لأهل ا بذر بثلاث ماله فأغناهم جميعا. ومن الناس من يظن ان الزهد في الدنيا يحتم عليه عدم الانشغال بالدنيا وجمعها فهو مخالف للمنهج الصحيح، وربما سلك منهج اهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين اتخذوا لأنفسهم رهبانية ابتدعوها ما انزل الله بها من سلطان.

واصحاب المنهج الوسط يعلمون ان الله خلق لهم ما في الارض جميعا فقال ﷺ: ﴿فَامْسُوا فِي مَنَازِلِكُمْ وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ (٣)، ثم جعلهم خلفاء الارض، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٤)، ثم امر سبحانه بإصلاحها وعدم الافساد فيها ولا يكون ذلك الا بالتوسط والاعتدال والسير على المنهج الوسط من غير افراط أو تفريط.

(١) سورة العلق، الآيتان ٦-٧.

(٢) سورة الشورى، الآية ٢٧.

(٣) سورة الملك، الآية ١٥.

(٤) سورة البقرة، الآية ٣٠.



وذكر الزحيلي في تفسير هذه الآية "وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا" أي لا تترك ما أباحه الله لك من لذات الدنيا من الطعام والشراب واللباس والزواج والسكن، ولابد من اعطاء كل ذي حق حقه فان الله عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، كما ان لنفسك عليك حقا، وهذا هو المنهج الوسط الذي يدعو اليه ديننا الحنيف، ونقل عن ابن عمر قوله: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وعلى الإنسان ان يحسن إلى خلق الله كما احسن الرب اليه، وعلى الإنسان الا يسيء إلى الناس بالظلم والبغي بقصد الافساد في الارض، فان الله يمنع العون والمدد والرحمة من المفسدين^(١).

المحور السادس: الاعتدال في الدعاء

قبل الوقوف على منهج القرآن الكريم في الاعتدال في الدعاء، لابد من الوقوف على معاني الدعاء لتكون الدراسة وافية وتؤدي ما اعدت له بإذن الله. الدعاء لغة: مصدر من قولك: دعوتُ الشيء أدعوه دعاء. وقد يوضع المصدر موضع الاسم؛ فنقول: رجل عدل، وقيل مأخوذاً من مادة (دعو) التي تدل في الأصل على إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك^(٢). الدعاء اصطلاحاً: قيل: "هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره، أو دفعه"^(٣).

وقيل: استدعاء العبد ربه ﷻ العناية واستمداده إيّاه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة؛ وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه من الثناء على الله ﷻ وإضافة الجود والكرم إليه ﷻ^(٤).

وقد ورد الدعاء في لغة القرآن الكريم بمعان عدة منها^(٥):

١- العبادة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾^(٦).

٢- الاستغاثة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٧).

(١) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي: ١٦٠/٢٠-١٦١.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢٧٩/٢، الدعاء، الطبراني، تحقيق د. محمد سعيد البخاري: ٣٥.

(٣) بدائع الفوائد، ابن القيم، تحقيق هشام عطا: ٥١٣/٣.

(٤) شأن الدعاء، الخطابي: ٤.

(٥) الدعاء، الحمد: ٨.

(٦) سورة يونس، الآية ١٠٦.

(٧) سورة البقرة، الآية ٢٣.



٣- التوحيد: ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(١).

٤- النداء: ومنه قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾^(٢).

٥- القول: ومنه قوله تعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سَبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَجَّيْنَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(٣).

وبعد الوقوف عل اهم معاني الدعاء لابد من الوقوف على منهج القرآن الكريم في الاعتدال والتوسط في سائر العبادات ومنها الدعاء اذ قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٤).

أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا﴾ قال: "نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحْتَفٍ بِمَكَّةَ، كَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾، أَيُّ بِقِرَاعَتِكَ، فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ﴿وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٥).

وأخرج البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أُنْزِلَ ذَلِكَ فِي الدُّعَاءِ"^(٦). ذكر ابن حجر في شرح الحديث: هكذا أطلقت عائشة وهو أعلم من أن يكون ذلك داخل الصلاة أو خارجها.. وذكر أنه يحتمل الجمع بينهما بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة^(٧).

والصلاة هنا تعني كل أعمال الصلاة، حيث أمر بالتوسط فيها دون الجهر وفوق المخافتة، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا﴾ "والأمر بابتغاء السبيل بين ذلك يعني أن يكون الدعاء تضرعا دون الجهر وفوق السر، فهذا مظهر من مظاهر الأمر بالتوسط في العبادة، وعليك بالوسطية التي جاء بها الإسلام، فقد كان رسول الله ﷺ يتفقد أصحابه ليلاً فسمع أبا بكر رضي الله عنه يقرأ، ولا يكاد يسمع صوته، فلما سألته. قال: يا رسول الله، أناجي ربي وهو عالم بي، فلما ذهب إلى عمر رضي الله عنه وجده يقرأ بصوت عالٍ، فلما سألته قال: يا رسول الله أجزر به الشيطان. عندها أمر رضي الله عنه أبا بكر أن يرفع صوته قليلاً، وأمر عمر أن يخفض صوته قليلاً.

(١) سورة الجن، الآية ١٩.

(٢) سورة القمر، الآية ١٠.

(٣) سورة يونس، الآية ١٠.

(٤) سورة الأسراء، الآية ١١٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب "ولا تجهروا بصلاتكم ولا تخافتوا بها" برقم (٤٧٢٢)، وصحيح مسلم- كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار برقم (٤٤٦).

(٦) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به)، برقم (٧٥٢٦).

(٧) ينظر: فتح الباري: ٤٠٥/٨.



وهذه الوسطية وهذا الاعتدال في الدعاء، نحن مأمورون به، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(١)، وقوله ﴿يَنَّ ذَلِكَ﴾ هذه البينية تكاد تكون في كل أحكام الشرع؛ لأن القرآن جاء بالوسط والاعتدال في كل شئون الحياة، ومنها المسائل العقديّة، اذ يقف الإسلام موقف الوسطية بين مَنْ يقول بآلهة متعددة ومن يُنكرون وجود الإله، فينفي ادعاء الفريقين ويثبت وجود إله واحد أحد لا شريك له^(٢).

ونذكر بعض المفسرين ان الآية خاصة بصلاة النبي ﷺ في المسجد الحرام اذ أمر رسوله ﷺ بالتوسط في القراءة، فلا ترفع صوتك بقراءتك في الصلاة في المسجد الحرام، فيسمعها المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ولا تسرها عن أصحابك، واطلب بين الجهر والمخافتة أمرًا وسطًا، فإن خير الأمور أوسطها، والاصل في ذلك كله حصول المقصود وهو افهام الناس المتهيين للاعتداء به، وتجنب الجهر الذي يتوهم منه الكفار تطأولا^(٣).

وقيل: المعنى لا تجهز بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلاً بالمخافتة نهاراً والجهر ليلاً، وذهب قوم إلى أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنََّّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ﴾^{(٤)(٥)}.

المحور السابع: الاعتدال في الطعام

قال تعالى: ﴿يَبْنَىٰ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٦). الخطاب في قوله: ﴿يَبْنَىٰ ءَادَمَ﴾ لم يختص به احد بل هو عام لجميع البشرية، وإن ورد لسبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالشطر الأول من الآية يختص بالزينة عند الذهاب إلى المساجد، والثاني: وهو موضوع البحث: يختص بالاعتدال والتوسط في تناول الطعام الذي يعد مباحا لابن آدم وعدم الاسراف فيه حفاظا على صحة الإنسان وعدم التمثل بالشيطان.

ذكر القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ ان الله أحل الأكل والشرب اذا لم يكن سرفاً أو مخيلةً. بعكس ما تدعو الحاجة إليه، من سدّ الجوعَة وسكّن الظمًا، فهذا مندوب إليه، وذلك لحفظ النفس والجوارح والحواس، من اجل ذلك جاء بالتهني عَنِ الوصال، كونه يُضْعِفُ الجسدَ، وَيُضْعِفُ عَنِ العبادة، وقد نهى الشرع عن ذلك. ثُمَّ ان لفظة الأكلِ منافع كثيرة،

(١) سورة الاعراف، الآية ٢٠٥.

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي: ٨٨١٦-٨٨١٧/١٤.

(٣) ينظر: التحرير والتتوير: ٢٨٣/١٥، الروح والريحان: ٢٥٧٢٥٦-١٦.

(٤) سورة الاعراف، الآية ٥٥.

(٥) ينظر: تفسير أبو السعود: ٢٠٠/٥.

(٦) سورة الاعراف، الآيتان ٣١-٣٢.



اذ يَكُونُ الرَّجُلُ أَسْلَمَ جِسْمًا وَأَكْثَرَ حِفْظًا وَأَرْكَى فَهْمًا وَأَخَفَّ نَفْسًا وَأَقَلَّ نَوْمًا. وَبِكَثْرَةِ الطَّعَامِ تَتَوَلَّدُ الْأَمْرَاضُ، فَيَحْتَاجُ إِلَى الْعِلَاجِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَكْلِهِ أَقَلَّ. وَيَتَضَحَّ ذَلِكَ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي يُغْنِي عَنْ كَلَامِ الْأَطِبَّاءِ اذ يَقُولُ: "مَا مَلَأَ أَدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُفَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صَلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ لَطْعَامِهِ وَتُلْتُ لِشْرَابِهِ وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ" (١).

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعَى وَاحِدٍ" (٢)، والمعنى فِي هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ الْمَعِدَةُ.

وروى ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: "كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة -كبر وإعجاب بالنفس- ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمه على عبده" (٣). وعن ابن عباس أنه قال: كل ما شئت، واشرب ما شئت، والبس ما شئت إذا أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة. والإسراف تجاوز الحد في كل شيء، وفي هَذَا دَعْوَةٌ حَاضَةٌ عَلَى التَّقْلِيلِ مِنَ الدُّنْيَا وَالزُّهْدِ فِيهَا، وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَمْتَدِّحُ بِقِلَّةِ الْأَكْلِ وَتَنْدُمُ بِكَثْرَتِهِ (٤).

وعلى الرغم من أن الطعام والشراب من ضرورات الحياة الحيوانية، ولكن الناس في ذلك فريقان:

الأول: تركوا الطيبات من المطعومات والمشروبات اما شحلا وبخلا، أو تأثما وتحرجا؛ اما على الدوام أو يخصصون اوقاتا من السنة وهؤلاء هم الغلاة في الدين والبخلاء.

الثاني: الذين اطلقوا العنان للذات البدنية ومنحوها جل اهتمامهم فهم كالأنعام يشربون ويأكلون ويتمتعون، ليس لهم هدف معين يقفون عنده وهؤلاء هم المترفون (٥). والفريقان قد اضلا طريق التوسط والاعتدال الذي امر الشارع الحكيم به، اذ الاسرف ييغضه الله، ويغض اهله وضرره على الإنسان واضح وبين، فهو يعجز الإنسان عن النفقات الواجبة عليه، اذ الآية الكريمة تامر بتناول الطعام والشراب، وتنهى عن تركهما، وكذا الإسراف فيهما (٦).

من المعلوم ان الطعام والشراب من المباحات التي فيها ديمومة الحياة، فالمنهج القرآني يرشدنا إلى ان ناكل ونشرب على قدر ما به استمرارية الحياة دون اسراف، فلا نتجاوز ما احل لنا وهو كثير إلى ما حرم علينا وهو قليل لان ذلك يعد اسرافا، وهذا ما نهى عنه الشارع الحكيم.

(١) سنن الترمذي، كتاب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، ١٦٨/٤ برقم (٢٣٨٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الاشربة، باب المؤمن يأكل في معي واحدة، برقم (٢٠٦٠).

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، باب لباس ما شئت، ١١٩٢/٢ برقم (٣٦٠٥).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٩٢/٧-١٩٤.

(٥) ينظر: حقائق الروح والريحان: ١٨٩/٩-١٩١.

(٦) ينظر: تفسير السعدي: ٢٧٨.



الغاية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خير البريات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا...

بعد هذه الجولة المباركة في رحاب المنهج الوسط وبين آيات الكتاب العزيز تم التوصل إلى النتائج التالية:

١. دين الإسلام تميز بالتوسط والاعتدال، إذ لا إفراط فيه ولا تفريط، وليس فيه غلو ولا جفاء، ومن أبرز معالمه التيسير والرفق بالناس.
٢. المنهج الذي ارتضاه ربنا لنا؛ هو المنهج الحق وهو الصراط المستقيم، امرنا باتباعه وعدم اتباع سبل الشيطان التي تفرق بنا عن الصراط المستقيم، وكلما ابتعدنا عن هذا المنهج القويم تولدت الفرقة والتشتت والتناحر.
٣. تعد الوسطية وسام شرف أناطها الله لهذه الأمة فجعلها شهيدة على الناس، وشهادتها خيرية لمنفعة الجنس البشري بأكمله.
٤. الدين الوسط طريق سلكه أهل الشرف والفضل، الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.
٥. التوسط والاعتدال بفعل المطلوب والذي أذن فيه الشارع الحكيم من غير نقصان ولا زيادة؛ إذ الزيادة في الأمر من الغلو والإفراط، والنقص يعد تقصيرا وتفريطا، وكل ذلك انحرافا وميلا، وخير الأمور أوسطها.
٦. الاعتدال والتوسط شمل كل جوانب الحياة، فاهتمام المسلم بالآخرة لا يشغله عن أمور دنياه وحاجاتها، ولا إقدامه على الدنيا وعمرانها ينسيه بناء آخرته.
٧. نهى الحق سبحانه عن الإسراف الذي يعد خروج عن حدود الاعتدال والتوسط، ومن مساوئ الأخلاق التي تجلب لصاحبها وللمجتمع والأمة كثيرا من الأضرار والله ﷻ قد نهى عباده عن ذلك لما فيه من الشقاء والتعاسة.
٨. للإسراف آثار وعواقب ضارة ومهلكة، على العاملين وعلى العمل الإسلامي، نحو قسوة القلب وعلة البدن وعدم الرعاية أو الاهتمام بالآخرين والمساءلة غدا بين يدي الله ومن ثم أخوة الشياطين وغيرها كثير.
٩. تعد الوسطية الطريق الموصلة إلى تحقيق مقاصد الشريعة بين الناس، ويكون ذلك في الدين والدنيا.

وختاما فان الكمال لله وحده، والعصمة لمن عصمه الله، فما كان في هذا البحث من هفوات فهي من نفسي ومن الشيطان، واستغفر الله منه، والخير فيمن يصوب لنا هفوتنا ممتنين له، واصلي واسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدي رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين...



المصادر

القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٢. اعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م.
٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣م.
٤. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ت.
٦. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
٧. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ط١، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧.
٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.
٩. تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨هـ.
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
١١. جامع البيان جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
١٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
١٣. حقائق الروح والرياحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، ط١، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.
١٤. دعاء، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
١٥. الدعاء، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
١٦. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.



١٧. سنن أبي داود، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت.
١٨. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
١٩. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م.
٢٠. شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، ط١، دار الثقافة العربية، ١٩٨٤م.
٢١. شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٣م.
٢٢. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت.
٢٣. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٢٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٢٥. العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
٢٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٧. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م.
٢٨. لسان العرب، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٩. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.
٣٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٣١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.





مَقَالٌ فِي

وآثرها في السلوك الاجتماعي

(القدوة الحسنة نموذجاً)

أ.م.د. محمد سلمان داود

جامعة الأنبار

كلية العلوم الإسلامية

zv99zv99zv99@gmail.com

ISSN: 2071-6028





ملخص باللغة العربية

إن من أعظم نعم الله تعالى على هذه الأمة هو الفهم الصحيح للإسلام، في ضوء الأصولين الثابتين الكتاب والسنة المطهرة، التي اعطت للفكر الإسلامي الحيوية والديمومة والتجديد، وهذا ما دفع العلماء إلى الاجتهاد واستنباط الأحكام، لاستخراج الحلول للعقبات التي تطرأ على المجتمعات في مختلف مستوياتها، لذا تجد باب الفكر الإسلامي مفتوحاً، أمام المفكرين، يلجئون إلى حلول للمشكلات التي تتحدى المجتمعات في مركب العلم والمعرفة من التطرف الديني هدفها تشويه هذا الدين الذي مبدأه الوسطية في جميع أجزائه. وسأبين ما يلي أهم ما توصل له الباحث من خلال هذه القراءة. **أولاً: أهمية الموضوع:** أ. تندرج هذه الدراسة لمعرفة مقومات الاعتدال التي لها الأثر الكبير على بناء السلوك المجتمعي للفرد ومدى تأثيره بها. ب. من أهم الخطأ التي تبلور هذا الاعتدال، هو معرفة القدوة الحسنة، ومدى تأثيرها بالشكل المطلوب للمجتمع. ج. محاولة إطلاع القارئ على وسطية الإسلام، ولاسيما في المجال المجتمعي لبناء الحياة الكريمة. **ثانياً: منهجية الدراسة:** اعتمدت على التحليل النظري والتطبيقي لاكتمال المعلومة وإيضاح الفكرة. **ثالثاً: التحليل:** عرض البحث الوسائل المهمة للوصول إلى التأثير الإيجابي وخاصة للشباب عن طريق القدوة الحسنة، الذي تركز البحث على أهم جوانبها. **رابعاً: الخاتمة:** ١. القدوة الحسنة هو الركن العملي المهم في تغيير السلوك الاجتماعي ٢. المنهج الاعتدالي يمتلك من الخصائص التي تؤهله ليكون الجانب النظري في السلوك الإنساني. ٣. لا بد من تفعيل دور القدوة في آلية التعامل مع الشباب لتصحيح أفكارهم. **خامساً: التوصيات:** يوصي البحث بأن يتم تفعيل القدوة الحسنة، في جميع سلوكيات المجتمع وفي جميع شرائحه عن طريق عرض أهم الوسائل التي عرضت في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: مقومات، اعتدال، اجتماعي

The Ingredients of Moderation and their Effect on Social Behaviour: A Good Ideal as an Example

Asst. Prof. Dr. Mohammed Salman Dawood
University of Anbar/College Islamic Sciences

Abstract: One of the blessings of Alla on the Islamic nation is the true understanding of Islam according to two original sources: Holy Quran and the Honourable Prophet Traditions (Sunnah). These two sources give Islamic thought its renewal, vitality and permanence. This situation in turn encourages scientists to studiousness and deriving judgements. This is done to extract solutions for obstacles that may be raised in different levels of societies. So, we can find that Islamic thought is open to thinkers and philosophers. They consult it to solve problems which challenge societies in the path of science and knowledge. One of these challenges is the religious extremity whose purpose is to distort Islamic religion which calls for centrism. I will show the most important conclusions that arrived at through reading. **Fist: The Importance of the Study** 1-This study aims at identifying the ingredients of moderation which have a great impact on societal behaviour for the individual and how much he/she affected by it. 2-One of the mistakes that create this moderation is the knowledge of a good ideal and how far it effects on society. 3-The attempts to make the reader know the centrism of Islam, especially in societal aspect to build a decent life. **Second: Methodology** The researcher depends on practical and theoretical analysis to clarify the idea perfectly. **Third: Analysis** The study shows the important means to arrive at a positive effect especially for the youths via a good ideal which is the core of the study. **Fourth: Conclusion** 1-A good ideal is the important practical pillar in changing social behaviour. 2-The moderation approach has particular characteristics which are eligible to be a theoretical aspect in human behaviour. 3.There is no substitution from activating the role of good ideal in the mechanics of treating with the youths to redeem their thoughts. **Fifth: Recommendations** The researcher recommends that the role of good ideal should be activated in all behaviours of society and in different levels via exposing the most important means discussed in this research.

Keywords: ingredients, moderation, social



المطلب الاول: مفهوم الاعتدال والقدوة الحسنة.

اولاً: تعريف الاعتدال لغة واصطلاحاً

أما الاعتدال لغة: فهو مأخوذ (عَدَلَ) الْعَيْنُ وَالِدَالُ وَاللَّامُ الْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ: الْمَرْصِيُّ الْمُسْتَوِي الطَّرِيقَةَ. يُقَالُ: هَذَا عَدْلٌ، وَهُمَا عَدْلٌ، وَالْعَدْلُ: الْحُكْمُ بِالِاسْتِوَاءِ^(١) فنقول هذا عَدْلٌ، وهم عَدْلٌ، وهم عَدْلٌ والعَدْلُ: الْحُكْمُ بِالْحَقِّ^(٢).

أما الاعتدال اصطلاحاً: فهو الْعَدْلُ مصدر بِمَعْنَى الْعَدَالَةِ وَهِيَ الْإِعْتِدَالُ وَالثَّبَاتُ عَلَى الْحَقِّ^(٣).

ثانياً: تعريف القدوة الحسنة: القدوة لغة: الأسوة، يقال: فلان قدوة، يقتدى به^(٤)، أما القدوة الحسنة اصطلاحاً، فالقدوة: هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبحاً، وإن ساراً وإن ضاراً^(٥) فهي أسوة لأتباعه يقدوهم بالفعل والقول، ويتأثرون بعمله الجميل، ولفظه الحسن، فيحذون حذوه، فإن كان الصدق مطلوباً من كل عامل، فإنه في القدوة أكثر طلباً، وإن كان الجد مطلوباً من كل مسلم، فإنه في القدوة أكثر حاجة؛ لأن الناس مجبولون على عدم الانتفاع بمن خالف قوله فعله^(٦)

ثالثاً: أصول القدوة الحسنة

أ:-الأصل الأول: الصلاح وهذا يتحقق بثلاثة أركان الركن الأول: الإيمان: ويقصد به كل ما يجب اعتقاده من الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر وسائر أركان الإيمان إيماناً يقيناً جازماً. وتحقيق معنى التوحيد ومقتضياته من معرفة الشهادتين والعمل بمقتضاهما، والركن الثاني: العبادة: فيستقيم القدوة على أمر الله من الصلاة والزكاة والصيام وسائر أركان الإسلام العملية ويهتم بالفرائض والمستحبات ويجد في اجتناب المنهيات والمكروهات. فيأتي من

(١) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م: ٢٤٦/٤.

(٢) العين، الخليل: ٣٨/٢.

(٣) الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، ط ١، ١٤١١هـ: ٧٣/١.

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، دار صادر بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ: ٣١٥٩/٢.

(٥) الخُلُق الحسن في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض: ص ٤٦.

(٦) مَوْسُوعَةُ الْأَخْلَاقِ: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ٤٢٤-٤٢٥.



المأمورات بما استطاع ويجتنب جميع المنهيات^(١)، لقوله، ﷺ: (إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)^(٢).

ويتمثل القدوة الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطيته، ولئن استعاذتي لأعفيته)^(٣).

والركن الثالث: الإخلاص: وهو سر عظيم وباب دقيق والتميز به من أعظم المطالب، وهو من أولى ما ينبغي أن يُفتش عنه في الرجل المقتدى به. فيكون المقصود بالقول والعلم والعمل وجه الله ﷻ بعيداً عن أغراض النفس وأغراض المخلوقين، بل عبودية خاضعة تمام الخضوع لله ﷻ، أمراً ونهياً ونظراً وقصداً. والمرء إذا أسلم وجهه لله وأخلص نيته لمولاه فإن حركاته وسكناته ونومه ويقظته محسوبة في مرضاة الله. بل إن النصيح والإخلاص يرقى بالعبد الضعيف العاجز إلى رتبة القادر العامل^(٤).

ب: الأصل الثاني: حسن الخلق إذا كان الصلاح يتوجه إلى ذات المقتدى به ليكون صالحاً في نفسه قوياً في مسلكه فإن حسن الخلق يتوجه إلى طبيعة علاقته مع الناس وأصول تعامله معهم وإليه الدعوة النبوية في قوله، ﷺ: «وخالق الناس بخلقٍ حسن» والكلام في حسن الخلق واسع متشعب ونحاول أن نحصر عناصره الكبرى وهي: الصدق، الصبر، الرحمة، التواضع.

١-الصدق: تبرز أهمية الصدق وعظم أثره في مسلك القدوة، وقد سأل هرقل أبا سفيان عن سيرة النبي، ﷺ قائلاً: «هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ أجاب أبو سفيان: لا. فقال هرقل: أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله^(٥).

٢-الصبر: الأزمان إذا استحكمت والحبال إذا تعقدت والضوائق إذا ترادفت لا دفع لها ولا توقي -بإذن الله- إلا بالصبر ذلك أن الصبر - كما في حديث رسول الله ﷺ: (والصبر ضياء)^(٦).

- (١) القدوة مبادئ ونماذج: صالح بن عبد الله بن حميد، موقع وزارة الأوقاف السعودية: ١٢/١.
- (٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنة النبي محمد ﷺ: ٩٤/٩ برقم (٧٢٨٨)، صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب توقيفه ﷺ: ١٨٣٠/٤ برقم (١٣٣٧).
- (٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع: ١٠٥/٨ برقم (٦٥٠٢).
- (٤) القدوة مبادئ ونماذج: ١٣/١.
- (٥) السيرة النبوية والدعوة في العهد الملكي، أحمد غلوش مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ٥٨٤.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء: ٢٠٣/١ برقم (٢٢٣).



وَمَنْ أُولَى مِنَ الرَّجُلِ الْأَسُوءِ بِتَوَطُّينَ نَفْسِهِ عَلَى احْتِمَالِ الْمَكَارَةِ مِنْ غَيْرِ ضَجَرٍ، وَالتَّائِنِي فِي انتِظَارِ النَّتَاجِ مَهْمَا بَعُدَتْ^(١).

٣- الرحمة: الرحمة كمال في الطبيعة تجعل المرء يرقّ لآلام الخلق ويسعى لإزالتها ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى. الرحمة عاطفة حية نابضة بالحب للناس والرأفة بهم والشفقة عليهم. وربنا تبارك وتعالى هو أرحم الراحمين وخير الراحمين بل إن رحمته وسعت كل شيء^(٢)

٤- التواضع: جبلت النفوس على كره من يستطيل عليها ويحتقرها ويستصغرها، كما جبلت على النفرة ممن يتكبر عليها ويتعالى عنها. حتى ولو كان ما يقوله حقاً وصدقاً، فخطابه بقوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣) أولئك هم المستضعفون من الصحب الكرام أمثال صهيب وعمار وبلال وخباب؛ أراد المأ المستكبرون من قريش من الرسول، ﷺ أن يطردهم من مجلسه أو أن يخص لهم مجلساً لا يجتمعون فيه^(٤)

ثالثاً: أهمية القدوة الحسنة

أهمية القدوة الحسنة إن من الوسائل المهمة جداً في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام وامتنال أوامره واجتتاب نواهيه، ومن السوابق القديمة في أهمية السيرة الحسنة للداعي وأثرها في تصديقه والإيمان بما يدعو إليه «أن أعرابياً جاء إلى النبي، ﷺ فقال له: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله، قال الأعرابي: أنت الذي يقال عنك إنك كذاب؟ فقال: أنا الذي يزعمونني كذلك، فقال الأعرابي: ليس هذا الوجه وجه كذاب، ما الذي تدعو إليه؟ فذكر له رسول الله ﷺ ما يدعو إليه من أمور الإسلام، فقال له الأعرابي: آمنت بك وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فالأعرابي استدللّ بسمت رسول الله ﷺ، ووجهه المنير الكريم الذي يكون عليه أهل الصدق والأخلاق الكريمة، استدللّ بذلك على صدقه فيما يدعو إليه ﷺ^(٥).

وتكمن أهمية القدوة الحسنة في الأمور الآتية:

(١) ينظر الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١٤٠٩هـ، ٢٥ والقدوة مبادئ ونماذج: ١٧.

(٢) القدوة مبادئ ونماذج: ١٩-٢٠.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٨.

(٤) أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان : مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م: ١/١٠٠.

(٥) ينظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت: ٢/٣٨٣ وموارد الضمان لدروس الزمان، عبد العزيز بن محمد السلمان ط ٣٠، ١٤٢٤هـ: ٤/٤٢١.



١- المثال الحي المرتقي في درجات الكمال، يثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة. ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة المحمودة والمنافسة الشريفة، فإن كان عنده ميل إلى الخير^(١).

٢- القدوة الحسنة المتحلية بالفضائل العالية تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

٣- مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة لمثال حي. فإن ذلك أيسر في إيصال المعاني التي يريد الداعية إيصالها للمقتدى^(٢). ودليل ذلك الحديث الشريف (كان ﷺ يلبس خاتما من ذهب، فنبتة فقال لا البسه أبداً فنبت الناس خواتيمهم)^(٣).

المطلب الثاني: مقومات الاعتدال النظرية

أولاً: الوسطية

وإنما الإسلام دين الحنيفية السمحة ودين الفطرة ودين الوسطية الذي يجمع بين الروح والمادة، والاشتغال للحياتين مع الدنيا والآخرة، واستيفاء حظوظ الجسد المباحة مع الرجوع إلى الله بقلب سليم^(٤).

الإسلام وسط بين أمرين، فلا تشديد فيه ولا تساهل، ولا إفراط ولا تفريط، ولا غلو فيه ولا تعصب ولا تهاون، يقرن في تشريعه بين المادة والروح ويحرص على التوازن وتحقيقه في جميع الأمور، فيشرع ما يحقق التواءم والانسجام بين مطالب الروح ومطالب الجسد، ويقم التوازن بين مصالح الفرد والجماعة، فلا رهبانية في الإسلام، ولا تضییع لمصلحة الفرد والأمة^(٥).

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، إِنَّ فِي لَفْظِ الْوَسْطِ إِشْعَارًا بِالسَّبِيَّةِ، فَكَأَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى نَفْسِهِ؛ أَي: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ خِيَارٌ وَعُدُولٌ؛ لِأَنَّهُمْ وَسَطٌ، لَيْسُوا مِنْ أَرْبَابِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ الْمُفْرِطِينَ، وَلَا مِنْ أَرْبَابِ التَّعْطِيلِ الْمُفْرِطِينَ، فَهُمْ كَذَلِكَ فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ.

ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا قَبْلَ ظَهْرِ الْإِسْلَامِ عَلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ تَقْضِي عَلَيْهِ تَقَالِيدُهُ بِالْمَادِيَّةِ الْمُخْضَةِ، فَلَا هَمَّ لَهُ إِلَّا الْحُظُوظُ الْجَسَدِيَّةُ كَالْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَقِسْمٌ تَحْكُمُ عَلَيْهِ تَقَالِيدُهُ

(١) ينظر: القدوة مبادئ ونماذج: ٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب فص الخاتم: ١٥٦/٧ برقم (٥٨٦٧).

(٤) التفسير الوسيط للزحيلي: د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ: ١٤/٧٦.

(٥) التفسير الوسيط للزحيلي: د. وهبة الزحيلي: ١/٦٤.



بِالرُّوحَانِيَّةِ الْخَالِصَةِ وَتَرَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ، كَالنَّصَارَى وَالصَّابِيِّينَ وَطَوَائِفَ مَنْ وَثَّقِييَ الْهِنْدِ أَصْحَابَ الرِّيَاضَاتِ.

وَأَمَّا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَهَا فِي دِينِهَا بَيْنَ الْحَقِّينَ: حَقَّ الرُّوحِ، وَحَقَّ الْجَسَدِ، فَهِيَ رُوحَانِيَّةٌ جُسْمَانِيَّةٌ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ إِنَّهُ أَعْطَاهَا جَمِيعَ حُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ جِسْمٌ وَرُوحٌ، وَتَسْبِقُونَ الْأُمَّةَ كُلَّهَا بِاعْتِدَالِكُمْ وَتَوَسُّطِكُمْ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، ذَلِكَ بِأَنَّ مَا هَدَيْتُمْ إِلَيْهِ هُوَ الْكَمَالُ الْإِنْسَانِيُّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ كَمَالٌ^(١).

وتعبير وَسَطاً يعني فيما يعنيه الخبرة في كل شيء والاعتدال في كل شيء وعدم التفريط والإفراط، وعدم الغلو والتقصير وعدم الاقتصاد على ناحية والتقصير في ناحية، مما فيه خير دين ودنيا، وكل هذا متمثل في الرسالة الإسلامية حيث قامت على أسس وقواعد ومبادئ وأحكام وتقريرات وخطوط عامة حلت بها ما في مختلف النحل من مشاكل وتعقيدات وخلافات وتناقضات متصلة بعقيدة الله وحيث حكمت من الطقوس المعقدة والتكاليف والأغلال الشديدة^(٢).

ثانياً: انواع الاعتدال:

والحقيقة أَنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى الْوَسْطِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ فِي الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ، فَلَا عِبَوسَ مَخْبِئٍ قَانِمٍ، وَلَا فَهْقَهَةً مُسْتَمِرَّةً عَابِثَةً لَكِنَّهُ جَدٌّ وَقَوْرٌ، وَخَفَّةٌ رُوحٌ وَثَقَّةٌ^(٣).

العدلُ مُطْلَبٌ عَقْلِيٌّ وَشَرْعِيٌّ، لَا غُلُوٌّ وَلَا جَفَاءٌ، لَا إِفْرَاطٌ وَلَا تَفْرِيطٌ، وَمَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَضْبِطَ عَوَاطِفَهُ، وَانْدِفَاعَاتِهِ، وَلِيَكُنْ عَادِلًا فِي رِضَاهُ وَغَضَبِهِ، وَسُرُورِهِ وَخُزْنِهِ؛ لِأَنَّ الشُّطْرَ وَالْمُبَالَغَةَ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْأَحْدَاثِ ظَلَمٌ لِلنَّفْسِ، وَمَا أَحْسَنَ الْوَسْطِيَّةِ، فَإِنَّ الشَّرْعَ نَزَلَ بِالْمِيزَانِ وَالْحَيَاةُ قَامَتْ عَلَى الْقِسْطِ، وَمَنْ أَتَعَبَ النَّاسَ مِنْ طَاوَعِ هَوَاهُ، وَاسْتَسْلَمَ لِعَوَاطِفِهِ وَمَيُولَاتِهِ، حِينَهَا تَنْتَضَحُ عِنْدَهُ الْحَوَادِثُ، وَتَظْلُمُ لَدَيْهِ الزُّوَايَا، وَتَقُومُ فِي قَلْبِهِ مَعَارِكُ ضَارِبَةٌ مِنَ الْأَحْقَادِ وَالِدَخَائِلِ وَالضَّغَائِنِ، لِأَنَّهُ يَعِيشُ فِي أَوْهَامٍ وَخِيَالَاتٍ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ يَتَصَوَّرُ أَنَّ الْجَمِيعَ ضِدُّهُ^(٤).

والسعادة في الْوَسْطِ، فَلَا غُلُوٌّ وَلَا جَفَاءٌ، وَلَا إِفْرَاطٌ وَلَا تَفْرِيطٌ، وَإِنْ الْوَسْطِيَّةُ مِنْهَجٌ رَبَّانِيٌّ حَمِيدٌ يَمْنَعُ الْعَبْدَ مِنَ الْحَيْفِ إِلَى أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ. إِنْ مِنْ خِصَائِصِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ دِينٌ وَسْطِيٌّ، فَهُوَ وَسْطٌ بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ: الْيَهُودِيَّةُ الَّتِي حَمَلَتْ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، وَالنَّصْرَانِيَّةُ الَّتِي غَالَتْ فِي الْعِبَادَةِ وَاطَّرَحَتْ الدَّلِيلَ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالرُّوحِ وَالْجَسَدِ، وَالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ، إِنَّهُ مِنْهَجُ الْإِعْتِدَالِ فِي أَخْذِ الْأُمُورِ، وَالْحُكْمِ عَلَى الْأَشْيَاءِ، وَمُعَامَلَةِ الْآخَرِينَ، فَلَا زِيَادَةَ يَطْفُو بِهَا كَيْلُ

(١) تفسير المنار: ٥/٢.

(٢) التفسير الحديث: دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣هـ: ٦/٢٦٢.

(٣) لا تحزن: عائض بن عبد الله القرني، مكتبة العبيكان: ٧٩/١.

(٤) لا تحزن: عائض بن عبد الله القرني: ٧١/١.



القيم، ولا نقص يضمحل به أصل الخير، لأن الزيادة ترف وسرف، والنقص جفاء وحفاء^(١): ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

والآن نورد أمثلة على وسطية أهل السنة في السلوك على النحو التالي:

أ- أهل السنة والجماعة وسط في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

فأهل السنة يعملون الطاعات ابتغاء وجه الله تعالى، فإذا ألقى الله لهم الثناء الحسن في قلوب الناس بذلك، فتلك عاجل بشرى المؤمن، فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه، فقال: (تلك عاجل بشرى المؤمن)^(٤).

ثالثاً: خصائص المنهج الاعتدالي الإسلامي:

أ- أنه يصدر من مصادر الإسلام ذاته، أي أنها تستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويعتبران الأساسين اللازمين للحديث والبحث عن القيم الإسلامية.

ب- أنه يستمد من الأحكام الشرعية، باعتبار أن الحياة الإسلامية كلها تقوم على هذه الأحكام، وتأتي القيم في صورة أمر بالفعل أو أمر بالترك والكف بكافة درجات أمر الفعل وأمر الترك، وهي بهذا تحدد توجيهات الإنسان في حياته حيال الأشياء والمواقف، تاركة له مساحة من الاختيار.

ج- أنه يقوم على أساس الشمول والتكامل بمعنى:

١- أنه يراعي عالم الإنسان وما فيه، والمجتمع الذي يعيش فيه، وأهداف حياة الإنسان طبقاً للتصور الإسلامي، أي تحدد أهداف الحياة وغايتها وما وراءها، ومن ثم تكون قيمة أي إنجاز بشري في تقدير حسابه وجزائه، في الدار الآخرة مع عدم إهمال الدنيا .

٢- أنه جامع لكافة مناشط الإنسان وتوجهاته، تستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، ثم هي في هذا لا تقف عند حد الحياة الدنيا^(٥).

د- أنه يقوم على مبدأ التوحيد، باعتباره النواة التي تتجمع حولها اتجاهات المسلم وسلوكياته، حتى يصل لأهدافه، وبهذا تجعل لحياة الإنسان معنى ووظيفة.

(١) لا تحزن، القرني: ٤٤٩/١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٣.

(٣) معالم في السلوك وتركبة النفوس: عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، دار الوطن، ط١، ١٤١٤هـ: ٢٣/١.

(٤) معالم في السلوك وتركبة النفوس: ٢٦/١.

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: عدد من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله، دار الوسيلة، جدة، ط٤: ٨١/١.



هـ- أنه يتميز بالاستمرارية والعمومية لكل الناس في كل زمان ومكان، ويؤيد ذلك القرآن الكريم في قول الله ﷻ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(١)، ولا تقتنى تلك الاستمرارية إلا إذا كانت هذه القيم موضوعية، أي من عند الله تعالى، فالإنسان لا يمكنه من تلقاء نفسه ودون معونة إلهية أن ينشئ نظاما حياتيا صالحا له، ولا يمكنه أن يقيم منظومة قيمية تساعد على أداء دوره في الأرض، بسبب ما يطرأ عليه من ميل للهوى، وما جبل عليه من ضعف، ولذا فإن الوحي هو الذي يستطيع ذلك، وهذا ما حدث فعلا، فقد جاء الوحي بقيم خالدة تحفظ على الإنسان جهده وحياته، ولترتفع به إلى المستوى اللائق به كخليفة الله في الأرض^(٢).

ز- أنها وسطية، تلك الوسطية الانتقائية لا التلقيفية، فقد عمد الإسلام إلى القيم الجيدة عند العربي فأبقاها وضبطها، وأضاف إليها، وزود الإنسان بقيم ليعيش عالمه المادي والمعنوي في توازن دقيق، وزوده بقيم تهتم بالفرد كما تهتم بالجماعة، كما وازن بين الدنيا والآخرة، القوة والرحمة. .. الخ وبهذا كانت معبرة تعبيرا صحيحا عن الفطرة البشرية والطبيعة الإنسانية، في واقعية كاملة^(٣).

إن تلك الوسطية التي تتميز بها القيم الإسلامية، تعد عملية انتقائية، إلا أنها توفيق دقيق جدا بين الوحي وإمكانات الإنسان الأرضية، وهو ضروري لأنه يولد لدى الإنسان حيوية الاختيار والانتقاء للالتزام بها، مما يتيح في النهاية عملا يتسم بالصدق في المظهر والمخبر، بخلاف عملية التلقيف التي لا تحمل دلالة نفسية على تقوى أو صلاح.

ح- أنها ترتبط بالجزاءات الدنيوية والأخروية، ولذا أوجد الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، ولكن هناك هدف آخر أسمى وراء الالتزام بعد الاختيار القائم على وعي كامل، لما جاء به الشرع وأمر بالالتزام به، ذلك الهدف هو إرضاء الله^(٤).

المطلب الثالث المقومات العملية للاعتدال

أولا: التربية الإسلامية والقُدوة الحسنة

ويتمثل الدور الذي تقوم به التربية الإسلامية في تنشئة الفرد المسلم على تعشق المثل الأعلى وتجسيده في حياته من خلال تثبيت أسس ودعائم فقه السير "أي سير الأنبياء وأبطال الإسلام والعلماء ورجال الفكر"، وعلى رأس ذلك كله سيرة الرسول ﷺ؛ لما في ذلك من بعث

(١) سورة الفرقان.

(٢) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: ٨١/١.

(٣) المصدر السابق نفسه: ٨٢/١.

(٤) المصدر السابق نفسه: ٨٣/١.



وإحياء للروح الخيرة في الناشئة والتي تجسد قيم معاني الاخلاق الفاضلة والمثل العليا المبادئ السامية مما يساعد على تطبيق السلوك الأخلاقي والاجتماعي والتربوي^(١).

ولعل في افتقاد القدوة المثالية والأسوة الحسنة في البيت والمجتمع ما جعل كثيرًا من شبابنا يلتجئون إلى التماس القدوة في رموز غريبة وافدة زينها الغرب في نفس المسلمين، ففرضت فيها تأثيرًا أقوى من تأثير الأقلام والخطب، وإذا كنا نطمح إلى إيجاد المثل الأعلى في الساحة التربوية الإسلامية، فيجب على المربين والمعلمين أن يتصفوا بالقيم الفاضلة والمثل الرفيعة والعمل الجاد مما يهيئ المجال لانتشار القدوة الحسنة والمثل الأعلى وبخاصة في واقع الحياة، وبذلك نستطيع ضمان طرح البديل الإسلامي لما يعاني منه الشباب المسلم من ضياع واستلاب فكري تربوي وافتقاد للقدوة الحسنة المتميزة^(٢).

إن ربانية الفكر التربوية الإسلامي تجعل الأخلاقية من أهم خصائصه وركيزة أساسية في بناء شخصية الفرد المسلم الملتزم القادر على مواجهة التحديات الراهنة والمستقبلية^(٣).
ثانيًا: التربية بالقدوة الحسنة:

تعد القدوة الحسنة أفضل أساليب التربية وأقربها إلى النجاح، فالإنسان في طفولته يميل إلى التقليد والمحاكاة، فإذا كان المحاكي قدوة تأصلت في النشء خلال الطيبة والخصال الكريمة والقيم الرفيعة، وعندما يشب الفرد عن الطوق ويخطو خطى الشباب تترسخ هذه القيم في نفسه ويبي ما أخذه عن القدوة، أن وجود منهج تربوي متكامل لا يغني عن القدوة. فالمعلم القدوة يحقق بأسلوبه التربوي وسلوكه كل الأسس والأساليب والأهداف التي يرجى أن يقوم عليها المنهج التربوي، لذلك بعث الله النبي محمدا ﷺ؛ ليكون قوة حسنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٤).

(١) من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي: كمال الدين عبد الغني المرسى: دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م: ١/١٦٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٢١.



فكان الرسول الكريم هاديا ومربيا بسلوكه الشخصي بالإضافة إلى الذكر الحكيم والسنة، وكان النبي ترجمة عملية حياة لتعاليم وآداب القرآن، كما أن سيرة الصحابة والتابعين تعد نموذجا لتجسيد القدوة الحسنة للمجتمع المسلم^(١).

القدوة أعظم أساليب التربية في نظر الإسلام الذي يقيم منهجه التربوي على هذا الأساس، ولا يخفى عنا أن حاجة الناس إلى القدوة نابعة من غريزة كامنة في النفوس هي التقليد، ويمكن الاستفادة من ميول وغرائز الأطفال الفطرية في تربيتهم بتكوين قدوة صالحة أمام التلاميذ وهذا يقتضي أن يكون معلم الأطفال متحليا بالفضيلة معروفا بالأخلاق الرفيعة، ومما لا شك فيه أنه إذا وجد الطفل القدوة الحسنة في والديه وفي معلمه هذا حذوهم، وأصبح من الميسور تربيته طبقا لشريعة الإسلام^(٢).

والأهداف التي يرجى أن يقوم عليها المنهج التربوي، لذلك بعث الله النبي محمدا ﷺ؛ ليكون قدوة حسنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٣).

فكان الرسول الكريم هاديا ومربيا بسلوكه الشخصي بالإضافة إلى الذكر الحكيم والسنة، وكان النبي ترجمة عملية حياة لتعاليم وآداب القرآن، كما أن سيرة الصحابة والتابعين تعد نموذجا لتجسيد القدوة الحسنة للمجتمع المسلم^(٤).

ثالثاً: القيم الخلقية والقدوة الحسنة:

لقد عرض القرآن مواقف خلقية كثيرة، وذلك لجذب انتباه الإنسان، وإيقاظ إحساسه بالقيمة الخلقية وهنا تستخدم كافة الإمكانيات في سبيل هذا العرض بقصد الاستحواذ على انتباه المسلم. ويعتبر هذا درجة أولى لتكوين الوعي بها، وإثارة الرغبة في الترقى لتتم عملية تركيز الانتباه، ويظهر الإنسان نوعاً من الاهتمام تأتي بعده الاستجابة النشطة الطوعية النابعة من داخله.

ومثال ذلك: قيمة الصلاة، حين نريد تكوينها في نفس الناشئ الصغير، فإنه لا بد من جذب انتباهه باستثارة حواسه، والسلوك الفعلي أمامه، بحيث نبين له أهمية الصلاة مرة بعد مرة، بحيث يبدأ تكون الوعي لديه بها، ويتطلب هذا إطلاع الناشئ على أهمية الصلاة وكيفية أدائها

(١) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: ١/ ٥٣-٥٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٤) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد: ١/ ٥٤.



دون تمييز محدد أو إدراك للخصائص الموضوعية لها^(١)، ويمكن تفعيل القيم في جانبه العملي والمتمثل بالقوة الحسنة فيما يأتي:

- أن تعمل على تكريس الطاقات المسلمة وتكثيفها، فكريا وثقافة وعلميا واقتصاديا، وأن تحشدتها في سبيل تقديم ما يفيد المسلمين في دنياهم وأخراهم، مع تكييف الدعوة للقيم الإسلامية عن طريق الكلمة المسموعة أو المقروءة أو المرئية، والمعبرة تعبيراً صادقا عن القيم الإسلامية الصحيحة.

- أن تعمل على توفير القوة الحسنة إعلاميا والملتزمة بالقيم الإسلامية والصادقة مع نفسها وربها، والموجهة جهودها نحو الخير، المجانية للكلمة النابية والعبارة الخارجة، وذلك لأن هذه الوسائل تؤثر في الإنسان وخاصة ميله للتقليد والمحاكاة والتي لها تأثير فعال في ميدان الإعلام، وميدان التربية والتعليم على السواء، لذلك يعتمد عليها رجال هذه الميادين كلها بدون استثناء.

- أن تركز باهتمام بالغ على برامج الأطفال بوجه خاص، بحيث تقدم لهم القيم الإسلامية بصورة مبسطة تعتمد على المواقف الحياتية والإسلامية وخصائصها، متفتحة على العصر بأسلوب سهل ميسر، بحيث يساعد على تكوين وتنمية ذاتيتهم الإسلامية العربية فيعتزرون بالقيم الإسلامية ويعملون على المحافظة عليها بالقول والسلوك.

- أن تركز باهتمام على برامج المرأة المسلمة، وتقدم لها كافة ما يهتمها، وبصورة تتمكن معها المرأة المسلمة قارئة وغير قارئة من الاستفادة من هذه البرامج، ذلك لأن المرأة هي أخطر عامل مؤثر في تنمية القيم لدى الطفل المسلم^(٢).

رابعا: أماكن القدوة الحسنة

الحرص على إيجاد القدوة الحسنة من المدرس، وفي المدرسة والبيت، والنادي والشارع وفي أسلوب التعامل. وعدم وجود المظاهر المنافية للإسلام، والتي قد تحدث لديهم شيئا من الشك والريبة أو التردد في القبول، أو اعتزال المجتمع، والشكوك فيه، بدعوى أنه مجتمع غير مطبق للإسلام يقول أبنائه بخلاف ما يعملون.

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: ١٣٢/١.

(٢) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: ١٨٢/١.



وبهذا كله يحصل الانفصال، وتحدث التصرفات المتسعة غير المنضبطة، والتي تكون نتائجها غير سليمة على الفرد والمجتمع، وعلى العمل الإسلامي ولا تعود بالفائدة المرجوة على الشباب أنفسهم.

٣ - عقد لقاءات مستمرة مع الشباب، يلتقي فيها ولاية الأمر والعلماء والمسئولون في البلاد الإسلامية بالشباب تطرح فيها الآراء والأفكار وتدرس المشكلات دراسة^(١).

المطلب الرابع : أليات تطبيق المنهج الاعتدالي على الشباب

إن الشباب بتوجيههم ورعايتهم، مثل النبتة إذا أحسن الزارع رعايتها نمت وأثمرت، وإذا أهملت تعثر نموها وفقد الثمر منها مستقبلاً.

والشباب فيه طاقة حيوية، يحسن الاستفادة منها وتتميتها، وأسلم منهج في الحياة يربط الشباب بدينه وعلمائه وأمته وبلاده، هو منهج الإسلام: فكما ابتعد الشباب عن منهج دينهم الواضح، وسلخوا طريق الغلو أو الجفاء، أو التشدد والانعزال فإن النتائج ستكون وخيمة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإن مسئولية ولاية الأمور: من قادة وعلماء ومفكرين، مسئولية عظيمة، في الأخذ بأيديهم ورعايتهم وتوجيههم نحو منهج الإسلام، وتوضيحه لهم، ليأخذوه، منهاجاً وسلوكاً، وليسيروا وفق تعاليم شريعته، قدوة وتطبيقاً^(٢).

أولاً: أثر القدوة الحسنة في البنية التربوية

ومن الآثار التربوية المفيدة لتمثل المربي مستوى القدوة الحسنة:

١- توفير الجهد التربوي عن طريق انتقال مفاهيم كثيرة -انتقالاً غير مباشر- بالمحاكاة والتقليد، عن الصلّت بن بسطام التيمي قال: قال لي أبي: الزم عبد الملك بن أبجر فتعلّم من توقيه في الكلام؛ فما أعلم بالكوفة أشد تحفظاً للسان منه^(٣).

٢- تكون حال المربي تلك بمثابة المحفز والمنشط للكثيرين لمحاولة الوصول إليها، وبذل الجهد في ذلك؛ فإن النفس كلما اقتربت من الكمال في جانب صارت لها قوة جذب بحسب حالها تشد الناس إليها؛ فهذا عبد الله ابن عون رحمه الله من أعلام السلف، كانت حاله نموذجاً

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية: ١٢/٧.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية: ١٣/٧.

(٣) ينظر: مجلة البيان: ٣٨/١١٤.



يُحفظ الكثيرين لمحاكاته. عن معاذ قال: حدثني غير واحد من أصحاب يونس بن عبيد أنه قال: إنني لأعرف رجلاً منذ عشرين سنة يتمنى أن يسلمَ له يوم من أيام ابن عون، فما يقدر عليه^(١).

٣- يكون له أثر عام يتعدى من يرتبط بهم من المترين ارتباطاً مباشراً، فينتفع به آخرون بمراقبته أو بمعرفة حاله، ونحوه فيُسهّم ذلك في إيجاد بيئة تربوية راشدة. قال يونس بن عبيد: كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم يرَ عمله ولم يسمع كلامه^(٢).

٤- اكتساب كلامه وتوجيهاته قوة نفسية مؤثرة بحسب حاله، كان أبو العباس السراج من علماء نيسابور وعُبادها، وكان رجلاً تقياً حسن السيرة، وكان الناس يسمعون كلامه^(٣).

ثانياً: أفة ترك المنهج الاعتدالي على الشباب كما أن ترك الشباب عرضة للأفكار الهدامة، والتصورات الخاطئة وعدم الأخذ بيده، وتفهم آرائه وأفكاره، والإجابة عن كل تساؤلاته، وإيضاح الرأي الصحيح أمامه، ليتجنب كل ما يضر ويسلك ما ينفع، كما فعل سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وفي عصور التاريخ المختلفة حيث لم يحدث ردود فعل ذات خطر على الفرد والجماعة.

فليتعاون ولاية الأمور كباراً وصغاراً، علماء ومتعلمين، مفكرين ومسؤولين، مع الشباب في البيوت والمدارس، في المجتمعات والجامعات، كل هؤلاء يتعاونون على إرشاد الشباب وتوجيهه، وتهئية الأجواء السليمة التي يبدع فيها، في ظل العقيدة^(٤).

ثالثاً: وسائل الوصول إلى التأثير الإيجابي عن طريق القدوة الحسنة
هناك عدة وسائل لذلك نذكر أهمها:

١- إصلاح الباطن: فأدب الظاهر عنوان أدب الباطن، وقد قال النبي ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)^(٥).

(١) ينظر: مجلة البيان: ٣٦/١٤٣.

(٢) ينظر: تأريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٤م: ٥٦/٢.

(٣) مجلة البيان: ٣٦/١٤٣.

(٤) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية: ١٣/٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأيمان باب فضل من استبرأ لدينه: ٢٠/١ برقم (٥٢).



- ٢- إعلاء قيمة التأدب وجعله من الأولويات: وقد كان السلف رحمهم الله منهم من ينفق في ذلك جزءاً كبيراً من عمره، ويعتبر أنه رابح لا خاسر. قال الحسن رحمه الله: إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين^(١)، ومكث يحيى بن يحيى عاماً كاملاً يأخذ من شمائل مالك رحمه الله بعد أن فرغ من علمه^(٢).
- ٣- الاطلاع على حكايات العلماء: قال أبو حنيفة: الحكايات عن العلماء أحب إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم^(٣).
- ٤- لزوم الصالحين والقنوات الحسنة ومن يُستحى منه: فإن معاشرته هؤلاء ومخالطتهم تسهل على النفس الاقتباس عنهم والانضباط بوجودهم، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم^(٤).
- ٥- التنفيذ الفوري لما يتعلمه: عن الحسن أنه قال: قد كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وهديه، ولسانه وبصره، وبره.
- ٦- مجاهدة النفس وتعويدها على الخير: قال النبي ﷺ: (إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرّر الخير يُعطه ومن يتقّ الشر يوقه)^(٥)، وكان عبد الله بن مسعود يقول: تعوّدوا الخير، فإنما الخير عادة^(٦).
- ٧- معاقبة النفس والشدة عليها: قال الجيلاني: لا تهربوا من خشونة كلامي، فما رباني إلا الخشن في دين الله ﷻ ومن هرب مني ومن أمثالي لا يفلح^(٧).

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين، علي بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م: ١/١٢٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، وينظر: مجلة البيان: ٣٦/١٤٣.

(٣) ينظر: الرسالة القشيرية، الإمام القشيري: ٣٥٤/٢، ومجلة البيان: ٣٦/١٤٣.

(٤) الزهد والرقائق، عبدالله بن المبارك الحنضلي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت: ٣٥١/١.

(٥) المعجم الأوسط، الطبراني: ١١٨/٣ برقم (٢٦٦٣).

(٦) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٧) ينظر: مجلة البيان: ٣٦/١٤٣.



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى اله وصحبه أجمعين... وبعد:

فإن الإنتاج العلمي هو محصلة جهود مبذولة سعى اصحابه للوصول إلى ثمرات وأهداف مرسومة سلفاً لذا يمكن إيجاز الخاتمة بأهم النتائج :

أولاً: الاعتدال بمقوماته النظرية والعملية هو بوصلة التغير الاجتماعي.

ثانياً: القدوة الحسنة هو الركن العملي المهم وبه يكون تغير السلوك الاجتماعي وتصحيح مسار المجتمع.

ثالثاً: المنهج الإعتدالي يمتلك من الخصائص التي تؤهله ليكون الجانب النظري في السلوك الإنساني.

رابعاً: لا بد من تفعيل دور للقدوة في آلية التعامل مع الشباب لتصحيح أفكارهم.

خامساً: وجود علاقة وثيقة بين القيم الأخلاقية والتربية الإسلامية والقدوة الحسنة وهي محاور للتغير.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. إحياء علوم الدين، ابو حامد محمد الغزالي، دار المعرفة بيروت.
٢. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.
٣. أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة. ط٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٤. التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد.
٥. التفسير الحديث: دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٦. التفسير الوسيط للزحلي: د. وهبة بن مصطفى الزحلي، دار الفكر، دمشق.
٧. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١١هـ.
٨. الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
٩. الرسالة القشيرية، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣م.
١٠. الزهد والرفائق، عبدالله بن المبارك الحنظلي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١. السيرة النبوية والدعوة في العهد الملكي، أحمد علوش مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٢. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٣. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق طارق بن عوض، عبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
١٤. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٩هـ.
١٥. القدوة مبادئ ونماذج: صالح بن عبد الله بن حميد: موقع وزارة الأوقاف السعودية.
١٦. تأريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٤م.
١٧. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق محمد زهير دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد، ط١، ١٤٢٢هـ.



١٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
١٩. لا تحزن: عائض بن عبد الله القرني: مكتبة العبيكان.
٢٠. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٢١. مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية للدعوة والإرشاد، عدد الأجزاء ٨٨.
٢٢. مجلة البيان، الصادرة عن المنتدى الإسلامي (٢٣٨) عددا.
٢٣. معالم في السلوك وتركبة النفوس: عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، دار الوطن، ط١، ١٤١٤هـ.
٢٤. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٢٥. من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي: كمال الدين عبد الغني المرسي، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٦. مؤسوعة الأخلاق: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٢٧. موارد الضمان لدروس الزمان، عبد العزيز بن محمد السلطان، ط٣٠، ١٤٢٤هـ.
٢٨. نصره النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: عدد من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله، دار الوسيلة، جدة، ط٤، عدد الأجزاء (١٢).





رسالة الاعتدال في الخطاب الديني

في تعزيز قيم التسامح والاعتدال

أ.م.د. نزار عامر حسين

جامعة الأنبار

كلية العلوم الإسلامية

obaidinazarobaidiobaidi@gmail.com

ISSN: 2071-6028





دور الإعلام الديني في تعزيز قيم التسامح والاعتدال

أ.م.د. نزار عامر حسين

جامعة الأنبار/ كلية العلوم الإسلامية

ملخص باللغة العربية

إن الرسائل الإعلامية المعاصرة ذات أهداف متعددة واتجاهات متنوعة، وفي ظل غياب الرؤية الهادفة وضباب الآليات المناسبة التي تسهم في مواجهة العقبات الإعلامية، تبرز تهديدات لقيم عديدة منها التسامح والاعتدال. لكن القيم الإسلامية تدعو إلى تعزيز مبادئ التسامح والاعتدال وهذه سمة واضحة في الخطاب الإعلامي الديني على مر العصور، وقد حاول الإعلام الإسلامي من خلال الاستعانة بتركيب القيم أن يجد حلول لمشاكل اجتماعية وفكرية يعاني منها الشباب على وجه الخصوص، وهي في الوقت ذاته مضامين لرسائل إعلامية يجب تفعيلها ونشرها. إن التقدم الحاصل في التكنولوجيا المعاصرة ووسائل الاتصال والتواصل لغرض إيصال الأفكار والثقافات، وتتنوع تلك الوسائل وزيادة مستخدميها بشكل كبير حديث يطول الكلام عنه والخوض فيه وهي ليست من صلب موضوعنا بقدر ما يتعلق بإيصال مضامين الرسالة الإعلامية التي تحمل ثقافة التسامح وتنتشر معنى الاعتدال بين أفراد المجتمع. وهنا يأتي دور الآليات المعاصرة والكيفيات الممكنة في إيصال هذه الفكرة أو هذا المضمون الذي ينبغي أن يكون دعوىً بأطوار إعلامي معاصر يحاكي المشاعر وينغم الأفكار ووفق ضوابط الإعلام الديني الهادف. أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في علاج المشكلات المترابطة التي تتمثل في تجسيد فكرة التسامح وغياب التعامل مع هذه الجزئية المهمة التي دعا إليها الإسلام وطبقها رسولنا ﷺ مع أعداءه ومناوئيه ولمرات عديدة والتاريخ شاهد على ذلك، بكونه تعزيز ذلك في نفوس شريحة مهمة في المجتمع وهم الشباب. مشكلة البحث: يمكن وضع مشكلة البحث في إطار الإجابة عن التساؤلات الآتية: ١- ما مدى قدرة الإعلام الإسلامي على تعزيز قيم التسامح ونشرها بين أبناء المجتمع؟ ٢- ما حجم العلاقة بين القيم الاجتماعية والإعلام الديني ونوع هذه العلاقة من حيث التفاعل والنتائج سلباً وإيجاباً؟ ٣- هل بالإمكان إعطاء صور إعلامية معاصرة لمبادئ وقيم التسامح باستخدام وسائل الإعلام الحية والمتنوعة؟ منهجية البحث: تتمثل منهجية البحث في تتبع المنهج الاستقرائي في جمع النصوص ثم استخدام منهج البحث التحليلي في الاستنباط والاستنتاج. خطة البحث: لقد جاء هذا البحث مشتملاً على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة. المطلب الأول: مفهوم الإعلام الديني ويتضمن (التعريف بالإعلام عامة والديني خاصة وبيان وسائل الإعلام الديني وصوره وخاصة المعاصرة). المطلب الثاني: مفهوم التسامح والاعتدال وقيمهما ويتضمن (بيان مفهوم التسامح والاعتدال وأدلتهم الشرعية وأبرز ما يهدد نشر هذه القيم في وسائل الإعلام المعاصرة). آليات الإعلام الديني في نشر ثقافة التسامح والاعتدال وتتضمن جانبين (الآليات النظرية مثل التخطيط السليم، الأسس العلمية، العناية الثقافية للمادة الإعلامية (الآليات العملية مثل، زيادة المساحة الإعلامية الدينية، الخطابات الهادفة، الأفلام الوثائقية، الزيارات الميدانية والمسابقات والمشاريع التي تحمل التسامح والاعتدال في معناها ومبناها). ملخص بحث لمؤتمر الاعتدال في الخطاب . المحور الثالث

الكلمات المفتاحية: دور ، إعلام ، ديني

The role of religious media in promoting the values of tolerance and moderation

Ass. Prof. Dr. Nazar Amer Hussain

Abstract: Contemporary media messages have multiple objectives and trends. In the absence of a vision and the loss of appropriate mechanisms that contribute to overcoming media obstacles, there are threats to many values, including tolerance and moderation. But Islamic values call for the promotion of the principles of tolerance and moderation and this is a clear feature in the discourse of religious media throughout the ages. The Islamic media has tried by using these values to find solutions to the social and intellectual problems suffered by young people in particular and at the same time, Activate and publish. The importance of research: The importance of research is to deal with the accumulated problems that are the freezing of the idea of tolerance and the absence of dealing with this important part called by Islam and applied by our Messenger (pbuh) with his enemies and his companions and many times and witness to that, and how to promote this in the hearts of They are important in society and they are young. Research problem: The search problem can be placed in the framework of answering the following questions .- What is the capacity of the Islamic media to promote and disseminate tolerance among the members of society? -What is the relationship between social values and religious media and the type of relationship in terms of interaction and results negatively and positively? -Is it possible to give contemporary media images of the principles and values of tolerance through the use of diverse and diverse media? Methodology of research: The methodology of research is to follow the inductive method in the collection of texts and then the use of analytical research methodology in the development and conclusion. Research Plan: This research came with an introduction, three demands and a conclusion. The first requirement is the concept of religious media, which includes the definition of public and religious media in particular, and the statement of religious media, especially contemporary images. The inductive approach in the collection of texts and then the use of analytical research methodology in the development and conclusion. Research Plan: This research came with an introduction, three demands and a conclusion. The first requirement is the concept of religious media, which includes the definition of public and religious media in particular, and the statement of religious media, especially contemporary images. The second requirement: the concept of tolerance and moderation and their values, including (a statement of the concept of tolerance and moderation and evidence of legitimacy and highlighted Mahedad dissemination of these values in contemporary media. The mechanisms of the religious media in spreading the culture of tolerance and moderation include two aspects (theoretical mechanisms such as .. sound planning .. scientific foundations .. cultural mobilization of the media material) (practical mechanisms such as .. Increase the area of religious media .. Letters intended .. Documentary films .. Visits Field, competitions and projects that carry tolerance and moderation in its meaning and structure.

Keywords: role, media, religious



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد:

ان لوسائل الإعلام اليوم دورا كبيرا في تحول المجتمع والدولة نحو الاصلاح والتغيير حيث الحرية واحترام حقوق الانسان، وان الإعلام الديني يعد من اهم اقسام الإعلام وله الدور الهام في اشاعة قيم العدل والمساواة وبث روح المواطنة والتعايش وتفعيل الثروة الانسانية وتحفيز الطاقات البشرية للعيش بسلام على ارض المعمورة .

والعالم اليوم يشهد تغيرات كبيرة وتطورات ضخمة ومتسارعة وان عالم الاتصالات ودنيا التقنيات تتسارع بشكل غير مسبوق، مما انعكس على انفجاراً معرفياً هائلاً وثورة نوعية كبرى في مجال المعلومات وانتشار الافكار والآراء .

ومما لا شك فيه ان المسلمين - بطبيعة دينهم - مطالبون بالاستفادة من تلك الوسائل وتسخيرها في خدمة الإسلام ونشر منهج التسامح والاعتدال الذي هو من اسس ديننا الحنيف وعقيدتنا السمحاء.

وعليه جاء بحثنا موسوما (دور الإعلام الديني في تعزيز قيم التسامح والاعتدال) يشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة فكان المبحث الاول في بيان بعض المفاهيم الإعلامية والدينية واهميتها اما المبحث الثاني فقد استعرضنا فيه مفهوم التسامح والاعتدال وأدلتها الشرعية، واهميتها بالنسبة لعلاقات الناس مع بعضهم، ومايهدد تلك القيم في المجتمع، اما المبحث الثالث فقد خصص لدور الإعلام الديني في تعزيز قيم التسامح والاعتدال واهم الآليات التي من الممكن الاستفادة منها في الجانبين العلمي والعملية، ثم جاءت الخاتمة وفيها ابرز النتائج .

نسأل الله ان يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون احسنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المبحث الأول: التعريف بالمفاهيم

المطلب الاول: بيان مفهوم الإعلام لغة واصطلاحاً .

لا بد ونحن نشرع في كتابة اي بحث علمي أو موضوع ما ان نبين للقارئ اهم المصطلحات التي سنوردها في ثناياه، حتى يستطيع ان يفهم المعنى الحقيقي والاهداف المرسومة لهذا البحث، وعليه سنشرع ببيان اهم المصطلحات من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية .



أولاً: الإعلام لغةً :

ان كلمة (إعلام) مشتقة من الفعل عَلِمَ ومعناه معرفة الشيء على حقيقته^(١)، وإعلام مفرد مصدر أعلم وهو ما ينشر بواسطة وسائل الإعلام كالإذاعة أو التلفزيون أو الصحافة^(٢)، ويعرف أيضاً بأنه: الإخبار أو التبليغ، يقال: ابليت القوم بلاغاً اي اوصلتهم الشيء^(٣). وفي الانكليزية كلمة الإعلام تعني (INFORMATION)^(٤).

ثانياً: الإعلام اصطلاحاً :

يعد تعريف الألماني "أوتجورت" الأكثر قبولاً عند الباحثين الإعلاميين اذ يقول: "الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت"^(٥). ويعرفه الدكتور ابراهيم امام بأنه: "نشر الاخبار والآراء والمعلومات على الجماهير"^(٦).

المطلب الثاني: بيان مفهوم الإعلام الديني

ثمة اختلاف بين الباحثين والإعلاميين حول مفهوم الإعلام الديني فمنهم من يرى ان الإعلام الديني هو الإسلامي فقط ومنهم من يرى انه يشمل الإسلامي و إعلام الديانات الاخرى والملل والنحل باعتبار ان الدين كلمة اوسع وتشمل الجميع .

لكن اذا اردنا ان نطلق على الإعلام الإسلامي (الديني) فهذا أمر طبيعي لأننا نعتز بديننا وننتسب اليه ونؤمن بأنه الدين الحق الذي قال الله عنه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٧)، فإذا ما تحدثنا عن الدين نتصرف اذهاننا إلى الإسلام مباشرة .

فالإعلام الإسلامي: هو الإعلام الذي يعكس الروح والمبادئ والقيم الإسلامية، ويمارس في مجتمع إسلامي ويتطرق إلى المعلومات والحقائق المتعلقة بكل نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والدينية والاخلاقية^(٨).

كما وان الإعلام الإسلامي يخاطب الناس كافة على اختلاف اديانهم ومذاهبهم، وتنوع

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الملقب الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية: مادة (علم): ٣٣/١٣٠.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عبد الحميد عمر، مادة (ع ل م)، عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٨م: ١٥٤١/٢.

(٣) الإعلام الإسلامي: الواقع والطموح، مثى الضاري، طه الزبيدي، دار الفجر، بغداد، ٢٠٠٥، ٢٣.

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم، محمد بن علي بن القاضي، تقديم: د. رفيق العجم، ترجمة د. جورج زيناني، ط١، ١٩٩٦: ١٣٤/١.

(٥) ينظر: الإعلام والدعاية، عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨م: ص ٧٦.

(٦) ينظر: الإعلام الإسلامي، ابراهيم امام، مكتبة الانجلو، ط١، القاهرة، ١٩٨٠م: ص ٢٧.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٨) ينظر: الإعلام الإسلامي (المبادئ، النظرية، التطبيق)، محمد منير حجاب، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٤.



ثقافتهم وحضاراتهم ينطلق في ذلك من عالمية الإسلام ودعوته^(١). قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢).

وعن ابن عباس ؓ، ان النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى "ذلك ان الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والاخرة ومن جور الاديان إلى عدل الإسلام"^(٣). وكذلك عنه ﷺ قال: "بلغوا عني ولو آية"^(٤).

والتبليغ هنا يشمل الجميع ولم يحدد فئة معينة من الناس أو أمة ما دون الامم الاخرى، وبذلك فإن من ابرز خصائص الإعلام الإسلامي هو الانفتاح الفكري والحضاري فهو إعلام ينتسب إلى دين عالمي وحضارة تفاعلية فلا مجال للعزلة بعد ان تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة تنتقل فيها الاخبار خلال دقائق.

فالاصل في الإعلام الإسلامي انه عام غير مخصص لمجتمع مسلم أو دولة إسلامية أو حكومة إسلامية، لكن واقع مجتمعاتنا يحتم علينا القول بأن الإعلام الإسلامي في ظروفنا المعاصرة هو صورة من صور الإعلام المتخصص: وهو الإعلام الديني^(٥).

ان الدين الإسلامي دين إعلامي بطبيعته، لأنه يقوم على الإفصاح والبيان بخلاف بعض الاديان الاخرى كاليهودية مثلاً، والتي لا تختص برسالة وتتنزع بالكتمان والسرية^(٦)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(٧).

والادلة على مشروعية الإعلام كثيرة من القرآن والسنة الصحيحة ولا مجال لذكرها في هذا البحث، بل قد ذهب بعض الباحثين إلى ان القرآن الكريم آية إعلامية في نشر الدعوة

(١) ينظر: الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الاعلامي الدولي، مرعي مذكور، دار الصحوة، ط٢، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢.

(٢) سورة الفرقان، الآية ١.

(٣) ينظر طبقات ابن سعد: ٥٠٩/١، وزاد المعاد لابن القيم: ٦٨٩/٣.

(٤) اخرجه البخاري في صحيحه (باب: ما ذكر عن بني اسرائيل)، محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م: ١٢٧٥/٣، كتاب: احاديث الانبياء برقم: (٣٢٧٤).

(٥) ينظر: المسؤولية الاعلامية، محمد سيد احمد، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٨٣م: ص٣٦.

(٦) ينظر: وظائف الإعلام الإسلامي، محمد محمد يونس: ورقة مقدمة إلى ندوة الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٨م.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٥٩.



الإسلامية، نزل بالحق لتحقيق غرض معين هو الدعوة إلى الله وتثبيت عقيدة الوحدانية ووضع التشريعات التي تنظم بها شؤون الدنيا والآخرة^(١) سالكا في ذلك جملة من الوسائل والاساليب والتي سنستعرض المعاصر منها في المطلب القادم.

المطلب الثالث: وسائل الإعلام الديني وصوره المعاصرة.

ان عملية الوصول بالإعلام الإسلامي إلى تحقيق الاهداف الجسام والدور الكبير المنتظر منه ليست عملية سهلة يمكن تحقيقها عن طريق الاستعانة ببعض التقنيات البسيطة والجهود المتواضعة للعاملين في حقل الإعلام كما يظن البعض، بل ينبغي على القائمين عليه ان يدركوا بأن هذه المؤسسات تحتاج إلى الكثير من الاموال والجهود المخلصة والقدرات النيرة لأجل اداء الرسالة العظيمة المنوطة به^(٢).

فهذا التدفق المعلوماتي الهائل من الفضائيات والانترنت والصحف وادوات الاتصال يحتاج في الوقت نفسه إلى مؤهلات وادوات جديدة يجب امتلاكها للخروج من الاحتكار والحصار الذي تفرضه القوى الكبرى على المؤسسات الإعلامية بل وعلى الافراد والمجتمعات والدول والمؤسسات^(٣).

لذلك سنتناول في هذا المطلب اهم الوسائل المعاصرة التي يستخدمها الإعلام الديني لعرض مبادئ الإسلام عقيدةً وشريعةً وايصالها إلى ملايين المتلقين في هذا العالم بفضل هذه الوسائل والصور المتنوعة، والتي لم يحددها الإسلام بل جاء بالدعوة باظهارها العام ووضع لها منهاجاً تسير عليه مقتبساً من كتاب الله (القرآن الكريم) وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤).

١. القنوات الفضائية الإسلامية:

ان انشاء قنوات فضائية دعوية إسلامية اصبح اليوم من الواجبات خاصة وان هناك طائفة من الناس لا تصل اليهم الدعوة أو لا يعرفون عن الإسلام شيء الا بمثل هذه الوسيلة^(٥)، ومع ما هو متوفر من تلك القنوات إلا ان الأمر يحتاج إلى زيادة في اعداد تلك القنوات الدعوية

(١) ينظر: الإعلام الإسلامي (دراسة تأهيلية)، محمد موسى البر، دار المنهل، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١٤.

(٢) واقع اعلامنا الإسلامي وسبل نهضته، ايوب حسين ثاميدي، قدم له: اسماعيل علي طه سكيري، دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف السني، ط ١، بغداد، ٢٠١٣م، ص ١١٧-١١٨.

(٣) ينظر: اتجاهات الإعلام الحديث والمعاصر، حسين عبد الجبار، دار اسامة، الاردن، ٢٠١١م، ص ٢٢.

(٤) سورة الحشر، الآية ٧.

(٥) ينظر: الوسائل والاساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية، صالح الرقب، بحث في مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٥م، ص ٤١٩.



الهادفة والتي اذا ما قورنت بالقنوات الاخرى يظهر لنا قلة عددها وعدم وصولها إلى كل انحاء العالم وهذا هو الهدف الاساس في العملية الإعلامية .

والإعلام الإسلامي محكوم في غايته ووسيلته باحكام الشريعة المعظمة ومقاصدها المكرمة، ويبقى الإعلام الإسلامي المنتسب إلى الإسلام بنسبة صحيحة هو الإعلام الوحيد الذي يعمل في المجال الدولي أو المحلي وفق سياسة واحدة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، ولا تتكون أو تتحرف مرضاة لفئة أو محابة لطائفة^(١).

ومن هنا توجبت الدعوة إلى انشاء فضائيات إسلامية متعددة، واصبح الامر ملحاً منذ ان ظهرت الأقمار الصناعية الرقمية واستخدمت في مجالات البث التلفزيوني، خصوصاً بعدما تعرضت المنطقة العربية الإسلامية للعديد من القنوات الفضائية الغربية التي حملت افكاراً أو ثقافات تختلف عن افكارنا وقيمنا، ومن هنا بدأ الشعور بمسؤولية انشاء قنوات عديدة إسلامية^(٢) لبيان حقيقة وسماحة هذا الدين والمنهج الوسطي الذي عليه الامة الإسلامية وكذلك تحسين صورة المسلمين في الإعلام الغربي والرد على الافتراءات التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون. ويبقى الامل قائماً في انشاء أقماراً صناعية إسلامية كما اطلقت سابقاً أقماراً عربية لأن هذا القمر سيكون مختصاً بالدعوة الإسلامية.

٢. الانترنت وتوابعه :

يعد الانترنت وما يلحق به واحداً من الصور التي يمكن للإعلام الإسلامي ان يؤدي دوراً كبيراً من خلالها والاستفادة من شبكة الانترنت والبرامج التابعة لها مثل وسائل التواصل الاجتماعي والتي اصبحت تمثل جزءاً مهماً من الحياة اليومية لملايين البشر على هذا الكوكب، يخصص له بعضهم جل وقته حتى اصبح بديلاً عن الوسائل المعاصرة الاخرى مثل الاذاعات والتلفزيون بل وحتى القنوات الفضائية^(٣).

كما يمكن الاستفادة من المواقع والبرامج التي تتناول الاخبار والاحداث في رد هذه الشبكة باخبار المسلمين واحوالهم في كل العالم.

ويمكن استثمار الفرص التي تتيحها شبكة الانترنت من اجل الاسهام في تصحيح صورة المسلمين وفي مجال الدعوة، اذ ان هناك ما لا يقل عن ست مميزات نسبية للانترنت يمكن استغلالها ايجابياً من اجل دعم الإعلام الديني والعمل الإسلامي والدعوة إلى الله وهذه المميزات

(١) ينظر: الإعلام الإسلامي، مرعي مدكور، ص ٢.

(٢) مثال ذلك: قناة اقرأ، قناة المجد، قناة الرسالة، وغيرها التي تبث بلغات اخرى على الاقمار الاوربية والامريكية والكندية، للمزيد انظر في مجلة الاهرام العربي، العدد ١٩، بتاريخ ٢٠٠٢/٨/١٠: ص ٢٩-٤٠.

(٣) ينظر: الوسائل والاساليب المعاصرة، صالح الرقب، ص ٤١٩.



هي:

- تعريف ملايين المسلمين بتعاليم الإسلام.
- تعريف غير المسلمين بحقائق الإسلام.
- توفير وسط إعلامي واعلامي بين المسلمين على نطاق عالمي.
- ان الدعوة عبر الانترنت غير مقيدة بزمان أو مكان.
- الدعوة عبر الانترنت ذات تكلفة منخفضة مقارنة بالوسائل الأخرى.
- سهولة الاستخدام والتعليم للوسائل الحديثة والنشر الإلكتروني تجعل الكل يستطيع التعامل معها^(١).

اما توابع الانترنت كالبرامج الأخرى مثل فيسبوك وواتساب وانستغرام وغيرها الكثير فقد أصبحت لغة العصر وعصب الحياة واهم الأشياء في حياة الكثير من الناس، وهي بذات الوقت مجالا واسعا لنشر الوعي الديني والثقافة الإسلامية من خلال المنشورات على صفحات تلك البرامج.

٣. الخطب والمحاضرات والندوات :

ان خطب الجمعة شعيرة من شعائر الإسلام لها دور فاعل في صياغة سلوك الناس والتأثير عليهم في شتى المجالات، ولها دورها البارز في خدمة الدعوة إلى الله، ولهذا اهتم بها رسول الله ﷺ، كما ان خطباء المساجد من خيار الناس وائمتهم ومرشديهم إلى خيرَي الدنيا والاخرة^(٢).

ولذلك تعد الخطب بصورة عامة وخطبة الجمعة بصورة خاصة واحدة من اهم وسائل الإعلام وصوره منذ زمن النبي ﷺ وإلى يومنا هذا، بل يعد بعضهم ان خطيب المسجد وواعظ الجماعة اشد فاعلية في نفوس الجماهير من اي جهاز من اجهزة التوجيه والتأثير في المجتمع^(٣).

ولقد ركزنا هنا على خطبة الجمعة أو الخطب الدينية لما لها من دور مهم فيما سنتطرق اليه لاحقا في موضوع قيم التسامح والاعتدال في المجتمع، لأن الخطيب يحاكي مشاعر الناس ويستشيرهم في قضايا دينية . فإذا لم توجه تلك الخطب توجهها صحيحا فإنها ستؤثر سلبا على المجتمع وسينشأ من ذلك افرادا أو جماعات متطرفة وهذا ما شاهدناه ولمسناه في العراق بعد

(١) ينظر: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، محمد بشاري، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ١٦٦.

(٢) ينظر: خطب الجمعة ومسؤوليات الخطباء، مجلس الدعوة والارشاد، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والارشاد، السعودية، ١٤٢٥هـ، ص ٣.

(٣) ينظر: منهج اعداد خطبة الجمعة، صالح عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والاوقاف، السعودية، ١٤١٩هـ، ٦/١.



٢٠٠٣ وهو مثال واحد من امثلة كثيرة لمجتمعات نشأت فيها تلك الافكار، سيما وان اكثر الخطب تنقل اليوم عبر البث الفضائي المباشر لكل العالم.

اما المحاضرات فهي تتنوع كالخطب ودورها قد يكون اهم في بعض الاحيان خاصة ان كانت محاضرات تستهدف طلبة جامعات أو اناس مثقفين فهؤلاء اشد تأثراً وتأثيراً من غيرهم.

المبحث الثاني: مفهوم التسامح والاعتدال وقيمهما

المطلب الاول: معنى التسامح والاعتدال :

اولا: التسامح لغة: التساهل، واستسهل الشيء: عده سهلاً^(١) وجاء في معنى التسامح ايضاً: سعة الصدر: التسامح والحلم^(٢).

والتسامح الديني: هو احترام عقائد الآخرين^(٣)، وفي الانكليزية (Allegory)^(٤).

وفي الاصطلاح: الاتساع في نحو الاعطاء^(٥)، وفي القاموس الفقهي جاء بمعنى اليسير عند المالكية^(٦).

فهذه التعريفات وغيرها الكثير والتي لايتسع المجال لذكرها جاءت متطابقة عن معنى التسامح والذي لايبعد عن المعاني التي ذكرناها من السعة والسهولة واليسر.

اما الاعتدال في اللغة جاء بمعنى: الاستقامة، يقال استقام له الأمر^(٧) قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾^(٨)، اي في التوجه الي دون الآلهة.

وقام الشيء واستقام: اعتدل و استوى^(٩) ومنه قوله تعالى: ﴿لَإِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

(١) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ٣٤٩/١١ فصل السين المهملة.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عبد الحميد وآخرون، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨م، ٢٤٣٩/٣ (مادة و س ع).

(٣) المصدر نفسه ١١٠٥/٢ (مادة س م ح).

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي القاضي الفاروقي الحنفي (ت ١١٥٨هـ)، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط ١، بيروت ١٩٩٦م، ٤٢٧/١.

(٥) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، ط ١، ١٩٩٠م، فصل السين ٩٦/١.

(٦) ينظر: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي ابو حبيب، دار الفكر، ط ٢، دمشق، ١٩٨٨م، ٢٧٢/١.

(٧) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، فصل القاف ٤٣٨/١٢.

(٨) سورة فصلت، الآية ٦.

(٩) لسان العرب، ٤٣٨/١٢.



أَسْتَقَمُوا^(١)، وفي الانكليزية (Straightness)^(٢).

اصطلاحاً: قيل العدل مصدر بمعنى العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، اي الميل إلى الحق^(٣).

ومن معاني: الاعتدال من العدل، وهو الاستواء والقصد في الامور والاستقامة^(٤)، والاحزاب المحافظة في السياسة هي التي تميل إلى الاعتدال في الحياة السياسية والقضايا العامة وتسمى احزاب اليمين^(٥).

المطلب الثاني: الادلة الشرعية للتسامح والاعتدال

اولاً: من القرآن الكريم .

هناك الكثير من الادلة التي تتحدث عن التسامح والاعتدال في القرآن الكريم تزيد عن المئة موضع في التسامح لوحده فضلاً عن الاعتدال ولا يسع المجال لذكرها جميعاً، لذلك سنتطرق لبعض النماذج من خلال الايات والنصوص القرآنية التي سنوردها في هذا المطلب، دون التعرض لتفاسيرها أو الخوض لأقوال العلماء بشكل تفصيلي لأن هذا يثقل البحث ويبعد به عن موضوعه الاساسي.

أدلة التسامح:

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٦).

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٧).

قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ صَبْرٌ وَعَفْوٌ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٨).

قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٩).

قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١٠).

(١) سورة فصلت، الآية ٣٠.

(٢) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلجعي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط٢، ١٩٨٨م، ١/٧٥.

(٣) ينظر: التعريفات، محمد علي الزين الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ضبطه وحققه مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ١/١٤٧ باب العين.

(٤) معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، ١/٢٢٤.

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عبد الحميد، ٣/٢٥١٩.

(٦) سورة الاعراف، الآية ١٩٩.

(٧) سورة النور، الآية ٢٢.

(٨) سورة الشورى، الآية ٤٣.

(٩) سورة آل عمران، الآية ١٣٤.

(١٠) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.



اما ادلة الاعتدال والوسطية فهي كثيرة ايضا سنكتفي بذكر بعضها مما ورد فيه بالنص أو المعنى:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(١).
 قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٢).
 قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(٣).
 قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٤).
 قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(٥).
 وتتضمن الآيات سالفة الذكر في تفاسيرها ومعانيها قيم التسامح والاعتدال في كل شيء بدءاً من امور العقيدة وانتهاءً بابتسط امور الحياة من مأكّل ومشرب وغيرها.
 ثانياً: الادلة من السنة النبوية .

وردت احاديث كثيرة في فضل التسامح عن رسول الله ﷺ وهي لا تقل عدداً عما ورد من آيات في ذات الموضوع، ولأن السنة مكمله لما جاء به القرآن وجب علينا ان نذكر بعض تلك الاحاديث.

- عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "الا اخبركم بمن تحرم عليه النار"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "كل هين لّين، قريب، سهل"^(٦).
- وعن ابي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما زاد الله عبداً بعفو الا عزاً"^(٧).
- وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه، عن رسول الله ﷺ: "أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من منعك، وتصفح عن شتمك"^(٨).
- وعن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "لأشج أشج عبد القيس: "إن فيك

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) سورة القصص، الآية ٧٧.

(٣) سورة الاسراء، الآية ٢٩.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

(٥) سورة فصلت، الآية ٣٠.

(٦) رواه الامام احمد في مسنده، احمد بن حنبل الشيباني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ٢٠٠١م، ٥٣/٧.

(٧) رواه مسلم في صحيحه، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م/٤ برقم (٢٥٨٨).

(٨) رواه الامام احمد في مسنده، ٣٨٣/٢٤.



لخلصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة" (١).

- وعن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "أَسْمَحُ يَسْمَحُ لَكَ" (٢).
وفي فضل الاعتدال والمنهج الوسط فقد وردت احاديث كثيرة في ذلك نذكر منها على سبيل المثال:

- عن ابي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "ان الدين يسر، ولن يشاد الدين احد إلا غلبه فسدوا وقاربوا وابشروا" (٣).

- وعن الاحنف بن قيس عن عبد الله ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "هلك المتنطعون" (٤)، قالها ثلاثا (٥).

- وعن انس بن مالك ؓ قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي فكانهم تَقَالُوهَا، فقالوا أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر... فحين سمع النبي مقالته قال ﷺ: "أنتم قلتم كذا وكذا؟! اما والله فإنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني اصوم وافطر، واقوم وارقد، واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني" (٥).

المطلب الثالث: ما يهدد قيم التسامح والاعتدال .

ان الخطاب في الإعلام الديني بشقيه المعتدل والمتطرف يقع في دائرة الاجتهاد فهو من الظنيات وليس من اليقينيات، وعليه فهو قابل للمراجعة والنقد والتجريح (٦).

وكذلك له ما يهدده ويؤثر فيه تأثيرا سلبيا، وقد يكون هذا التأثير آنيا مثل ظهور الجماعات المتطرفة أو مستقبليا يستهدف اجيالاً قادمة ومن ابرز المهددات في الخطاب الديني الغلو والتطرف وهذا ما نراه واضحا في بعض وسائل الإعلام المختلفة التي تتخذ من التشدد والتطرف منهجا لها، وتروج له باعتبار انه بضاعة تعود بالربح على قنوات فضائية تعاش على هذه المسألة.

فأغلبها تعتمد على الشحن العاطفي في مناهجها وتربي اتباعها على امور عاطفية

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب الأيمان بالله ورسوله، ٤٨/١، برقم (٢٥).

(٢) رواه الامام احمد في مسنده، ٢٤٨/١، برقم (٢٢٣٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (باب الدين يسر)، محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ١٦/١، برقم (٣٩).

(*) المتنطعون: المتعمقون المغالون المجاوزون الحد في اقوالهم وافعالهم، فيه دعوة للتوسط.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (باب هلك المتنطعون)، ٢٠٥٥/٤، برقم (٢٦٧٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (باب الترغيب في النكاح)، ١٩٤٩/٥.

(٦) ينظر: الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف، صلاح الدين عوض محمد، ورقة مقدمة الى الملتقى التنسيقي السابع للوزراء المعنيين بالدعوة ولاية كلاكتا ٢٠١٢م، ص ٢.



وغايات دنيوية وسياسية أو اقتصادية، وتحشوا اذهانهم بالافكار والمفاهيم التي لم تؤصل شرعا والتي تؤدي إلى التصادم مع المخالفين^(١).

كما ان الصورة المسيئة للسلام في الإعلام الغربي التي يروج لها ليست الا امتدادا لتلك الصورة التي صنعها اللاهوتيون المسيحيون المتعصبون في العصور الوسطى، وان بعض وسائل الإعلام الجماهيرية تعمل على ترويج هذه الصورة على المستوى المحلي من خلال اتباعهم في البلاد العربية والإسلامية وعلى المستوى الدولي من خلال قنواتهم التي تدخل إلى كل البيوت في العالم^(٢).

ان التوجيه والتطوير في الإعلام له دور كبير في تكوين الثقافات المختلفة وإيصال المفاهيم عبر وسائل الإعلام كافة ليس ذلك فحسب بل اقناع الجمهور بهذه المفاهيم وتغيير آراءهم وتشكيل افكارهم، وان هذا الاختراق بات اخطر القضايا التي تهدد القيم والمفاهيم الإسلامية والثقافية وابعدها تأثيرا في تشكيل الفكر على مستوى الافراد والجماعات فقد اصبح الإعلام هو الذي يحضر الامم، وهو الذي ينشئ عندها فقدان الذات دون ان تدري انها لا تملك امرها^(٣).

المبحث الثالث: آليات الإعلام الديني في نشر ثقافة التسامح والاعتدال .

يحاول أعداء الإسلام جاهدين ان يصوروا الإسلام على انه دين العنف والارهاب والدمار والخراب، ويحاولون بقدر استطاعتهم ان يلصقوا هذه الفرية بالإسلام، وتعمل اجهزة الإعلام الغربي، على ترسيخ هذه الشبهة وتعميقها في عقل المخاطب حتى تخيف الناس من الإسلام وتستنفر الجماهير ضده، وتصوره على انه الدين الذي "لا يسير الا بالسيف وان اتباعه عبارة عن متوحشين وقتلة"^(٤).

وبالرغم من كل هذه المحاولات التي يستخدمها الإعلام الغربي والعربي الموالي للغرب لتشويه حقيقة الإسلام واتهامه بالعنف والارهاب، واستخدام كافة الوسائل والاساليب الإعلامية لذلك، الا ان الحقيقة والتي يشهد بها الكثيرون ومنهم الاعضاء قبل الاصدقاء ان الإسلام دين تسامح وعدل وانه وفق دراسات عالمية يعد الاكثر انتشارا في العالم اليوم مع كل ما يتعرض له

(١) ينظر: الارهاب في ميزان الشريعة، عادل العبد الجبار، السودان، ص ٢٢.

(٢) ينظر: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، عبد القادر طاش، المجمع التصويري بالزهاء، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٨.

(٣) ينظر: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنة، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ص ٣٦.

(٤) ينظر: الغزو الفكري اهدافه ووسائله، عبد الصبور مرزوق، رابطة العالم الإسلامي، ط ٣، مكة المكرمة، ص ٣٢.



في صفحات الإعلام والشاشات والقنوات .

وعليه فإن الدور الذي على الإعلام الديني الإسلامي ان يؤديه بعد وظيفة كبيرة ومهمة عظيمة، خاصة وان اجهزة الإعلام في العالم كلها تنطلق من مبادئ معينة وتخدم مصالح معينة، فالإعلام الإسلامي يرتبط بمبادئ ومصالح معروفة المصدر والنسبة، فلا وجه للغربة اذا كانت تعاليم الدين كمنه وسواه^(١).

المطلب الاول: الآليات النظرية للإعلام الديني

ان الصراع الفكري في ساحة الإعلام يتطلب تقديم ما يكتب وما يعرض في وسائل الإعلام بعقلية عربية إسلامية، ملتزمة بقضايا امتنا العربية والإسلامية وتراثها وعقيدتها وتاريخها المجيد المليء بالبطولة والنبل والمآثر الانسانية والشخصيات الخالدة التي تركت بصماتها التي لا تمحى على تاريخ البشرية^(٢). وسنتناول في هذا المبحث ان شاء الله آليات نظرية واخرى عملية تمكن الإعلام الديني الإسلامي من تحقيق اهدافه والتي من اهمها نشر قيم التسامح والاعتدال، وتتضمن الآليات النظرية:

١. التخطيط السليم: وهذا يعني ان الإعلام الإسلامي يضع الخطط القائمة على اساسيات تعتمد على المعطيات العلمية الدقيقة الخاضعة للقوانين النظرية المؤيدة بالمنطق احيانا أو الخاضعة للتجربة العلمية في بعض الاحيان، ليتسنى لنا اكتشاف وتقادي الخلل قبل البدء بالعمل^(٣).

كما ان الخطط المقصودة هنا ليست الخطط التي تحدد الغايات وطرق الوصول لها ومستلزماتها .

والتي تأتي بالنتائج الايجابية والحلول الناجحة للمشاكل التي تظهر في وسائل الإعلام المختلفة سيما التي تهتم بالمسلمين ودينهم ودنياهم.
ان تحديد الاهداف والمتلقي ومواصفاته والمحتوى والطريقة والاسلوب تعتبر من الادوات الرئيسية لآليات وضع اية خطة وعلى كافة الصعد والمستويات^(٤).

(١) ينظر: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، محمد الغزالي، دار الشروق ط ١ القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٥٢.

(٢) ينظر: قراءة في الإعلام المعاصر الإسلامي، محمد منير حجاب، دار بيروت المحروسة، بيروت، ١٤١١هـ، ص ٣٤٣.

(٣) ينظر: التخطيط العلمي للإعلام الإسلامي، فاروق ناجي محمود، بحث منشور في كتاب الإعلام الإسلامي (الواقع والطموح)، دار الفجر، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٢٩٤.

(٤) ينظر: التخطيط العلمي للإعلام الإسلامي، فاروق ناجي محمود، بحث منشور في كتاب الإعلام الإسلامي (الواقع والطموح)، دار الفجر، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٣٠٢.



٢. الاسس العلمية:

ان لأي علم من العلوم أو قضية من القضايا اسس علمية يستند اليها، وقد عرفنا فيما تقدم ان إعلامنا الإسلامي محكوما بالشرع وقواعده في تحديد الاهداف وصياغة ونقل الاخبار في وسائل الإعلام المختلفة.

وان اي انتاج إعلامي يخرج عن نطاق الشرع واحكامه يخرج عن نطاق الإعلام الإسلامي، ومن هنا نجد ان المقياس في اسس الإعلام الديني الإسلامي واضح وضوحا لا لبس فيه ولا غموض، ووفق هذا المفهوم فإن اسس الإعلام الإسلامي تتمثل في الامور التالية^(١):

أ. الحق . ب. الصدق . ج. العدل والانصاف . د. الموضوعية .

أ. الحق: وهو اول ما يلتزم بنقله الإعلام فهو الاساس الذي تخضع له باقي الاسس وبدونه تفقد تلك الاسس مسمياتها ومضامينها، وقد اكد الرسل (عليهم السلام) هذه الحقيقة فهم لا ينطقون الا بالحق ولا يقولون الا الحق^(٢) ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾^(٣)، وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٤)، كذلك فإن الحق لا يقبل التجزئة فلا يقول الإعلام نصف الحق أو جزء منه، أو ان يختار ما يلائم وضعه ويبرر تصرفاته^(٥).

ان الإعلام وسيلة اخلاقية واصلاحية وعليه ان يتبع الحق دائما ولا يتردد، فإن تردد إعلامنا الإسلامي في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ذلك يؤدي إلى شيوع المنكر وطمس الحقائق وبذلك يفقد رسالته.

ب. الصدق: وهذا يختص بالإعلام ويتطلب امورا عدة:

١. التحري والتثبت من الاخبار . قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ فَيُضَيِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ﴾^(٦).

وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة (فَتَبَيَّنُوا) بالثناء، وذكر أنها في مصحف عبد الله منقوطة بالثناء، ذلك ان الرغبة والسبق والاسراع إلى الاثارة هما خصلتان من خصائص الإعلام، وبالذي قد يؤدي إلى نشر الشائعات وتقوي من الاستنتاجات الخاطئة^(٧).

(١) ينظر: الاعلام الاسلامي رسالة وهدف، سمير بن جميل راضي، رابطة العالم الاسلامي، العدد ١٧٢، ١٤١٧هـ، ص ٦١.

(٢) المصدر نفسه، ٦٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ١١٦.

(٤) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٥) المصدر السابق، ص ٦٣.

(٦) سورة الحجرات، الآية ٦.

(٧) الاعلام رسالة وهدف، سمير جميل، ص ٦٧.



٢. الصدق في نقل الخبر: قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَلْعَنُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوا لَهُمْ يَلْعَنُونَ﴾^(١)، فلا بد من الاهتمام بصياغة الخبر قدر الاهتمام والتحري عنه لأن عدم الصدق في نقل الخبر يعتبر تحريفا للحقيقة^(٢).
٣. صدق النية في نقل الخبر: قال تعالى: ﴿وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣)، فالمسلم يعلم ان النية اساس للعمل فيكون هدفه اظهار الحق وليس لأهداف أخرى نفعية^(٤).

وهناك دراسات عديدة بينت اثر صدق القائم بالاتصال، ومن الابحاث التي اجريت حول هذه الصفة تبين ان مضمون الرسائل الموجهة من مصادر يقل تصديق الجمهور بها لا يعتد بها لأنها تعتبر في نظره منحازة وغير موضوعية، كما اثبتت ايضا ان عدم تأثر آراء الجمهور في حالة قلة تصديقه للمرسل أو رجل الإعلام يرجع إلى ان تصديق المستقبل يؤثر على دوافعه نحو قبول ما ينتهي اليه المرسل من استنتاجات^(٥).

ج. العدل والانصاف: ان الانصاف والاعتزان سمتان من سمات المنهجية الإسلامية والإعلامي الإسلامي هو اولى ان يلتزم بهما في عمله، فهو يلتزم بالعدل والميزان القسط مهما كانت الظروف والاحوال^(٦).

وكذلك من العدل والانصاف ان يبعد عن المبالغة مثل المدح المذموم الذي يخلع على الحكام أو القادة أو ذوي النفوذ العلمي أو السياسي أو الاقتصادي أو الديني فيغدق عليهم الالقاب العظيمة والصفات الكاملة فيرفعهم فوق مستوى البشر^(٧).

د. الموضوعية والنزاهة: والموضوعية تعني القدرة على السلوك والتصرف واصدار احكام غير متحيزة لعنصر أو لرأي أو لسياسة أو دين^(٨)، وتعني ايضا الالتزام بحقائق الموضوع فلا تخرج اي مواضيع جانبية لا علاقة لها بالموضوع، وهي انحياز للحق وحياد في النقل تقتضي عرض الحقائق والشواهد الثابتة، وهي تقتضي النزاهة والحيادية والترفع عن الجدل بالباطل

(١) سورة البقرة، الآية ٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٨.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٧.

(٤) ينظر: الاعلام، سمير راضي، ص ٦٨.

(٥) البنبان الاجتماعي للعلاقات العامة، محمد البادي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨م، ص ١٨٧-١٨٨.

(٦) ينظر: الاعلام الاسلامي، الواقع والطموح، مثنى الضاري، طه الزيدي، ص ٢٧.

(٧) ينظر: الاعلام الاسلامي، سمير راضي، ص ٧١.

(٨) ينظر: العلاقات العامة والاعلام، اصولها وتطبيقاتها، محمد طلعت عيسى، دار الشروق، القاهرة، ص ٤٩.



وانكار الحق، والنزاهة هي الترفع عن الدس والوقیعة والاستغلال غير الشریف في نقل الوقائع أو التركيز على الزلات والعيوب واغفال المحاسن والفوائد^(١).

واذا كان الإعلام الدولي المعاصر اليوم قد فقد موضوعيته، نتيجة انحيازه السياسي تارة أو الاجتماعي أو الديني تارة أخرى فإنه بذلك يكون قد خرج عن مفهوم الإعلام ليدخل تحت بند الدعاية المتجردة من الصدق والموضوعية^(٢).

ومما تقدم يتبين للقارئ ما الذي يجب على الإعلام الديني الإسلامي ان يلتزم به من هذه الاسس والاخلاقيات الثابتة بالادلة الشرعية والتي يقوم عليها ديننا الحنيف دين الاعتدال والتسامح ونبذ التطرف في كل شيء حتى ولو كان بالقول لا بالفعل فأعلامنا يمثل الصورة الواقعية للإسلام الحق الذي حكم العالم لقرون عديدة ساد فيها العدل والانصاف.

المطلب الثاني: الآليات العملية .

ان برامج الإعلام الديني في المستقبل العراقي مهمة لتحقيق التعايش والتأسيس لحوار حضاري وبناء اجتماعي فعال، ولأجل نجاح هذا الامر وجب اتباع الآليات العملية المناسبة والتي بإمكانها ان تنتشر ثقافة التسامح والاعتدال بين ابناء المجتمع وان يكون لها الدور الايجابي والاساسي في تحقيق التنمية المجتمعية، ومن امثلة ذلك:

١. زيادة المساحة الإعلامية الدينية: ويتم ذلك من خلال عدة طرق اهمها :

أ- دعم القنوات الفضائية والاذاعات الإسلامية وتطويرها، وفق المعايير العالمية في الانتاج والاخراج والتصوير والعرض، وزيادة عددها واستخدام اللغات الاخرى في عرض المحتوى.

ب- اذاعة البرامج الإسلامية التي تنتشر ثقافة التسامح والاعتدال في القنوات العالمية المحببة عند الجمهور، وذلك عن طريق شراء مساحات كافية في تلك القنوات لبث الاخبار المتعلقة بالدول الإسلامية والمناسبات الخاصة بالمسلمين وغير ذلك.

ج- الدخول إلى شبكة الانترنت بالطرق اللازمة وعبر برامج التواصل الاجتماعي المختلفة واستثمار ذلك في الدعوة إلى الإسلام الصحيح وبيان المنهج الحق الوسطي المتمثل بالقران الكريم والسنة النبوية الصحيحة^(٣).

إذاً الآليات متنوعة وموجودة والمطلوب فقط استخدامها بالشكل الصحيح وفي كل الجوانب الإعلامية:

(١) ينظر: العلاقات العامة والاعلام، اصولها وتطبيقاتها، محمد طلعت عيسى، ص ٧٣.

(٢) ينظر: الاعلام الاسلامي وخطر التدفق الاعلامي الدولي، مرعي مذكور، دار الصحوة، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٢.

(٣) ينظر: خطابنا الاسلامي في عصر العولمة، يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٥٤ وما بعدها.



١. الإعلام المرئي: ويشمل التلفزيون والفضائيات والسينما والمسرح.
٢. الإعلام المسموع: ويشمل الاذاعات.
٣. الإعلام المقروء: ويشمل الصحافة والكتب والمطبوعات والمنشورات.
٤. الإعلام المعاصر: المتمثل بالانترنت وتوابعه من البرامج^(١).
٢. الخطابات الهادفة:

الخطبة من الفنون الادبية القديمة التي اثبتت قدرتها في التأثير والتوجيه واستمرت مسيرتها التي بدأت مع بداية المجتمعات الانسانية إلى صدر الإسلام ثم إلى يومنا هذا، واستفادت منها الامم في شحذ الهمم، واذاعة الاخلاق الحميدة والدعوة إلى الافكار والمعتقدات الجديدة، وازضافة إلى رسل الله ﷺ فقد استخدمها السلاطين والمعارضون والمصلحون، والادباء في سبيل تحقيق اهدافهم^(٢).

لقد جاء الإسلام مقدرا قيم الخطبة ودورها فاهتم بها اهتماما جادا واتخذها شعيرة من الشعائر التعبدية التي لا يجوز للمجتمع المسلم التقصير فيها من حيث الاداء والانصات والتطبيق العملي لها، والخطب في الإسلام تتمثل في خطب الجمعة والعيدين وخطبة يوم عرفة فضلا عن بعض الخطب في المناسبات التي تفرضها الوقائع والمستجدات^(٣).

والخطب تجمع بين الإعلام المرئي والمسموع فيجب العمل على تجديد واصلاح الخطاب المنبري في صلاة الجمعة لمساجد العراق خاصة ولمساجد المسلمين عامة وذلك من خلال التنسيق بين الخطباء واقسام الدراسات الدينية ودوائر الإعلام الديني في دواوين الاوقاف، وان تتسم الخطب بالموضوعية والسهولة وان تبتعد عن التطرف والغلو وان تهتم بنشر مبادئ الإسلام الصحيحة وقيم التسامح والتعايش بين المسلمين وغيرهم والذين عاشوا في كنف الحكم الإسلامي لقرون طويلة.

كذلك تعد الخطب السياسية عاملا اساسيا في التنمية المجتمعية ومع تزايد وسائل الإعلام المختلفة وكثرة رجال السياسة وتسارع الاحداث فإن الخطب ايضا تنوعت بتنوع الانتماءات الحزبية أو الدينية أو المذهبية لكن الواجب ان تكون تلك الخطب هدفها الاساسي التسامح والتعايش ان تبتعد عن الغلو والتفرقة.

(١) ينظر: كيف نبني مؤسسات الاعلام على اسس اسلامية، محمد عبد الله السمان، ص ٤١٧.

(٢) ينظر: المسؤولية الاعلامية في الاسلام، محمد سيد محمد، ص ٧٢.

(٣) ينظر: واقع اعلامنا الاسلامي، ايوب حسين اميدي، ص ٩٠-٩١.



٣. الاهتمام بالمؤسسة التربوية والتعليمية:

تؤدي وسائل الإعلام دورا مهما داخل المجتمع فهي تقوم بدور الموجه لأفرادها على مختلف اعمارهم وتوجهاتهم، وتؤثر عليهم وتحاول ان يكونوا رهن اشارتها وما تطرحه من افكار وقيم وعادات.

واليوم غدت هذه المسألة اكثر خطورة وتأثيرا ازاء التقدم التقني وعملية ازالة الحدود بين المجتمعات واختزال المساحات بين الامم والدول حتى اصبح الإعلام بتعبير احد الدارسين "جامعة للذين تركوا مقاعد الدراسة"^(١).

وغدا رجل الإعلام يقوم مقام المعلم في المدرسة، واصبحت وسائل الإعلام تؤدي دورا قد يزيد على ما يقوم به الآباء تجاه ابنائهم، وندرك خطورة ذلك اذا ايقنا بأن معظم الجمهور غدا رهن اشارة لتلك الوسائل الإعلامية لدرجة اصبح الإعلام بتأثيراته المذهلة قادرا على تزيين الباطل وجعله حقا وازدراء الحق وجعله باطلا وسحر عيون وآذان وعقول الناس جميعا^(٢).

وهناك ابعاد تربوية كثيرة تساعد على تحويل وسائل الإعلام وتسخيرها في خدمة الحق والخير وعن طريق مجموعة من القيم والمبادئ التي من الممكن ترسيخها في نفوس ابنائنا مثل قيم التسامح والمحبة ويتم ذلك عن طريق الاهتمام بالمدارس على مختلف مستوياتها إعلاميا وتعليم الاجيال دروسا في مبادئ غابت عن مناهج التعليم، فأصبح طلبتنا يتأثرون بالشرق والغرب ونسوا قيم الإسلام السمحة وماضيه المشرق، ولم يعرفوا معنى الاعتزاز بالدين والانتماء له فضلا عن حب الاوطان والعيش بسلام مع الآخر، فغدت شعارات المصالحة والمواطنة تملأ ارجاء الإعلام وكأن الناس كانوا على خلاف وجاء اليوم من يقارب ويسدد بينهم.

وفضلا عن ذلك فإن تقديم القدوة الحسنة والاسوة الجيدة يربي العقلية والنفسية الإسلامية التي نعتز بها^(٣)، ويزيد من اخلاق الابناء ويحقق فوائد عظيمة، اذ تعمل على تجسيد المثل الإعلامي في الواقع البشري المحسوس والمشاهد وتترجم النظرية وبذلك تتحقق القناعة الفكرية المحسوسة إلى جانب القناعة العقلية لأن المثل الاعلى ليس خيالا بعيد المنال^(٤).

(١) ينظر: المسؤولية الاعلامية، محمد سيد محمد، ص ٣٢-٣٣.

(٢) ينظر: مراجعات في الفكر والدعوة، عمر عبيد حسنة، ص ٤٦.

(٣) ينظر: نظرات في دراسة التاريخ الاسلامي، عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١١٠.

(٤) ينظر: مراجعات، عمر عبيد حسنة، ص ٧١.



الغاية

بعد ان اتمنا صفحات بحثنا هذا وصلنا إلى المحطة الاخيرة فيه والتي سنتناول فيها اهم النتائج والتوصيات والتي هي خلاصة ما توصلنا اليه فنقول:

النتائج والتوصيات

١. ان للإعلام الديني اهميته ومكانته بين وسائل الإعلام وهو يؤدي وظائف عدة تهدف إلى بناء مجتمع مترابط يعيش فيه الناس بسلام .
 ٢. لابد من ان يأخذ الإعلام الديني والإسلامي دوره الحقيقي ونشر مبادئ الإسلام السمحة وحقيقة ديننا الحنيف الذي ينبذ العنف والتطرف بكل اشكاله .
 ٣. لكي ينجح عمل الإعلام الديني ويقوم بدوره المنوط به لابد من تحقيق جملة من الشروط والمستلزمات المطلوبة للعمل الإعلامي، واستخدام التقنيات الحديثة فضلا عن الاهتمام بالمادة الإعلامية المناسبة.
 ٤. يجب بناء مجتمع عراقي يرضى بالتنوع كوسيلة من وسائل التكامل والتقويم.
 ٥. يجب طرح إعلام ديني عراقي الاصول والجذور باعتبار ان الحل لابد ان يكون جزء من ارضية المشكلة.
 ٦. من خلال التجربة ثبت ان خطاب الاعتدال والتسامح يؤثر بشكل فعال بالمتلقين (الجمهور) وينعكس على آراءهم وتوجهاتهم.
 ٧. يجب ان يعرف الناس ومن خلال الإعلام الديني اهمية الحوار والتعايش بين الاديان والمذاهب لتعدد الآراء والمعتقدات والافكار .
 ٨. يجب ان يكون الخطاب الديني عنصر فعال في نشر ثقافة التسامح واهميتها في التنمية المجتمعية.
- تم بحمد الله



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. اتجاهات الإعلام الحديث والمعاصر، حسين عبد الجبار، دار اسامة، الاردن، ٢٠١١م.
٢. الارهاب في ميزان الشريعة، عادل العبد الجبار، السودان.
٣. الإعلام الإسلامي (المبادئ، النظرية، التطبيق)، محمد منير حجاب، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٤. الإعلام الإسلامي (دراسة تأهيلية)، محمد موسى البر، دار المنهل، ط١، ٢٠١٠م.
٥. الإعلام الإسلامي، ابراهيم امام، مكتبة الانجلو، ط١، القاهرة، ١٩٨٠م.
٦. الإعلام الإسلامي: الواقع والطموح، مثنى الضاري، طه الزيدي، دار الفجر بغداد، ٢٠٠٥.
٧. الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، سمير بن جميل راضي، رابطة العالم الإسلامي، العدد (١٧٢)، ١٤١٧هـ.
٨. الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي، مرعي مذكور، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
٩. الإعلام والدعاية، عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨م.
١٠. البنيان الاجتماعي للعلاقات العامة، محمد البادي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.
١١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الملقب الزبيدي تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١٢. التعريفات، محمد علي الزين الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وحققه مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
١٣. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٠م.
١٤. الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف، صلاح الدين عوض محمد، ورقة مقدمة إلى الملتقى التنسيقي السابع للوزراء المعنيين بالدعوة ولاية كلاكتا ٢٠١٢م.
١٥. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٦. خطب الجمعة ومسؤوليات الخطباء، مجلس الدعوة والارشاد، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والارشاد، السعودية، ١٤٢٥هـ.
١٧. الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، محمد الغزالي، دار الشروق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٨. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٢٠. صورة الإسلام في الإعلام الغربي، عبد القادر طاش، المجمع التصويري بالزهراء، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣م.



٢١. صورة الإسلام في الإعلام الغربي، محمد بشاري، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.
٢٢. العلاقات العامة والإعلام، أصولها وتطبيقاتها، محمد طلعت عيسى، دار الشروق، القاهرة.
٢٣. الغزو الفكري اهدافه ووسائله، عبد الصبور مرزوق، رابطة العالم الإسلامي ط٣، مكة المكرمة.
٢٤. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي ابو حبيب، دار الفكر، ط٢، دمشق، ١٩٨٨م.
٢٥. قراءة في الإعلام المعاصر الإسلامي، محمد منير حجاب، دار بيروت المحروسة، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٦. كيف نبني مؤسسات الإعلام على اسس إسلامية، محمد عبد الله السمان.
٢٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٨. مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنة، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة.
٢٩. مسند الامام احمد، احمد بن حنبل الشيباني، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ٢٠٠١م.
٣٠. المسؤولية الإعلامية، محمد سيد احمد، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٨٣م.
٣١. معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٨ .
٣٢. معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيحة.
٣٣. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنبيبي، دار النفائس، ط٢، ١٩٨٨م.
٣٤. منهج اعداد خطبة الجمعة، صالح عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والاوقاف السعودية، ١٤١٩هـ.
٣٥. موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم، محمد بن علي بن القاضي، تقديم: د. رفيق العجم، ترجمة د. جورج زيناني، ط١، ١٩٩٦.
٣٦. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي القاضي الفاروقي الحنفي (ت١١٥٨هـ)، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.
٣٧. نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥م.
٣٨. واقع إعلامنا الإسلامي وسبل نهضته، ايوب حسين ثاميدي، قدم له اسماعيل علي طه سكري، دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف السني، ط١، بغداد، ٢٠١٣م.
٣٩. الوسائل والاساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية، صالح الرقب، بحث في مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٥م.
٤٠. وظائف الإعلام الإسلامي، محمد محمد يونس، ورقة مقدمة إلى ندوة الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٨م.





ظاهرة التعصب طُرق معالجتها

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

أ.م.د نضال علي حسين أ.م.د عبدالله إبراهيم رحيم

جامعة الأنبار

كلية التربية للبنات

nidhal.ali60@gmail.com

ISSN: 2071-6028



ظاهرة التعصب وطرق معالجتها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

أ.م.د نضال علي حسين

أ.م.د عبدالله إبراهيم رحيم

جامعة الأنبار/ كلية التربية للبنات

ملخص باللغة العربية

في العقود الأخيرة ازدادت حدة الأفكار المتطرفة والمنحرفة عن النهج القويم الذي أخطه لنا رسول الله ﷺ، حتى كاد عالمنا العربي يغرق في بحر الدماء بسبب التناحر المتعصب للمذهب أو الطائفة أو القومية، فجاء بحثنا هذا يطرح هذه المشكلة الشائكة ببيان اطرافها وطرق معالجتها. يهدف البحث إلى إيضاح الحقائق حول ظاهرة التعصب والغلو، وما هي أهم اسبابها ومخاطرها ثم بيان ما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية من طرق لمعالجتها العلاج الناجع وتنقية المجتمع منها. وكان منهجنا في البحث: -استقراء وعرض لأغلب ما جاء من أدلة شرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تنفي ظاهرة التعصب المذموم، وتنتهي عنها. -أيراد الأفكار والأقوال منسوبة إلى أصحابها ثم مناقشتها، وفق الأدلة الشرعية المعتمدة على الكتاب والسنة النبوية، وسيرة الأوائل من سلف هذه الأمة. هذا وقد أوصلنا البحث إلى نتائج مهمة أبرزها: أ-إن التعصب لغير الحق مذموم، لأنه يغلق على الإنسان منافذ العلم والمعرفة، واكتساب الحكمة أين ما كان مصدرها، وكاد يودي بالعقل والفكر السليم الذي جاء القرآن الكريم والرسول الأعظم محمد ﷺ مكرما له رافعا لمنزلته. ب-أبان البحث على حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه على نبذ العصبية بكل صورها المذمومة مبينا لهم بانها ولاء لغير الله تعالى، وابتعاد عن مفهوم الإسلام الحنيف وهو سبب للفرقة والتناحر بين المسلمين. ج- حاول البحث ان يجنب الشباب مزالق التعصب والتطرف والتكفير والتبايز بالألقاب والمعايير، ومبيناً لهم الطريق المعتدل الذي ينبغي اتباعه وسلوكه بين الإفراط والتفريط. د- أوضح المسالك الخاطئة كي يتجنبها الباحثون عن الحقيقة وعلى المنهج القائل: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه.... من لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

الكلمات المفتاحية: ظاهرة، تعصب، معالجة

Phenomenon of intolerance and ways of dealing with it in the light of the Holy Quran and Sunnah

Ass. Prof. Dr. Nedhal Ali Hussain

Ass. Prof. Dr. Abdullah Ebraheem Raheem

Abstract: What is plagued by the Muslim nation is the cause of fanaticism, which has been ravaged by its tyranny, the minds of the simple people of this nation and its ignorance, and the people of passions who have deviated from their ideas and deviated from their ignorance, kept their minds from realizing the truth and stirred their hearts away from their followers. They differed and separated from the path of guidance to opposing parties and factions, And fell into the taboo and took them streams of fanaticism and extremism in the extension of arrogant Brecht in their minds false beliefs and revolted from their chests of reasons of disobedience and violation. This fanaticism is not limited to a nation of nations or a people of peoples, but it is prevalent in all other human beings in all their people and peoples and over the ages and centuries, but we find the Holy Quran conveyed these meanings in all these peoples in close words covered by their answers, saying: We have found our fathers on a nation and on their traces are guided. "[The decoration: 22.] Those who read the Holy Quran and know the Prophetic Sunnah do not find it difficult to know the great fanaticism and adherence to the adherence of the people to the customs of their predecessors, regardless of their faith and the positive and negative aspects. The Qur'an has extended their discussion to nullify this excessive attachment and positive aspects of their ancestors. The bad that they were adhering to, in addition to what came from the Sunnah of the Prophets of the Prophet (peace be upon him) in this aspect. In this context, we have decided to discuss this important issue, emphasizing the fundamental point of how to deal with this negative phenomenon in the light of the Holy Quran and the Sunnah. The title of the research was: (Phenomenon of Intolerance and its Treatment in the Light of the Holy Quran and Sunnah) This topic to divide it on the introduction And two topics and a conclusion, the introduction of the reasons for the choice of the subject and importance, and the research plan The two sections were divided as follows The first topic: the definition of intolerance and its types and causes and image: and included two demands First requirement: The second requirement: The causes of intolerance and its image The second topic: The treatment of the Holy Quran and the Sunnah of the phenomenon of intolerance: Four demands included the first requirement: Peace be upon her. The conclusion, in which we mentioned the most important results that we reached in this humble research, and at the end of the research list of sources and references that we adopted and thank God first and last, God arrived on our master Muhammad and his family and companions.

Keywords: Phenomenon, Intolerance, Treatment



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد.. إن مما ابتليت به أمة المسلمين قضية التعصب التي عصفت بإعصارها أذهان بسطاء هذه الأمة وجهالها، وافتتن بها أهل الأهواء الذين شذوا بأفكارهم، وانحرفوا بجهلهم، فظلت عقولهم عن ادراك الحق، وزاغت قلوبهم عن اتباعه، فاختلّفوا، وتفرّقوا عن سبيل الهدى إلى فرق واحزاب متنازعة، فوقعوا في المحذور واخذتهم تيارات التعصب والتطرف في مدها الجارف فرسخت في عقولهم الاعتقادات الباطلة وثارت من صدورهم دواعي المعاندة والمخالفة، فنظروا إلى مخالفيهم بعين التهميش والازدراء، وصار همهم الوحيد إرغامهم على اعتناق آرائهم تارة باسم الدين وتارة باسم القومية وأخرى باسم الجنس، وإن تطلب ذلك ارتكابهم أفظع الجرائم وأبشعها.

إن هذا التعصب لا يقتصر على أمة من الأمم أو شعب من الشعوب بل هو سائد في سائر بني البشر في كل قومائهم وشعوبهم وعلى مر الأزمان والقرون بل اننا نجد القرآن الكريم نقل هذه المعاني لدى كل هذه الشعوب بألفاظ متقاربة تشملها اجاباتهم بقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(١).

ومن يقرأ القرآن الكريم ويطلع على السنة النبوية لا يجد صعوبة في معرفة التعصب الكبير والتزمّت في تمسك الأقوام بعبادات اسلافهم بغض النظر عن كنهها وما تحمله من ايجابيات أو سلبيات، وقد أطال القرآن الكريم مناقشتهم لإبطال هذا التمسك المفرط وبين لهم الجوانب الإيجابية فيما وجدوا عليه اسلافهم والجوانب السيئة التي كانوا يلتزمون بها، بالإضافة إلى ما جاءت بها السنة النبوية من أحاديث للنبي ﷺ في هذا الجانب.

ومن هذا المنطلق رأينا أن نبحت في هذا الموضوع المهم مؤكدين على نقطة جوهرية ألا وهي كيفية معالجة هذه الظاهرة السلبية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فكان عنوان البحث: (ظاهرة التعصب وطرق معالجتها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة).

واقترضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن نقسمه على مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فتضمنت أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث، وأما المبحثان فكان تقسيمهما على النحو الآتي: المبحث الأول: تعريف التعصب وأنواعه وأسبابه وصوره: وتضمن مطلبان المطلب الأول: تعريف التعصب لغة واصطلاحاً المطلب الثاني: أسباب التعصب وصوره

المبحث الثاني: معالجات القرآن الكريم والسنة النبوية لظاهرة التعصب: وتضمن أربعة مطالب المطلب الأول: إقرار الانتساب القومي المطلب الثاني: النهي عن التعصب الديني المطلب الثالث: الحث على أخذ العلم من أهله الثقافات المطلب الرابع: الاعتراف بالأديان والتعايش السلمي معها. أما الخاتمة فذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا المتواضع هذا وفي نهاية البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدناها والحمد لله أولاً وأخيراً وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً....

المبحث الأول: تعريف التعصب وأنواعه وأسبابه وصوره المطلب الأول: تعريف التعصب لغة واصطلاحاً أولاً: التعصب لغة:

(التَّعَصُّبُ) مصدر للفعل الثلاثي (عصب) وبالرجوع إلى قواميس اللغة العربية نجد هذا اللفظ ومشتاقته دلت على معانٍ كثيرة جداً، نختار منها ما يناسب بحثنا، فمن هذه المعاني:

-**العَصَبَةُ:** ومنه قولهم عَصَبَةُ الرجل: وهم الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونه، ويعتصب بهم، أي: يحيطون به، ويشتد بهم، ويقال: عَصَبَ القوم بفلان، أي: التفوا حوله^(١)، ورجل من عَصَبِ القوم، أي: من خيارهم^(٢).

-**العُصْبَةُ** مأخوذ من العِصَابَةِ، وهي العمامة، ويقال: تعَصَّبَ، أي شَدَّ العِصَابَةِ، ويقال للرجل الذي سوده قومه: قد عَصَّبُوهُ فهو معصب؛ وقد تعصب، وكانوا يسمون السيد المطاع: معصباً، لأنه يعصب بالتاج، أو تعصب به أمور الناس أي: ترد إليه، وتدار به^(٣).

-**العَصْبُ:** من الطيِّ الشديد، ويقال: لحم عصب: صلب شديد، وأنعَصَبَ: أشدَّتْ، ومنه قوله: (وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) أي شديد في الشر^(٤).

-**التَّعَصُّبُ:** من العصبِيَّة وهو أن يدعو الرجل إلى نصرته عصبته، والتألب معهم، على من يناوهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وقيل التعصب: المُحَامَاةُ والمُدَافَعَةُ، وتَعَصَّبْنَا له ومعناه أي: نصرناه^(٥).

مما ذكرناه وغيره تبين لنا ان المعنى العام للتعصب والتعصيب هو التقاف الشيء حتى يحيط به من كل الجوانب كما يحمل معنى الشدة والقسوة مع ان يحمل معنى السيادة. ولعل هذه المعاني هي التي ادت إلى التعصب الاصطلاحي إذ قد يغتر المتسيد في قومه على الاعتزاز برأيه حتى لا يرى صواباً لغيره.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م: ٣٣٩/٤، ولسان العرب، لأبي الفضل، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ: ٦٠٥/١، مادة (عصب).

(٢) ينظر: هذيب اللغة: ٣١/٢، مادة (عصب).

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ١٨١/١، مادة (عصب).

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ١٥٠٥/٢، مادة (عصب).

(٥) ينظر: لسان العرب: ٦٠٦/١، مادة (عصب).



ثانياً: التعصب اصطلاحاً:

يكاد التطور الدلالي لهذه الكلمة يحصرها في معنى واحد وهو التزمت والتشدد والعنف، إذ متى ما اطلق هذا اللفظ (التعصب) سبق إلى الذهن هذه الأفكار المتشددة العنيفة التي لا تقبل رأياً مخالفاً ولو كان صواباً^(١).

وعليه فإن التعصب الإصلاحي في الوقت الراهن يدل على الاعتقاد بصحة ما يراه الشخص ورفض ما يراه الغير بشدة وعنف ولا يقبل للمخالف رأياً.

وعرفه بعضهم بأنه: (الغلو والتماذي في التعلق الشخصي بمبدأ أو فكرة أو عقيدة، بحيث لا تترك مجالاً للتسامح، وقد يتعدى ذلك إلى العنف والتخريب)^(٢). وعرفه البركتي بأنه: (عدم قبول الحق عند ظهور دليله)^(٣).

وهو كما قال الشوكاني: (المتعصب وإن كان بصره صحيحاً فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق غفلة منه وجهلاً بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح، وتلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم)^(٤).

المطلب الثاني: أسباب التعصب وصوره

أولاً: أسباب التعصب

يعد التعصب مرضاً اجتماعياً يولد الكراهية والعداوة في العلاقات الاجتماعية والشخصية فهو ظاهرة مركبة ومعقدة وأسباب نشأتها متعددة ومتنوعة، فلا تتحدد بظاهرة نفسية فردية حسب، بل قد يكون مرجعها أسباباً فكرية أو نفسية أو سياسية أو اجتماعية.. إلخ^(٥)، وقد انبرى لدراسة اسباب هذه الظاهرة مفكرون وعلماء نفس واجتماع، سنكتفي في هذه العجالة بذكر أبرزها:

(١) يستفاد من مقال بعنوان: (التعصب: مظاهره، أسبابه، نتائجه، البعد الشرعي)، للدكتور عادل

الدمخي، الرابط: <https://www.assakina.com/center/4762.html>

(٢) يستفاد من مقال بعنوان: (التعصب والتحدي الجديد للتربية في الوطن العربي)، لسعد الدين إبراهيم، مجلة الطفولة العربية، الكويت، ١٩٨٨-١٩٨٩، ع ١٨، ص: ١٩٥-٢٠٩، الرابط:

<https://search.mandumah.com/Record/377557>

(٣) قواعد الفقه، لمحمد عميم الإحسان البركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص: ٢٣١.

(٤) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ: ٢٧٧/٢.

(٥) يستفاد من مقال بعنوان (أسباب الإرهاب والعنف والتطرف)، للدكتور صالح بن غانم السدلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: موقع حملة السكينة، الرابط:

<https://islamhouse.com/ar/books/116858>



١-الإعجاب بالذات الذي يلغي الآخر وعدم الاعتراف بحقوقه ووجوده ويرفض الحوار

معه.

٢- تلبية مصالح شخصية ومأرب دنيوية من مال أو جاه أو غيره.

٣- تقديس بعض البشر والمغالاة في الميل نحوهم والتقليد والإتباع لهم، إلى حد إضفاء صفة العصمة لهم، دون الإذعان لحق الاختلاف بالتفكير، واحترام الاجتهاد وقبول تعدده.

٤-الجهل بحقيقة الآخرين وعدم الإنصات إليهم وقبولهم، مع غياب الحوار البناء والتعاضد معهم.

٥- الابتعاد عن تطبيق القواعد المتوافقة مع النصوص الشرعية والفهم الخاطئ لها والتشدد في السلوك مما ولد فكر ديني منحرف ومتشدد.

٦- الانغلاق والجمود في التفكير ومجافاة الموضوعية المنطقية في تناول المسائل الخلافية، ثم رفض الرأي الآخر وكراهيته وتسفيهه وعدم احترامه.

٧- الأفكار المتطرفة التي تُنشئها جماعات وفرق ضالة تُحرض على العنف وقضم افكار الناس وآرائهم بالقوة والجبر، وتُكفّر من يخالفهم في المذهب.

٨- اعتماد الشباب بعضهم على بعض دون الرجوع إلى العلماء الأمناء، مع تقصير بعض أهل العلم ببذل النصح والإرشاد وتوجيه الناس.

٩- تفكك المجتمع وعدم ترابطه وغياب الشعور الصادق بمعنى الأخوة بين افراده.

١٠- عدم تحقيق العدالة والدفاع عن الحقوق ونصرة المظلومين .من قَبْلُ مَنْ شَأْنُهُمْ أَنْ يَعدِلُوا بين الناس، وإهمال الرعية والتقصير في أمورهم وما يصلحهم وتحقيق الحياة الكريمة لهم.

١١-غياب التنشئة والتربية الحسنة من قبل الأسرة والبيئة المحيطة مما ينعكس على سلوك وتصرفات الفرد ويؤدي إلى جنوحه واكتسابه بعض الصفات السيئة^(١).

ثانيا: صور التعصب:

التعصب ظاهرة اجتماعية شديدة الخطورة، وخاصة عندما تتخذ اشكالا عدوانية عنيفة^(٢)، وتتوغل أشكال هذه الظاهرة، وتختلف صورها داخل المجتمعات حسب طبيعة كل مجتمع ونظامه وقد يرتبط بعضها ببعض، فهناك من يتعصب لقبيلته أو لحزبه أو لدولته أو لفكرته، أو لجماعته، أو لمذهبه، أو لعرقه فمن ابرزها:

١- التعصب القبلي: عرفت العرب عن طريق الأنساب شعوبها وقبائلها وفصائلها والأفخاذ والبطون، وتختلف العصبية القبلية باختلاف نظام كل قبيلة التي تعتبر هي المكون

(١) يستفاد من مقال (التعصب المذموم وأثره على العمل الإسلامي المعاصر)، د.ماهر أحمد، ومحمد كمال السوسي، ص: ٨.

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني: ٢٧٧/٢.



الاساسي للمجتمعات العربية وتفرض نفوذها بقوة تقاليدها وعاداتها على كل ابنائها التي تربطهم وحدة الدم والنسب، أو الحلف والولاء^(١).

٢- **التعصب القومي:** وهو الانتصار للقومية التي ينتسب إليها لمجرد القومية كتعصب العرب لقوميتهم مقابل تعصب الفرس لقوميتهم، وتاريخ البشرية على امتداد أجيال طافح بحروب قد وقعت في البلد الواحد بسبب التعصب للهوية القومية^(٢).

٣- **التعصب الديني أو الطائفي:** هو تعصب لفرد ما أو جماعه لدين معين أو لمذهب معين، وهي إحدى صور التعصب الفكري الذي يحمل بين طياته نزعة الأقصاء الفكري ونفي حرية المعتقد والدين، ويهدد استقرار وتماسك وأمن المجتمعات ويرسخ القطيعة بين مختلف الأديان من جهة، وبين الأفراد من جهة أخرى^(٣).

وفي هذا المقام يقول الشوكاني: (ها هنا تُسكب العبرات، ويُناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا لسنة ولا لقرآن، ولا لبيان من الله ولا لبرهان، بل لما غلت مراحل العصبية في الدين، وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين لقنهم إزامات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء والسراب بالقيعة، فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقة التي هي من أعظم فواقر الدين، والرزية التي ما رزى بمثلها سبيل المؤمنين)^(٤).

٤- **التعصب العرقي:** وهو التعصب على أساس النوع البشري، سواء اختلفت الألوان أو اتفقت، وهي ظاهرة لها جذورها في تاريخ البشرية ولعل كثيراً من الحروب والصراعات في تاريخنا نجمت عن ظاهرة التمييز العرقي أو العزل العنصري^(٥).

٥- **التعصب الفكري:** وهو الانغلاق على التفكير بصفة أحادية وإلغاء الرأي الآخر ورفض الاعتراف به وتقبله واحترامه أو الحوار معه، وهو ما ينافي الإسلام الذي يقر بالتنوع وتعدد الآراء، ولا يقبل بالاستعلاء ومصادرة حق الآخر في التفكير أو الرأي.

(١) ينظر: العصبية القبلية في صدر الإسلام، محمد عبد القادر خريسات، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ص: ٧٨.

(٢) ينظر: الإعلام الطائفي، لنجلاء إسماعيل أحمد، ٢٠١٧م، ص ٤٤.

(٣) يستفاد من مقال (التعصب الديني في المجتمعات العربية)، بقلم اسماعيل الهدار، الرابط:

<https://www.irfaasawtak.com>

(٤) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن حزم، ط ١، ص ٩٨١.

(٥) يستفاد من مقال (التعصب والكراهية وآليات تأثيرهما المرضي ومكافحتهما) للدكتور تيسير الألوسي،

الرابط: <http://www.almothaqaf.com>



٦- التعصب للنوع الاجتماعي: كتعصب النساء للنساء، والرجال للرجال ووضع الجنسين في حال اقتتال بدل التكافل والتكافؤ، مع إلغاء مبدأ تفضيل الناس على أساس التقوى والكفاءة والموهبة والمهارة كل بحسبه.

٧- التعصب الطبقي أو المهني: وهو تعصب طبقة ضد أخرى، أو مهنة دون غيرها، وهو ما جعل المشركون يعاندون في اعتناق الإسلام قال الله تعالى واصفا اعتراضهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١).

٨- التعصب الحزبي: وهو التعصب للفئة أو الحزب، أو الجماعة التي ينتسب إليها الفرد، والولاء والانتصار لها دون غيرهم بالحق والباطل، كما في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُءُسَهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢). وقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣) أَلَيْسَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٤).

المبحث الثاني: معالجات القرآن الكريم والسنة النبوية لظاهرة التعصب المطلب الأول: إقرار الانتساب القومي

يعد الإسلام العصبية التي تقوم على أساس التفاخر بالأنساب والأحساب ويدخل في طيها نازع الكبر والتفاضل، جاهلية وضلالة ومن الخصال المذمومة التي نهى عنها وأمر بإبطالها قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٥)، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (زجرهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء، فإن المدار على التقوى)^(٥).

وقال ابن تيمية: (ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدا بنسبه ولا يذم أحدا بنسبه وإنما يمدح الإيمان والتقوى ويذم الكفر والفسوق والعصيان)^(٦).

(١) سورة الزخرف، الآية ٣١.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣١، ينظر: الإعلام الطائفي، ص: ٤٤.

(٣) سورة الروم، الآيتان ٣٢-٣٣.

(٤) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق:

أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م: ١٦/٣٤١.

(٦) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، لأبي العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجنيد، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط ٢، ١٤٠٤هـ: ٢/٢٣.



وجاء الإسلام ليزيل آثار هذه العصبية السيئة، ويؤلف بين القلوب ويمنع التقاطع، والتدابير، قال الله تعالى: ﴿وَأَعَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

لقد ألغى الإسلام وأزال تلك النظرة التي تجعل من اللون أو الجنس أو غيرها من الأمور معيارا للمحبة والتعاون والتعامل الحسن والعدل^(١)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).

أما الأحاديث النبوية الناهية عن كل انواع العصبية الجاهلية، كالتعصب للقوم أو للقبيلة أو للبلد أو التفاخر بالأنساب والأجداد، والأمره بالاجتماع، والمحذرة من التفرقة فهي كثيرة لا يمكن لبحث على هذه العجالة ان يحيط بها كلها، فلنأخذ منها بعضاً يثبت القاعدة القطعية التي لا شك فيها ان الإسلام جاء بالاعتدال والوسطية رافضاً لكل مظاهر التعصب والتطرف.

فعن جندب البجلي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (من قتل تحت راية عمية، يدعو عصبية، أو ينصر عصبية، فقتله جاهلية)^(٣).

وحينما حدث شجار بين أنصاري ومهاجر، وتنادى بعضهم: يا للأنصار!!، وتنادى آخرون: يا للمهاجرين!!، ذم النبي ﷺ ذلك الفعل، وجعله من دعوى الجاهلية؛ قائلاً ومحذراً من العصبية: (دعوها فإنها منتنة)^(٤)؛ لأن مقتضاه أن ينصر كل واحد منهما أخاه، ولو كان مبطلاً،

(١) يستفاد من مقال: العصبية القبلية ... الأسباب والعلاج، الرابط <http://almoslim.net>

(٢) سورة الحجرات، الآيتان ١٠-١١.

(٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ «صحيح مسلم»، لأبي الحسن، مسلم ابن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت: كتاب الإمامة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر: ١٤٧٨/٣، برقم (١٨٥٠).

(٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه «صحيح البخاري»، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ: كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]: ١٥٤/٦، برقم (٤٩٠٥)، وصحيح مسلم-كتاب البر والصلة- باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً: ١٩٩٨/٤، برقم (٢٥٨٤).



وإنما شأن المؤمن أن يقف مع الحق وينصر المظلوم برفع الظلم عنه، وينصر الظالم بمنعه عن الظلم لا يفرق بين من كان من قومه أو من غير قومه فالكل يشملهم وصف الإيمان والإسلام^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقى وفاجر شقى، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب)^(٢).

وعن أبي نضرة رضي الله عنه أنه سمع من حديثه بخطبة النبي ﷺ في وسط أيام التشريق، قال: (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ... الحديث)^(٣).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونها: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)^(٤). وجاء في حديث المعمر بن سويد رضي الله عنه أنه قال: (مررنا بأبي ذر بالريذة^(٥))، وعليه بُردٌ وعلى غلامه مثله، فقلنا يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة، فقال: إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية فغيرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ فلقيت النبي ﷺ فقال: (يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية)، قلت: يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه، قال: "يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم

(١) يستفاد من مقال (من دعا إلى عصبية ومات على عصبية)، لفضيلة الشيخ د. فهد بن سليمان الفهيد

الرابط: <https://islamqa.info/ar/169674>

(٢) الجامع الصحيح سنن الترمذي، لأبي عيسى، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م: كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن: ٢٢٨/٦، برقم (٣٩٥٥)، قال الترمذي: حديث حسن.

(٣) مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: مسند عبد الله بن مالك ابن بحينة رضي الله عنه: ٤٧٤/٣٨، برقم (٢٣٤٨٩).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة: ٦٤٤/٢، برقم (٩٣٤).

(٥) الريذة: قرية من قرى المدينة المنورة على بعد ثلاثة أيام، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، وهي التي جعلها عمر رضي الله عنه حمى لإبل الصدقة. ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ: ٢٤/٣.



مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم^(١)، فمع صدق إيمان الصحابي أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وما كان له من سبق في الإسلام، عاتبه النبي صلى الله عليه وسلم ولامه عندما فعل فعل الجاهلية وعيّر الرجل.

ويرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم الى ما ينبغي أن يكون عليه حال المسلمين قائلاً: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(٢).

ويحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من العصبية القلبية؛ لأنها تسبب العداوة بقوله: (دعوها فإننا منتنة)، ولا بأس ان يتعصب الانسان للحق وينتصر له.

ولنا ان نعتبر بالهدي النبوي كيف كان يربي أصحابه على إذابة تلك المعايير المذمومة بالفعل والقول، ففي يوم فتح مكة، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً رضي الله عنه هذا العبد الحبشي أن يصعد فوق الكعبة ليرفع الأذان، فيدخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة، ويقفل الباب خلفه ليصلي فيها ولم يدخل معه سوى أسامة بن زيد، وبلال الحبشي، وعثمان بن طلحة صاحب مفتاح الكعبة مع أنه كان في الحضور من هم أفضل من هؤلاء الأربعة كأبي بكر، وعمر، وعثمان وعلي رضي الله عنهم وبقيّة العشرة المبشرين.

وها هنا مشهد عظيم يهدم بفعله صلى الله عليه وسلم أصول الشرك ومعايير الجاهلية المذمومة، فبينما كان الناس مستعدون للنفير من عرفة في حجة الوداع وبعدما خطب بهم صلى الله عليه وسلم وقال كلمته المشهورة: (ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع)^(٣)، كانت أبصارهم ترمق الدابة التي يركبها النبي صلى الله عليه وسلم ويتساعلون: من الذي سينال شرف الارتداد مع النبي صلى الله عليه وسلم؟ فإذا بمولاه وابن مولاه أسامة بن زيد راكب خلف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الغلام الأسود ولم يكن من أحدا من اشراف قريش وساداتها.

فمن عظمة الإسلام أنه لم يربط مكانة الإنسان ومنزلته عند الله بشيء ليس بمقدوره فليس له ان يختار النسب الشريف، أو الغنى أو الوسامة وغير ذلك من الأمور التي ليست في مقدور احد من البشر بل ربطه بمعيار هو في مقدوره^(٤).

(١) صحيح البخاري: كتاب الأيمان، المعاصي من أمر الجاهلية: ١٥/١، برقم (٣٠)، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، والباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه: ١٢٨٢/٣، برقم (١٦٦١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم: ٢٠٠٠/٤، برقم (٢٥٨٦)، رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم: ٨٨٩/٢، برقم (١٢١٨).

(٤) يستفاد من مقال تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾، الرابط:



وهذا زين العابدين علي بن الحسين ؑ كان إذا دخل المسجد في المدينة، جلس عند زيد بن أسلم، وتخطى حلق قومه من قرش، وحينما لامه بعضهم، كيف تجلس، وأنت الرجل القرشي وحفيد النبي ﷺ عند رجل من الموالي؟ اجابهم بقوله: (إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه)^(١).

لكن الشريعة الإسلامية لم تلغ حق الفرد في انتسابه لقبته والحفاظ على نسبه بل جعلت معرفة الأنساب وحفظها عن الاشتباه والاختلاط، مقصد من مقاصدها واعتنت به عناية فائقة وتتجلى هذه العناية بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢).

المطلب الثاني: النهي عن التعصب الديني:

الأصل ان دين الإسلام دين حنيف سمح نظر إلى جوهر الديانات السماوية من نافذة قيم التعايش والتسامح، نافيا الإكراه في اعتناق الإسلام قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

ومن سماحة هذا الدين واعتداله أنه قام على أسس ترفع الحرج والتعصب والغلو في الدين عن المسلمين ومن ابرزها قابلية اوامره للتنفيذ، وعدم التكليف بالمستحيل، بل وعدم التكليف، أو بما فيه مشقة كبيرة^(٤)، فجاءت آيات كثيرة وأحاديث أكثر تدلل عليه فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)،

السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م: ١٣٨/٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٤) ينظر: شرح الكوكب المنير، لأبي البقاء، تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق:

حمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م: ١/٤٨٥.

(٥) سورة الحج، الآية ٧٨.



بِكُمْ أَيْسَرٌ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ أَلْسَرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^(١). ومن الأحاديث النبوية الكريمة:

ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والغلو؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)^(٢).

وما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى)^(٣).

وما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (هلك المتنتعون)^(٤).

وما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق)^(٥).

وما ثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها عندما ذكرت له ان الحولاء بنت تويبت لا تنام الليل، فرد عليها رسول الله ﷺ منكراً وكارهاً لفعلها، وتشديدها على نفسها: (لا تنام الليل خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا)^(٦).

وما ثبت عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)^(٧).

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٢) مسند أحمد: مسند عبد الله بن العباس (رضي الله عنهما): ٢٩٨/٥، برقم (٣٢٤٨).

(٣) السنن الكبرى، لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ٢٧/٣، برقم (٤٩٣١)، ومسند الشهاب، لأبي عبد الله، محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ٤٠٧هـ-١٩٨٦م: ١٨٤/٢، برقم (١١٤٧).

(٤) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنتعون: ٢٠٥٥/٤، برقم (٢٦٧٠). المتنتعون: هم المتعمقون المغالون في الكلام الذين يتكلمون بأقصى حلوهم تكبرا: تهذيب اللغة: ١٠٥/٢، لسان العرب: ٣٥٧/٨، (مادة نطع).

(٥) مسند أحمد: ٣٤٦/٢٠، برقم (١٣٠٥٢).

(٦) صحيح البخاري: كتاب اللباس، باب باب الجلوس على الحصير ونحوه: ١٥٥/٧، برقم (٥٨٦١)، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره: ٤٠/١، برقم (٧٨٢).

(٧) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب الدين يسر: ١٦/١، برقم (٣٩).



وما رواه مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه حينما دخل رسول الله ﷺ المسجد ورأى حبل ممدود بين سيارتين، سأل متعجباً: ما هذا؟ قالوا لزينب تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به، فقال: (حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر فليقعد)^(١).

بل نجد هذا الدين يضيف تخفيفاً آخر ان لا نأخذ بأشق الممكن، وإنما اعطى للمكلف حرية اختيار الأخف منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمِن تَمَنَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

وهو ما أثبتته الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ برواية ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً)^(٣). وفي الصحيح عندما خاطب رسول الله ﷺ كعب بن عجرة رضي الله عنه، قائلاً: "لعلك آذاك هوامك، قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك بشاة)^(٤).

المطلب الثالث: البحث على اخذ العلم من أهله الثقات.

حرر الاسلام العقل من أسر التقليد والإتباع المطلق سواء كان اتباعاً للأباء، أو للسادة أو حتى للأساتذة والشيوخ، فضلاً عن اتباع العامة، وهو ما حذر منه النبي ﷺ بقوله: (لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا)^(٥).

وجاء الإسلام شاملاً لضروب النشاط الإنساني كافة، فحث على طلب العلم والتفكير والتعقل والتدبر والتذكر والنظر، في الكون بأرضه وسماؤه ومخلوقاته.

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعل في صلاته، أو استعجم عليه القرآن، أو الذكر بأن يرقد، أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك: ٥٤١/١، برقم (٧٨٤).

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمان الله: ١٦٠/٨، برقم (٦٧٨٦)، صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب مباحثته ﷺ للآثام: ١٨١٣/٤، برقم (٢٣٢٧).

(٤) صحيح البخاري: كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب قول الله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]: ١٠/٣، برقم (١٨١٤)، وصحيح مسلم: كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إن كان به أذى: ٨٦٠/٢، برقم (١٢٠١).

(٥) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو: ٤٣٢/٣، برقم (٢٠٠٧)، قال ابو عيسى: هذا حديث حسن غريب.



وأمر الإنسان بتعمير هذا الكون المسخر له، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

لكنه جعل لبعض العلوم خصوصية ليست لعامة الناس وإنما لنوع منهم هياًه الله لذلك وزوده بأسباب معرفته دون غيره ليكونوا علماء ومراجع بشرية لها، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وجعل لهم مكانة لا تساويهم بغيرهم قال تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتَءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

وكان من هديه ﷺ التماس العلم من أمناه وأصحابه؛ الراسخين بالعلم الذين يخشون ربهم لنلاً يختلط الحق بالباطل، والصواب بالخطأ.

وورد الكثير من الأحاديث في التحذير عمن يتقصصون مسوح العلم وينطقون به، ومن أئمة الضلال الذين يحكمون بالجور والجهل منها:

قوله ﷺ: (سيأتي على الناس سنوات خداعات يُصَدَّقُ فيها الكاذب، ويُكذَّبُ فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها المؤمن، وينطق الرُّويضة، قيل: وما الرُّويضة؟ قال: الرجل التافه، يتكلم في أمر العامة)^(٤).

وحديث أبي الدرداء ؓ عن النبي ﷺ قال: (إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلون)^(٥).

(١) سورة النحل، الآية ١٢.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٣.

(٣) سورة الزمر، الآية ٩.

(٤) مسند أحمد: مسند أنس بن مالك ؓ: ٤٥/٤٧٨، برقم (٢٧٤٨٥)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، هذا إسناد ضعيف لإيهام الراوي عن أبي الدرداء، وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، وللحديث شواهد في مسند أبي الدرداء.

(٥) مسند أحمد: من حديث أبي الدرداء ؓ: ١٣/٢٩١، برقم (٧٩١٢)، قال الأرنؤوط: حديث حسن، وسنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت): كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء: ٢/١٣٣٩، برقم (٤٠٣٦)، والمستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م: ٤/٥١٢، برقم (٨٤٣٩)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.



وما ثبت من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)^(١).

هذا وقد تواترت كتابات أئمة العلم في التحذير من الإفتاء بالجهل والتكلم بلا علم، ومن ذلك قول الإمام الشافعي: (فالواجب على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا، وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الامساك أولى به أقرب من السلامة له إن شاء الله)^(٢).

وقال ابن حزم: (لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدرّون أنهم يصلحون)^(٣).

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمثائهم وعلمائهم فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا)^(٤).

وهذا إنما على الأغلب، وإنما العلم ليس بالسن، لقد كان مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه يغتص بالقراء شباباً وكهولاً وربما استشارهم قائلًا: (لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه؛ فإن العلم ليس على حداثة السن وقدمه، ولكن الله يضعه حيث يشاء)^(٥).

فالواجب الشرعي كما يقول ابن الجوزي: (أخذ العلم من أهله وإن صغرت أسنانهم أو قلت أقدارهم وكان حكيم بن حزام يقرأ على معاذ بن جبل فقيل له: تقرأ على هذا الغلام الخرزجي؟ قال: إنما أهلكتنا التكبر)^(٦).

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم: ٣١/١، برقم (١٠٠)، وصحيح مسلم: كتاب

العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان: ٢٠٥٨/٤، برقم (٢٦٧٣).

(٢) الرسالة، لأبي عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: رفعت فوزي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص: ١٧.

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص: ٢٣.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ١/٦١٦، برقم (١٠٥٧).

(٥) جامع بيان العلم وفضله: ٦١٩/١، برقم (١٠٧٠). رواه الزهري موقوفاً.

(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، د.ت: ٦٣/١.



وثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كنت أفرئ رجلاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف)^(١).

وقال وكيع: (لا يكون الرجل عالماً حتى يسمع ممن هو أسن منه ومن هو مثله ومن هو دونه في السن)^(٢). فيتحنن على من يبتغي طريق الهداية والحق أن يتوثق عمن يأخذ عنهم العلم لئلا يضل السبيل ويضيع طريق الحق، فمن يتكلم في الدين بلا علم كان كاذباً وإن لم يتعمد الكذب لما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم حينما قالت له سبيعة الأسلمية وقد توفي عنها زوجها وهي حامل وحينما وضعت بعد موته بليل قلائل، فقال لها أبو السنابلين بعكك حين رآها قد تصنعت للأزواج: (ما أنت بناكحة حتى يمضي عليك آخر الأجلين"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كذب أبو السنابل، بل حلت فانكحي)^(٣).

وان يكون العالم قد تلقى العلم من أفواه العلماء وشفاههم، ليكون متقناً للأحكام، قال الإمام الشافعي: (من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام)^(٤). وقال الأوزاعي: (كان هذا العلم شيئاً شريفاً؛ إذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذكرونه، فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله)^(٥). فأهل العلم هم أولى الناس بفهم آيات الله وفقه أحكامها واستنباط دلائلها؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَظِرُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٦).

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خذوا العلم قبل أن يذهب، قالوا: وكيف يذهب العلم يا نبي الله، وفيما كتاب الله؟ قال: فغضب، ثم قال: ثكلتكم أمهاتكم أولم تكن التوراة

(١) صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت: ١٦٨/٨، برقم (٦٨٣٠).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لأبي عبد الله، محمد بن مفلح بن محمد، شمس الدين المقدسي (ت ٧٦٣هـ)، عالم الكتب، د.ت: ١١٠/٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي: ٨٠/٥، برقم (٣٩٩١)، وصحيح مسلم: كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفي عنها زوجها وغيرها: ١١٢٢/٢، برقم (١٤٨٤).

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لأبي عبد الله، بدر الدين محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني (ت ٧٣٣هـ)، د.ت: ص ٤٠.

(٥) جامع بيان العلم وفضله: ٢٩٠/١، برقم (٣٧١).

(٦) سورة النساء، الآية ٨٣.



والإنجيل في بني إسرائيل، فلم يغنيا عنهم شيئاً؟ إن ذهاب العلم أن يذهب حملته، إن ذهاب العلم أن يذهب حملته^(١).

وفي هذا المقام يقول الشوكاني: (فالعالم إذا صنع ظفر بالحق من أبوابه ودخل إلى الإنصاف بأقوى أسبابه وأما أخذ العلم عن غير أهله ورجح ما يجده من الكلام لأهل العلم في فنون ليسوا من أهلها وأعرض من كلام أهلها فإنه يخط ويخلط ويأتي من الأقوال والترجيحات بما هو في أبعد درجات الإتيان وهو حقيق بذلك)^(٢).

المطلب الرابع: الاعتراف بالأديان والتعايش السلمي معها

وضع القرآن القواعد الأساسية للتعامل مع غير المسلمين، أمرا المسلمين بالبر والقسط تجاههم ما لم يلقوا في وجههم ويضطهدوا أهلهم، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَلَمُوا عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ^(٤).

منح الإسلام اليهود والنصارى حرية الاعتقاد ولم يجبرهم على الدخول في دين الإسلام واعطائهم حرية في ممارسة جميع طقوس دينهم وشعائهم من دون المساس بالإسلام والمسلمين، فكل ذي دين دينه ومذهبه، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٦)، وهذا هو روح تسامح الإسلام نحو أتباع الديانات الأخرى.

وتتجلى سماحة الإسلام في معاملة النبي ﷺ لهم والتي اتصفت بالإنصاف والإحسان إليهم، فسمح لهم بحرية اختيار الدين، ولم يجبرهم على اعتناق الإسلام وكان لا يتوانى عن أي فرصة لدعوتهم إلى دين الإسلام.

قيل: إنه أتى رجل من الأنصار، وله أبناء تتصروا قبل بعثة رسول عليه الصلاة والسلام، فدعاهم أباهم للإسلام، ولكنهم رفضوا واختصموا إلى الرسول ﷺ، فقال الرجل: (يا

(١) مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم الدارني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، باب في ذهاب العلم: ٣٠٨/١، برقم (٢٤٦)، قال حسين سليم: إسناده ضعيف لضعف حجاج بن أرطاة، ولكنه حديث حسن بشواهد.

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأدب، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٧٦.

(٣) سورة الممتحنة، الآيتان ٨-٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٥) سورة الكافرون، الآية ٦.



رسول الله، أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟)، فأُنزل الله سبحانه وتعالى تلك الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

وكان ﷺ لطيفاً، رحيماً أثناء دعوته لهم فضمن لهم حقوقهم ومنع ظلم أي مسلم عليهم، فكانت دماء أهل الذمة وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم معصومة، وهذا وعده ﷺ إلى نصارى نجران حيث جاء فيها: (ان لهم ما تحت أيدهم من قليل وكثير من بيعهم صلواتهم ورهبانهم وجوار الله ورسوله، لا يغير أسقف عن اسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته ولا كاهن عن كهانته ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا شيء ما كانوا عليه، ما نصحوا وأصلحوا فما عليهم غير متقلين بظلم ولا ظالمين)^(٢).

والجزية تؤخذ من أهل الذمة أي الذين دخلوا في عهد وزمة المسلمين وهو ما يصطلح عليه اليوم (حق المواطنة)، وتبعه في ذلك الصحابة رضي الله عنهم فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل القدس، وكتب خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل دمشق على أن يعطوا الجزية مقابل الحماية، وكان ﷺ يحسن إلى أهل الذمة، ويدفع عنهم الظلم، وأعطاهم من الحقوق ما ساءواهم به مع المسلمين، وفي كل شيء، بل قد يحق لهم ما لا يحق للمسلمين. فعن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مَنْ ظَلَمَ مَعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ حَقًّا، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغِيرَ طَيِّبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَأَنَا حَبِيبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٣).

وقد سرق رجل مسلم أنصاري درعاً من جارٍ له مسلم، وخبأها عند رجل من اليهود، ثم اتهم صاحب الدرع اليهودي بسرقتها، وكاد الرسول ﷺ أن يصدّقهم بسبب الحجاج، ويعاقب اليهودي، فأُنزل الله تعالى قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِنَتَحَكَّمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا آرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْحَافِيَيْنِ حَصِيماً﴾^(١٥) وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبُّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُوًّا رَحِيماً^(١٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ^(١٧) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيماً^(١٧) يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا

(١) ينظر: لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم، بيروت، ص ٤٨.

(٢) الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: ٢٦٦/١.

(٣) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط ١، ٢٠٠٩م: كتاب الفرائض، باب تَعْيِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ: ٦٥٨/٤، برقم (٣٠٥٢)، قال المحقق الأرنؤوط: إسناده حسن.



لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ^١ وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا^{١٠٨} هَآتَمْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا^{١٠٩} وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا^{١١٠} وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ^١ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا^{١١١} وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا^١(٢). ثم قام الرسول ﷺ أمام الملاء، وأعلن براءة اليهودي، وأن السارق مسلم^(٣).

وكان الخلفاء يتخوفون كثيرا ان يظلموا احدا من أهل الذمة فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل جباة الجزية قائلاً: (إني لأظنكم قد أهلكتم الناس؟ قالوا: والله ما أخذنا إلا عفوا صفوا، قال: بلا سوط ولا نوط، قالوا: نعم، قال الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني)^(٤). هذا وكتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى عماله على الخراج: (ولا تضرين أحدا منهم سوطا واحدا في درهم ولا تقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم غرضا في شيء من الخراج، فإنما أمرنا الله ان نأخذ منهم العفو فان أنت خالفت ما أمرك به يأخذك الله به دوني، وان بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك)^(٥).

وكان ﷺ يعود مرضاهم، ويرجو الله هدايتهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (إن غلاما من اليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأثاه النبي ﷺ يعوده وهو بالموت فدعاه إلى الإسلام فنظر الغلام إلى أبيه وهو عند رأسه، فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم ثم مات فخرج رسول الله ﷺ من عنده وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه بي من النار)^(٦).

ومن صور إحسانه وإكرامه ﷺ لغير المسلمين أنه مرّ بأسير فناداه: (يا محمد يا محمد، فجاءه ﷺ وقال: ما شأنك؟ فأجابته الأسير بأنه جائع يريد الطعام، وبأنه عطشان يريد الماء، فأمر

(١) سورة النساء، الآيات ١٠٥-١١٢.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول: ص ٨٢.

(٣) تاريخ المدينة لابن شبة، لأبي زيد، عمر بن شبة بن عبيدة البصري (ت ٢٦٢هـ)، تحقيق: فهد محمد شلتوت، جدة، ١٣٩٩هـ: ٤١٥/٢.

(٤) المغني لابن قدامة، عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، د.ت: ٩٠/٩، وأحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: يوسف بن أحمد، وشاكر بن توفيق، رمادي للنشر، الدمام، د.ت: ١٣٩/١.

(٥) الخراج، لأبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت ١٨٢هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت: ص ٩.

(٦) مسند احمد: ٧٨/٢١، برقم (١٣٣٧٥).



ﷺ الصحابة بسقايته وإطعامه^(١). وذات يوم مرت برسول الله ﷺ جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: (أليست نفسا)^(٢).

وكان ﷺ يعفو عن ما اساء إليه، فعندما حاولت المرأة اليهودية قتله بالشاة المسمومة لم يأمر بقتلها، ولم ينتقم لنفسه، ولكنه قتلها بعد أن قتلت هي صحابي آخر^(٣). ولكنه ﷺ كان بالمقابل يعاقب كل من ظلم وانتكح حق مسلم، فعندما نقض يهود بني قينقاع العهد بالاعتداء على امرأة مسلمة، وقتلهم غدرا رجل مسلم غيور هب للدفاع عن عرض أخته، فأمر ﷺ بإجلاتهم من المدينة إلى أذرعات^(٤)، وعندما حاول يهود بني النضير قتل الرسول ﷺ ولأكثر من مرة، قام بإجلاتهم من المدينة^(٥).

(١) القصة عن رجل من بني عقيل أسره أصحاب النبي ﷺ يرويه عمران بن حصين رضي الله عنه في صحيح مسلم: كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله: ١٢٦٢/٣، برقم (١٦٤١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي: ٨٥/٢، برقم (١٣١٢)، وصحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة: ٦٦١/٢، برقم (٩٦١).

(٣) أصل القصة يرويه أبو هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري: كتاب الجزية، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين، هل يعفى عنهم: ٩٩/٤، برقم (٣١٦٩)، وفي كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ: ١٣٩/٧، برقم (٥٧٧٧).

(٤) أذرعات: من قرى الشام، واختلف في تحديد موقعها، فقيل من البلقاء، وقيل من حوران، داخل حدود الجمهورية السورية قرب مدينة درعة: ينظر: معجم ما استعجم: ١/١٣١، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث البلادي الحربي (ت ٢٠١٠هـ)، دار مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م: ٢٢/١.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شبري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م: ٥/٤.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونشكره على توفيقه وإعانتته على إتمام هذا البحث ونسأله تعالى التوفيق والسداد، وبعد...

هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها نلخصها بما يأتي:

١. يدل التعصب في الوقت الراهن على الاعتقاد بصحة ما يراه الشخص ورفض ما يراه الغير بشدة وعنف ولا يقبل للمخالف رأياً، لذلك عده العلماء خلقاً ذمياً يخرج صاحبه من دائرة العقل والاعتزان والفكر السليم إلى مزالق الغرائز المنفلتة.
٢. للتعصب أنواع وأشكال وقفنا عند أهمها في طيات البحث وصفحاته، منها التعصب القبلي، والديني، والعنصري، والقومي، والمذهبي، والفكري، والاجتماعي، والطبقي، والمهني، وكل هذه الصور منهي عنها في جميع الشرائع السماوية والوضعية.
٣. تبين لنا من خلال البحث ان العوامل والأسباب التي تؤدي للتعصب والتطرف متداخلة وقد ذكرنا اهمها، ومنها: تفكك المجتمع وغياب الشعور الصادق بمعنى الأخوة بين افراده، تقديس بعض البشر والمغالاة في الميل نحوهم والإلتباع لهم إلى حد إضفاء صفة العصمة لهم، الجهل بحقيقة الآخرين وعدم الإنصات إليهم وقبولهم أو التهاون والتعايش معهم، اعتماد الشباب بعضهم على بعض دون الرجوع إلى العلماء الأمناء، مع الابتعاد عن تطبيق القواعد المتوافقة مع النصوص الشرعية والفهم الخاطيء لها والتشدد في السلوك الذي ولد فكر ديني منحرف ومتشدد.
٤. يعد التعصب مرض عضال فتاك قد يؤدي بعري الألفة والمحبة ويغري البغضاء والعداوة بين الاحباب ويزرع الضغائن والفرقة بينهم ويثير الحروب بين القبائل والشعوب.
٥. أن من صور العصبية المذمومة التعصب الديني والمذهبية وهو التعصب لرأي شيخ أو عالم أو فئة لمجرد قربه منهم، أو معرفته لهم، ولو كان مخالفا ما ثبت من الدليل في الكتاب والسنة.
٦. يعتبر التعصب لجماعة أو حزب من صور العصبية الحديثة، حيث يدين منتهمه بالولاء المطلق لجماعته دون غيرهم من اخوانه من المسلمين، وهو يناق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].



٧. إن الاعتزاز بالآباء والأحساب، والتفاخر والتعاضم بالانتماء القبلي والتعصب له يؤدي إلى الشقاق والخلاف بين أفراد المجتمع الواحد، وقطع أواصر الصلة والمحبة بينهم وقد يدفع الإنسان إلى الهلاك، وقد حذرنا منه الإسلام منذ نشأته مقراً، بأن أساس التفاضل هو التقوى والعمل الصالح؛ كما في قوله ﷺ: ﴿لَنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى﴾ [الحجرات: ١٣].

٨. يعد التقليد والإتباع المطلق سواء كان اتباعاً للآباء، أو للسادة والشيوخ فضلاً عن العامة سلوكاً مذموماً في الشريعة الإسلامية، لأنه يدل على الجمود وتعطيل للعقل عن القيام بدوره، وقد حث الإسلام على طلب العلم والتفكير والتعقل والتدبر في الكون ومخلوقاته، مع جعله لبعض العلوم خصوصية ليست لعامة الناس وإنما للراشخين بالعلم وأمناءه الذين يخشون ربهم لئلاً يختلط الحق بالباطل، والصواب بالخطأ.

وختاماً نسأل الله جل في علاه أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .



قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

١. أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: يوسف بن أحمد، وشاكر بن توفيق، رمادي للنشر، الدمام، د.ط، د.ت.
٢. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣. الآداب الشرعية والمنح المرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، شمس الدين المقدسي (ت ٧٦٣هـ)، عالم الكتب، د.ط، د.ت.
٤. أدب الطلب ومنتهى الأدب، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٥. الإعلام الطائفي، لنجلاء إسماعيل أحمد، د.ط، ٢٠١٧م.
٦. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٧. تاريخ المدينة لابن شبة، لأبي زيد عمر بن شبة بن عبيدة البصري (ت ٢٦٢هـ)، تحقيق: فهد محمد شلتوت، جدة، د.ط، ١٣٩٩هـ.
٨. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لأبي عبد الله، بدر الدين محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكفائي (ت ٧٣٣هـ)، د.ط، د.ت.
٩. الجامع الصحيح «سنن الترمذي»، لأبي عيسى، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، ١٩٩٨م.
١٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه «صحيح البخاري»، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١١. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.



١٢. الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي»، لأبي عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
١٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، السعادة، مصر، د.ط، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
١٤. الخراج، لأبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت ١٨٢هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، د.ت.
١٥. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجلند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
١٦. الرسالة، لأبي عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: رفعت فوزي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٧. الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد، لأبي عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح (ت ١٨١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
١٨. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.
١٩. سنن أبي داود، لأبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٢٠. السنن الكبرى، لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢١. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن حزم، ط ١، د.ت.
٢٢. شرح الكوكب المنير، لأبي البقاء، تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق: حمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.



٢٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٤. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٥. العصبية القبلية في صدر الإسلام، لخريسات، محمد عبد القادر، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

٢٦. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.

٢٧. قواعد الفقه، لمحمد عميم الإحسان البركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي، ط ١، ١٩٨٦م.

٢٨. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، د.ت.

٢٩. لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم، بيروت.

٣١. لسان العرب، لأبي الفضل، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.

٣٢. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.

٣٣. مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣٤. مسند الدارمي «سنن الدارمي»، لأبي محمد، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ.



٣٥. مسند الشهاب، لأبي عبد الله، محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٣٦. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ «صحيح مسلم»، لأبي الحسن، مسلم ابن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٣٧. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، د.ت.
٣٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٩. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٠. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث البلادي الحربي (ت ٢٠١٠هـ)، دار مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٤١. المغني لابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، د.ت.

المقالات:

١. أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، للدكتور صالح بن غانم السدلان، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرابط <https://islamhouse.com/ar/books/116858>
٢. التعصب "مظاهره- أسبابه - نتائجه - البعد الشرعي"، للدكتور عادل الدمخي، الرابط: <https://www.assakina.com/center/4762.html>
٣. التعصب الديني في المجتمعات العربية، بقلم اسماعيل الهدار، الرابط: <https://www.irfaasawtak.com>
٤. التعصب المذموم وأثره على العمل الإسلامي المعاصر، لد. ماهر أحمد، ومحمد كمال السوسي، أعمال المؤتمر الدولي: آفاق العمل الإسلامي المعاصر وضوابطه-الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين. الرابط: <https://search.mandumah.com/Record/772023>



٥. التعصب والتحدي الجديد للتربية في الوطن العربي، لسعد الدين إبراهيم، مجلة الطفولة العربية - الكويت ١٩٨٨-١٩٨٩، المجلد/العدد: ع ١٨، ص: ١٩٥-٢٠٩، الرابط: <https://search.mandumah.com/Record/377557>
٦. التعصب والكرهية وآليات تأثيرهما المرضي ومكافحتهما للدكتور تيسير الألوسي، الرابط: <http://www.almothaqaf.com>
٧. تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، الرابط: <https://ar.islamway.net>
٨. العصبية القبلية ... الأسباب والعلاج، <http://almoslim.net>
٩. من دعا إلى عصبية ومات على صبية، الرابط: <https://islamqa.info/ar/169674>





خط الاعتدال في الخطاب الإسلامي

وأثره في استقرار المجتمع وتنميته

أ.م.د. هيثم عبد الرحمن عبد القادر علي

الجامعة الإسلامية

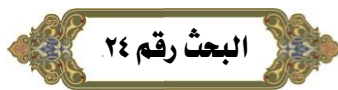
كلية الدراسات الإسلامية بولاية منيسوتا

رئيس قسم أصول الدين

hytham.elmasry2020@gmail.com

ISSN: 2071-6028





خطاب الاعتدال والتسامح الإسلامي وأثره في استقرار المجتمع وتنميته
أ.م.د. هيثم عبد الرحمن عبد القادر علي
الجامعة الإسلامية
كلية الدراسات الإسلامية بولاية منيسوتا

ملخص باللغة العربية

الخطاب الديني وتحديات الوسطية: حيث تتبلور الفكرة العامة لهذا البحث في الكشف عن قيمة الخطاب الديني (القرآن والسنة) وقدرته على إحداث الهياج الفكري اللازم بين أفراد المجتمع للاتجاه نحو السلام وتحقيق العمران، ومواجهة المعضلات الفكرية المتطرفة التي ترسخت في عقول وأذهان العديد من الأفراد حتى محيت من قواميسهم معنى الوسطية والاعتدال، وغاب عنهم مفهوم الرأفة والسماحة واليسر، الذي جاء به القرآن العظيم، ودعا إلى الرسول الكريم. **وتتمكن إشكالية التشدد والتطرف الفكري:** في تسارع وتيرة الأفكار المتطرفة، والمذاهب الهدامة، وما تملكه تلك الجماعات المنحرفة من آليات وتقنيات حديثة جعلتها تستقطب العديد من شباب العالم الإسلامي، في إطار تزييف الخطاب الديني وتأويله بما يتناسب مع توجهاتها، لذلك فإن الوقوف على معاني الوسطية والاعتدال في الإسلام، في إطار تزييف الخطاب الديني وتأويله بما يتناسب مع توجهاتها، لذلك أمن المجتمع واستقراره. **وتمثل عملية نقض التطرف ونقده** الدور الفعال لهذا البحث في تجلية الصورة الصحيحة لمفاهيم الوسطية والاعتدال في الإسلام، وبيان أثرها في تحقيق أمن المجتمع واستقراره وسلامته، لذلك قمت بالاعتماد على المنهج الاستقرائي للوقوف على الإطار العام لمفهوم الوسطية والاعتدال من خلال ما ورد في القرآن والسنة، ثم اعتمدت على المنهج التحليلي، لبيان دلالات النصوص القرآنية والنبوية في ترسيخ مفاهيم العدل والحرية والأمن والاستقرار وبناء المجتمع. **ومع تحقيق التوازن الديني في الخطاب الإسلامي،** يستطيع البشر أن يفهموا وظيفة الدين وعلاقته القوية والترابطية بالقيم الإنسانية والمجتمعية، فبالقدر الذي تبدو فيه أهمية الخطاب الديني لنشر الوعي الفكري والديني، ونشر الأحكام الإلهية، يعد وسيلة مهمة لنشر المفاهيم الصحيحة وتصويب الأفكار المغلوطة، ورد الحجج التكفيرية الخاطئة، والمساهمة بشكل فعال في ترسيخ معاني الاستقرار والنماء في المجتمع، رغم تنوع أعراقه، وتباين ثقافته، واختلاف دياناته.

الكلمات المفتاحية: خطاب ، تسامح ، تنمية

Discourse of Islamic Moderation and Tolerance and its Impact on Stability and Development of Society

Assist. prof. Dr. Haitham Abdul Rahman Abdul Qader Ali

Abstract: The general idea of this research is to reveal the value of the religious discourse (Quran and Sunnah) and its ability to create the necessary intellectual agitation among the members of society in the direction of peace and achieving urbanization and to confront the extremist intellectual dilemmas that have become entrenched in the minds of many individuals who missed the concept of compassion, permissibility and ease, which the Holy Quran introduced and the Prophet called for. The problem lies in the rapid pace of extremist ideas, destructive doctrines, and the possession of these deviant groups of modern mechanisms and techniques that have attracted many young people in the Islamic world in the context of falsifying the religious discourse and interpreting it in accordance with its orientations. Therefore, shedding light on the meanings of the middle path and moderation in Islam and its dissemination is urgent for the maintenance of young people from deviation and maintain the security and stability of society. The aim of this research is to make clear the correct picture of the concepts of the middle path and moderation in Islam, and to explain the impact of these concepts on achieving the security, stability and safety of the society. Therefore I relied on the inductive method to find out the general framework of the concept of middle path and moderation through what is mentioned in the Quran and Sunnah. I used the analytical approach to show the implications of Qur'anic and prophetic texts in the consolidation of the concepts of justice, freedom, security, stability and the building of society. Finally, in this research I have concluded that under the religious balance of Islamic discourse, one can understand the function of religion and its relation to human and societal values. The more important the religious discourse is to spread intellectual and religious awareness and the dissemination of divine judgments, the correct concepts and correction of false ideas, the response of false takfiri arguments, and to contribute effectively to the consolidation of the meanings of stability and development in society, despite the diversity of its ethnicities, the different cultures and different religions, which is what we need in today's world to contribute strongly to the advancement of our societies. The love of our people and the ambition of our children.

Keywords: speech, tolerance, development



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على نعمه التي لا تُحصى، وعلى عطائه الذي لا يُستقصى، وصلى الله وسلم على نبيه المصطفى، ورسوله المجتبي، الذي أوتي من الكلم جوامعه، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان. وبعد:

فإن الخطاب الديني ليس مجرد كلمات رنانة، ولا شعارات براقة، ولا مواعظ فارغة المحتوى والمضمون، إنما هو رسالة فكرية تعمل على الارتقاء بالإنسان في جوانبه الدينية والروحية والعقلية والنفسية والتربوية والاجتماعية والسلوكية... إلخ، وهنا يمكننا القول بأن الخطاب الديني في جميع صورته وأشكاله له رسالة سامية يهدف من خلالها إلى التأثير الإيجابي في المخاطبين، ولكي يكون الخطاب الديني ذا أثر فعال في الناس، فإن لا ينبغي أن يكون خطاباً تقليدياً، بل يجب أن يكون خطاباً متجدداً يواكب الأحداث المتجددة والأوضاع المتغيرة^(١)، في إطار يتناسب مع الزمان والمكان ومختلف الجماعات البشرية بغية الحصول على التغيير الاجتماعي المطلوب الذي تسعى إليه كل أمة وتود تحقيقه؛ لتضمن سلامة المجتمع وتنميته واستقراره.

وبما أن الإشكالية الحقيقة في واقع العالم الإسلامي ليست في الخطاب الديني بقدر ما هي في إشكاليات المفاهيم المغلوطة، والأفكار المقلوبة، والتصورات المعكوسة، لذلك اخترت دراستي هذه، لنتعرف على الدور الحقيقي للخطاب الديني في إحداث عملية التغيير الاجتماعي المطلوب الذي ينطلق من قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، وما ذلك إلا لأن الخطاب الديني المعتدل هو من أكبر الدعائم التي تساهم في عملية الإصلاح والتغيير لإيجاد مجتمع متسامي قائم على الاستقرار والتنمية.

المبحث الأول: تعريف الوسطية والاعتدال والخطاب الديني.

المبحث الثاني: أصول السماحة والاعتدال في الخطاب القرآني ومجالاتها.

المبحث الثالث: أصول السماحة والاعتدال في الخطاب النبوي ومجالاتها.

المبحث الرابع: دور الخطاب الديني المعتدل في التغيير الاجتماعي وتنميته.

المبحث الخامس: أثر اعتدال الخطاب القرآني والنبوي في استقرار المجتمع وسلامته.

(١) يقول علي بن أبي طالب: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَنْحَبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ» صحيح البخاري (ح: ١٢٧).

(٢) سورة الرعد، الآية ١١.

المبحث الأول: تعريف (الوسطية - الاعتدال - الخطاب الديني)

أولاً: مفهوم الوسطية: الوسطية في اللغة مأخوذة من مادة وسط، وتدل على معان كلها متقاربة، فيقول ابن فارس: (الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل والنصف وأعدل الشيء أوسطه ووسطه...) (١)، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾ (٢)، وخلاصة استعمالاتها المتعددة أنها تستعمل في إطارين اثنين؛ الجانب المعنوي: ويراد بها الخيار والأفضل والعدل، أو قد ترد لما بين شيئين فاضلين، أو تستعمل لما بين الجيد والرديء، والخير والشر، والجانب الحسي: وتطلق على ما كان بين شيئين حساً، كوسط الطريق، ووسط الدار، أما الوسطية في العرف الشائع، فإنها تطلق ويراد بها: الاعتدال في الاعتقاد والسلوك والعبادات والمعاملة والأخلاق.

ثانياً: مفهوم الاعتدال: الاعتدال في اللغة: من العدل ضدّ الجور. وَعَدَلْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ عَدْلًا، إِذَا جَعَلْتَهُ بوزنه. وَعَدَلْتُ عَنِ الشَّيْءِ، إِذَا مِلْتُ عَنْهُ (٣)، والاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عدلته وعدلته، والعدول: هم الخيار، وقد ذكر من معاني العدل والاعتدال: الحكم بالعدل، والاستقامة، والتقويم، والتسوية، والممانلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف، والتوسط (٤)، أما الاعتدال في الاصطلاح فهو: (التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتقطع، وبين التفريط والتقصير) (٥).

ومما سبق يتبين: أن الاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٦)، وقد كان من معاني الوسط التي أوردها المفسرون أنها تعني: العدل.

ثالثاً: مفهوم الخطاب الديني: الخطاب والمخاطبة لغة: مراجعة الكلام، والخطبة: الكلام المنثور المسجوع (٧)، وجاء في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ (٨)، وقال

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ١٠٨/٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣) جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي، تح: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ط ١، ١٩٨٧م، ٦٦٣/٢.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ٤٣٠/١١.

(٥) حتى لا تذبل قيمنا، محمد بن أحمد الرشيد، مكتبة العبيكان، السعودية، ط ٣، ٢٠١٤م، ص ٢٩.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٧) لسان العرب، ابن منظور، ٣٦١/١، مرجع سابق.

(٨) سورة ص، الآية ٢٠.



جل شأنه عن عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١)، وعليه فقد يراد بالخطاب: الكلام نفسه؛ أي المضمون والمحتوى، وقد يراد به: الطريقة التي يؤدي بها الكلام، لذلك قيل في تعريفه اصطلاحاً: (هو كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها)^(٢).

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرف الخطاب الديني بأنه خطاب يهدف لإيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، وذلك من إطار ديني أيا ما كان هذا الإطار إسلامياً أو مسيحياً أو يهودياً، على أن الخطاب الديني الإسلامي هو الخطاب الذي يستند إلى مصادر التشريع الإسلامي؛ من القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومصادر التشريع الإسلامية الأخرى، سواء كان هذا الخطاب صادراً من جهة إسلامية، أو مؤسسة دعوية رسمية، أو غير رسمية، أو أفراد جمعهم الاستناد إلى الدين الإسلامي وأصوله كمصدر لأطروحاتهم.

وفي هذا المقام ننوه هنا على أنه ينبغي لمن يتصدر لهذا المقام أن يلتزم بالشروط التي تعينه على إيصال المراد من الخطاب، ومن أهمهما:

الإخلاص في المقصد والنية، واستحقاق العلم اللازم لذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة حتى لا يقع فيما في إشكاليات متضاربة، وأن يتحلى بالأسلوب الخطابي الأمثل من القول اللين والحكمة والموعظة الحسنة، والصبر والتحمل لما يلحقه من المشاكل والمتاعب.

دلالة عنوان البحث: هو البحث في أصول دلالات الخطاب الديني من القرآن والسنة فيما يتعلق بالاعتدال والسماحة والوسطية، لإحداث تغيير اجتماعي يهدف إلى استقرار المجتمع وتنميته.

المبحث الثاني: أصول السماحة والاعتدال في الخطاب القرآني ومظاهرها

للخطاب القرآني أهمية كبرى في حياتنا، ذلك أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الذي يعول عليه في الكثير من القضايا والأحكام، كيف لا وهو سبيل الأنبياء والصالحين في البلاغ والبيان عن رب العالمين قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾^(٣) إلا بلغاً من الله ورسلاً^(٤)، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٥)، ومن هنا يتبين لنا أهمية الخطاب القرآني في تقديم الحلول العاجلة والناجحة للكثير من

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٣.

(٢) تأويل الخطاب الديني في الفكر الحديث، أحمد عبدالله الطيار، حولية كلية أصول الدين

بالقاهرة، العدد (٢٢)، ٢٠٠٥م، ١٢/٣.

(٣) سورة الجن، الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.



المشكلات التي تعاني منها الأمم والمجتمعات، وعلى رأسها قضية الإرهاب والتطرف والغلو والتشدد التي أقضت مضاجعنا، فما هي أصول السماحة والاعتدال في الخطاب القرآني؟ وما هي أبرز مجالاتها؟ هذا ما سنجيب عنه في البيان الآتي:

• أولاً: أصول السماحة والاعتدال واليسر في الخطاب القرآني:

لقد تضافرت الآيات القرآنية الدالة على أن السماحة والتيسير ورفع الحرج أصل عظيم من أصول الشريعة التي بينها القرآن الكريم، فتلك رحمة من الله تعالى بعباده، ذلك أنه لا يكلف العباد ما لا يطيقون، بل لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد يطبقون أكثر مما كلفهم، ولكنه سبحانه رفع الحرج عن هذه الأمة ويسر لها الأحكام والتكاليف، بحيث يمكننا تصنيف الآيات الواردة في هذا الشأن، إلى ثلاثة أنواع؛ بيانها كالتالي:

١- النوع الأول: الآيات المصراحة بإرادة الله تعالى اليسر والتخفيف بهذه الأمة: وهي الآيات التي جاءت لترفع التضييق على الناس، وتضع عنهم القيود والأغلال، وتحقق السعادة والاطمئنان، وهي آيات كثيرة يصعب علينا حصرها في هذا المقام، ولكن نقصر على طائفة منها واضحة في الدلالة، مع تقارير أهل العلم عليها، فمن أبرزها ما يلي:

(أ) قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١)، فتدل الآية على أن الله ﷻ أراد بتشريعه اليسر في الأحكام، واليسر: هو كل ما لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم، أما العسر فهو ما يجهد النفس أو يضر بالجسم، ودلالاتها على المقصود ظاهرة، فإذا أراد الله اليسر ونفى العسر، فقد نفى الحرج، وهل الحرج إلا العسر، وإذا أراد اليسر فقد نفى الحرج، والآية وإن كانت واردة في شأن الرخص في الصيام إلا أن المراد منها العموم، كما صرح بذلك غير واحد من المفسرين، قال أبو حيان: "وظاهر اليسر والعسر العموم في جميع الأحوال الدنيوية والأخروية"^(٢)، وعليه فقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ تأكيد لإرادة اليسر.

(ب) وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٣)، والآية في معرض إباحة نكاح الأمة عند عدم طول الحرية، إلا أن أغلب المفسرين على أن ذلك عام في جميع أحكام الشرع، فالمراد هو عموم التخفيف في الشريعة، وذلك يبتني على ضعف الإنسان أمام رغباته ومغريات الحياة، فكان الله ﷻ يريد لهذا المخلوق الضعيف التخفيف والرحمة واليسر ورفع الحرج والمشقة وإزالة الضرر^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢/١٩٩.

(٣) سورة النساء، الآية ٢٨.

(٤) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته، د. صالح عبدالله حميد، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٠٣هـ، ص ٦٩.



(ت) وقوله تعالى: ﴿وَيُضِرُّكَ لِلسَّرِّ﴾^(١)، أي للحنيفية السمحة السهلة التي هي أيسر الشرائع وأوفقها بحاجة البشر مدى الدهر.

٢- النوع الثاني: الآيات المصراحة برفع الحرج والعنت عن الأمة:

وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي نصت على نفي الحرج عن هذا الدين، آيتان منها تتفان الحرج عن الدين كله وبخاصة آية الحج، والآيات الأخر تتفي الحرج عن فئات معينة وفي حالات خاصة، وهذا لا يعني أنها قاصرة في الدلالة على من نصت عليهم الآيات، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(٢)، وذلك كالتالي.

(أ) مثل قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣)، والحرج المنفي هنا هو جميع أنواع الحرج؛ لأنها نكرة في سياق النفي، ثم أكد هذا العموم بدخول حرف "من" عليها.

(ب) ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةَ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٤).

يقول أهل التفسير في هاتين الآيتين من المائدة والحج: إن الله ﷻ ما كلف عباده ما لا يطيقون، وما ألزمهم بشيء يشق عليهم إلا جعل لهم فرجاً ومخرجاً، قال الجصاص عند تفسير آية المائدة: "لما كان الحرج هو الضيق ونفى الله عن نفسه إرادة الحرج بنا، ساغ الاستدلال بظاهره في نفي الضيق وإثبات التوسعة في كل ما اختلف فيه من أحكام السمعيات، فيكون القائل بما يوجب الحرج والضيق محجوباً بهذه الآية"^(٥).

يقول الطوفي الحنبلي: "وذلك عام مطرد لأن الله عز وجل لم يشرع حكماً إلا وأوسع الطريق إليه ويسره حتى لم يبق دونه حرج ولا عسر"، ثم قال: "ويحتج بهذه الآية ونحوها من رأى أنه إذا تعارض في مسألة حكمان اجتهدا بديان خفيف وثقل يرجح الخفيف دفعا للحرج"^(٦).

٣- النوع الثالث: الآيات المصراحة بأن الله لا يكلف العباد إلا بما في وسعهم:

(١) سورة الأعلى، آية ٨.

(٢) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته، د. صالح عبدالله حميد، ص ٥٩، مرجع سابق.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦.

(٤) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٥) أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، تح: محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ٣٣/٤.

(٦) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، الطوفي الحلبي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١٠٤/٢.



(أ) كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١)، وفي هذه الآية الكريمة بيان أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف النفس إلا في حدود قدرتها الميسرة دون بلوغ غاية الطاقة، ورغم أن الآية ظاهرة الدلالة في عدم التكليف إلا في حدود القدرة والميسرة، إلا أن الله قد أعقب هذه الجملة بدعاء وجهه إلى عباده المؤمنين يبين فيه ما أمتن عليهم من عدم المؤاخذه بالخطأ والنسيان وحط الاصرار والأغلال وعدم التكليف بما لا يطاق وقد انتظم ذلك في ثلاثة أمور؛ الأول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، والثاني: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، أما الثالث فهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ. وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا﴾.

(ب) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)، فقولُه سبحانه وتعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، بيان للعمل الصالح الموصل إلى الجنة وأنه سهل وميسر في حدود وسع البشر.

قال الرازي: "وفيه تنبيه على أن الجنة مع عظم محلها يوصل إليها بالعمل الصالح من غير تحمل الصعب"^(٣)، ولا شك أن في ذلك ترغيباً في اكتساب ما يؤدي إلى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسير حصوله، فإذا علم أن مبنى التكليف على الوسع زادت الرغبة في ذلك الاكتساب لحصوله على وجه اليسر دون العسر.

• أبرز مظاهر اليسر والسماحة والاعتدال في الخطاب القرآني.

١- يسر الخطاب القرآني في بيان التكاليف الشرعية: فقد فرضت الشريعة الإسلامية على المسلمين تكاليف شرعية، وفرائض معينة، لكنها راعت في ذلك أحوال المرضى والذين لا يستطيعون أداء العبادات، (في الصلاة والصيام والحج) وغيرها من العبادات الأخرى.

٢- راعى الخطاب القرآني طبيعة النفس الإنسانية فأكدت القرآن على غفران الله تعالى لذنوب العباد، وعدم مؤاخذتهم على ما يحدثون به أنفسهم من إتيان الذنوب والمعاصي، فمن هم بسيئة لم تكتب له، وإذا فعلها كتبت عليه سيئة واحدة.

٣- أكد الخطاب القرآني على حرية العقيدة الدينية، فمنع الإكراه والإجبار على الاعتناق للإسلام حيث يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٤)، وعليه فإن التاريخ الإسلامي

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٤٢.

(٣) مفاتيح الغيب، أبو بكر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ، ١٤/٧٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.



لم يسجل واقعة واحدة أجبر فيها المسلمون غيرهم على اعتناق الإسلام، بل يخير الناس في ذلك حتى يدخلوا في الإسلام طائعين راغبين .

٤- دعوة الخطاب القرآني إلى السماحة في رد والإساءة: فقد حثت الشريعة الإسلامية على الصبر على الإساءة، ومقابلتها بالإحسان والعفو لأن ذلك من شيم المؤمنين، وخصال الموحدين ذوي العزيمة، فقد قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَصْرُوعَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١).

المبحث الثالث: أصول السماحة والاعتدال في الخطاب النبوي ومظاهرها

إن المتصفح لسيرة الرسول محمد ﷺ يرى بصورة جلية وواضحة أن صفة الوسطية كانت تلازمه في جميع مراحل عمره قبل البعثة النبوية وبعدها، فقد مثلت أقواله بعداً فكرياً وإيمانياً لقضية الوسطية والاعتدال في الإسلامي، حيث تبلورت أحاديثه حول التركيز على قضيتين الأولى: بيان اليسر والسهولة في الدين، والثانية: الدعوة العملية والتطبيقية لقيمة الوسطية والاعتدال واليسر والسماحة فيما بين الناس بعضهم البعض، وبيان ذلك كالتالي:

أولاً: أصول السماحة والاعتدال واليسر في الخطاب النبوي:

١- أحاديث تؤكد على يسر الدين واستقامته وسهولته: ومن ذلك ما رواه أبو هريرة ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدْوَةِ وَالزُّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»^(٢)، وقوله ﷺ لمن أراد أن يتوكل على القدر دون العمل: «اعْمَلُوا فُكُلٌ مُبَسَّرٌ، أَمَا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُبَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُبَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»^(٣)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيْرُهُ لِيُسْرَى ۖ﴾^(٤) وَأَمَّا مَنْ بَعَلَ وَأَسْتَفَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيْرُهُ لِيُعْسَى ۖ﴾^(٥)، هذا فيما أورد أبو عروة ؓ قَالَ: «كُنَّا نَنْتَظِرُ النَّبِيَّ ﷺ، فَخَرَجَ رَجُلًا يَقْطُرُ رَأْسُهُ مِنْ وُضْوءٍ أَوْ غُسْلٍ، فَصَلَّى، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ، جَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْنَا حَرْجٌ فِي كَذَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِينَ اللَّهِ فِي يُسْرٍ"، ثَلَاثًا يَقُولُهَا»^(٥).

٢- أحاديث عامة في الحث على المعاملة باليسر واللين في الجانب الديني: حيث تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ

(١) سورة الشورى، آية ٤٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٤٧).

(٤) سورة الليل، الآية ٦.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن برقم (٢٠٦٦٩).



إِنَّمَا، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»^(١)، وقوله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٢)، وقوله ﷺ فيقول: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَيَسِّرُوا، وَلَا تُنْقِرُوا»^(٣).

• ثانيًا: أبرز مظاهر اليسر والسماحة والاعتدال في المواقف النبوية.

تعددت مظاهر الوسطية والاعتدال والسماحة واليسر في حياة الرسول ﷺ حتى إن الحديث عنها يحتاج إلى عدد هائل من الرسائل العلمية، لتضيء الجوانب العملية والتطبيقية في حياته قبل البعثة وبعدها، وقبل الهجرة وبعدها، ومظاهرها في معاملاته مع الأعداء من المشركين، والأصحاب، والأجلاف من الأعراب، والمنافقين، وأصحاب الإشاعات والأقاويل الباطلة، ولعلنا نقتصر على بعضها حيث لا يتسع المقام لنا لذكرها، فنوضحها على النحو التالي:

١- موقفه ﷺ من اليهود بعد الهجرة إلى المدينة، إذ لم يقف منهم موقف عداء؛ بل استوعب اليهود كمواطنين ضمن مجتمع المدينة ونظم علاقتهم بالمسلمين عن طريق الدستور الذي وضعه بعد هجرته إلى المدينة.

٢- موقفه ﷺ في حادثة الافك عندما أتهمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالزنا، فوقف الرسول ﷺ موقفًا وسطًا، إذ لم ينف ولم يثبت، مع أنه ﷺ كان متيقنًا ببراءة عائشة رضي الله عنها في قرارة نفسه، ودليل ذلك قوله ﷺ: (فو الله ما علمتُ على أهلي إلا خيرًا)^(٤)، ولكنه انتظر وحي السماء ليفصل في هذا الأمر، ثم أنزل الله براءتها رضي الله عنها في القرآن الكريم وهو من أبرز الشواهد على وسطية الرسول ﷺ.

٣- استشارته ﷺ لأصحابه في العديد من الأمور وعدم استشارته بالقرارات، ومن ذلك أخذه بمشورة الحباب بن المنذر في معركة بدر، كذلك كان يأخذ برأي أزواجه في أحيان كثيرة كما في الحديبية عندما أخذ ﷺ برأي زوجته أم سلمة رضي الله عنها.

(١) رواه البخاري برقم (٦١٢٦)، ومسلم برقم (٢٣٢٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٩٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٩)، ومسلم برقم (١٧٣٤).

(٤) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ابن حبان البستي، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ، ٢٧٧/١.



٤- من الأدلة الواضحة على وسطية الرسول ﷺ ومنهجه، موقفه المتسامح مع غير المسلمين في المدينة بعد الهجرة، فقد كان مجتمع المدينة يحتوي أخلاطاً من ديانات مختلفة منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ﷺ ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ومنهم اليهود، وكان الرجل مسلماً وأبوه مشركاً، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشركاً، وكان الرسول ﷺ يعاملهم معاملة طيبة فكان يمر على مجالسهم، وكان في المجالس مسلمون، فلا ينكر عليهم جلوسهم، وهذا دليل على وسطيته ﷺ، ومن الوقائع الدالة على ذلك ما جاء عن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد رضي الله عنه حدثه: (أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فذكية وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عباد بن بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين)^(١).

٥- وسطية الرسول ﷺ في دعوة الشباب: أعطى الرسول ﷺ أهمية كبيرة لشريحة الشباب؛ وذلك لأن هذه الشريحة يقع على عاتقها أعباء المجتمع المسلم من جهة وأعباء حمل الدعوة الإسلامية من جهة أخرى، لذلك انتهج الرسول ﷺ منهجاً خاصاً في دعوتهم إلى التمسك بالدين الجديد فقد بين أهميتهم في نصرة هذا الدين فكان ﷺ يوصي بالشباب، حتى ذكر أن الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه كان عندما يرى الشباب يقول لهم: «مرحبا بوصية رسول الله ﷺ»^(٢)، ولعل أبرز نموذج في دعوة الشباب باللين والحوار العقلي، كلام الرسول ﷺ مع شاب جاء يطلب من الرسول ﷺ أن يأذن له بالزنا، فعن أبي أمامة «إِنَّ فَتًى شَاباً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ ﷺ: "ادْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: "أَفْتَحِبُّهُ لَأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمِّهَاتِهِمْ" قَالَ: "أَفْتَحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ" قَالَ: "أَفْتَحِبُّهُ لَأُخْتِكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ" قَالَ: "أَفْتَحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفْتَحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ"

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٢٠٧).

(٢) رواه ابن ماجه، برقم (٢٤٧)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، ٩٠/١ دار إحياء الكتب العربية، بيروت.



لِحَالَاتِهِمْ"، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَقِثُ إِلَى شَيْءٍ»^(١).

المبحث الرابع: دور الخطاب الديني المعتدل في التغيير الاجتماعي وتنميته

منذ قديم الزمن كان من بين البشر من يعتقد أن الثبات وعدم التغيير هو الصورة الفعلية للوجود والمجتمع، ومن بينهم أيضاً من اقتنع أن التغيير والتحول هو الصورة الفعلية الكامنة في الفرد والجماعة والمجتمع، غير أن علم الاجتماع المعاصر يرى أن التغيير سمة فعلية في المجتمعات ترتقي إلى حد كونها ظاهرة شائعة لا تقبل الشك والريب، حتى غدا موضوع التغيير الاجتماعي أحد أهم الموضوعات في علم الاجتماع الذي راح يصب كثيراً من دراساته لتأمل هذه الظاهرة ودراساتها^(٢)، وبما يمثل الخطاب الديني من ركن أصيل ضمن أركان العملية التربوية المهمة في بناء الفرد والمجتمع، كانت أهمية الخطاب الديني في التغيير الاجتماعي، والتي نتناولها بالتوضيح في هذا المبحث، وذلك على النحو التالي:

أولاً: مفهوم التغيير الاجتماعي:

يعرف التغيير الاجتماعي على أنه: "ظاهرة طبيعية تخضع لها نواميس الكون وشؤون الحياة من خلال التفاعلات والعلاقات والتبادلات الاجتماعية المستمرة والتي تقضي الى تغيير دائم"^(٣)، ويعرف أيضاً بأنه: كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغيير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على تغيير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها^(٤).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، بإسناد حسن برقم (٢٢٢١١).

(٢) الخدمة الاجتماعية والتغيير الاجتماعي، د. الفاروقي زكي يونس، دار عالم الكتب، مصر، ط٢، د.ت، ص ٢٣٥.

(٣) الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، إبراهيم العسل، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٧٥.

(٤) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣٨٢.



ثانياً: الخطاب الديني وإسهاماته في التغيير المجتمعي.

إن الخطاب الديني الفعال، هو الخطاب الذي يمكن الإنسان من تحقيق الأهداف التي خُلِقَ لأجلها، والقائمة على تحقيق العبادة لله وعمارة الأرض^(١)، لأنه الخطاب الوحيد القادر على علاج جميع الانحرافات التي تعاني منها المجتمعات اليوم سواء أكانت هذه الانحرافات عقدية أم فكرية، أم أخلاقية وسلوكية، حيث يعد الدين أحد أهم عوامل التغيير في المجتمعات، بل هو من العوامل الرئيسية في تكوين الحضارات، حيث لا توجد دعوة دينية إلا وكان لها اتباع يؤمنون بها ويتبعون قواعدها الصالحة والمعمرة، وإن غاية وأثر الدين الصحيح هي إصلاح القوم الذين خوطبوا به، وساروا بطريقة على أسس مهمة في البناء والاكتمال للمجتمع، والتي يمكننا أن نشير إلى أهمها عبر الأمور التالية:

١- تحقيق التنمية المستدامة: والتي يقصد بها التنمية التي تفي باحتياجات الجيل الحالي دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على الوفاء باحتياجاتهم وعدم مصادرة احتياجات الآخرين والعيش بمقدرات الأمة ونبذ الأنانية وحب الذات والعيش على معاناة الآخرين.

هكذا فإن مهمة الخطاب الإسلامي هو توجيه مبادئ التنمية المستدامة من خلال توفير متطلبات البشرية حالياً ومستقبلاً، سواء أكانت مادية أو روحية بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الخلقية والثقافية والاجتماعية، وهذا بُعد مهم تختلف فيه التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي عن التنمية المستدامة في النظم والأفكار الأخرى؛ لأنه يعتمد على مبدأ التوازن والاعتدال في تحقيق متطلبات الجنس البشري بشكل يتفق مع طبيعة الخلقة الإلهية لهذا الكائن، وتوجيه الخطاب نحو التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي لا تجعل الإنسان ندًا للطبيعة ولا متسلطاً عليها، بل تجعله أميناً عليها محسناً لها، رفيقاً بها وبعناصرها، يأخذ منها بقدر حاجته وحاجة من يعولهم بدون إسراف، وبلا إفراط ولا تفريط وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿يَبْنَىْ ءَادَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَشَرُّوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾^(٢)، كما أمها تُعد لونا من ألوان شكر المنعم على ما أنعم به على خلقه، انطلاقاً من كون العمل في الأرض نمطاً من أنماط الشرك لله كما قال الله: ﴿يَعْمَلُوْنَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَمَثِيْلٍ وَحِفَافٍ كَاجْوَابٍ وَقُدُوْرٍ رَّاسِيَتٍ اَعْمَلُوْا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيْلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُوْرُ﴾^(٣).

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْاِنْسَ وَالْاِنْسَ اِلَّا لِعِبَادُوْنَ﴾ [الذاريات ٥٦]، وقال: ﴿هُوَ اَشْرَاكُمْ مِّنْ اَلْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيْهَا﴾ [هود: ٦١].

(٢) سورة المائدة، الآية ٣١.

(٣) سورة سبأ، الآية ١٣.



٢- تحقيق العدالة الاجتماعية: فالخطاب الديني يكون قاصراً إن تجاهل "العدالة الاجتماعية" التي تحدث عنها القرآن الكريم في بحر آياته العديدة وأرست قواعدها السنة النبوية، وأوضح أسسها الرسول ﷺ حيث يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالْقُوَى أَلْبَنَتْ»^(١)، كما دعا إلى تكوين المجتمع الفاضل الذي يسوده التكافل والترحم والتعاطف .. فالعدل أساس بناء المجتمع وكذلك تقوم عليه الدول، وإن الله لينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، فما أوجب الأمة ودعاتها ورعاياها إلى إتباع هذا المنهج القويم والسديد ونشره بين المجتمعات وإظهاره للعالم.

جدير بالذكر: أن العدل في النص الديني يشكل محوراً لكل شيء، وعليه تركز فلسفة التشريع، وحكمة التكوين، وبناء المجتمع، وحفظ الحقوق، وتعميق المبادئ الأخلاقية، ولأهمية العدل في حياة الناس فقد تكررت مادة العدل بمشتقاتها ما يقرب من ثلاثين مرة في القرآن الكريم، ويشير هذا التكرار إلى عناية التنزيل المجيد بالحديث عن العدل، لهذا ركز الخطاب الإسلامي على ضرورة تفعيله وتجسيده في الواقع من خلال الاستشهاد بالنص الديني، حيث يقول الله تعالى مبيناً الهدف الثاني من بعثة الأنبياء والرسول بعد تعريف الناس بالخال جل وعلا وهو بسط العد بينهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٢)، ذلك لأن الاجتماع البشري لا يمكن أن يتأسس فيه روح النظام والقانون والمساواة إلا بتحقيق العدل والعدالة، ومن هنا جاء الأمر الإلهي بضرورة تطبيق العدل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾^(٣)، وقولت تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٤).

٣- تحقيق التكافل الاجتماعي: فالمتأمل في جماليات الخطاب الديني الذي يرى ما ينطوي عليه نظام الصدقة من تكافل اجتماعي بين أبناء المجتمع الإسلامي، بمواساة الغني للفقير والمسكين، ومراعاة المجتمع للذين يتفرغون لشئون المجتمع، وإعانتهم على القيام بما ندبوا إليه من ذلك خير قيام، ثم إعطاء المؤلف قلوبهم وهم الذين دخلوا في الدين ولم يتمكن من نفوسهم التمكن الكامل، ثم يعطي المكاتبون لاستخلاص رقابهم، وشراء حريتهم، وفي هذا دليل

(١) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح برقم (٢٣٤٨٩).

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٢٩.

(٤) سورة النحل، الآية ٩٠.



على أن الإسلام تواق إلى الحرية، معين عليها، مرغّب في منحها، وهذا ملحظ سياسي واجتماعي عظيم، ثم من أحاطت به المكاره والديون جعل الله له في ذلك المال نصيباً، يسدّد به دينه ويستأنف به حياته، أما ابن السبيل وهو المسافر الذي نفذ ماله أو ضاع فينبغي أن يعان من الزكاة حتى يبلغ أهله، فإنه في هذه الحالة أخو الفقير والمسكين، وإن كان في بلده غنياً، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، أما الإنفاق في سبيل الله فهو قمة الإنفاق يقول ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَارِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»، لذلك كان النص الديني حريصاً على مصاريف الصدقات بياناً قاطعاً، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

٤- القضاء على البطالة: إن الناظر لزيادة معدلات البطالة في العالم يدرك بلا شك عمق المشكلة التي تواجه المجتمعات التي تنشد الرفاهية في المعيشة، وتطمح إلى تحسين الأوضاع الاجتماعية وتطبيق التنمية المستدامة، فلا بد من توجيه الخطاب الديني إلى وضع الحلول والبدائل الإسلامية لهذه الظاهرة العالمية المتفاقمة والمنتشرة في أصقاع المعمورة.

فالبطالة والفقر هما أحد مؤشرات التنمية في المجتمع لهذا ركز النص الديني على ضرورة مكافحة البطالة من خلال توجيه الخطاب نحو الشباب والأمة لتنفيذ دور الزكاة كآلية للحد من البطالة والفقر، حيث فرض الله تعالى الزكاة على الأغنياء لترد على الفقراء، وهي من حق الفقراء ولا منة لمعطيها عليهم فيها، ويجب على ولي الأمر أن يحصل زكاة الأموال الظاهرة منهم ليعيد توزيعها، ومن أنكرها أو أبى دون أن يؤديها أخذت منه بالقوة وعوقب على ذلك، قال ﷺ: «فَمَنْ أَعْطَاهَا مُؤَنَجِرًا فَلَهُ أَجْرُهَا وَمَنْ كَتَمَهَا، فَإِنَّا لَأَخِذُوهَا، وَشِطْرُ إِبْلِهِ عَزِيمَةٌ مِنْ عَزَائِمِ رَبِّكَ»^(٢)، ومن هنا يتضح أن تشريع الزكاة يعتبر تمويلاً لآلئاً للفقراء الذين لا يجدون الكفاف، كما أنها تمويل لمن أراد الاتجار والاستثمار من الفقراء، وكذلك قضاء لديون الغارمين بسبب الجوائح والإفلاس وغيرها من الأسباب، وعليه فلا شك أن الهدف الأسمى للزكاة أن يتمكن الفقير من إغناء نفسه بنفسه حيث يكون له مصدر دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة أو الزكاة مرة أخرى، حيث يكون من شأن الزكاة والأوقاف أن تساهم في فرص العمل في المجتمع المسلم من خلال استثمار الأراضي والمباني التي يوقفها أصحابها طمعاً في الصدقة الجارية.

(١) سورة التوبة، الآية ٦٠.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى، برقم (٢٢٣٦)، والدارمي برقم (١٧١٩).



٥- الاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها: إن الخطاب الديني والإسلامي لا يغفل مشاكل البيئة التي أدت إليها الثورة الصناعية المعاصرة؛ فأحدثت خللاً كبيراً في البيئة؛ ولذلك ينبغي توعية الناس وعدم إغفال هذا الجانب والدعوة إلى التوازن والترتيب والتنظيم لجميع جوانب حياتنا وبيئتنا التي نعيش فيها، والاهتمام بالنظافة والهدام والمظهر الحسن فإله جميل يحب الجمال، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(١).

ومما سبق ننتهي إلى القول بأن الخطاب الديني المعاصر له دور كبير في إبقاء باب التغيير مفتوحاً ليتلاءم مع التطورات من زمان لزمان ومن جيل لجيل، وذلك من خلال النظر إلى المستقبل بفكر منفتح وعقل قادر على التكيف مع متطلبات الزمان الذي يعيش فيه كون هذه الفترة الزمنية التي يمر بها مجتمعنا اليوم تحتاج إلى ثقافة خطاب واعية، قادرة ومتجددة على تغيير العقول الفردية ومن ثم تغيير المجتمع الذي بدأ يتلاشى وينهار بسبب العصابات التكفيرية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ منه والذي بدأت تؤثر على العقول الفردية بشكل كبير جداً عمل على فقدانها مبادئها وأصولها الدينية التي نمت وترعرعت عليها، وفي هذا الصدد يجب الإكثار من الخطب الدينية المعتدلة التي لها الدور الكبير والنظم الواعية منذ عصور قديمة جداً في التجدد والتغيير وإصلاح الأمة كون الدين هو عماد المجتمع وصلاحه، كون التأثير الروحي للدين مازال قائماً ليس عند العرب فقط بل في جميع انحاء العالم الاسلامي، وإن كان هنالك دور في تراجع المجتمعات والكيانات الاسلامية على المستوى العلمي والسياسي.

المبحث الخامس: أثر اعتدال الخطاب القرآني والنبوي على الفرد والمجتمع

لما كان الخطاب الديني يستمد أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يتسم بالاعتدال والسماحة والوسطية الفكرية والدينية بعيداً عن التشدد والغلو وتحريض الناس، حيث استطاع رسول الله ﷺ أن يخاطب جميع فئات البشر، فعاش في مكة مع الكفار وكذلك في المدينة أبرم عهد مع اليهود وتعايش معهم تحت سقف دولة واحدة، وما ذلك إلا ثمرة من ثمار اعتدال الخطاب القرآني والنبوي، والتي نوضحها على النحو التالي:

• نبد العصية والدعوة إلى الحوار: وهذا مطلب ملح بين جميع فئات المجتمع مسلمين وغير مسلمين، فنحن مطالبون بجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم أمام العقبات التي تقف في طريقنا، لذلك ينبغي علينا أن نكون دعاة وحدة وسلام فيما بيننا، فقد دعا الرسول أشد الناس

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٦.



عداوة له الى الحوار حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَمَآلَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَٰتٍۭ سَوَّاهُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقْبُدَ ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَآبًا مِّنْ دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

• التعايش السلمي: داخل المجتمع المسلم فالوسطية في الخطاب تنتشر المحبة بين المجتمع والطوائف المختلفة تحت شعار متميز وضعه الرسول ﷺ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٢)، أما فيما يتعلق بالتعايش مع المخالفين في الاعتقاد فقد وضعه ربنا ﷺ، حيث يقول: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمْ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَنِّلُواْكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواْ مِنْ دِينِكُمْ أَنَّ يَبْرُوهُمُ وَيُمْسِكُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾^(٣).

• العمل على نشر القيم والمبادئ العظيمة: الداعية إلى التسامح وحب الخير للآخرين ونشر ثقافة التسامح ونبذ الأحقاد والغل فيما بيننا قال تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِكُمْ غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤).

انتشار الامن والأمان بين المجتمع: حيث يساهم الخطاب الديني في العمل على استقرار المجتمع وأمنه انطلاقاً من أصول الخطاب القرآني الذي بين أهمية الأمن ودوره في استقرار المجتمع عبر دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام وتذكير العرب بنعمته عليها، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾^(٥)، وفي السنة النبوية يبين الرسول الكريم ﷺ أهمية الحفاظ على الأمن وشدد النكير على من يروعون الناس ويهربونهم فقال ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرْوَعَ مُسْلِمًا»^(٦)، وفيما يتعلق بترجيع غير المسلمين يقول ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُّعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَاحَةَ ٱلْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَّسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(٧)، كما شدد على إثم وجرم من يقوم بإيواء المجرمين حيث يروي جعفر بن محمد عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ وَجَدَ مَعَ سَيِّفِ النَّبِيِّ ﷺ صَحِيفَةً مُّعَلَّقَةً بِقَائِمِ السَّيْفِ فِيهَا: «إِنَّ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْقَاتِلُ غَيْرَ قَاتِلِهِ، وَٱلضَّارِبُ غَيْرَ ضَارِبِهِ، وَمَنْ آوَىٰ مُّحَدِّثًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّىٰ غَيْرَ مَوْلَاهُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (١١)، ومسلم برقم (٤٥).

(٣) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٤) سورة الحشر، الآية ١٠.

(٥) سورة إبراهيم، الآية ٣٥.

(٦) رواه أبو داود في سننه برقم (٥٠٠٤)، وصححه الألباني.

(٧) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٩١٤).



أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ « قُلْتُ لِجَعْفَرٍ: مَنْ أَوْى مُحَدِّثًا الَّذِي يَقْتُلُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(١)، ويفهم من ذلك الدعوة إلى محاربة الأفكار الهدامة الداعية إلى الاخلال بالامن والسلم المجتمعي فالأمن مطلب لبقاء البشرية ومطلب للبناء والتعمير للأرض ونشر الدين وتعليم البشرية دين ربها.

• تحقيق التكافل الاجتماعي والتراحم بين المجتمعات: على اختلاف مذاهبها ومشاريها الفقهية والطائفية فبالخطاب الديني المعتدل الوسطي المنهج ينتشر التعايش بين الناس والتراحم والتعاطف فكل واحد يسعى إلى الأجر والمثوبة من الله وتقديم يد المساعدة للآخرين اقتداء بالرسول القائل: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُورُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْرِدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمَشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَغْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»^(٢)، فإذا تكلم أصحاب الخطاب الديني بما سبق كان أدعى للناس إلى التطبيق والتنفيذ ونشر الخير بين الناس.

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (١٨٨٤٧).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٦٠٢٦).



الخاتمة

● أولاً النتائج:

- ١- يراد بالخطاب الديني الإسلامي المعتدل هو كل ما يصدر عن علماء الدين من أقوال أو أفعال أو نصائح أو مواقف سياسية واجتماعية من قضايا العصر.
 - ٢- احتوت الأصول المؤسسة للخطاب الديني من القرآن والسنة على العديد من المرتكزات التي يمكن الانطلاق منها لإحداث تغيير مجتمعي يهدف للعمل على استقرار المجتمع.
 - ٣- للخطاب الديني أهمية كبرى في إصلاح وتغيير المجتمع نحو الأفضل في العديد من الجوانب الحياتية: الفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقضائية.
 - ٤- تتنوع آثار الخطاب الديني المعتدل على الفرد والمجتمع في العديد من المظاهر، أهمها: التعايش السلمي، ونبذ العصبية والدعوة إلى الحوار، والعمل على نشر القيم والمبادئ العظيمة، والمساهمة الفعالة في الحفاظ على أمن المجتمع وسلامة أفرادهِ.
- ثانيًا: التوصيات والمقترحات.

- ١- العمل على تجديد الخطاب الديني للمساهمة الفعلية في التعامل الإيجابي مع الآخر من خلال فهم الآراء والأفكار بعيداً عن الانغلاق الذاتي الذي لا يحترم السلم الاجتماعي.
- ٢- العمل على تجديد الفكر والرؤية وتطوير خطابنا الديني كي يلقي اذاناً صاغية وقلوباً واعية.
- ٣- العمل على ممارسة الاجتهاد الفقهي بكل ثقة وبخلاف ذلك فإننا نبقي من حيث نحن لا نتغير ولا نتجدد وقانعين بالتبعية والتخلف والطائفية والتطرف وكل ما يسيئ لنا.
- ٤- ضرورة تفعيل الخطاب الديني البناء في كل مناحي الحياة لتحقيق النفع للناس من خلال تحقيق التنمية، والعدالة الاجتماعية، والقضاء على البطالة، والعمل على استقرار المجتمع.
- ٥- ترشيد الخطاب الديني والإبداع فيه والتجديد حسب مقتضيات العصر وما يحتاجه الناس.
- ٦- تجنب سلبيات الخطاب الديني من اجل نشر الخير بشكل افضل وميسر وسهل.



قائمة المراجع والمصادر

- ١- الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، إبراهيم العسل، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٢- جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي، تح: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ط١، ١٩٨٧م.
- ٣- أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، تح: محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٤- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط٢٠١٤هـ.
- ٥- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٦- تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد، أحمد عبدالله الطيار، حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد (٢٢)، ٢٠٠٥م.
- ٧- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ابن حبان البستي، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ.
- ٨- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ٩- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- ١٠- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته، صالح عبدالله حميد، ط مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٠٣هـ.
- ١١- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، الطوفي الحلبي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ١٢- الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، الفاروقي زكي يونس، دار عالم الكتب، مصر، ط٢، د. ت.
- ١٣- حتى لا تنذل قيمنا، محمد بن أحمد الرشيد، مكتبة العبيكان، السعودية، ط٣، ٢٠١٤م.





الاعتدال في الخطاب الديني لمدرسة النجف الأشرف

أ.م.د. وليد عبد الحميد خلف

جامعة الكوفة / كلية الفقه

waleeda.khalaf@uokufa.edu.iq

ISSN: 2071-6028





ملخص باللغة العربية

البحث في المشروع التكاملي لمدرسة النجف الأشرف في الاعتدال في خطابها الديني باعتبارها موطن العلم والعلماء وحاضرة الاجتهاد والمجتهدين منذ ألف ومائتي عام، من حيث: اعتدال هذا الخطاب ووسطيته نظرياً وعملياً، الأمر الذي لزم منه أن تتبنى هذه المدرسة مشاريع عديدة في خدمة الإسلام والمسلمين، منها: "مشروع العلوم الإسلامية المقارنة" و"مشروع التعايش الإنساني والإسلامي" و"مشروع تنظيم الاختلاف بين المسلمين" و"مشروع التقريب بين المذاهب الإسلامية" و"مشروع الوحدة الإسلامية"، وإثبات ذلك بالدليل، وباستخدامنا منهج البحث الوصفي التحليلي للحصول على نتائج علمية دقيقة. وحقق البحث أهدافه في البرهنة على أن مدرسة النجف الأشرف بمشروعها الريادي موضوع البحث على خطى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في انفتاحها على المذاهب الإسلامية وتنفيذها مشاريعها المذكورة إعلاء للإسلام، وتوحيداً لكلمة المسلمين ورسماً لصفوفهم وعملاً على تأخيرهم وإفادة من نتائجهم العلمي وتحقيقاً لسعادتهم في الدنيا والآخرة وإحقاقاً لحقوقهم ورفع الحيف والجور عنهم جميعاً، والتعايش مع الآخر المختلف دينياً، وهو ما تحتمه الضرورة اليوم. وتوصل البحث إلى نتائج أهمها: أن الخطاب الديني لمدرسة النجف خطاب إسلامي في أصوله وقواعده، إنساني في نزعته وقيمه، وليكون منطلقاً لتنظيم واقع حياتنا اليوم على أسس التعايش الإنساني بين الناس جميعاً، و"التألف الاجتماعي" مع الآخر، ولهذه المدرسة دور ريادي في الدراسات والعلوم الإسلامية المقارنة على قاعدة أن الخلاف بين المذاهب الإسلامية خلاف تنوع لا خلاف تضاد، وفي التأسيس لمشاريعها المذكورة، ومن كل ذلك استنتجنا توصية بالعمل الجاد والفعل على تحقيق انفتاح المدارس الإسلامية على بعضها لتتعاون في ما بينها على استنباط رؤية منهجية معاصرة من الوحي الإلهي كتاباً كريماً وسنة شريفة في موضوعات "الخطاب الديني" و"تنظيم الاختلاف"، وتوصية أخرى بإيجاد نخبة من علماء العراق ومفكره وأساتذ الجامعات تتحمل مسؤولياتها في كل ذلك.

الكلمات المفتاحية: اعتدال ، خطاب ، مدرسة

*The Moderation in Religious Discourse for School of Al-Najaf Al-Ashraf
Dr. Waleed Abdul-Hameed Khalaf*

Abstract: The paper is concerned with an integral project for the school of Al-Najaf Al-Ashraf in moderation in its religious discourse. Undoubtedly, Al-Najaf Al-Ashraf is considered the cradle of science and scientists. It has also been the city of studiousness and hard-working scholars for 1200 years ago. The moderation of its discourse is characterized by its centrism theoretically and practically. Because of this trait, the school adopts several projects in the service of Islam and Muslims. Among these projects are: the project of "Comparative Islamic Sciences", the project of "Islamic and Human Coexistence", the project of "Organizing Discriminations among Muslims", the project of "Proximity between Islamic Doctrines", and the project of "Islamic Unity". All these projects are proved by evidences via using an analytical-descriptive approach to get accurate results. The paper achieves its aim by proving that the school of Al-Najaf Al-Ashraf and its pioneering project under study takes the same steps of Leaders (Imams) of Household (Peace be Upon Them) in its openness to other Islamic doctrines and implements the above-mentioned projects for Islam. Moreover, these projects help Muslims to unify, benefit from their scientific findings, fulfil their happiness in life and death after, get their rights, redress injustice and live together with those who believe in different religion which becomes an urgent need today. The paper arrives at the following results: the religious discourse for the school of Al-Najaf Al-Ashraf is an Islamic discourse in its fundamentals and rules. It is also human in its vales and intentions. Indeed, it can be a starting point in organizing our everyday reality on the principle of human coexistence and social love between all people and with the other. This school has a pioneering role in the studies of comparative Islamic sciences. Its rule lies in the fact that the difference between Islamic doctrines is a difference of variety not opposition. The school also encompasses its above-mentioned projects. Accordingly, the researcher recommends that the serious and active work should be exerted to achieve openness for Islam schools to each other. In doing so, they will cooperate to envision a contemporary methodology taken from the Holy Quran and Prophet Hadeeth (Sunnah) in subjects of "Religious Discourse" and "Organizing Discrimination". The researcher also recommends that there should be elite from Iraqi scientists, thinkers, and professors who take on their shoulders the responsibilities of achieving the above aims.

Keywords: moderation, speech, school



المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام وأمرنا بالأخوة والألفة والمحبة ..
والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر
الميامين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .
موضوع البحث: المشروع التكاملي لمدرسة النجف الأشرف في الاعتدال في خطابها
الديني.

أسباب اختيار البحث: الحاجة الفعلية في عالمنا المعاصر للتعريف والتثقيف بهذا
المشروع وتطبيقه في واقع الحياة تحقيقاً لوحدة النسيج الاجتماعي واللحمة الوطنية والأخوة الدينية
والسلام.

مشكلة البحث: التساؤلات المتعلقة بالخطاب الديني لمدرسة النجف الأشرف باعتبارها
موطن العلم والعلماء وحاضرة الاجتهاد والمجتهدين منذ ألف ومائتي عام، من حيث: اعتدال هذا
الخطاب ووسطيته نظرياً وعملياً، وإثبات ذلك بالدليل.

جدوى البحث: إن المشروع التكاملي لمدرسة النجف الأشرف في الاعتدال في خطابها
الديني يستحق البحث، لأنه فيه إضافة معرفية تتجلى في أبعاد هذا المشروع التنظيرية والفعلية،
 وإنجازاته التاريخية والمعاصرة، وأثره في السلوك الإيجابي لمئات الملايين من المسلمين الذين
يقلدون مرجعيات هذه المدرسة .

أسئلة البحث: وتفرع على موضوع البحث تساؤلات جوهرية مهمة في البعدين النظري
والعملي تتعلق بمنهج مدرسة النجف الأشرف القائم على الوسطية والاعتدال، وتتعلق بمشاريع
هذه المدرسة وأهمها: مشروع العلوم الإسلامية المقارنة، ومشروع التعايش الإنساني والإسلامي،
ومشروع تنظيم الاختلاف بين المسلمين، ومشروع التقريب بين المذاهب الإسلامية ومشروع
الوحدة الإسلامية.

أهداف البحث: البرهنة على أن مدرسة النجف الأشرف بمشروعها الريادي موضوع
البحث على خطى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في انفتاحها على المذاهب الإسلامية وتنفيذها
مشاريعها المذكورة بمنهجها المبين خدمة للإسلام ورفعة لشأنه، وللمسلمين جميعاً توحيداً لكلمتهم
ورصاً لصفوفهم وعملاً على تأخيهم وإفادة من نتائجهم العلمي وتحقيقاً لسعادتهم في الدنيا والآخرة
وإحقاقاً لحقوقهم ورفع الحيف والجور عنهم جميعاً، وتعايشاً إنسانياً مع الآخر .

أهمية البحث: تشخيص المشروع التكاملي لمدرسة النجف الأشرف في الاعتدال في
خطابها الديني والذي هو خطاب إسلامي في أصوله وقواعده، إنساني في نزعه وقيمه، ويكون
منطلقاً لتنظيم واقع حياتنا اليوم على أسس التعايش الإنساني بين الناس جميعاً، و"التألف



الاجتماعي" مع الآخر سواء كان الآخر فردا أم مجتمعا، أقلية أم أكثرية، مسلما أم غيره، وتفعيل التآخي بين المسلمين جميعا على تعدد مذاهبهم واجتهاداتهم.

فرضيات البحث: أن مدرسة النجف الأشرف تتميز بالوسطية والاعتدال بعيدا عن التعصب والغلو والتطرف ورفضاً للتكفير والشقاق ونبذاً للعنف والطائفية، ولها دور ريادي في الدراسات والعلوم الإسلامية المقارنة على قاعدة أن الخلاف بين المذاهب الإسلامية خلاف تنوع لا خلاف تضاد، وفي التأسيس لمشاريع هذه المدرسة الريادية في التعايش الإنساني والإسلامي، وتنظيم الاختلاف بين المسلمين، والتقريب بين المذاهب الإسلامية، والوحدة الإسلامية.

حدود البحث ومجمعه: لما كان موضوع البحث مشروع مدرسة النجف فإن حدود البحث المكانية مدينة النجف الأشرف والبلدان التي انتشر فيها خريجوها للقيام بواجباتهم الدينية والعلمية والمعرفية، وعليه فإن مجتمع البحث مقلدو مدرسة النجف الأشرف أينما كانوا، ولما كانت فرضيات البحث ثابتة منذ تأسيس مدرسة النجف وإلى اليوم فإن حدود البحث الزمنية بعمر هذه المدرسة.

منهج البحث: إن الاعتدال في الخطاب الديني ظاهرة معرفية سلوكية في مدرسة النجف الأشرف مما اقتضى أن يكون منهج البحث المنهج الوصفي التحليلي للحصول على نتائج علمية دقيقة.

هيكلية البحث: التعريف بمدرسة النجف الأشرف والاعتدال والخطاب الديني، والبحث في منهجها في الوسطية والاعتدال، وفي مشاريعها: "مشروع العلوم الإسلامية المقارنة"، و"مشروع التعايش الإنساني والإسلامي"، و"مشروع تنظيم الاختلاف بين المسلمين"، و"مشروع التقريب بين المذاهب الإسلامية" و"مشروع الوحدة الإسلامية".

المطلب الأول: مدرسة النجف الأشرف وخطابها الديني:

بداية تقتضي ضرورة البحث التعريف بمدرسة النجف والخطاب الديني بإيجاز فيما يأتي:

أولا . مدرسة النجف الأشرف :

أ. تعريفها: المدرسة لغةً: موضع الدرس^(١)، ولذا تُطلق على الموضوع الذي يدرس فيه القرآن الكريم وغيره وتتعلم فيه الطلبة، سميت به لكثرة الدرس فيها وجمعها (مدارس)، ودارسه مُدَرِّسَة: قرأ كل منهما على صاحبه^(٢).

ومن تتبعنا تبين لنا أن لفظ (المدرسة) يُطلق على المواضيع التي تتلى فيها الدروس وتنشط فيها مدارس المتون والكتب، ومذاكرة العلوم والمعارف، وما يتعلق بذلك من أنشطة علمية

(١) المصباح المنير، الفيومي: أحمد بن محمد المقري، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت: ١٩٢/١.

(٢) محيط المحيط، البستاني: بطرس بن يوسف (المعلم)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م: ص ٢٧٦.



وفكرية، ولذا فإنه يصح إطلاقه على المباني والمنشآت المخصصة لذلك، وعلى المدن والحوضر التي تنشط فيها الحركة العلمية وتتطور في ربوعها المعارف فتكون مركزاً للاستقطاب الفكري والعلمي وعاصمة من عواصم الثقافة، فيقال (مدرسة المدينة المنورة)، و(مدرسة الكوفة) و(مدرسة بغداد) و(مدرسة النجف الأشرف)، وغيرها من مدارس العالمين العربي والإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها .

ب. تاريخها: تأسست مدرسة النجف الأشرف سنة (١٧٠هـ / ٧٦٨ م) عندما أصبحت مأوى العلماء وبغية طلاب العلم بهجرة بعض من تلامذة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وتلامذتهم وبعض من أهل العلم والفضل من العلويين إليها لممارسة نشاطهم العلمي فيها، وتعد مدرسة النجف الأشرف امتداداً لمدرسة الكوفة التي تأسست بعد أن اتخذها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عاصمة للدولة الإسلامية^(١). كما ازدهرت مدرسة النجف الأشرف بفعل المنتج المعرفي لمدرسة بغداد الذي نقله إليها الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ / ٩٩٥-١٠٦٧م)، فغدت منذ أن تزعم الشيخ الطوسي حركتها العلمية وإلى اليوم واحدة من أهم المدارس الإسلامية في تاريخ المسلمين، وتميزت باستقلاليتها التامة عن كل جهة فلم ترتبط إلا بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء^(٢).

ت. دورها: لمدرسة النجف الأشرف منذ تأسيسها بمدارسها ومساجدها وأروقته مساهمة كبيرة وفعالة في الحركة العلمية الإسلامية حيث توسعت كثيراً في دراسة وتمحيص وتحليل العلوم الإسلامية (علوم القرآن الكريم وتفسيره، وعلوم الحديث الشريف وشروحاته، والفقه الإسلامي وقواعده، وأصول الفقه، وعلم الكلام، والفلسفة الإسلامية، وغيرها)، وعلوم اللغة العربية والعلوم الصرفة والإنسانية الأخرى مما تمس إليها حاجة الأمة لبناء صرحها الحضاري، إذ عكف علماءها على تتبع اجتهادات المجتهدين من سلف الأمة ومناقشة مداركهم وتمييز راجح آرائهم من مرجوحها^(٣).

(١) الأحلام، الشرقي: علي بن جعفر النجفي، شركة الطبع، بغداد، ١٩٦٣: ص ٤٢، الشيخ الطوسي، الحكيم: الأستاذ الدكتور حسن عيسى، ط ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م: ص ٩٥-٩٦.

(٢) ماضي النجف وحاضرها، محبوبة: الشيخ جعفر، المطبعة العلمية، النجف، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م: ٢/ ٤٠٣ وما بعدها، تاريخ وتطور الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف العلمية، الحكيم: آية الله السيد محمد جعفر، ط ١، مؤسسة المنار، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م: ص ٨١، وما بعدها.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة، الخليلي: جعفر النجفي، قسم النجف، ط ٢، بيروت، ١٩٦٥م: ٣٧/٢.



ث. إنجازاتها: حققت مدرسة النجف الأشرف إنجازات علمية كثيرة يمكن إجمالها بما يأتي:

١. تخريج الآلاف من العلماء والأدباء والمفكرين والمثبات من المجتهدين.
٢. تأليف آلاف الكتب في شتى صنوف العلوم ومختلف المعارف.
٣. الإبداع في الاجتهاد بكثرة التفريعات العلمية، وتشقيق المسائل، واستحداث النظريات في علمي الفقه وأصول الفقه وتحقيق الكثير من الإنجازات المعرفية في العلوم الإسلامية المقارنة وغيرها.
٤. المحافظة على التراث الإسلامي، وذلك عن طريق دراسة مؤلفات ونظريات العلماء السابقين من جميع المذاهب الإسلامية، والترجيح فيما بينها بالدليل والبرهان.
٥. المحافظة على اللغة العربية والأدب العربي والعمل على نشرهما في أرجاء العالم الإسلامي، والمساهمة الفعالة في حركة التعريب.
- ج. منهجها ومشاريعها: ومما تميزت به مدرسة النجف الأشرف منذ تأسيسها وإلى اليوم منهجها القائم على "الوسطية" و"الاعتدال في خطابها الديني"، الأمر الذي لزم منه أن تتبنى هذه المدرسة مشاريع عديدة في خدمة الإسلام والمسلمين، منها "مشروع العلوم الإسلامية المقارنة"، و"مشروع التعايش الإنساني والإسلامي"، و"مشروع تنظيم الاختلاف بين المسلمين"، و"مشروع التقريب بين المذاهب الإسلامية" و"مشروع الوحدة الإسلامية".
- ثانياً. الخطاب الديني:

أ. الخطاب لغة: من خطب، أي تكلم كلاماً يسمى "خطبة"^(١)، والخطاب: يعني الكلام بين اثنين^(٢)، وفصل الخطاب: بلاغة الكلام وجمعه للمعنى المقصود بحيث لا يحتاج سامعه إلى زيادة تبيان^(٣)، ومن تعريفات الخطاب اصطلاحاً: كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر من المتكلم أو الكاتب وتفترض التأثير على السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها^(٤)، ووصف الخطاب بـ"الديني" نسبة إلى الدين إذا كان الباعث

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، ط٣، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٣٠٢هـ: ١/٦٣. مادة "خطب".

(٢) لسان العرب، ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م: ١/٣٦١. مادة "خطب".

(٣) تفسير التحرير والتوير، ابن عاشور: محمد الطاهر، ط١، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م: ٢٢٩/٢٤.

(٤) تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد، الطيار: أحمد عبد الله، حولية كلية أصول الدين، العدد (٢٢)، المجلد الثالث، القاهرة، ٢٠٠٥: ص ١٢.



عليه الانتماء إلى الدين وما يصدر عن علماء الدين والمجتهدين استنادا إلى الدين، وخطاب مدرسة النجف الأشرف خطاب ديني يستند إلى أصول الإسلام ومصادر تشريعه.

ب. الوسطية لغة من الوسط، وهو: العدل والنصف^(١)، وأوسط الشيء: أفضله وخياره^(٢)، والوسط من كل شيء: أعدل وأفضله وخياره^(٣)، فالوسطية إذن تدل على الاعتدال والإنصاف والأفضلية والخيرية.

وعرّفت الوسطية اصطلاحاً بتعريفات، منها: كل أمر يصدر في أي شأن من شؤون حياة المسلم أساسه الاعتدال والتوازن والموافقة للصواب الشرعي دون إفراط أو تفريط^(٤).

ت. الاعتدال لغة من العدل، وهو ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، والعدل من الناس المرضي المستوي الطريقة، وقيل المرضي قوله وحكمه، وعدل الشيء عدلاً: أي وازنه، والاعتدال: توسط حال بين حالين في كم أو كيف^(٥)، ومن معاني العدل والاعتدال: الحكم بالعدل والاستقامة والتسوية والموازنة والمساواة والإنصاف والتوسط^(٦).

والاعتدال اصطلاحاً: التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتتبع والافراط والتفريط، والاستقامة والتركيز والتوسط والخيرية^(٧).

المطلب الثاني: الوسطية والاعتدال منهج الخطاب الديني في مدرسة النجف الأشرف:

إن خطاب مدرسة النجف الأشرف خطاب إسلامي في أصوله وقواعده، إنساني في نزعتة وقيمه، يخاطب الناس عموماً والمسلمين خصوصاً على وفق المبدأ الذي أمر به أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله: "الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق" ليحقق هذا الخطاب مصلحة الإنسان (كل إنسان) وحقوقه كاملة على أساس وحدة النوع الإنساني ولتثبيت أسس التعايش الإنساني بين جميع الأمم والشعوب وخصوصاً الإسلامية منها، ومن الدلائل على ذلك:

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م: ١٠٨/٦ مادة "وسط".

(٢) لسان العرب: ابن منظور، ٤٢٦/٧، مادة "وسط".

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م: ٢١/١٣.

(٤) الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم، عصام صالح أحمد، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، ودمدني، السودان، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م: ص ٨.

(٥) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ٢٤٦/٤، لسان العرب: ابن منظور، ٤٣٠/١١ مادة "عدل".

(٦) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، ٥٩٤/٢.

(٧) السياسة الإسلامية والإسلام السياسي، أبو الرُّب: الدكتور صلاح الدين محمد، دار الخليج للصحافة والنشر، عمان، ٢٠١٧م: ص ١٣٠.



أولاً: اشتهرت مدرسة النجف الأشرف بتبنيها منهج "الوسطية والاعتدال"، وهو منهج يقوم على أساس الإنصاف والعدل والتسوية بعيداً عن الغلو والتطرف والتقصير والإفراط والتفريط، مراعيًا ظاهرة التوازن والتقارب والموضوعية والاعتدال^(١).

ثانياً: في رؤية مدرسة النجف الأشرف أن الأمة الإسلامية بجميع مذاهبها واجتهادات علمائها أمة واحدة يجمعها دين واحد ومصالح وأمانى مشتركة، أمة واحدة وسطاً بين سائر الأمم، ووسطيتها عامة وشاملة لجميع المجالات الثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية^(٢).

ثالثاً: إن الاعتدال في الخطاب الديني لمدرسة النجف الأشرف قائم على الاستقامة في الدين أي الالتزام التام بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، ومبادئ الإسلام الحنيف وآدابه، والإيمان المطلق بأصول الدين، وامتنال أحكام الشريعة والتحلي بالأخلاق الفاضلة ومخالفة الهوى^(٣).

رابعاً: للمرجعية الدينية العليا في مدرسة النجف الأشرف في عصرنا الحاضر (كما كان عليه الأمر في جميع العصور السالفة) مشروع خطاب ديني وطني حضاري موجه للعقل والقلب قائم على نبد الطائفية والعنف والتطرف بكل صوره وأبعاده، وترسيخ مبادئ الوسطية والاعتدال والمواطنة، وثقافة السلم الأهلي والتعايش الإنساني والأخوة الدينية والأمن المجتمعي^(٤).

خامساً: في الوقت الذي قدم فيه المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني نفسه بقوله "أنا خادم لجميع العراقيين" فقد أكد في الكلمة التي ألقيت نيابة عنه في عام (٢٠٠٧م) في افتتاح الملتقى الأول لعلماء السنة والشيعية في العراق على "محبة سماحته لجميع الناس مستنكرًا الفرقة بين المذاهب الإسلامية"، مبيناً "أن نقاط الخلاف بين الشيعة والسنة في قضايا فقهية موجودة بين أبناء المذهب الواحد أيضاً... لا بد للشيعة أن يدافعوا عن الحقوق الاجتماعية والسياسية للسنة قبل أبناء السنة أنفسهم... خطابنا الدعوة إلى الوحدة، وكنت ولا أزال أقول لا تقولوا اخواننا أهل السنة، بل قولوا أنفسنا أهل السنة... الاسلام يجمعنا معاً... أنا مع الجميع حينما يطالبون بحقوقهم"^(٥).

(١) ينظر: الوسطية والاعتدال وحركة الإصلاح الديني، حب الله: الشيخ حيدر، حوار منشور في صحيفة مرفأ الكلمة، ٢٠٠٨م.

(٢) الوسطية والاعتدال في فكر الشهيد السيد محمد باقر الحكيم، العتابي: الدكتور جون، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم: ص ٣.

(٣) ينظر: التشيع مدرسة الوسطية والاعتدال، الفياض: المرجع آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق، وكالة أنباء برائث، ٢٠١٦/٨/١٩.

(٤) ينظر: الواقع الشيعي يدعو للوسطية والاعتدال واحترام الآخر، الحكيم: المرجع آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، وكالة أنباء الحوزة، ٢٠١٨/٨/١٣.

(٥) وقائع المؤتمر الوطني الاول الكبير لعلماء الشيع والسنة في العراق المنعقد على قاعة الحسينية الفاطمية الكبرى في النجف الاشرف للفترة من ١١/٢٦ ولغاية ١١/٢٧/٢٠٠٧.

المطلب الثالث - مشروع العلوم الإسلامية المقارنة :

منذ تأسيسها قبل أكثر من ألف ومأتي عام انفتحت مدرسة النجف الأشرف على نتاج علماء المذاهب الإسلامية في علوم الدين أصولا وفروعا وفي مقدمتها علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول والكلام والعقيدة وغيرها، ودرست أمهات الكتب والمتون التي أنتجها العلماء المسلمون على تعدد مذاهبهم وتنوع اجتهاداتهم، ومن الجهود المعرفية في ذلك:

أولا: إن الشيخ أبو جعفر الطوسي رائد في هذا المنهج نظريا وعمليا، حيث كان متبحرا في فقه المذاهب الإسلامية المقارن (فقه الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية والظاهرية)، وكتابه "الخلاف" يشهد بذلك الذي بحث فيه المسائل الفقهية المختلف فيها بحثا فقهيا جامعا استدلاليا مقارنة بين اجتهادات ومدارك المذاهب الإسلامية على تعددها بموضوعية دقيقة بعيدا عن التعصب والانحياز إلا للكتاب الكريم والسنة الشريفة^(١).

ثانيا: احترمت مدرسة النجف الأشرف منذ تأسيسها وإلى اليوم اجتهادات علماء جميع المذاهب الإسلامية وتعدد قراءاتهم للنص الديني الإسلامي كل حسب مداركه ووعيه وثقافته (على تعدد اجتهاداتهم وأزمנתهم، وتباين فهمهم للنصوص، واختلاف مناهجهم ورؤاهم، وتنوع ثقافتهم وأصولهم) لتبيان فهمهم لحقائق الدين واستنباطهم للأحكام في شتى مجالات الحياة العامة والخاصة، كل ذلك بحيادية تامة من جانب وبمتطلبات المنهج العلمي المقارن من جانب آخر وبدقة متناهية وأمانة في النقل وموضوعية في التحليل^(٢).

ثالثا: تبهرت مدرسة النجف الأشرف في "علم الخلاف"، وفي فلسفتها فإن هذا "الخلاف" خلاف تنوع لا خلاف تضاد، مما أسس لمشروع "التقريب بين المذاهب الإسلامية".

رابعا: من الشواهد التطبيقية لمنهج مدرسة النجف الأشرف في ذلك دور الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٢٢-١٣٨٤هـ/١٩٠٤-١٩٦٤م) المثمر في الدراسات الإسلامية المقارنة وفي التقريب بين المذاهب الإسلامية، وانتهج في ذلك "منهج التتوير والتبصير" بتوضيح الحقائق العلمية وتقريب العلوم التي انتجتها مدارس المذاهب الإسلامية، وتيسير الإدراك والفهم، وتأليف القلوب حول كلمة الحق، وإزالة الحجب عن أعين الناظرين، وحماية العقول من جمود

(١) الخلاف، الشيخ الطوسي: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي، مؤسسة النشر الإسلامي، تحقيق: محمد مهدي نجف وجواد الشهرستاني وعلي الخراساني الكاظمي، قم المقدسة، ١٤٠٧هـ: ١/١٢ وما بعدها.

(٢) منتهى المطلب في تحقيق المذهب، العلامة الحلي: الشيخ أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي ابن المطهر الأسدي، مجمع البحوث الإسلامية، التحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، تقديم: الدكتور محمود البستاني، إخراج: الحافظ علاء البصري، مشهد المقدسة، ١٤١٢هـ: ١/٧ وما بعدها.



المتعصبين، والدعوة إلى الانصاف في الحكم، والتثبت قبل ابداء الرأي، والتشاور بين أهل العلم، ولذا فقد أسس بمعية بعض من علماء النجف الأشرف "كلية الفقه" لتكون صرحا علميا جامعيا يجمع بين العمق المعرفي للحوزة العلمية والمنهج الأكاديمي وباعتماد الدراسة المقارنة في العلوم الإسلامية على تعددها، وتكون "كلية الفقه" من سبل التقريب بين المذاهب الإسلامية^(١).

خامسا: لمدرسة النجف الأشرف في جميع عصورها منذ نشأتها وإلى اليوم نتاج علمي رائد في الدراسات والعلوم الإسلامية المقارنة كالتفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث الشريف وعلم الفقه وعلم أصول الفقه وعلم الكلام وغيرها، ومن الشواهد على ذلك في العصر الحديث موسوعات "الأصول العامة للفقه المقارن" لآية الله السيد محمد تقي الحكيم (١٣٣٩هـ- ١٤٢٣هـ)، و"الفقه على المذاهب الخمسة" لآية الله الشيخ محمد جواد مغنية (١٣٢٣- ١٤٠٠هـ/١٩٨٠-١٩٠٤م)، و"فقه الخلاف" لآية الله الشيخ محمد اليعقوبي، وجميعها مطبوعة منشورة، وغيرها الكثير الكثير.

سادسا: إن البحث العلمي المقارن في "فقه الخلاف" على وفق رؤية مدرسة النجف الأشرف، جزء من ثقافة الحوار مع المذاهب الإسلامية، والمساهمة في التقارب، وإزالة التشنج، وعلى أن يكون المنهج في البحث العلمي المقارن على وفق الموضوعية والحيادية والإنصاف ولتتغلب حواجز الانغلاق والتعصب والجمود ويتحقق التنوع الفقهي^(٢).

المطلب الرابع - مشروع التعايش الإنساني والإسلامي:

نظرت مدرسة النجف الأشرف منذ ما قبل عصر الشيخ الطوسي لضرورة "التعايش الإنساني" و"التألف الاجتماعي" مع الآخر سواء كان الآخر فردا أم مجتمعا أم دولا، أقلية أم أكثرية، مسلما أم غيره، مع تأكيدها على ضرورة التأخي بين المسلمين جميعا^(٣)، ومن جوانب هذا التنظير ما يأتي:

أولاً: سعت هذه المدرسة جاهدة لتحقيق مشروع التعايش الإنساني بالاعتراف بوجود الآخر والعيش معه على مبدئين:

الأول: مبدأ "وحدة النوع الإنساني" والذي يلزم منه إقرار حق المساواة بين جميع الناس على أساس "الإنسانية"، وبين المسلمين على أساس "الإسلام".

(١) ينظر: الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف، الآصفي: آية الله الشيخ محمد مهدي، تقديم: ماجد الغرابوي، العارف للمطبوعات ومؤسسة المثقف العربي، سدي، ٢٠١٠م: ص ١٠٠ وما بعدها.

(٢) فقه الخلاف، اليعقوبي: آية الله الشيخ محمد، ط ٢، النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ: ص ٦.

(٣) ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين، الحكيم: آية الله السيد محمد باقر، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ط ٤، النجف الأشرف، ٢٠٠٨م: ص ٢١٩.



الثاني: مبدأ "الكرامة الإنسانية" مما يستلزم منه الشعور بالانتماء إلى أصل واحد، وضمان المساواة في الحقوق، والقبول بالتنوع الثقافي، واحترام الخصوصيات، مما يتحقق معه السلام والوئام والتقدم والازدهار بتعاون الجميع لإثراء الحضارة الإسلامية بل والإنسانية وتقدمها تحقيقاً لسعادة المجتمع البشري.

ثانياً: اهتمت مدرسة النجف الأشرف بـ"الوحدة الاجتماعية" و"العدالة الاجتماعية" فكاراً وتنظيراً وفقها وتطبيقاً، وتوظيف ذلك إيجابياً في السلوك مع الآخر، كما عيّنت هذه المدرسة بتنقيف أتباعها بضرورة الاعتراف بوجود الآخر المختلف دينياً ومذهبياً وعرقياً وثقافياً واجتماعياً باعتبار أن الاختلاف حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها ولا يصح القفز فوقها ولا تجوز مصادرتها، ولا بد من التعايش معها إنسانياً وإسلامياً وفق أخلاق أئمة أهل البيت (عليهم السلام)^(١).

ثالثاً: وثق بعض العلماء الأعلام تنظير مدرسة النجف الأشرف في كل ما يتعلق بذلك منهاجاً ومشروعية وفلسفة ونتاجاً وآثاراً في كتب قيمة مهمة، منها على سبيل المثال كتاب "الفصول المهمة في تأليف الأمة" لآية الله العظمى السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (١٢٩٠-١٣٧٧هـ/١٨٧٣-١٩٥٧)، والذي كان من دعاة التآخي والتعايش والتوادد والألفة بين السنة والشيعة، ومن رواد مشروع التقريب بين المذاهب والوحدة الإسلامية.

رابعاً: لتحقيق ذلك لا بد من توظيف آليات دقيقة، منها التركيز على الوفاق منهاجاً وسلوكاً وتنظيراً وفعلاً، والتنقيف بالمشتركات بين المذاهب الإسلامية في الأصول والفروع والأحكام والقيم، ومن أمثلة ذلك توظيف الإمام آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الزنجاني (١٣٠٤-١٣٨٨هـ/١٨٨٧-١٩٦٨م) جهوده العظيمة في رحلاته الرائدة في بلدان العالم الإسلامي وعلاقاته الطيبة بأعلام الأمة الإسلامية وعلماء مذاهبها وخصوصاً الأزهر الشريف، ولا سيما بشيخه محمد مصطفى المراغي لإظهار الأصول المشتركة بين السنة والشيعة، ولإيجاد أرضية صلبة للتعايش وللتآخي والتقارب بينهما تمهيداً لتحقيق الوحدة الإسلامية^(٢).

خامساً: في يومنا هذا لا زال المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني يؤكد في كل وقت وحين على رص الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية والتجنب عن إثارة الخلافات المذهبية، مركزاً على المشتركات أصولاً وفروعاً وقيماً التي تجمع المسلمين سنة وشيعة، وقد ألزم سماحته الجميع على التعايش السلمي بين الجميع وفق ضوابط الاحترام المتبادل بعيداً عن المشاحنات والمهاترات المذهبية والطائفية أيّاً كانت عناوينها، وأن مواقف سماحته

(١) ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين: الحكيم: آية الله السيد محمد باقر، ص ٢٠٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية، الدفتر:

الأستاذ محمد هادي، إخراج وتنقيح: حسن الشيخ إبراهيم الكنتي، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٣، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م: ٢٥/١ وما بعدها.



والبيانات الصادرة عنه خلال السنوات الماضية بشأن المحنة التي يعيشها العراق، وما أوصى به أتباعه ومقلّديه في التعامل مع إخوانهم من أهل السنة من المحبة والاحترام، وما أكد عليه مراراً من حرمة دم كل مسلم سنياً كان أو شيعياً وحرمة عرضه وماله والتبرؤ من كل من يسفك دماً حراماً أياً كان صاحبه... كل هذا يفصح بوضوح عن منهج مرجعية النجف الأشرف الدينية العليا في التعاطي مع أتباع المذاهب الإسلامية جميعاً ونظرتها إليهم، ولو جرى الجميع وفق هذا المنهج مع من يخالفونهم في المذهب لما آلت الأمور إلى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب كل مكان وقتل فظيع لا يستثنى حتى الطفل الصغير والشيخ الكبير والمرأة الحامل وإلى الله المشتكى^(١).

المطلب الخامس: مشروع تنظيم الاختلاف بين المسلمين:

في رؤية مدرسة النجف الأشرف أن الاختلاف في الدين والمذهب والثقافة والفكر والفلسفة أمر طبيعي لاختلاف الناس في القدرات العقلية وطبيعة التفكير ومستوى الذكاء والتحصيل العلمي والبيئة الثقافية والرؤى والفلسفات والأهداف والدوافع والغايات، وسيبقى الاختلاف قائماً ببقاء هذه العوامل شئنا أم أبينا، وإذا علمنا أنها عوامل باقية ببقاء الإنسان تبين لنا أن الاختلاف موجود ما دام الإنسان موجوداً في هذه الدنيا، بل قد يكون الاختلاف ضرورياً في واقع الحياة لأن القدرات العقلية للإنسان تتطور وتتكامل بالاختلاف المعرفي مع الآخر وبذلك يتشكل المجال الأفضل للتطور الذهني والمعرفي ويساعد لبناء أدوات ذهنية جديدة^(٢).

وتسعى مدرسة النجف الأشرف لتكييف الاختلاف تكييفاً إيجابياً واعياً، وذلك بجعله اختلاف تنوع لا تجبيره إلى اختلاف تضاد، وبالانتقال من عنف الخلاف إلى تنظيم الاختلاف، ولتحقيق ذلك لا بد من تأصيل الوعي وصدق النوايا وتظافر الجهود. ولتنظيم الاختلاف أسس لا يتحقق دونها تحتم على الجميع كل من موقعه تفعيلها في المرحلة الراهنة، وهي:

أولاً: الوعي: وذلك بأن يعمل كل قادر على أن يعي كل فرد من أفراد المجتمع أن الاختلاف أمر واقع وأن تنظيمه مطلب شرعي وعقلي ووجداني وهذا ما أثبتته النتائج المعرفية لمدرسة النجف الأشرف، ولا بد من إزالة العوائق النفسية التي تحول دون قبول تنظيم الاختلاف وهي (كراهية الآخر، والجمود الذهني، والتعصب)، والعمل على توظيف الاختلاف لإثراء الثقافة الدينية على مبدئي "التعددية" و"التسامح" بعد إزالة العوائق النفسية الواعية واللاواعية التي تحول دون هذا، وعلى العلماء نزع الغطاء الديني عن كل ما يثير الفتنة والفرقة والخلاف بين الجميع، واجتثاث ثقافة الحقد والتعصب والإقصاء ورفض الآخر^(٣).

(١) السيستاني: الإمام آية الله العظمى السيد علي الحسيني (المرجع الديني الأعلى)، بيان مكتب سماحة

السيد (دام ظلّه) حول الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية في ١٤/محرم/١٤٢٨.

(٢) ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين: الحكيم: آية الله السيد محمد باقر، ص ١٧٧ وما بعدها.

(٣) ينظر: صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه: الدفتر، ص ١٥٥ وما بعدها.



ثانيا: المعرفة: وفي رؤية مدرسة النجف الأشرف أن الجهل بحقيقة رؤية الآخر ودليله وما يستتبعه من تجهيل وتعصب وانغلاق وجمود وظلامية سببا للخلاف بين الناس وتأجيج الصراع، كما أنه يجب على الجميع (علماء ومتعلمين، ونخب وكوادر ومثقفين ومثقفين) التحرر من ظلام التعصب والتجهيل والجهل ولوازمها إلى نور التسامح والموضوعية والمعارف وآفاقها... فأما العالم والأستاذ فبفتهمه رؤية الآخر وتعقله تنظيره بموضوعية وعلمية وحيادية ونشره الحقيقة العلمية بين الناس وتنقيفهم بها، وأما المتعلم والطالب فيأقباله على التعلم ومعرفة ثقافة الآخر. وترى مدرسة النجف الأشرف أن الاختلاف ينتج وعيا مزدوجا بنقد المنظومة الفكرية والثقافية للذات وتحليلها معرفيا وقيما ومراجعتها وتصحيحها في حوار جذلي دائم، واكتشاف أوجه نظر مغايرة تمثل معارف وثقافات الآخر والتي ينبغي أن تفهم على أنها مرآة عاكسة لاكتشاف الذات وتقييم تجربتها لتقويمها.

ثالثا: الحوار الديني البناء: وهو ما تدعو إليه مدرسة النجف الأشرف، وعلى أن يبدأ بتخاطب أبناء الأمة (وفي مقدمتهم العلماء والمفكرون والباحثون والأكاديميون والنخب المختلفة) تخاطبهم في القضايا المختلف فيها للتفاهم بشأنها وتعقلها سعيا لمعرفتها، ولإيجاد قواسم مشتركة بينهم وبما يحقق الصالح العام، وعلى علماء الأمة كل من موقعه نشر ثقافة الحوار بمدلولاته الإيجابية كونه وسيلة للتفاهم والتلاقي والتقارب والتواصل مع الآخر وصولا إلى حل للمعضل المختلف فيه بعلمية وموضوعية وودية واحترام بعيدا عن العنف بكل صوره وأبعاده، ولإيجاد أرضية مشتركة تضمن التأخي بين جميع المكونات وخصوصا بين السنة والشيعة^(١). إن كل ذلك يحقق لحملة النسيج الاجتماعي بل "وحدة الأخوة الحقيقية" أي "وحدة النوع الإنساني" القائمة على مبادئ "العبودية لله تعالى" و"الأخوة في الدين" و"التناظر في الخلق"، فالوحدة بين الناس يمكن أن تتحقق مع وجود الاختلاف في العقائد والأفكار والاجتهادات، وذلك بتنظيم الاختلاف في إطار الوحدة الحضارية للأمة، وإعادة تشكيل ذهنية الإنسان ليقبل الاختلاف في إطار الوحدة، وهذه مسؤولية الجميع^(٢).

(١) ينظر: صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه: الدفتر، ص ٧٦ وما بعدها.

(٢) ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين، الحكيم: آية الله السيد محمد باقر، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ط ٤، النجف الأشرف، ٢٠٠٨م: ص ١٧٩ وما بعدها.



المطلب السادس: مشروع التقريب بين المذاهب الإسلامية :

تميزت مدرسة النجف الأشرف بتبنيها هذا المشروع لأكثر من اثني عشر قرناً، ويمكننا إجمال رؤيتها في ذلك بما يأتي:

أولاً: التقريب بين المذاهب الإسلامية مشروع ريادي تبنته مدرسة النجف الأشرف، ويعني السعي إلى تحقيق التآلف بين جميع المذاهب الإسلامية والأخوة الدينية بين السنة والشيعة على أساس المبادئ الإسلامية المشتركة الثابتة والأكيدة.

ثانياً: التقريب معناه، أن لا يكون الخلاف في الاجتهاد والتأويل سبباً في الاختلاف في الموقف بل تجبيره ليكون اختلاف تنوع يثري ثقافة المسلمين ويؤسس لوحدة الأمة الإسلامية ووحدة مصيرها. والتقريب يعني أيضاً عدم الشطط في الخلاف حتى لا يكون قاعدة صلبة للفتن الضارية^(١).

ثالثاً: التقريب بين المذاهب الإسلامية وفق تنظير مدرسة النجف يعني تقريب شقة الخلاف بين المسلمين مع احترام تنوعهم الديني والمذهبي والاجتماعي، والحد من تأثير العوامل المفرقة التي كان من أهمها وأقواها جهل بعض المذاهب بأسس وركائز البعض الآخر، والتعريف بالمشتركات الكثيرة بين المذاهب الإسلامية في الأصول والفروع والأخلاق، والاهتمام بالبحث عن الحقائق لكل مذهب من المذاهب الإسلامية، فكل مذهب له متبنيات خاصة، سواء في الجانب العقدي أو الفقهي أو في حقل تفسير التاريخ وفهم التاريخ، والأخذ بمتبنيات وآراء كل مذهب من لسان أصحابه وآرائهم ومن الآراء الصحيحة والمعروفة لدى ذلك المذهب، وكل ذلك على أساس الاحترام والتقدير المتبادل بين جميع المذاهب الإسلامية وعلى قاعدة "الرأي والرأي الآخر"، والسعي لفهم الآراء والاجتهادات وتفهمها ومقارنتها والافادة منها جميعاً على قاعدة "تنوع الاجتهاد"^(٢).

رابعاً: بذلت مدرسة النجف الأشرف محاولات كثيرة للألفة بين المسلمين والتقارب بين المذاهب الإسلامية، وسعت إلى الحوار العلمي المقارن ودراسة أسباب الاختلاف، ووضع المبادئ المشتركة للاتفاق والتقارب والوفاق بين المسلمين جميعاً على تعدد مذاهبهم واختلاف اجتهاداتهم.

(١) ينظر: الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة، الشيرازي: عبد الكريم بي آر، مؤسسة الأعلمي، ط ٢، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م: ص ٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين: الحكيم: آية الله السيد محمد باقر، ص ٢٠٩ وما بعدها.



خامسا: كان لمدرسة النجف الأشرف جهود مضمّنية للحد من الصراع العثماني-الفارسي مع أن موقفها من الدولتين تميز بالاستقلالية التامة عن كل منهما، وعدم اقرار سياساتهما، لأن رؤيتها إلى هذا الصراع أنه فتنة بين المسلمين، واستتازاف لقواهم لا مبرر له، ولذا تدخل علماؤها لإخماد هذه الفتنة، وتمكنوا من تحقيق إنجازات مهمة في ذلك منها توسط المرجع الديني الأعلى الإمام آية الله العظمى الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١١٥٦-١٢٢٨هـ/١٧٤٣-١٨١٣م) بين الدولتين، حيث سافر إلى إيران بقصد إطلاق سراح أسرى العثمانيين بعد المعركة التي جرت بينهم وبين الفرس سنة (١٢٢١هـ/١٨٠٦م) واستطاع الشيخ كاشف الغطاء أن يقنع (فتح علي شاه) ملك إيران وابنه محمد علي قائد الجبهة بإطلاق سراح الأسرى العثمانيين، بعد أن فشلت كل الوسائط التي استعملتها الحكومة العثمانية، وقد تم ذلك فعلاً الأمر الذي مهد السبيل لعقد الصلح بعد ذلك بين الدولتين بواسطة الشيخ موسى نجل الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت: ١٢٤١هـ/١٨٢٥م)، ولذا لُقّب بـ(مصلح الدولتين)^(١).

سادسا: من الجهود المهمة للتقريب بين المذاهب الإسلامية المراسلات الشخصية والمحاورات بين "الشيخ إبراهيم الراوي (ت ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) وبين "السيد محمد مهدي السبزواري (ت ١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، والتي استمرت سنتين كاملتين، ونشرت في بغداد عام (١٩٣٠م) في الكتاب الموسوم "داعي الرشاد الى سبيل الاتحاد"، وقد امتازت هذه المحاولة بالنضج والموضوعية والصراحة في تشخيص الاوضاع ونقدها، والخروج بنتائج هي في تصور المتحاورين يمكن ان تكون طريقا لانهاء الصراعات المبنية على التعصب الطائفي، ومن التوصيات التي توصلوا اليها:

- ١- ترك التعصب المتوارث، وإعادة قراءة الاحداث بعينين لا عين واحدة.
- ٢- الابتعاد عن المجادلات الطائفية أو نقل الوقائع الماضية الى الحاضر.
- ٣- ايقاف أي نوع من أنواع التشهير الطائفي بين الفرق والملل والنحل خصوصا في ما يتعلق بالمستحبات والمندوبات الواردة عند بعض المذاهب.
- ٤- ترك الحرية الشخصية للاعتقاد، وعدم جعل المذهبية محورا للتنافس، او التعصب الطائفي، وذلك برفع المصطلحات التي اصطبغت بها هذه المذاهب (مصطلحات: سني، شيعي، زيدي)، او عدم جعل هذه المصطلحات موضوعا للاختلاف فيما اذا تعذر تحقيق ذلك^(٢).

(١) تقديم كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام)، المظفر: الشيخ محمد رضا، ترجمة صاحب الجواهر، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧هـ.

(٢) إتجاهات التقريب بين المذاهب الإسلامية، القزويني: الدكتور جودت، بحث منشور في مجلة المنهاج . العدد (٢٨)، السنة السابعة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م: ص ١٢٠-١٢١.



سابعا: كان لمدرسة النجف الأشرف دور ريادي في تأسيس "دار التقريب بين المذاهب الإسلامية"، والتي أسسها في القاهرة، سنة (١٣٦٦هـ/١٩٤٧م) الشيخ محمد تقي القمي (ت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، وقد أصدرت "جماعة التقريب" مجلة باسم "رسالة الإسلام" اهتمت بالتقريب بين المذاهب الإسلامية، وقد صدر منها ستون عددا (من ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ولغاية ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، وكانت أهم أهداف "جماعة التقريب" ما يأتي:

١. عدم استغلال الفوارق المذهبية والاختلاف بين المسلمين في شق صفوفهم وإضعافهم بالتناحر.

٢. قراءة المشتركات بين المسلمين وإبرازها وتعزيزها والتثقيف بها.
٣. عدم السعي إلى الغاء بعض مذاهب المسلمين على حساب بعض، بل تسعى إلى إبقاء المسلمين كل على مذهبه، وعدم جمعهم على مذهب واحد^(١).

ثامنا: ضمن جهود مدرسة النجف الأشرف في الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية زار الشيخ محمد جواد مغنية سنة (١٩٦٣م) جامعة الأزهر والقاهرة وعين شمس ودار الكتب ثم اجتمع بشيخ الأزهر آنذاك الشيخ محمود شلتوت ودار بينهما حوار حول الوحدة الإسلامية، وكان الشيخ مغنية قد التقى من قبل بالشيخ محمد أبو زهرة في دمشق سنة (١٩٦٠)^(٢)، كما قام السيد مرتضى الرضوي برحلتين إلى مصر (الأولى في فترة الخمسينات ما بين عام ٥٧ وعام ٥٨، والثانية في منتصف السبعينات) لغرض العمل على تحقيق الوحدة الإسلامية بين المسلمين سنة وشيعة، والتقى بكثير من الرموز الإسلامية والثقافية وأجرى حوارات معها ثم دون هذه اللقاءات والحوارات في كتابه الكبير الموسوم "مع رجال الفكر في القاهرة" من أجل وحدة الكلمة وتراس الصفوف^(٣)، كما ألف السيد الرضوي كتابه القيم "في سبيل الوحدة الإسلامية".

تاسعا: عمل آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي على إيجاد أرضية مشتركة لتحقيق الوحدة الإسلامية بين السنة والشيعة، والعمل على التقريب بين المذاهب الإسلامية، والتقى مفتي الأزهر الشيخ سليم البشري وأصبحت بينهما علاقات ومراسلات ومحاورات.

- (١) إتجاهات التقريب بين المذاهب الإسلامية: القزويني، ص ١٢٢.
- (٢) تجارب محمد جواد مغنية بقلمه، مغنية: آية الله الشيخ محمد جواد، مراجعة وتحقيق رياض البغدادي، أنوار الهدى، ط ١، قم المقدسة، ١٤٢٥هـ: ص ٣١٥ وما بعدها.
- (٣) ينظر: مع رجال الفكر في القاهرة، الرضوي: السيد مرتضى، الإرشاد للطباعة والنشر، ط ٤، بيروت. لندن، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ص ٢٥ وما بعدها.



عاشرا: كانت "الوحدة بين السنة والشيعة" و"الاتحاد الإسلامي" و"التقريب بين المذاهب الإسلامية" أهدافا استراتيجية للإمام آية الله العظمى المرجع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤-١٣٧٣هـ/١٨٧٧-١٩٥٤م) لمعالجة المشاكل التي يعانيها المسلمون والمعوقات التي يكادونها، وبذل جهودا مشكورة لمكافحة كل ما يثير البغضاء والتنافر بين المسلمين في العراق في خطبه ومواقفه وتوجيهاته وسلوكه، والتقى علماء المذاهب الإسلامية الأخرى في أسفاره إلى بلدان العالم الإسلامي وخصوصا في باكستان وفلسطين وغيرها^(١).

حادي عشر: للسيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني (١٣٠١-١٣٨٦هـ/١٨٨٤-١٩٦٧م) كتاب قيم في التقريب بين المذاهب الإسلامية اسماه بـ"توحيد أهل التوحيد" في جمع كلمة المسلمين على الأصول، وللشيخ حبيب آل إبراهيم المهاجر العاملي (١٨٨٦هـ-١٩٦٥م) كتاب "الحقائق في الجوامع والفوارق" الذي ألفه بغية الألفة بين الشيعة والسنة على أساس التفاهم والتقريب على ضوء الدليل.

ثاني عشر: ألزم المرجع الأعلى الإمام آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني الجميع بالتقريب بين المذاهب الإسلامية بقوله: "فينبغي لكل حريص على رفعة الاسلام ورفي المسلمين أن يبذل ما في وسعه في سبيل التقريب بينهم والتقليل من حجم التوترات الناجمة عن بعض التجاذبات السياسية لئلا تؤدي الى مزيد من التفرق والتبعثر وتفسح المجال لتحقيق مآرب الاعداء الطامعين في الهيمنة على البلاد الاسلامية والاستيلاء على ثرواتها"^(٢).

(١) ماضي النجف وحاضرها: محبوبة: الشيخ جعفر، ١٨٦/٣.

(٢) السيستاني: السيد علي الحسيني (المرجع الديني الأعلى)، بيان مكتب سماحة السيد (دام ظله) حول الوحدة الاسلامية ونبذ الفتنة الطائفية في ١٤/محرم/١٤٢٨.

**المطلب السابع: مشروع الوحدة الإسلامية:**

وتبقى الوحدة الإسلامية حلما تسعى مدرسة النجف الأشرف لتحقيقه في واقع حياة المسلمين فأولته اهتمامها تنظيرا وتطبيقا، ومن معالم ذلك:

أولا: الوحدة الإسلامية في فلسفة مدرسة النجف الأشرف تعني: وحدة موقف المسلمين من القضايا الإسلامية الكبرى، ومن القضايا التي تهم المسلمين جميعا في حاضرهم ومستقبلهم، وترسيخ ثقافة الأخوة بين جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم، فليس المقصود بالوحدة الإسلامية أن يتخلى مذهب من المذاهب الإسلامية عن أصوله وفروعه وثوابته والانضواء تحت مذهب آخر، وليس المقصود أن يتحول أتباع مذهب من المذاهب الإسلامية إلى اعتناق مذهب آخر، بل المقصود التركيز على إبراز المشتركات والمتفق عليه بين مذاهب المسلمين تعبيرا عن وحدة الأمة الإسلامية وعن هويتها وشخصيتها^(١).

ثانيا: في منهج مدرسة النجف لا بد من ترسيخ العواطف النبيلة بين جميع المسلمين تجاه بعضهم بأن يتآخى جميعهم وتسود بينهم على اختلاف مذاهبهم رابطة الحب وثقافة الود، ومخاطبة وجدانهم من خلال هذه العاطفة المؤثرة والمحركة لإرادة المسلم^(٢)، وليثمر ذلك تعاون جميع المسلمين على البر والتقوى والاحترار عن كل ما يوجب الفتنة والافتراق، وتوحيد كلمة جميع المذاهب الإسلامية سنة وشيعة ونشر فكر وثقافة الألفة بين الجميع^(٣).

ثالثا: الوحدة الإسلامية وفق رؤية مدرسة النجف لا تعني إلغاء المذاهب ودمجها في مذهب واحد، بل المراد من الوحدة الإسلامية جمع كلمة المسلمين، وتوحيد شعورهم ولم شملهم، وإيجاد آلية عمل مشتركة بينهم في مواجهة الأخطار التي تهدد كياناتهم وحاضرهم ومستقبلهم، والعمل لحفظ الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، والتصدي للأفكار المنحرفة وتنفيذ الشبهات ومواجهة الإلحاد والانحراف الأخلاقي والسلوكي وتحقيق الرفاه والسعادة والعزة والكرامة وإعلاء كلمة الإسلام وشأن المسلمين ورفع الأمة الإسلامية وتقديمها ونهضتها من جديد^(٤).

(١) ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين: الحكيم: آية الله السيد محمد باقر، ص ٣٢ وما بعدها.
(٢) ينظر: رسالتنا، الصدر: الإمام الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر: ص ٢١ وما بعدها.

(٣) ينظر: صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه: الدفتر، ص ٥٢ وما بعدها.

(٤) ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين: الحكيم: آية الله السيد محمد باقر، ص ١٧ وما بعدها.



رابعاً: كان الإمام آية الله العظمى المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (١٣٥٣-١٤٠٠هـ/١٩٨٠-١٩٣٥م) أحد منظري "الوحدة الإسلامية" في مدرسة النجف الأشرف حتى كان شعاره في مجلة الأضواء "رسالتنا يجب أن تكون قاعدة للوحدة" داعياً علماء المذاهب الإسلامية إلى التكاتف والأخوة والوحدة مبيناً أسسها ومحذراً من الفرقة والانشقاق ومخاطرهما، وقد أعلن في خطابه ما نصه: "وإني مذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة بذلت هذا الوجود من أجل الشيعيِّ والسنيِّ على السواء، ومن أجل العربي والكردّي على السواء، حيث دافعت عن الرسالة التي توحدّهم جميعاً، وعن العقيدة التي تضمّمهم جميعاً، ولم أعش بفكري وكياني إلّا للإسلام، طريق الخلاص وهدف الجميع"^(١).

خامساً: بيّن المرجع الأعلى الإمام آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني أن المشتركات بين المذاهب الإسلامية هي الأساس القويم للوحدة الإسلامية، فلا بدّ من التركيز عليها لتوثيق أواصر المحبة و المودة بين أبناء هذه الأمة^(٢).

(١) شهيد الأمة وشاهدها، النعماني: الشيخ محمد رضا، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ط١، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ: القسم الثاني ص ١٨٨.

(٢) السيستاني: السيد علي الحسيني (المرجع الديني الأعلى)، بيان مكتب سماحة السيد (دام ظله) حول الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية في ١٤/محرم/١٤٢٨.



خاتمة البحث (النتائج والتوصيات)

نستنتج من مطالب البحث أهمية مدرسة النجف الأشرف التاريخية وأثرها في واقع حياة المسلمين واستراتيجية مشروعها التكاملي في الاعتدال في خطابها الديني، وتوصلنا إلى نتائج وتوصيات وكما يأتي:

أولا . النتائج :

١. إن مدرسة النجف الأشرف من أهم المدارس الإسلامية في تاريخ المسلمين إذ نشطت الحركة العلمية فيها منذ ألف ومائتي عام وإلى اليوم حتى توسعت كثيراً في دراسة وتمحيص العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية والعلوم الصرفة والإنسانية الأخرى مما تَمَس إليها حاجة الأمة لبناء صرحها الحضاري، وعكف علماؤها على تتبع اجتهادات المجتهدين من سلف الأمة وخلفها ومناقشة مداركهم وتمييز راجح آرائهم من مرجوحها، وحققت مدرسة النجف الأشرف منذ تأسيسها انجازات علمية جبارة رائدة.
٢. منهج مدرسة النجف الأشرف منذ تأسيسها منهج "الوسطية والاعتدال"، وخطابها خطاب إسلامي في أصوله وقواعده، إنساني في نزعته وقيمه، موجه للعقل والقلب قائم على نبذ الطائفية والعنف والتطرف بكل صوره وأبعاده، وترسيخ مبادئ الوسطية والاعتدال والمواطنة، وثقافة السلم الأهلي والتعايش الإنساني والأخوة الدينية والأمن المجتمعي.
٣. في رؤية مدرسة النجف الأشرف أن الأمة الإسلامية بجميع مذاهبها واجتهادات علمائها أمة واحدة يجمعها دين واحد ومصالح وأمانى مشتركة، أمة واحدة وسطاً بين سائر الأمم، ووسطيتها عامة وشاملة لجميع المجالات الثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية.
٤. انفتحت مدرسة النجف الأشرف على نتاج علماء المذاهب الإسلامية في علوم الدين أصولاً وفروعاً دراسة وتحليلاً وتمحيصاً، حتى أصبحت لها الريادة في الدراسات والعلوم الإسلامية المقارنة، بناء على رؤيتها أن ذلك من ثقافة الحوار مع المذاهب الإسلامية، والمساهمة في التقارب، وإزالة التشنج، مع التركيز على الوفاق منهاجاً وسلوكاً وتنظيراً وفعلاً، والتثقيف بالمشتركات بين المذاهب الإسلامية في الأصول والفروع والأحكام.
٥. في المنهج المعرفي لمدرسة النجف الأشرف تكييف الاختلاف بين المذاهب الإسلامية تكييفاً إيجابياً واعياً، وذلك بجعله اختلاف تتوع لا تجبيره إلى اختلاف تضاد، وبالاتقال من عنف الخلاف إلى تنظيم الاختلاف.



٦. التقريب بين المذاهب الإسلامية مشروع ريادي تبنته مدرسة النجف الأشرف، ويعني تحقيق التآلف بين جميع المذاهب الإسلامية والأخوة الدينية بين السنة والشيعة على أساس المبادئ الإسلامية المشتركة الثابتة والأكيدة، وعلى أن لا يكون الخلاف في الاجتهاد والتأويل سببا في الاختلاف في الموقف من العمومات التي تؤسس لوحدة الأمة ووحدة مصيرها، وأن لا يكون الخلاف قاعدة للفتن بين المسلمين.

٧. تعمل مدرسة النجف الأشرف على تقريب شقة الخلاف بين المسلمين مع احترام تنوعهم الديني والمذهبي والاجتماعي، والحد من تأثير العوامل المفرقة التي كان من أهمها وأقواها جهل بعض المذاهب بأسس وركائز البعض الآخر، والتعريف بالمشتركات الكثيرة بين المذاهب الإسلامية في الأصول والفروع والأخلاق، والاهتمام بالبحث عن الحقائق لكل مذهب من المذاهب الإسلامية من مصادره ووفق اجتهاداته علمائه.

٨. من أهداف مدرسة النجف الأشرف ومشاريعها التاريخية مشروع الوحدة الإسلامية، وهو: جمع كلمة المسلمين، وتوحيد شعورهم، ولم شملهم، وإيجاد آلية عمل مشتركة بينهم في مواجهة الأخطار التي تهدد كيانه وحاضرهم ومستقبلهم، والعمل لحفظ الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، والتصدي للأفكار المنحرفة وتفنيد الشبهات ومواجهة الإلحاد والانحراف الأخلاقي والسلوكي وتحقيق الرفاه والسعادة والعزة والكرامة وإعلاء كلمة الإسلام وشأن المسلمين ورفعة الأمة الإسلامية وتقديمها ونهضتها من جديد.

ثانيا. التوصيات:

أخلص من البحث هذا بتوصيتين أضعهما أمام أنظار الجميع :

الأولى: العمل على تحقيق انفتاح المدارس الإسلامية على بعضها لتتعاون في ما بينها على استنباط رؤية منهجية معاصرة من الوحي الإلهي كتابا كريما وسنة شريفة في موضوعات "الخطاب الديني" و"تنظيم الاختلاف" بين جميع مذاهب المسلمين لاستيعاب تنوعهم وبما يحقق تآلفا وتآخيا بينهم مهما اختلفت رؤاهم وأفكارهم وتعددت أديانهم ومذاهبهم.

الثانية: إيجاد نخبة من علماء العراق ومفكره وأساتذ الجامعات تتحمل مسؤولياتها بإدارة الاختلاف وتنظيمه، وتقارب الخطاب الديني، والتقريب بين الأديان والمذاهب، ونشر ثقافة الحوار الإيجابي والتآخي والوحدة بين جميع المكونات.



مصادر ومراجع البحث:

١. الأزهرى: أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ/٩٨١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
٢. الآصفي: آية الله الشيخ محمد مهدي، الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف، تقديم: ماجد الغياوي، العارف للمطبوعات ومؤسسة المثقف العربي، سدني، ٢٠١٠م.
٣. البستاني: بطرس بن يوسف (المعلم) (ت ١٣٥١هـ/١٩٣٣م)، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.
٤. حب الله: الشيخ حيدر، الوسطية والاعتدال وحركة الإصلاح الديني، حوار منشور في صحيفة مرفأ الكلمة، ٢٠٠٨م.
٥. الحكيم: الأستاذ الدكتور حسن عيسى، الشيخ الطوسي، ط١، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٦. الحكيم: آية الله السيد محمد باقر، الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ط٤، النجف الأشرف، ٢٠٠٨م.
٧. الحكيم: آية الله السيد محمد جعفر، تاريخ وتطور الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف العلمية، ط١، مؤسسة المنار، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٨. الحكيم: المرجع آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، الواقع الشيعي يدعو للوسطية والاعتدال واحترام الآخر، وكالة أنباء الحوزة، ٢٠١٨/٨/١٣.
٩. الخليلي: جعفر النجفي، موسوعة العتبات المقدسة. قسم النجف، ط٢، بيروت، ١٩٦٥م.
١٠. الدفتر: الأستاذ محمد هادي، صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية، إخراج وتنقيح: حسن الشيخ إبراهيم الكتبي، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١١. أبو الرب: الدكتور صلاح الدين محمد، السياسة الإسلامية والإسلام السياسي، دار الخليج للصحافة والنشر، عمان، ٢٠١٧م.
١٢. الرضوي: السيد مرتضى، مع رجال الفكر في القاهرة، الإرشاد للطباعة والنشر، ط٤، بيروت، لندن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.



١٣. السيستاني: الإمام آية الله العظمى السيد علي الحسيني (المرجع الديني الأعلى)، بيان مكتب سماحة السيد (دام ظله) حول الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية في ١٤ / محرم / ١٤٢٨ هـ.

١٤. الشرقي: علي بن جعفر النجفي، الأحلام، شركة الطبع، بغداد، ١٩٦٣ م.
١٥. الشيرازي: عبد الكريم بي آزر، الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة، مؤسسة الأعلمي، ط٢، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٦. الصدر: الإمام الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر، رسالتنا، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر.

١٧. الشيخ الطوسي: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي، الخلاف، مؤسسة النشر الإسلامي، تحقيق: محمد مهدي نجف وجواد الشهرستاني وعلي الخراساني الكاظمي، قم المقدسة، ١٤٠٧ هـ.

١٨. الطيار: أحمد عبد الله، تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد، حولية كلية أصول الدين، العدد (٢٢)، المجلد الثالث، القاهرة، ٢٠٠٥.

١٩. ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ط١، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

٢٠. العتابي: الدكتور جون، الوسطية والاعتدال في فكر الشهيد السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم.

٢١. عصام صالح أحمد، الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، ودمدني، السودان، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م.

٢٢. العلامة الحلي: الشيخ أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي ابن المطهر الأسدي، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، مجمع البحوث الإسلامية، التحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى. مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، تقديم: الدكتور محمود البستاني، إخراج: الحافظ علاء البصري، مشهد المقدسة، ١٤١٢ هـ.

٢٣. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.



٢٤. الفياض: المرجع آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق، التشيع مدرسة الوسطية والاعتدال، وكالة أنباء برائا، ٢٠١٦/٨/١٩.
٢٥. الفيروزآبادي: أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي (ت ٨١٧هـ/١٤١٥م)، القاموس المحيط، ط٣، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٣٠٢هـ.
٢٦. الفيومي: أحمد بن محمد بن عليّ المقري (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
٢٧. القزويني: الدكتور جودت، اتجاهات التقريب بين المذاهب الإسلامية، بحث منشور في مجلة المنهاج. العدد (٢٨)، السنة السابعة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٢٨. محبوبة: الشيخ جعفر، ماضي النجف وحاضرها، المطبعة العلمية، النجف، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
٢٩. المظفر: الشيخ محمد رضا، ترجمة صاحب الجواهر. تقديم كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام)، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧هـ.
٣٠. مغنية: آية الله الشيخ محمد جواد، تجارب محمد جواد مغنية بقلمه، مراجعة وتحقيق رياض البغدادى، أنوار الهدى، ط١، قم المقدسة، ١٤٢٥هـ.
٣١. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن عليّ الأنصاري (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.
٣٢. النعماني: الشيخ محمد رضا، شهيد الأمة وشاهدها، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ط١، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ.
٣٤. وقائع المؤتمر الوطني الاول الكبير لعلماء الشيع والسنة في العراق المنعقد على قاعة الحسينية الفاطمية الكبرى في النجف الاشرف للفترة من ٢٦/١١ ولغاية ٢٧/١١/٢٠٠٧.
٣٥. اليعقوبي: آية الله الشيخ محمد، فقه الخلاف، ط٢، النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ.





الخطب الديني للإسلامي المعتدل

مفهومه وأهم مرتكزاته

أ.م.د. ياسر إحسان رشيد

جامعة الأنبار

كلية العلوم الإسلامية

vasiralanny@yahoo.com

ISSN: 2071-6028





ملخص باللغة العربية

أتاحت وسائل التواصل الحديثة إمكانية كبيرة للأفراد والجماعات في الانفتاح على العالم، وهذا أعطى إمكانية توجيه الخطاب من قبل الأفراد وإيصاله إلى الناس، ومع ما لهذا الأمر من الأثر الكبير في تلاقح الأفكار وغير ذلك، إلا أنه كان سبباً في ظهور خطاب ديني متشنج في مواقع التواصل الإلكترونية وغيرها. من هنا برزت الحاجة إلى الخطاب الديني المعتدل الذي يؤدي إلى النتائج المرجوة منه من نشر الفضيلة في المجتمع وهداية الناس إلى دين الله سبحانه، إلا أن الكثيرين (في غمرة شعورهم بالمسؤولية عن دينهم وغيرتهم على عقيدتهم) غاب عنهم ذلك مع أنهم يدعون أن خطابهم معتدل وسطي، حتى الجماعات المتطرفة تدعي الوسطية والاعتدال، وما ذلك إلا بسبب الجهل بمفهوم الخطاب المعتدل وأركانه ووسائل تحقيقه. في هذا السياق يأتي هذا البحث الموسوم لتوضيح مفهوم الخطاب الديني الإسلامي، ومفهوم الاعتدال في الخطاب الديني الذي عُرِف بأنه ((التزام صاحب الخطاب بالأسلوب المهادب والخلق الرفيع والتواضع، والفهم الصحيح للنصوص الشرعية، والبعد عن التعصب والعنصرية، والتزام الموضوعية والإخلاص في الدعوة إلى الدين)). ثم عرض الباحث أهم المرتكزات التي يقوم عليها الخطاب الديني المعتدل. وقد توصل الباحث لجملة نتائج، أهمها: السعي إلى أن يتولى الخطاب الديني الإسلامي مؤسسات ومجامع دينية؛ للوصول إلى خطاب ديني ناضج وإع متكامل، وضرورة تحديد مفهوم الخطاب الديني المراد توسطه، إذ المقصود به الوسائل المتبعة في إيصال الدين الإسلامي إلى الناس كالخطب الدينية والفتاوى والكتب والمقالات وغيرها. كما خرج الباحث بجملة توصيات منها: عدم إقحام الدين في التعبئة السياسية والترويج للأحزاب، وضرورة إقامة مؤتمرات وندوات في بعض الموضوعات المهمة ذات الصلة.

الكلمات المفتاحية: خطاب ، ديني ، مرتكزات

The Religious Islamic Moderate Discourse: Concept and Bases

Ass. Prof. Dr. Yser Ihsan Rasheed

Abstract: Modern means of communication have provided a great potential for people and groups to be opened to the world. This has given people the ability to direct discourse to the masses. However, despite the great advantages of these means in exchanging ideas, they have been the cause of the spread of a religious convulsive discourse. Hence, the need has emerged for a moderate religious discourse which leads to fruitful results represented by the dissemination of virtue in communities and guiding people to the right path of faith. However, many people, triggered by the belief in the responsibility of safeguarding their doctrine, have ignored this notion although they claim that their discourse is moderate. Even extremist groups claim moderation as a result of ignorance of the concept of moderate discourse, its principles and means of achieving moderate discourse. In this light, the study aims at clarifying the concept of the Islamic religious discourse and the concept of moderation in religious discourse. Moderation in religious discourse is defined as the commitment to adhere to eloquent style, high moral, resilience, sound understanding of religious texts, avoiding extremism and coercion, adhering to objectivity and honesty in religious preaching. Moreover, the study aims at highlighting the most important bases of the moderate religious discourse. The most important findings of the study include the fact that the Islamic religious discourse should be under the responsibility of specialized religious institutions and syndicates to arrive at a mature and perfect religious discourse. In addition, the concept of the religious discourse to be moderate should be determined, i.e. the adopted means of communicating the religious discourse to people such as orations, religious opinions books and articles. The most important recommendations of the study include distancing religion from political recruitment and propaganda for parties and holding conferences and seminars on subjects pertaining to moderation.

Keywords: speech, religious, anchors



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين.

وبعد: فإن الدين الإسلامي هو دين الله تعالى الذي ارتضاه لعباده، أنزله عليهم ليكون خاتم الأديان، وجعله صالحاً لكل زمان ومكان، وأوجب على أتباعه الدعوة إلى هذا الدين وبيانته للناس، إلا أن الإشكال في الوسيلة التي يتم بها إيصال هذا الدين إلى الناس؛ إذ إن كثيراً ممن تصدروا للدعوة إليه لم يكونوا مؤهلين بما يكفي ليكونوا دعاة إلى هذا الدين العظيم، الأمر الذي أدى إلى وصول الدين بصورة مشوهة إلى الكثيرين من غير المسلمين، بل إن كثيراً من مفاهيم هذا الدين صارت غير واضحة لدى أتباعه أو تشوهت معالمها لديهم، الأمر الذي كانت له آثار سلبية على المجتمعات الإسلامية، من أهمها شيوع ثقافة عدم تقبل الآخر بدعوى الدفاع عن المذهب ونصرتة، وظهور بعض الحركات المتطرفة التي نفذت عمليات مسلحة بدعوى إصلاح الحاكم ودفع ظلمه، وغير ذلك من الآثار الخطيرة.

كل هذا، وغيره، يوجب علينا البحث في الخطاب الديني الإسلامي لرسم صورة واضحة للخطاب الديني المنشود المؤهل لأن يكون الواجهة التي تُظهر هذا الدين العظيم بين أتباعه وغيرهم بصورته البهية التي أنزله الله عليها.

وهذا البحث مشاركة متواضعة مني لتحقيق هذا الهدف، وأسميته (الخطاب الديني الإسلامي المعتدل، مفهومه وأهم مركزاته)، وقسمته على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وكما يأتي:

المقدمة: بينت فيها أهمية البحث والدافع إلى الكتابة فيه.

المبحث الأول: خصصته لشرح مفهوم الخطاب الديني الإسلامي وأهم أهدافه وغاياته.

المبحث الثاني: شرحت فيه أهم المرتكزات التي يقوم عليها الخطاب الديني الإسلامي المعتدل.

و أسأل الله تعالى أن يجعلني موفقاً في عملي هذا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي زلتي؛ إنه غفور رحيم.



المبحث الأول: الخطاب المعتدل، مفهومه وغاياته المطلب الأول: مفهوم الخطاب الديني المعتدل:

الخطاب هو إيصال الأفكار إلى الناس بواسطة الكلام المفهوم^(١)، والخطاب الديني هو الخطاب المنسوب إلى الدين، وهو وسيلة إيصال المعنى الذي قصده الشارع إلى المخاطب به، أو هو إيصال عقيدة الدين الإسلامي وأحكامه إلى الناس، وتبليغهم الرسالة التي أوحى الله تعالى بها إلى نبيه محمد ﷺ؛ لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم ومع غيره ومع أنفسهم^(٢).
إن الخطاب الديني يشمل مفهومين اثنين، هما:

المفهوم الأول: وهو مفهوم استعمله علماء أصول الفقه واصطلحوا على تسميته بالحكم الشرعي، وعرفوه بأنه خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تخييراً أو وضعاً^(٣). والخطاب بهذا المعنى من خصائصه أنه يتميز بصفة الوسطية، ذلك أنه يمثل أحكام الإسلام، وهو الدين الحنيف الذي أنزله الله رحمة للناس وتضمن تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، وقد جاءت نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تدل على وسطية الدين وسماحته، ويكفي هنا أن أسوق حديثاً صحيحاً يدل على هذا المعنى؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: (الحنيفية السمحة)^(٤)، فدين الإسلام دين يدعو إلى السماحة واليسر، وهو وسط بين الغالي والجافي، وقد وصف الله تعالى دينه بأنه الصراط المستقيم، قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة] والصراط المستقيم قيل: هو الإسلام، وقيل: هو القرآن، وقيل: هو السنة^(٥)، ولا تنافي بين هذه الأقوال، فالإسلام هو ما جاء في الكتاب والسنة مما دلا عليه تصريحاً أو تلميحاً، وقد

(١) ينظر: التوسط في الخطاب الديني وأثره على السلم الاجتماعي للدكتور محمد مطلق عساف، بحث مقدم إلى مؤتمر (السلم الاجتماعي من منظور إسلامي)، كلية الشريعة، جامعة النجاح، فلسطين ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م: ٦ منشور على الرابط:

<https://scholar.najah.edu/sites/default/files/conference-paper/twst-fy-lkhtb-ldyny-wthrh-l-islam-ljtmty.pdf>

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المستصفي للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ٤٥.

(٤) رواه أحمد في مسنده: ١٦/٤-١٧ برقم (٢١٠٧)، وقال فيه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه: (صحيح لغيره).

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ١/ ١٧١-١٧٦.



وُصف بالاستقامة؛ لأن الاستقامة هي الاعتدال وعدم الميل إلى اتجاه على حساب اتجاه آخر^(١)، وهذا هو وصف الدين الإسلامي الذي جاء به رسول الله محمد ﷺ، قال الدكتور الصلابي: (وقد بين الله لنا أن الصراط المستقيم هو منهج الوسط، إذ قال واصفاً الصراط المستقيم: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٧]، ومنهج المغضوب عليهم يمثل التفريط، بينما يمثل منهج الضالين الإفراط، فهما منهجان دائران بين الغلو والجفاء)^(٢).

ومما يدل على وسطية الإسلام واعتدال أحكامه وملاءمتها للتطبيق في كل زمان ومكان وحال أن إحدى القواعد الشرعية التي قامت عليها الكثير من الأحكام الفقهية تنص على أن (المشقة تجلب التيسير)^(٣)، والأدلة على هذه القاعدة العظيمة كثيرة حتى قال الشاطبي: (إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع)^(٤) ومن الأدلة على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]. فالإسلام دين رحمة واعتدال ووسطية، فلا إفراط فيه ولا تفريط.

المفهوم الثاني: يمكن تعريف الخطاب بحسب هذا المفهوم بأنه كيفية أو وسيلة إيصال عقائد وأحكام هذا الدين إلى الناس، وهذا هو المقصود بالخطاب الديني في بحثي هذا، وهو بهذا المعنى قد يكون صادراً من مؤسسات دينية كالمجامع الفقهية التي تصدر الفتاوى الشرعية والبيانات التي تبين موقفها من الأحداث، وقد يكون صادراً من أفراد كالخطباء والكتّاب، وعلى هذا يشمل الخطاب الديني السلوك والأساليب التي تستخدم في تبليغ هذا الدين والدعوة إليه، كما يشمل المحاضرات والكتب الدعوية والشرعية، وكذلك البيانات والفتاوى الشرعية التي تصدرها المؤسسات والمراجع الدينية. والخطاب الديني بهذا المعنى له أهميته الكبيرة، وأهميته تأتي من تأثيره في شريحة كبيرة جداً من المجتمع، وهو عامل فاعل ومؤثر في بلورة وصياغة ثقافة المجتمع وتشكيل الوعي الجماعي، ومن هنا تم استغلاله سياسياً في حالات معاصرة كثيرة وأصبحت (عملية التحريك والحشد السياسي لأفراد هذه المجتمعات «تعبئتهم سياسياً» سهلة جداً

(١) قال الطبري: (أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن "الصراط المستقيم"، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه). جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١ / ١٧٠.

(٢) الوسطية في القرآن الكريم للدكتور علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الإمارات، ومكتبة التابعين، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ١٨٧.

(٣) القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها للدكتور صالح بن غان السدلان، دار بلنسية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ: ٢١٦.

(٤) الموافقات للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ٢٣١/١.



و ذات فعالية أثناء الأزمات، وتحديدًا الأزمات الخارجية وحالات العدوان الأجنبي... فالدين مثلّ الأداة الفعالة والمحركة للرأي العام...^(١).

وحقيقة توسط واعتدال الخطاب الديني بالمعنى الأخير هي: التزام صاحبه بالأسلوب المذهب والخلق الرفيع والتواضع، والفهم الصحيح للنصوص الشرعية، والبعد عن التعصب والعنصرية، والالتزام الموضوعية والإخلاص في الدعوة إلى الدين^(٢)، وهو عكس التطرف، ويظهر هذا جلياً في قول الشاطبي عندما ذكر آداب الفتيا أوجب حمل الناس على التوسط والاعتدال: (فعلى هذا يكون الميل إلى الرخص في الفتيا بإطلاق مضاداً للمشي على التوسط، كما أن الميل إلى التشديد مضادٌ له أيضاً، وربما فهم بعض الناس أن ترك الترخص تشديداً، فلا يجعل بينهما وسطاً، وهذا غلط، والوسط هو معظم الشريعة وأم الكتاب، ومن تأمل موارد الأحكام بالاستقراء عرف ذلك. وأكثر من هذا شأنه من أهل الانتماء إلى العلم يتعلق بالخلاف الوارد في المسائل العلمية، بحيث يتحرى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي، بناءً منه على أن الفتوى بالقول المخالف لهواه تشديداً عليه وحرَجٌ في حقه، وأن الخلاف إنما كان رحمة لهذا المعنى، وليس بين التشديد والتخفيف واسطة، وهذا قلب للمعنى المقصود في الشريعة، وقد تقدم أن اتباع الهوى ليس من المشقات التي يُترَخَّص بسببها، وأن الخلاف إنما هو رحمة من جهة أخرى، وأن الشريعة حملٌ على التوسط لا على مطلق التخفيف وإلا لزم ارتفاع مطلق التكليف من حيث هو حرَجٌ ومخالفٌ للهوى، ولا على مطلق التشديد؛ فليأخذ الموفق في هذا الموضوع جذرُهُ؛ فإنه مَرَّةٌ قَدِمَ على وضوح الأمر فيه)^(٣).

المطلب الثاني: غايات الخطاب المعتدل:

يمكن أن نقول: إن الخطاب الديني غايته هي غاية الدعوة إلى دين الله تعالى نفسها، وقد لخصت لنا آية قرآنية غاية الدعوة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف].

قال المراغي في تفسير هذه الآية: (أي قل أيها الرسول: هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها، من توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الأوثان والأصنام هي سنتي

(١) دور الخطاب الديني في التعبئة السياسية في عهد الرئيس عبدالناصر (أزمتي ١٩٥٦، ١٩٦٧ نموذجاً) لعبدالناصر محمد سرور، بحث منشور في مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠١١، المجلد ١٣، العدد ١ (A): ٧٢٢.

(٢) ينظر: ينظر: التوسط في الخطاب الديني وأثره على السلم الاجتماعي للدكتور محمد مطلق عساف: ٧-٦.

(٣) الموافقات ٥ / ٢٧٨.



ومنهاجي، وأنا على يقين مما أدعو إليه ولدىّ الحجة والبرهان على ما أقول، وكذلك يدعو إليها أيضاً من اتبعني وآمن بي وصدقني^(١).

وقال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي: (يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: «قُلْ» للناس «هَذِهِ سَبِيلِي» أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، «أَدْعُو إِلَى اللَّهِ» أي: أحثُ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه. ومع هذا فأنا «عَلَى بَصِيرَةٍ» من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية^(٢).

فالخطاب الديني الإسلامي هو دعوة الناس إلى ما يقربهم إلى الله تعالى وتعريفهم بدينه الذي به صلاح دنياهم وأخراهم، هذه هي الغاية التي يجب أن يضعها نصب عينيه كل من تصدر للخطاب الديني الإسلامي، ويمكن تفصيل هذه الغاية إلى غايات فرعية منها^(٣):

١. بيان الحق وإقامة الحجة عليه: هذا هو الهدف الأول للخطاب الإسلامي، فقد أوجب الله تعالى على أصحاب الحق نشر الحق وإقامة الحجة على الناس، وهذا منهج قرآني ثابت؛ إذ قام الخطاب القرآني على بيان الحق بحججه، ومطالبة كل من جاء برأي بالحجة والبرهان، كما قال تعالى: «أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» [سورة الأنبياء: ٢٤] وأنكر على المشركين الذين ابتدعوا ديناً بدون حجة، كما قال تعالى: «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» [سورة المؤمنون]، والعجيب في التعبير القرآني أنه سمى الدليل والبرهان سلطاناً، وأرى في هذه التسمية إشارة إلى تشبيه البرهان والحجة بالسلطان الحاكم الذي ينصاع الناس إلى حكمه، فكذلك الحجة والبرهان يجب أن ينصاع لهما الناس ويتبعوهما، وفيما يأتي نصوص توضح ذلك: قال تعالى: «سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ» [سورة آل عمران: ١٥١]، وقال تعالى: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحَنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِئَذَا أَنْقُلُوا عَنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [سورة يونس]، وأوضح سبحانه أنه أيّد أنبياءه

(١) تفسير المراغي ١٣/٥٢.

(٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن بن ناصر السعدي: ٤٠٦.

(٣) سأتكلم عن هذه الغايات باختصار شديد؛ لأن المقام لا يحتمل تفصيل الكلام فيها، وسأقتصر على ما يرتبط بموضوع البحث.



بالحجة الباهرة والبرهان القاطع؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ﴾ [سورة هود]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [سورة الأنعام: ٨٣].

فالخطاب الإسلامي قائم على الحجة والبرهان والإقناع؛ لأنه يحترم العقل الإنساني، ويقيم له وزناً كبيراً؛ فهو قائم على الإقناع العقلي وليس على التهيج العاطفي الذي يُغَيِّب فيه العقل، مع أنه لم يهمل خطاب العاطفة لتوجيهها بما يجعلها متلائمة مع العقل كما هو واضح في الوعظ القائم في كثير من النصوص الواردة فيه على الترغيب والترهيب.

٢. تعريف الناس بدينهم: وهذه الغاية مبنية على الغاية الأولى، فالخطاب الديني الإسلامي قد يوجه إلى غير المسلمين؛ لبيان الحق لهم وإثباته بالحجة والبرهان الواضح، وقد يوجه إلى المسلمين لغايات كثيرة، منها: تعريفهم بدينه وتوضيح مفاهيمه لهم، ولاسيما عند اختلال الفهم لدى المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل].

٣. تشخيص السليبيات في المجتمع وبيان سبل معالجتها: وهذه غاية مهمة، فإن من يتولى الخطاب الديني يجب أن يكون خطابه متصلاً بالمجتمع يعالج أخطائه ويصحح مساره، ولذلك عليه أن يتعرف على المجتمع الذي يخاطبه وأن يكون متصلاً به غير منقطع عنه ليشخص ما فيه من سلبيات لعلاجها معالجة إسلامية صحيحة.

٤. مواكبة الأحداث المستجدة التي تعصف بالمجتمعات الإسلامية: إن الخطاب الديني يجب أن يكون معاشاً للمجتمع المعاصر، فمن خصائص الدين الإسلامي أنه رباني المصدر، جعله الله تعالى خاتم الأديان صالحاً للتطبيق في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة، فعلى من يتولى الخطاب الديني الإسلامي أن يضع هذا الأمر نصب عينيه، وأن يواكب ما يواجهه المجتمع من أحداث لرسم صورة واضحة للموقف الإسلامي الصحيح منها، وهذا إحدى دعائم التجديد الذي يجب ترسيخه في الخطاب الديني ليكون خطاباً حيوياً مؤثراً، وإلا كان خطاباً جامداً لا أثر له ولا ارتباط له بالمجتمع الذي يُلقى فيه.



المبحث الثاني: مرتكزات الخطاب المعتدل

للخطاب المتوسط المعتدل مقومات ومرتكزات، منها:

أولاً: التزام الحق والموضوعية: إن الأساس الذي يجب أن يُبنى عليه أي حوار مع المخالف هو نصرته الحق واتباعه وإن كان الحق مع المخالف؛ لذلك لا بد لمن يتصدر المؤسسات الدينية ولمن يعتلي المنابر ويظهر في القنوات الإعلامية المختلفة، لا بد لجميع هؤلاء مراعاة هذا المقصد، فلا بد وأن يكون حاضراً في أذهانهم، فلا يكون همهم نصرته آرائهم ومعتقداتهم ومذاهبهم، ولذلك نلاحظ أن القرآن الكريم عندما خاطب أهل الكتاب قال لهم: ﴿يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَعْلَوْا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال: ﴿قُلْ يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَعْلَوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، فأمرهم بقول الحق ونهاهم عن مخالفته، وكأنه يضع بذلك قاعدة للحوار معهم خلاصتها: يجب تحري الحق في الحوار والوصول إليه بالحجج الساطعة والبراهين الواضحة، فلا مجال للأهواء ونصرة النفس في هذا الحوار.

وهذا يجب أن يكون منطلق الحوار بين جميع المختلفين في كل زمان ومكان، فالحوار هو من التعاون على معرفة الحق واتباعه، هكذا يجب أن يكون القصد في الخطاب الديني، وإذا صحت هذه النية وصدق هذا القصد ظهرت آثاره في الخطاب بانتقاء الألفاظ التي لا تجرح المقابل ولا تنتقص منه ولا من عقيدته ومذهبه ورأيه، وشاعت روح التنازل والتراجع عن الرأي إذا بان خطؤه لدى صاحبه، وبهذا يتم القضاء على التعصب للمذاهب والآراء التي كادت أن تمزق نسيج المجتمع المسلم في بعض البلدان.

إن الشعار الذي يجب أن يرفع في الحوار بين الجهات المختلفة هو: (كلامنا صواب يحتمل الخطأ وكلام غيرنا خطأ يحتمل الصواب)^(١)، وهذا بخلاف المنهج الفرعوني في الحوار وهو الدخول في الحوار بتوطين النفس على أن الحق معي وأن غيري على الباطل قال الله تعالى حكاية عن أتباع فرعون: ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۖ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ۚ لَعَلَّكُمْ تَتَّبِعُونَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ أَغْلَبِينَ ۖ﴾ [سورة الشعراء]، فهؤلاء قبلوا المناظرة موطنين أنفسهم أن الحق معهم، وأنهم هم الغالبون وأن المقابل سيندحر، وهذا ترك أثرين: الأول: التعالي في خطاب الآخر، والثاني: عدم اتباع الحق ومعاداة من رجع إليه... إلخ، فلا يجوز الدخول في مجادلات بمقررات سابقة وتبني النية بعدم ترك الرأي الشخصي في جميع الأحوال، وهذا الشعور من شأنه أن يجعل الحوار عبارة عن حرب كلامية نصرته للنفس لا للحق ووصولاً إلى استعباد الآخرين وإرضاء لشهوة الظهور والشهرة.

(١) لا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا الكلام في غير المسائل القطعية التي لا اجتهاد فيها والتي يسوغ الاختلاف فيها، وليس هذا محل تفصيله.



ثانياً: المعرفة بحال المخاطبين: والمقصود بهذه المعرفة معرفة حال المخاطبين من الناحية النفسية والإحاطة بالظروف التي تحيط بهم، فلا غنى لمن يتولى الخطاب الديني عن هذه المعرفة؛ فمثلاً الخطاب في حالة الحرب والأزمات ينبغي أن يكون مختلفاً عنه في حالات السلم والرخاء، ففي حالة الحروب والأزمات يغلب على الناس التشنج وسوء الظنون، وقد يحملون الخطاب على غير وجهه؛ لذلك لابد من مراعاة هذا الأمر، فلا يتم التطرق إلى موضوعات من شأنها أن تزيد من حالة التشنج، كما يجب انتقاء الألفاظ بعناية بحيث لا تحتل أوجهاً متعددة من التفسير.

ومن الأخطاء التي وقع فيها الكثير من الدعاة أنهم نقلوا فتاوى لعلماء أفتوها في بلدان معينة إلى بلدان تختلف ظروفها تماماً عن تلك البلدان التي ينتمي إليها أولئك العلماء أصحاب الفتاوى، ومن المعلوم أن المفتي لكي تكون فتواه صحيحة يجب عليه أن يحقق أمرين:

١. معرفة الحكم الشرعي المتعلق بالمسألة التي يتناولها.

٢. معرفة واقع السائل؛ أينطبق هذا الحكم عليه أم لا؟

وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية: (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علماً. والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع. ثم يطبق أحدهما على الآخر... فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله، كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دُبُرٍ إلى معرفة براءته وصدقه... ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا، ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله^(١)).

ومن التطبيقات العملية لهذه القضية المهمة أنه يجب مراعاة التنوع المذهبي في البلد، فمثلاً في بلد يتسم بتنوع مذاهب أبنائه كما هو الحال في العراق لابد أن يراعى ذلك في الفتاوى والبيانات التي تصدرها المؤسسات الدينية فيه، وتظهر أهمية ذلك في المناسبات العامة كالبيانات المتعلقة بإثبات الرؤية الشرعية لهلال رمضان وعيد الفطر، فعندما تصدر مؤسسة دينية تمثل مذهباً معيناً بياناً بثبوت رؤية هلال رمضان أو عدم ثبوته لابد أن يتضمن البيان الإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يكون لهذا الموضوع أثر في الاختلاف والتشاحن بين أبناء المجتمع، فمن ثبتت لديه رؤية الهلال وجب عليه الصوم، ومن لم تثبت لديه لا يجب عليه الصوم، طالما الجميع يسعون

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ: ١٦٥/١-١٦٦.



للعمل بحديث النبي ﷺ: (صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته...) (١)، فلا ينبغي للصائم أن ينكر على من أفطر اتباعاً لمؤسسة دينية أخرى، كما لا ينبغي للمفطر أن ينكر على من صام اتباعاً لمؤسسة دينية أخرى.

إن تضمين البيان لهذه الإشارة من شأنها أن تنفي حالة الشحن الطائفي الذي ينشط في مثل هذه المناسبات بسبب ظهور اختلاف الآراء، لأن من شأن ظهور اختلاف الآراء أن يثير حالة من التشنج لدى العامة من أتباع المذاهب بسبب عدم امتلاك الكثيرين منهم ثقافة تقبل الآخر، فتضمنين البيانات الصادرة من المؤسسات الدينية لهذه الإشارة من شأنه أن يشيع ثقافة تقبل الآخر لدى العامة من أبناء المذاهب المختلفة داخل المجتمع الواحد.

من هنا ينبغي لمن تصدر للإفتاء في المنتديات العامة أو في الإعلام ينبغي له أن لا يقتصر في فتاواه على ذكر مذهب واحد في المسائل الخلافية، ذلك أن الإفتاء على مذهب واحد قد يشكل انطباعاً لدى المتلقي أنه لا يوجد رأي أو مذهب آخر في المسألة ولذلك فعندما يرى من يخالف هذه الفتوى يظنه مخطئاً وقد يحدث ذلك تشنجاً لديه اتجاه المخالفين لكونهم مخالفين للدين متبعين لأهوائهم والحال أنهم متبعون لمذهب معتبر آخر، وعليه أن يشير في فتاواه أنه لا ينبغي الإنكار على من يتبع أياً من المذاهب التي يذكرها، وسيأتي مزيد بيان لهذه القضية عند ذكر القاعدة الفقهية التي أصلها علماؤنا (لا إنكار في مسائل الاجتهاد)، إن شاء الله تعالى.

ويمكن لنا أن نستدل على ضرورة معرفة صاحب الخطاب الديني بحال الناس وواقعهم بقول موسى وهارون عليهما السلام عندما أمرهما الله تعالى بدعوة فرعون إلى دين الله: ﴿فَالرَّبَّآ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَىٰ﴾ [طه]، وفي هذا إشارة إلى أن موسى وهارون عليهما السلام كانا على معرفة تامة بفرعون ولديهما تصور كامل لردة فعله التي يمكن أن تظهر لدى دعوتهما له، وذلك نتيجة خبرتهما الطويلة معه ولمعايشتهما له، من هنا لا بد لمن يتصدر للخطاب الديني أن يكون على دراية كبيرة واستيعاب عالٍ لمجتمعه وأحوال أفراده ومذاهبهم ومستوياتهم الفكرية. ومن دون هذه المعرفة قد يكون للخطاب الديني مردود عكسي سلبي بين أبناء المجتمع.

ثالثاً: أن يكون هدف الخطاب إرشاد المخاطبين وإصلاحهم: هذا من المرتكزات المهمة التي يركز عليها الخطاب الديني الإسلامي المعتدل، فيجب على الداعية المسلم الذي يتولى الخطاب الديني على المنابر أو وسائل الإعلام أو غيرها أن يكون هدفه الذي يرمي إليه ويوجه اهتمامه نحوه هداية الناس وإصلاحهم وبناء المجتمع، لا يبتغي بذلك حظاً من حظوظ النفس ولا طلباً للرئاسة والجاه ولا انتصاراً لطائفته ولا غيرها من الحظوظ الضيقة العاجلة.

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٢٧/٣ برقم (١٩٠٩)، ومسلم في صحيحه: ٧٦٢/٢ برقم (١٠٨١).



إن من كان هدفه إرشاد الناس وبناء مجتمع صالح فإنه بلا شك سينتقي ألفاظه ويتفرق بالمخاطبين، وقد أمر الله تعالى نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن يترفقا بأشد الناس طغياناً «فرعون»، فقال لهما: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣) ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٤٤) [سورة طه]، وإنني ألمس من هذا الأمر الرباني نوعاً من التلازم بين استجابة المخاطبين للدعوة وبين الرفق في خطابهم، فقوله تعالى ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ كالتعليل للأمر بالرفق في خطاب فرعون. كما إنني أرى أن القول اللين يفسره الحديث الصحيح الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»^(١)، قال بدر الدين العيني في شرح هذا الحديث: (والمعنى: وبشروا الناس أو المؤمنين بفضل الله تعالى وثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته، وكذا المعنى في قوله: «ولا تنفروا» يعني: بذكر التخويف وأنواع الوعيد، فيتألف من قرب إسلامه بترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ وتاب من المعاصي؛ يتلطف بجميعهم بأنواع الطاعة قليلاً قليلاً، كما كانت أمور الإسلام على التدرج في التكليف شيئاً بعد شيء؛ لأنه متى يسر على الداخل في الطاعة المرید للدخول فيها سهّلت عليه وتزايد فيها غالباً، ومتى عسر عليه أوْشك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوْشك أن لا يدوم أو لا يستحملها. وفيه الأمر للولاة بالرفق، وهذا الحديث من جوامع الكلم لاشتماله على خيري الدنيا والآخرة، لأن الدنيا دار الأعمال والآخرة دار الجزاء، فأمر رسول الله ﷺ فيما يتعلق بالدنيا بالتسهيل، وفيما يتعلق بالآخرة بالوعد بالخير والإخبار بالسرور تحقيقاً لكونه رحمة للعالمين في الدارين)^(٢).

ويدخل في لين الكلام والرفق بالمخاطبين مداراتهم، قال ابن حجر العسقلاني: (قال بن بطل: المداراة من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداينة فغلط؛ لأن المداراة مندوب إليها والمداينة محرمة، والفرق أن المداينة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستتر باطنه وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك)^(٣).

(١) رواه مسلم في صحيحه: ١٣٥٨/٣ برقم (١٧٣٢)، ورواه البخاري في صحيحه: ٤٥/٢ [مع عمدة

القاري شرح صحيح البخاري للعيني] برقم (٦٩) بنحوه من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني: ٤٧/٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ١٠ / ٥٢٨ - ٥٢٩.



ولقد صرح الله تعالى في محكم كتابه أن الغلظة والشدة في الخطاب من شأنها تنفير الناس وتفريقهم، قال تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

رابعاً: قوة الحجة: من مقومات الاعتدال في الخطاب الديني أن يكون خطاباً منطقياً مستنداً على أدلة وحجج قوية مقنعة، ولذلك نلاحظ أن الله تعالى عندما أرسل موسى وأخاه هارون عليهما السلام قال لهما: ﴿فَأَنبِئَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِْبَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ [سورة طه: ٤٧]، فأمرهما بأن يبينوا مصدر رسالتهما وأن أساس رسالتهما من رب فرعون وأن لديهما آية ودليلاً على صدق ادعائهما وصحة رسالتهما، وقد كانت الأدلة التي جاء بها مقنعة لا يمكن ردها بدليل أن الله تعالى حكى عن فرعون وملئه أنهم كانوا مقتنعين بالمعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [سورة النمل: ١٤]، فكأنهما انطلقا في كلامهما من قاعدة مشتركة بينهما وبين من يقابلهما - أعني فرعون وملئه -.

إن وضوح الأدلة وصراحة الحجة وقوة البرهان من شأنها أن تزرع الثقة بين المتخاطبين وتجعل الخطاب مثمراً يُنتج اتفاقاً في الرؤى؛ فقد فطر الله تعالى الناس على الإذعان إلى الحجج الساطعة والبراهين المقنعة؛ لذلك قلما تخاطب إنساناً بالأدلة والبراهين المقنعة إلا ويسلم لما تقوله ويذعن للحق الذي تريد إيصاله إليه، إلا من فسدت فطرته فأولئك من الجاهلین الذين أمرنا أن نعرض عنهم كما قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف].

ومن شأن قوة حجة المتكلم أنها تجعل المخاطب يعتقد أنه يحترمه ويحترم عقله وأنه لا يتكلم من منطلق التعالي وفرض الرأي على المقابل، وهذا من شأنه إشاعة روح التسامح والتنازل عن الآراء الشخصية والقبول بالحق، وتلقي كلام المقابل بأريحية بعيداً عن التشنج والتعصب، وهذا كله متأب من الثقة المتبادلة بين المتخاطبين، تلك الثقة التي تعد الأساس الأول في الخطاب المعتدل البعيد عن التشنج؛ لأنها تعني أن كلاً من المتخاطبين يثق في أن المقابل لا يريد إلا بيان الحق واتباعه، ولذلك عندما تكلم الله تعالى عن القرآن وصفه بقوله: ﴿ذَلِكَ أَنْتَبَلَا رَبِّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة]، فوصفه بأنه الكتاب الكامل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم قال: (لا ريب فيه) والريب هو الشك في مصدره وفي حقيقة دعوته، إلا أن بين الريب والشك فرقاً دقيقاً، فالريب هو شك مع تهمة^(١)، أي: اتهام المقابل بتعمد الخطأ ومحاولة

(١) قال الإمام فخر الدين الرازي: (الريب قريب من الشك وفيه زيادة، كأنه ظنٌ سوء؛ تقول: رابني أمر فلان: إذا ظننت به سوءاً)، التفسير الكبير لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ: ٢/٢٦٥. وينظر: حاشية الشهاب لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت: ١/١٨٩.



إضلال المقابل، فدفع الله تعالى ذلك عن كتابه العظيم الذي يخاطب به الناس كافة على اختلاف عقائدهم ومشاربهم؛ لأن الأساس الأول الذي يجعل الكلام مقبولاً هو ثقة المخاطبين بالمتكلم وبصدقه وحسن نيته في كلامه وأنه لا يريد الانتصار لنفسه أو لرأيه ومعتقده.

ومما يرتبط بموضوع قوة الحجة قاعدة مهمة من قواعد الحوار والخطاب الديني الإسلامي أصلها علماؤنا، وهي (لا إنكار في مسائل الاجتهاد)^(١)؛ وذلك إذا كانت أدلة هذه المسائل متكافئة لصالح الآراء المتعددة ولا يمكن ترجيح بعضها على بعض، فلا ينبغي الإنكار على المخالف في هذه الحالة ودعوته للرجوع عن رأيه؛ لأن من شأن هذا الأمر أن يثير لدى المقابل شعوراً بأن المتكلم يريد نصرة رأيه ويريد أن يكون غيره تابعاً له وغير ذلك من الظنون السيئة التي تقرر الإحساس بعدم الثقة بين المتحاورين أو بين المتكلم والسامع، وهذا يسبب تخللاً في نسيج المجتمع الواحد ويعزز التعصب المذموم للمذهب.

وعلى هذا لا ينبغي التعصب للآراء الاجتهادية التي لا توجد فيها نصوص قاطعة وحجج واضحة، بل لا ينبغي التطرق لهذه الموضوعات في الخطاب الموجه للعموم كالخطب المنبرية والبرامج الإعلامية، وإذا تم التطرق إليها فلا ينبغي الاقتصار على ذكر رأي مذهب واحد دون رأي المذاهب الأخرى، على أن يوضح أن اختلاف هذه الآراء هو من الاختلاف السائغ ولا توجد أدلة قطعية تؤيد أيّاً منها، كما سبق ذكره في المرتكز الثاني من مرتكزات الخطاب الديني المعتدل.

خامساً: مراعاة مقاصد الشريعة:

إن من أهم مقومات الخطاب المعتدل مراعاة مقاصد الشريعة فيه؛ من ضرورة الحفاظ على وحدة المجتمع المسلم وعدم التطرق إلى ما يؤثر سلباً على هذه الوحدة، لذلك أصل العلماء قاعدة مهمة تنص على أنه (ليس كل ما يعلم يقال)^(٢)، وقد استندوا في هذه القاعدة على نصوص شرعية.

(١) ألف الدكتور عبدالسلام مقبل المجيدي كتاباً مهماً في هذه القاعدة أسماه (لا إنكار في مسائل الاجتهاد)) طبعته مجلة الوعي الإسلامي التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت.

(٢) ينظر في هذه القاعدة: مفتاح العلوم للسكاكي: ١٦٨. وروى البخاري عن علي رضي الله عنه قال: (حدثوا الناس بما يعرفون؛ أحببون أن يكذب الله ورسوله؟!)، [صحيح البخاري مع فتح الباري ٢٢٥/١] قال ابن حجر: (وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة... وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان) [المصدر نفسه].



قال الشيخ سعيد حوى: (وهذان النصان^(١)) يؤكدان فكرة تأديب الشارع للمسلم أن يفوض في أمر الصغار لما يترتب على ذلك من حكم، ومن أمثال هذا أخذ العلماء فكرة أدب الوعظ وأدب العلم، فأدب الواعظ ألا يدخل في تفاصيل تخفف من قوة التأثير والتأثر أو تؤدي إلى إثارة أسئلة عند العامة أو تؤدي إلى تشويش عقائد العامة أو تستدرجهم لمواطن فتنة في الرأي أو في العمل، وأدب العالم مع طلاب العلم أن يدرجهم في التعليم حتى يوصلهم إلى أن يفهموا دقائق العلوم وعويصات المسائل. فأدب الواعظ: ليس كل ما يعلم يقال، وأدب العالم مع طلاب العلم الذين يؤهلون للإمامة في الدين أن يقول لهم كل شيء مع ملاحظة التدرج، وتشهد لذلك كثير من نصوص السنة^(٢).

نلاحظ في كلام سعيد حوى أنه فرق بين خطاب الواعظ وبين خطاب المعلم، فالواعظ يخاطب بكلامه شرائح مختلفة في ثقافتها ومتفاوتة في فهمها ومتعددة في انتماءاتها لذلك لابد من مراعاة هذا التنوع، ومن أهم ما يجب مراعاته هو قاعدة (ليس كل ما يعلم يقال)، أما المعلم فأمره سهل هين نظراً لأنه يخاطب شريحة صغيرة متقاربة الفهم ومتحدة في الانتماء ولا توجد فروقات كبيرة بين أفرادها، كما أنه يمكن أن يحدث نقاش في حلقة العلمية يتم فيه حل أي خلل في فهم كلامه.

وقال الشيخ وليد السعيدان: (فإن رأى الداعية إلى الله تعالى أن المصلحة في السكوت عن نوع من العلم أو في مسألة من المسائل، وأن الحكمة الدعوية تقتضي منه السكوت في هذه الحالة، فالمشروع له أن يسكت، وليس لأنه يعلم هذه المسألة فلا بد أن يبينها؛ فإن العلم بالشيء أمر ووجوب بلاغه أمر آخر، فإن البلاغ لابد وأن يربط بتحقيق المصالح وتكميلها، وتعطيل المفسدات وتقليلها... فإبلاغ العلم والدعوة إلى الله تعالى لابد وأن تكون مرتبطة بتحقيق المصالح ودفع المفسدات، ولذلك فقد نهى النبي ﷺ معاذاً عن التحديث بما حدثه به في شأن فضل كلمة التوحيد، لما قال له "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن

(١) يعني حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال حين سئل عن أولاد المشركين: (الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين). أخرجه البخاري في صحيحه: ١٠٠/٢ برقم (١٣٨٣) ومسلم في صحيحه ٢٠٤٨/٤ برقم (٢٦٥٨)، وحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: توفي صبي، فقلت: طوي لي، عصفور من عصافير الجنة، فقال رسول الله ﷺ: (أو لا تدري أن الله خلق الجنة، وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٥٠/٤ برقم (٢٦٦٢).

(٢) الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية للشيخ سعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ)، دار السلام، ط ٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ١/١٠٤.



لا يعذب من لا يشرك به شيئاً" فقال معاذ: أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فينكلوا" متفق عليه^(١)، فلما كان إخبار الناس بهذا الأمر فيه نوع مفسدة مقابلة صار من الحكمة الدعوية السكوت عنه وعدم إخبار الناس، وذلك خوفاً من اتكالهم على هذا الأمر وترك العمل أو التساهل فيه، مع أن إبلاغ العلم من الواجبات المتحتمات، ولكن لما كانت الدعوة بإبلاغه مرهونة بتحقيق المصالح ودفع المفاصد صار من الحكمة السكوت عنه؛ لأنه ليس كل ما يعلم يقال، ولكل مقام مقال^(٢).

من هنا تظهر لنا خطورة عمل الواعظين ومن يرتقون المنابر الدينية على اختلاف انتماءاتهم المذهبية والعقائدية، وضرورة أن يكون لديهم شعور بالمسؤولية على وحدة المجتمع وتآلف أبنائه، وضرورة عدم طرح الموضوعات التي من شأنها أن تثير الحساسية بين أبناء المجتمع أو تضعف اللحمة المجتمعية، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة قنوات فضائية مخصصة لمناقشة المذاهب الإسلامية وعرض المناظرات بين علماء هذه المذاهب، بل وصل الأمر ببعض القنوات أنها تعرض برامج تضمنت التهجم على المذاهب الإسلامية، الأمر الذي ساعد على إشاعة روح الكراهية والتعصب المذهبي المذموم بين أفراد المجتمعات في الدول العربية والإسلامية، وقد ظهر هذا جلياً في بعض الأحداث بين أفراد المجتمع الواحد الذين ينتمون إلى المذهب السني والمذهب الشيعي في بعض البلدان العربية والإسلامية من الاغتيالات والقتل على الهوية واستهداف دور العبادة، بل تعدى الأمر ذلك فاستغل بعض السياسيين والأحزاب السياسية الشحن الطائفي الموجود في مجتمعاتهم ووظفوه للترويج لأحزابهم والدعايات الانتخابية ونجحوا في ذلك إلى حد ما، مما تسبب في فوز بعض الفاسدين والنفعيين بمقاعد في البرلمانات والمؤسسات التشريعية والتنفيذية، وهذا جر إلى ظهور الفساد الإداري والمالي وغير ذلك.

لذلك لا بد من التوجه بجدية إلى دراسة الخطاب الديني المنتشر اليوم على المنابر الدينية والمؤسسات الإعلامية، وتشخيص حالات التطرف والغلو وتسقيط الآخرين لعلاجها ومنعها، وتوجيه الوعاظ إلى أنه ليس كل ما يعلم يقال وأن الحفاظ على الوحدة الوطنية وعلى قوة الأواصر بين أبناء المجتمع الواحد هو مقصد شرعي لا بد من مراعاته وعدم طرح الموضوعات التي من شأنها أن تؤثر سلباً على ذلك.

(١) صحيح البخاري: ٢٩/٤ برقم (٢٨٥٦)، وصحيح مسلم: ٥٨/١ برقم (٤٩).

(٢) مقال للشيخ وليد السعيدان في موقع ملتقى أهل الحديث الإلكتروني على الرابط:

<https://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=250643>



لقد أولى العلماء الحفاظ على وحدة المجتمع المسلم عنايةً بالغة، حتى أنهم قرروا ترك السنن والمستحبات إذا كانت تؤدي إلى الفرقة، قال ابن تيمية: (يستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر ثم صلى خلفه متمماً، وقال: الخلاف شر)^(١)، فتأمل قوله (لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم...).

سادساً: إنزال الناس منازلهم: هذا المرتكز مكمل للذي قبله، فالأول يتعلق في المعلومات التي يمكن أن تذكر في الخطاب الديني، أما هذا فيتعلق بأسلوب الخطاب في إيصال المعلومات.

فالناس أصناف؛ منهم المحب للخير الطالب للحق الساعي لمعرفته، ومنهم المؤثر للشر والباطل المتكبر الذي لا يقبل بالحق، ولكل من هؤلاء أسلوب في الخطاب يليق به، ولنا في قصة موسى عليه السلام مع فرعون خير مثال على ذلك، فعندما أرسل الله تعالى موسى وأخاه هارون إلى فرعون قال لهما: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (١٣) فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿١٤﴾ [سورة طه]، في أول الأمر أمرهما باللين والرفق بفرعون؛ لأنه لم يظهر منه موقف سلبي تجاه دعوتها بعد، ولكن لما ظهر عناده وجده لدعوة موسى عليه السلام مع يقينه بحقيقتها كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُْلُوًا ﴿١٤﴾ [سورة النمل: ١٣ - ١٤]، لما كان هذا موقف فرعون من الدعوة ظهر لموسى عليه السلام موقف آخر؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّ عَلَىٰ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ [الإسراء] فانظر إلى الغلظة في خطاب موسى عليه السلام لفرعون الذي ظهر عناده وطغى ظلمه وفشأ فساد، فافتضى الموقف أن يُخاطَبَ بما يناسب حاله وموقفه.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ: ٢٢/٤٠٧.



سادساً: وضوح الرؤية وشفافية المقاصد: من مقومات الاعتدال في الخطاب الديني وضوح رؤية المتكلم وشفافية المقاصد التي يرمي إليها في كلامه، كي يفهم المخاطبون ماذا يريد منهم، ولذلك لما أرسل الله تعالى موسى وهارون إلى فرعون أمرهما أن يقولوا له: ﴿فَأَنبِأْهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِبرْهُمْ﴾ [سورة طه: ٤٧] فأمرهما أن يبينوا لفرعون ماذا يريدان منه وفحوى رسالتهما بشكل مباشر وبأسلوب شفاف لا غموض فيه ولا يدع مجالاً لسوء الفهم لدى المخاطب.

إن وضوح رؤية وأهداف المتكلم من كلامه لدى المخاطب من شأنها أن تجعل المخاطب يعلم جيداً ماذا يريد المتكلم بكلامه وما هي الأهداف التي يحققها وما الذي يراد منه أن يقوم به، فلا تذهب به الظنون أو الأوهام يميناً أو يساراً، وهذا يؤدي بدوره إلى أن يكون الخطاب مثمراً من الممكن أن ينتج توافقاً بين المتخاطبين.



الخاتمة

بعد أن منَّ الله تعالى عليَّ بإتمام بحثي هذا يطيب لي أن أثبت أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، فأقول وبالله التوفيق:

١. الحرص على تأليف القلوب وإصلاح ذات البين وجمع الكلمة يجب أن يكون حاضراً في ذهن من يتولى الخطاب الديني الإسلامي.

٢. السعي إلى أن يتولى الخطاب الديني الإسلامي مؤسسات ومجامع دينية، وعدم توليه من قبل أفراد أو أن تشرف هذه المؤسسات على الخطاب الموجه من قبل الأفراد، وذلك بغية الوصول إلى خطاب ناضج واعي متكامل، ومعلوم أن الجهد الجماعي يكون أكثر نضجاً وأعلى وعياً من الجهد الفردي الذي قد تغلب عليه المصالح الشخصية والحظوظ النفسية.

٣. يجب تحديد مفهوم الخطاب الديني الإسلامي المراد اعتداله ووسطيته، فالمقصود به الوسائل المتبعة في إيصال الدين الإسلامي إلى الناس، وهو يشمل ما يقوم به الخطباء وعلماء الدين والمجامع الفقهية والمراجع الدينية التي تتولى إصدار الفتاوى والبيانات الشرعية.

٤. عدم التطرق في المنتديات العامة ووسائل الإعلام إلى المسائل الخلافية التي من شأنها تعزيز الشعور الطائفي والانتماء المذهبي.

٥. العمل على إشاعة ثقافة تقبل الآخر لدى عامة الناس، ويكون ذلك بوسائل كثيرة، منها عدم إصدار الفتاوى في المسائل الخلافية على وفق مذهب واحد وإهمال بقية المذاهب، وأرى أنه لا بد من تضمين الفتاوى [في حالة الإفتاء على وفق مذهب واحد] الإشارة إلى أن في المسألة خلافاً معتبراً بين أئمة الإسلام ولا ينبغي الإنكار على من اتبع رأياً مخالفاً طالما قال بهذا الرأي إمام من أئمة المسلمين.

٦. عدم إقحام الدين في التعبئة السياسية والترويج للأحزاب والجهات السياسية في الانتخابات، وذلك لما لهذا الأمر من آثار سلبية تزيد من الشحن الطائفي بين أبناء المجتمع الواحد؛ نعم على المراجع والمؤسسات الدينية حث أبناء المجتمع على المشاركة في الانتخابات وتحمل مسؤولية انتخاب الأفضل، دون التقييف لجهات أو شخصيات سياسية معينة.



٧. ضرورة توجّه كليات العلوم الإسلامية لإقامة الندوات العلمية والمحاضرات التثقيفية بخصوص الموضوعات المرتبطة بالخطاب الإسلامي المعتدل، ومن بين هذه الموضوعات:

أ. آداب الخلاف وثقافة تقبل الآخر في الإسلام.

ب. الإنكار في المسائل الخلفية الاجتهادية.

ت. إدارة الخطب المنبرية.

ث. الثابت والمتغير في الإسلام.

ج. علم آداب البحث والمناظرة، وهذا علم عظيم قدّ علماءنا قواعده وأصلوا أصوله لضبط الحوار والجدال الهادئ البناء، ذلكم العلم الذي يُعد بحق مفخرة من مفاخر حضارتنا الإسلامية، واليوم مع الأسف يجهله الكثير من المتخصصين في العلوم الإسلامية فضلاً عن عامة المسلمين.

وهذا أوان لملمة أوراقى بعد أن أكملتُ رحلتى الماتعة مع هذا الموضوع المهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. الأساس في السنة وفقهها، العقائد الإسلامية: للشيخ سعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ)، دار السلام، ط ٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ.
٣. التفسير الكبير: لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
٤. التوسط في الخطاب الديني وأثره على السلم الاجتماعي: للدكتور محمد مطلق عساف، بحث مقدم إلى مؤتمر (السلم الاجتماعي من منظور إسلامي)، كلية الشريعة، جامعة النجاح، فلسطين ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٧. حاشية الشهاب على تفسير البضاوي: لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت.
٨. دور الخطاب الديني في التعبئة السياسية في عهد الرئيس عبدالناصر (أزمتي ١٩٥٦، ١٩٦٧ نموذجاً): لعبدالناصر محمد سرور، بحث منشور في مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠١١، المجلد ١٣، العدد ١ (A).
٩. الصحيح: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٠. الصحيح: للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.



١٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٣. القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها: للدكتور صالح بن غان السدلان، دار بلنسية، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ.
١٤. مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.
١٥. المستصفى: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٦. المسند: للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٧. مفتاح العلوم: لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٨. مقال للشيخ وليد السعيدان في موقع ملتقى أهل الحديث الإلكتروني على الرابط:
<https://www.ahlalHdeeth.com/vb/showthread.php?t=٢٥٠٦٤٣>
١٩. الموافقات: للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢٠. الوسطية في القرآن الكريم: للدكتور علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الإمارات، ومكتبة التابعين، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.





الليّن في خطّ أبي بعض الأنبياء والرّسّال

في ضوء الآيات القرآنية

أ.م.د. ياسر حسين مجباس

جامعة الفلوجة

كلية العلوم الإسلامية

dr.yaser.hussan@uofallujah.edu.iq

ISSN: 2071-6028





الدين في خطابات بعض الأنبياء والصالحين في ضوء الآيات القرآنية

أ.م.د. ياسر حسين مجباس
جامعة الفلوجة / كلية العلوم الإسلامية

ملخص باللغة العربية

جاء هذا البحث ليعالج بطريقة العرض الموضوعي ما أصاب منابر أمتنا الإسلامية من خطابات حمقى متعصبة وجاهلة، تسلطت على الإعلام ووسائله، وأصبحت معلنة أمام الناس بحجة الدين أو بالسياسة أو بالقومية، فغاب العقل والفطرة والعاطفة، وكدنا لا نسمع تلك العبارات المليئة بالحنان واللين واللفظ، ومما يؤسف له أن بعض أصحاب هذه المنابر هم المتزينون باسم الدين، وكأنهم فاتهم من الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت على لسان الأنبياء والصالحين وسمتها الواضحة بالخطاب اللين الهادئ. جاء هذا البحث ليكون دليلاً واضحاً من الأدلة على سماحة الإسلام وأنه دين رحمة وعطف ولين، لا عدا ولا ظلم ولا انحراف فيه. لم يكن الخطاب اللين يوماً خاصاً بفئة معينة، كما سيتبين ذلك في أثناء عرض الآيات القرآنية التي ذكرتها وهي كنماذج لبعض الخطابات التي يتضح فيها الرفق واللين مع جميع ألوان المخاطبين، سواء كان فرداً أم مجتمعاً، مؤمناً أو كافراً، بل حتى إن كان صغيراً .

الكلمات المفتاحية: لين ، خطاب ، أنبياء

Moderation in the speeches of some prophets and righteous in the light of the Quranic verses

Ass. Prof. Dr. Yaser Hussain Mejbass Al-Azawy

Abstract

This research comes to deal with the objective presentation of what has hit the platforms of our Islamic nation from the speeches of fools, fanatic and ignorant, which have dominated the media, and become public on the pretext of religion or politics or nationalism. The mind, instinct and emotion have disappeared, and we do not hear those words filled with tenderness and kindness. It is regrettable that some of these platforms' speakers are adorned with religion, as if they were missing the Quranic verses of the soft quiet speech that had circulated with the words of the prophets and the righteous. This research comes as a clear evidence of the tolerance of Islam and that it is a religion of mercy, kindness and leniency, no hostility, no injustice, no deviation in it The soft discourse has never been a day for a particular group, as will be seen in the presentation of the Qur'anic verses that I have mentioned as examples of some of the speeches in which all colors of the addressees, whether in groups and individually, believer or infidel, even child.

Keywords: softness , Speech, Prophets



المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرؤوف الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد..

فإنَّ للخطاب اللّين أثرًا في القلوب والأرواح، فهو مفتاح لجميع الأبواب، وهو مدعاة للطاعة والتسليم، فلين الرجل في خطابه يفوق اللؤلؤ روعة في صدقه، وإن المخاطبة مع الناس لها آداب ووسائل لا بد أن يتصف بها كي يبلغ الأمل المنشود، والغاية من الخطاب، والتي من أسماها العمل والصلاح.

وللين في الخطاب فوائد جمة، ودور مهم في توجيه الناس إلى القيم والأخلاق الحميدة والمبادئ السامية، وأثر كبير في تقويم التصرفات الإنسانية المنحرفة، وهداية الضالين إلى الصراط المستقيم، وإرجاعهم إلى الحق، ولأسيما في مثل هذا الزمن الذي انتشرت فيه الفتن، واستشرت فيه وسائل الحرام.

لقد انحرف الخطاب بكل أشكاله ولأسيما الديني عن مساره الصحيح، وأصبحت الكلمات القاسية والعبارات الطائفية سائدة، فانقلبت غايته من التأثير الإيجابي إلى السلبي، والحب إلى الكراهية، والتفاعل إلى الإنكار والتجاهل، مع أنَّ لنا أمثلة رائعة في ديننا وتراثنا الإسلامي تخالف ما نراه، وتضاد ما نسمعه، فظهرت الرويضة^(١) والجماعات والأحزاب التي تدعي أنها تمثل الدين، لذا جاء بحثي هذا ليعيد الحق إلى نصابه بذكر بعض النماذج من الخطابات القرآنية والتي جاءت على لسان الأنبياء والصالحين؛ لتكون نموذجًا يقتدى، ودرسًا لمن يسير على هداهم، ويتبع منهجهم، يظهر فيها اللين ظهور الشمس، ويفوح منها كما يفوح المسك والعنبر؛ إذ الاستعطف واللين في الخطاب رغب فيه الشارع الحكيم، وحثّ عليه، وهو السمة العليا، والخطوة الأولى التي يجب أن يخطوها الداعية إلى الله تعالى، وليس هذا يعني أنه لا يوجد الحدّ والحزم في بعض الخطابات؛ إذ "لكل مقام مقال"، ولكل دواء داء، ولكل حال ما يناسبه.

مشكلة البحث: لقد أصاب هذه الأمة مصائبٌ شداد، وويلاتٌ متتاليات، وضائق الأرض بخطابات الحمقى بكل تعصب وجهل حتى تسلطوا على الناس بحجة أو بأخرى، فغاب خطاب العقل والعاطفة، وذهب عن أسماع الناس عبارات الحنان واللين واللطف، وسادت كلمات التهديد.

(١) الرويضة: ورد ذكرهم في الأحاديث الصحيحة، كرواية الإمام أحمد في مسنده: ٢٨/٨ برقم (٧٨٩٩) عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنها ستأتي على الناس سنون خداعة ويصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويضة"، قيل: وما الرويضة؟، قال: "السفيه يتكلم في أمر العامة". قال الشيخ شعيب: اسناده حسن.



ومما يؤسف له أن بعض هؤلاء هم المتزينون باسم الدين، التالون لآيات رب العالمين، وقد فاتهم كثيرًا من آيات القرآن الكريم المليئة بخطابات الأنبياء والصالحين؛ لتكون درسًا بليغًا لمن يسير على هداهم، ويتبع منهجهم، وهو من أبرز سمات الخطاب المؤثر والناجح.

هدف البحث: جاء هذا البحث ليعالج هذه المشكلة، ويكون دليلًا واضحًا من الأدلة على سماحة الإسلام وأنه دين رحمة وعطف ولين، وأنه الصفة الواضحة في تشريعاته النبيلة، ولذا كان موسوماً: **(اللين في خطابات بعض الأنبياء والصالحين في ضوء الآيات القرآنية)**.

وسأسبق تلك النماذج بتعريف اللين لغة واصطلاحًا، ثم أسمو ببحثي بذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحت على اللين والعطف سواء في القول أو الفعل؛ كنماذج تذكير للدعاة واستئناس لكل الناس.

وعلى هذا جاء بحثي بمطلبين سبقتهما مقدمة وذيلتهما خاتمة.

أما المقدمة فما هي ذي اختصرتُ فيها أهمية الموضوع والفكرة التي من أجلها أنشئ البحث.

وأما المطلب الأول فكان لتعريف اللين لغة واصطلاحًا، وبعض الآيات والأحاديث النبوية الواردة في اللين.

وأما المطلب الثاني فلنماذج قرآنية من خطابات بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين رضي الله عنهم.

أما منهجي في الدراسة فإنها دراسة موضوعية.

ثم ختمت بحثي بخاتمة كانت لنتائج مستخلصة، وفوائد مهمة برزت لي في أثناء كتابة هذا البحث، هذا فإن كان من صواب فمن توفيق الله تعالى، وأستغفره وأتوب إليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول: تعريف اللين لغة واصطلاحاً وبعض الآيات والأحاديث النبوية الواردة فيه

أولاً اللين لغة: هو مصدر للفعل (لَانَ يَلِينُ)، تقول: "لَانَ يَلِينُ لَيْناً وَلِيَاناً"^(١)، وَلِينَتِ الشَّيْءُ وَأَلِينَتْهُ، أي: صَيَّرْتَهُ لَيْناً، ومَادَّةُ (ل ي ن) دالَّةٌ على ما يخالف الخشونة، وهو ما يدل على النُّعومة^(٢)، والطَّرَاوَةُ، واللَّيَّان: الملاينة والملاطفة، واستلثت الشيء: عددته لَيْناً، يقال: "هو في لَيَّانٍ من العيش، أي: "في نعيمٍ وخفض"^(٣).

ثانياً اللين اصطلاحاً: لم تذكر كتب أهل العلم - فيما وقفت عليه - تعريفاً دقيقاً لمصطلح اللين، وإنما قد اكتفى بعضهم بذكر المعنى العام والمستعمل على وجه العموم، والمتتبع بتأمل يجد أن مادة (اللين) لها استعمالات عديدة، فتارة تستعمل في المعاني كلين الطَّبَع و لين الجانب و لين القول، وتارة في الماديات كلين الشَّمْع و لين القماش وغيرهما، قال الرَّازِبِيُّ: " اللِّينُ: ضِدُّ الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثمَّ يستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال: فلان لَيِّنٌ، وفلان خشن، وكلٌّ واحد منهما يمدح به طورا، ويذمُّ به طورا بحسب اختلاف المواقع"^(٤). ومن هذا نقول: تعامل بلين، أي: بسهولة وطيب، وليكن طبعك طَبْعٌ لَيِّنٌ، أي: لطيف المُعَاشَرَةُ ليس فيه جَفَاء، وهذا جِلْدٌ لَيِّنٌ، أي: مَرِنٌ وطريٌّ، والملبس لَيِّنٌ، أي: مُرِيحٌ وناعِمٌ الملمس.

وفي ضوء ما ذكر يمكن أن نخلص إلى أن اللين هو: كل ما شمل على السهولة والتلطّف والرضا والقبول عند المخاطب سواء كان في القول والحديث مع الناس، أم في معاملتهم، شريطة ألا يكون ذلك على حساب الحق، وإلا أصبح اللين مدهانة.

ثالثاً بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في اللين:

ورد كلمة اللين في القرآن الكريم في كثير من المواضع، وفيما يأتي بعض تلك النصوص، قال تعالى:

١. ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعُفْ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٥).
٢. ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾^(٦).

(١) العين: ٣٣٣/٨ مادة لين.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٢٢٥ مادة لين.

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة: ٦/ ٢١٩٨ مادة لين.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ص ٧٥٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٦) سورة طه، الآيتان: ٤٣ و ٤٤.



٣. «اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَدِّدًا مَتَّاعًا نَقَشَ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ»^(١).

وقد جاءت السنة النبوية بكثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في اللين لفظاً أو معنى، وفيما يأتي بعضها:

١. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: «يَسَّسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَيَسَّسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَاهَدْتَنِي فَحَاشَا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ انْقَاءَ شَرِّهِ»^(٢).

٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلَيْنُ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفْنَدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ»^(٣).

٣. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، فَإِنَّمَا تَصُفُّونَ بِصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَحَادُوا بَيْنَ الْمَنَاقِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرْجَاتِ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^(٤).

٤. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»^(٥).

٥. عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُحَرِّمِ الرِّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»^(٦).

(١) سورة الزمر، الآية ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري: ١٣/٨ برقم (٦٠٣٢)، ومسلم: ٢٠٠٢/٤ برقم (٢٥٩١).

(٣) أخرجه مسلم: ٧٣/١ برقم (٥٢).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: ١٧/١٠ برقم (٥٧٢٤)، قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير كثير بن مرة.

(٥) أخرجه أبو داود: ١٨٥/٧ برقم (٤٨٠٧)، قال الشيخ شعيب: حديث صحيح.

(٦) أخرجه أبو داود واللفظ له: ١٨٧/٧ برقم (٤٨٠٩)، قال الشيخ شعيب: إسناده حسن، وأخرجه ابن ماجه إلا كلمة (كله): ١٢١٦/٢ برقم (٣٦٨٧)، قال الألباني: حديث صحيح.



المطلب الثاني: نماذج قرآنية من خطابات بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين في الدين

لا يستشعر المسلم حقيقة اللين إلا بعد أن يطلع على ما جاء في القرآن الكريم من نماذج صورها وذكرها لنا عن بعض الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والصالحين سواء كان في كلامهم أو في خطاباتهم بما يكون أسوة لمن أراد السير على هداهم، وسيقتصر بحثنا هذا على ذكر بعض النماذج وليست حصرية؛ لكثرتها وضيق ورقات البحث المحدود بزمن معين.

وسيكون ذكري في النماذج للأنبياء عليهم الصلاة والسلام أولاً، ثم للصالحين ثانياً، بادئاً بذكر النبي محمد ﷺ لمقدمته في الفضل والفخر عليهم؛ فعن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ"^(١).

أولاً: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

(١) سيدنا محمد ﷺ:

يجمع الله تعالى القلوب على من كانت دعوته شعارها اللين والرفق، أما الغلظة والقسوة، فإنها أسرع بريد لابتعاد الناس وانفضاضهم عن الداعية، قال تعالى عن رسوله محمد ﷺ: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهْمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾^(٢).

لذا كان ولا بد للإنسان المسلم والداعية الناجح أن يكون لينا رقيقاً فيما يدعو إليه، وقد ضربت لنا سيرة رسول الله ﷺ أمثلة كثيرة تدل على لينه ورقفه بها هو ﷺ يخبر عن أشد الأيام التي لقيها فقال: "وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ^(٣) فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَطْلَلْتَنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لَتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكَ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ

(١) أخرجه مسلم: ١٧٨٢/٤ برقم (٢٢٧٨).

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية ١٥٩.

(٣) قرن الثعالب: وهو قرن المنازل، ميقات أهل نجد لتقاء مكة على يوم وليلة. ينظر معجم البلدان: ٣٣٢/٤.



عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً^(١)، وقد كان يبدأ قبل المعارك التي أطاحت رؤوس الكافرين وملكهم، كان يبدأ باللين، فها هو يكتب كتاباً للروم يقول فيه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمًا، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ"^(٢)»^(٣).

لقد ضرب نبينا الأكرم ﷺ أروع الأمثلة بالعبارات والأفعال مع أمته المليئة باللين والرفق والرحمة؛ ذاك لأنه رحمة للعالمين.. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤)، ومن الأمثلة الراقية في سيرة رسول الله ﷺ الدالة على عطفه ولينه في معاملته مع الناس أنه لما جاء أعرابي فدخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه مع أصحابه، فقام الأعرابي "يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَزْرُمُوهُ^(٥) دَعُوهُ، فَتَرْكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَدَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ"^(٦).

فمع أن مكانة المسجد عالية وقدسيته لا يجابهها مكان، إلا أن المسلم أسمى وأعلى مكانة منه، قال القاضي عياض: "في هذا الحديث الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه بغير تعنيف ولا سب، إذا لم يأت ذلك استخفافاً وعن علم، بل يبين له برفق وعلمه ما للمساجد من حرمة وحق"^(٧).

(١) أخرجه البخاري: ٤/ ١١٥ برقم (٣٢٣١)، ومسلم: ٣/ ١٤٢٠ برقم (١٧٩٥).

(٢) الأريسيين: هُوَ جَمْعُ أَرِيسِيٍّ وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى أَرِيسَ بَوَزْنِ فَعِيلٍ، وَالْأَرِيسُ: الْأَكَاظُ أَيْ الْفَلَّاحُ، أَوْ هُوَ الْأَمِيرُ، وَتَكُونُ النِّسْبَةُ نِسْبَةَ اتِّبَاعِ الْأَمْرَاءِ. ينظر فتح الباري لابن حجر: ١/ ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري: ٩/ ١ برقم (٧)، ومسلم: ٣/ ١٣٩٣ برقم (١٧٧٣).

(٤) سورة الانبياء، الآية ١٠٧.

(٥) تزرموه: لَا تَقْطَعُوا عَنْهُ بَوْلَهُ، فَالْإِزْرَامُ: الْقَطْعُ، وَمِنْهُ يُقَالُ: أَزْرَمَ بَوْلَهُ: قَطَعَهُ. ينظر العين: ٧/ ٣٦٥ مادة زرم.

(٦) أخرجه مسلم: ٢٣٦/ ١ برقم (٢٨٥).

(٧) إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٢/ ١٠٩.

(٢) نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام:

لبث نبي الله نوح عليه السلام مع قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا طالبًا منهم طلبًا واحدًا وهو توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ»^(١)، وهو شعار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم أجمعون، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ»^(٢)، وقد اتبع نوح عليه السلام أساليب كثيرة ومختلفة في الدعوة إلى الله تعالى، فمن العلنية إلى السرية، ومن الليل إلى النهار، ومن الدعوة العامة إلى الدعوة الفردية، ومن الحجة والدليل إلى الترغيب والترهيب، كل ذلك وغيره كان لنبي الله نوح مع قومه.

والذي يعيننا في بحثنا هذا أسلوب نبي الله نوح عليه السلام بالتلطيف، وعبارات اللين والمحبة، فقد كان يرغب قومه في ما يحبونه، مستخدمًا عبارةً تقرب قلوبهم ليقبلوا دعوته، منادياً لهم ب (يا قوم).

ثم إنه يرغبهم -إن هم آمنوا- بما يحبه الناس من خيرات الدنيا، فقال لهم: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾»، فالناس يحبون المطر ويريدونه، ففيه حياة الناس جميعًا، «وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ» وهي مما يحبه الناس، «وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَجَعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا»^(٤)، ثم أضاف لهم خيرات الآخرة فقال: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٢﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^(٥).

هذا هو اللطف واللين، دعوة وتحبيب وترغيب ووعد بما يحبه الناس ويتمنونه. ولما أن رأى نوح من قومه الإعراض حتى يئس من إيمانهم، أتت ساعة الفراق، والتي لا مردَّ لها، تلك عقوبة الله تعالى لهم بالإغراق والهلاك، «وَفَارَ الْفُتُورُ فَلَنَّا...»^(٦).

(١) سورة المؤمنون من الآية ٢٣.

(٢) سورة الانبياء: الآية ٢٥.

(٣) سورة نوح: الآيتان: ١٠-١١.

(٤) سورة نوح: من الآية ١٢.

(٥) سورة نوح: الآيتان ٣-٤.

(٦) سورة هود، جزء من الآية ٤٠.



هنا نادى نوح ﷺ قومه راجياً منهم الإيمان، ووصل النداء إلى ابنه الذي رفض الصعود إلى سفينة النجاة، قائلاً لابنه: ﴿رَبِّئِي﴾، مذكراً له بالبنوة مع صيغة التصغير الدالة على التحنن والتعطف، لكن لم يكن للابن إلا فضاظة الجواب، فلم يقدم الابن بما يليق مع أبيه، بأن يقول: يا أبت، إنه لم يلن ولم يتأدب مع أنه رأى من الآيات العظام.

ثم قال نوح ﷺ بعد أن ناداه: ﴿أَرْكَبْ مَعَنَا﴾^(١) أي: أسلم واركب في السفينة معنا، ولم يقل: اركب في الفلك؛ لتعنيها مع إغناء المعية عن ذكرها^(٢)، وفي قول نوح ﷺ لابنه: (اركب معنا) كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير^(٣).

ظلت البنوة العاقبة صامته لا تشعر بالأبوة الملهوفة، فيقابل الفتى المغرور الأب المشفق بأنه سيجد له فرصة للنجاة، فقال: ﴿سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾^(٤) ويحميني بارتفاعه ﴿مِنْ أَلْمَاءٍ﴾، ظناً منه أن ذلك كسائر المياه في أزمنة السيول المعتادة التي ربما يُنقى منها بالصعود، وأنى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى، وجهلاً بأن ذلك إنما كان لإهلاك الكفرة، وألا محيص من ذلك سوى الالتجاء إلى ملجأ المؤمنين^(٥).

٣) نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

لقد طرق نبي الله إبراهيم ﷺ في دعوته إلى الله تعالى مع قومه عامة، ومع أبيه خاصة وسائل اللين والعطف ما لا يخفى على أحد، وهو ديدن الدعاة والمربين الصادقين وعادتهم، وقد حكى القرآن الكريم ما حدث مع إبراهيم ﷺ من محاورات ونقاشات، مع قومه ومع الملك الطاغية، ومع أبيه وكلها كانت دروساً وفوائد، لتكون منهاج حياة لمجتمع يريد السلام والأمان.

قال تعالى: ﴿يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْءٌ﴾^(٦). "يا أبت"، عبارة مليئة في غاية اللين واللفظ والتودد، ﴿يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا

(١) سورة هود، جزء من الآية ٤٢.

(٢) روح البيان: ١٣١/٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٦/١٢.

(٤) سورة هود، جزء من الآية ٤٣.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢١٠/٤.

(٦) سورة مريم، الآية ٤٢.



سَوِيًّا^(١). ولم يقل: أنا عالم وأنت جاهل، مظهرًا شفقتَه على أبيه: ﴿يَكَاَبَتْ إِنْى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا^(٢)﴾.

مما جرى من تلك المحاورات ما روت اللطف واللين من جانب، والقسوة والغلظة من جانب آخر، من ابن رحيم بَارَ ناصح، وأب قاس متعنت متكبر، تبين صدق إبراهيم عليه السلام في نبوته بأنه قد دعا أباه إلى الحق المبين، فها هو ذا بدأ حوارَه باللطف والاحترام، واستجلاب قلب أبيه بأنه ينتسب إليه، فقال: ﴿يَكَاَبَتْ^(٣)﴾.

وقد ابتدأ إبراهيم عليه السلام حوارَه بعد عبارة اللطف واستجلاب العطف واللين: ﴿لَمْ تَعْبُدُوا^(٤)﴾، وهو صيغة استفهامية جيء بها للإنكار على فعل الأب والقوم، والتوبيخ لهم على ما يفعلون^(٥)؛ لأن العاقل لا يفعل فعلاً إلا من أجل فائدة مرجوة، وفي هذا تنبيه على عقم فعله، أو قد يكون مراداً بالاستفهام المجاملة واللطف والرفق واللين في النصيح له^(٦).

وإنما بدر من إبراهيم عليه السلام على أبيه كمن يخاطب سفيهاً جاهلاً، وهو كما قال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا^(٧)﴾.

ولم يكتف إبراهيم بالسلام على أبيه، وإنما وعده بالاستغفار فقال: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي^(٨)﴾، أي: سأسأل لك ربي هدايتك للإيمان ويغفر لك^(٩)، أو: أسأله لك توبة تتال بها مغفرته^(١٠)؛ ﴿إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيًّا^(١١)﴾، أي إن ربي لطيف بي أشد اللطف. فالحفي: البر اللطيف

(١) سورة مريم، الآية ٤٣.

(٢) سورة مريم، الآية ٤٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢٦٨/٧.

(٤) ينظر: فتح القدير: ٣٣٥/٣.

(٥) ينظر: نظم الدرر: ٥٣٦/٤.

(٦) سورة الفرقان: جزء من الآية ٦٣.

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٣٥/٥.

(٨) سورة مريم، جزء من الآية ٤٧.

(٩) ينظر: البحر المحيط: ٢٧١/٧.

(١٠) ينظر: زاد المسير: ٢٣٧/٥.

(١١) سورة مريم، جزء من الآية ٤٧.



الذي يعتني بالشيء أشد الاعتناء^(١)، ومنه الحفاوة وهي: "المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية في أمره"^(٢).

ولما كان في قول الأب: ﴿لَأَرْحَمَنَّكَ﴾^(٣) فظاظة وقساوة قلب، قابله إبراهيم عليه السلام بالدعاء له بالسلام والأمن، ووعده بالاستغفار قضاءً لحق الأبوة، وإن كان قد صدر منه إغلاظ. كل هذه العبارات اللطيفة جاء بها إبراهيم عليه السلام مع أبيه، عبارات خرجت من قلب رحيم أواه، متلطف بأبيه، خائف عليه، شاعر بالمسؤولية اتجاهه.

٤) كلیم الله تعالى موسى عليه السلام:

من أكثر القصص القرآنية ذكراً هي قصة نبي الله موسى عليه السلام، وقد جاءت حياته عليه السلام على مراحل كثيرة فمن الولادة والقائه في اليم، وإعادته إلى أحضان أمه رضيعاً، ونشأته في بيت عدوه، وهروبه إلى مدين وعمله عشر سنين أجيراً، حتى كلمه الله تعالى وأرسله نبياً إلى فرعون مع أخيه هارون عليه السلام، ومواجهته للسرعة وانتصاره عليهم، وخروجه ببني إسرائيل وإغراق فرعون وقومه، وما حدث من الآيات التسع لبني إسرائيل، وغير ذلك من الحوادث والمواجهات التي ذكرها القرآن الكريم.^(٤)

والذي يعنينا في هذا البحث دقيقة من دقائق مرحلة الدعوة المباركة، إذ أمر الله تعالى رسوله موسى عليه السلام أن يذهب داعياً ومنقذاً، داعياً فرعون إلى الرشيد وطريق الحق وترك الظلم والغواية، ومنقذاً لبني إسرائيل الذين شهدوا الظلم والتعذيب والقتل والاستحياء والاستعباد. طلب سيدنا موسى عليه السلام من الله ﷻ أن يكون معه في هذه المهمة أخاه هارون عليه السلام، وزيراً ومساعداً يشد به إزره، ويشاركه الدعوة والإقناع، فأعطاه الله تعالى ما أراد وتمنى.

وقبل الارسل والمواجهة التي تحمل في طياتها المخاوف والغرائب المستقبلية، طمأنه الله تعالى فقال: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٥)، ﴿لَا تَخَفْ﴾^(٦)، ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ﴾^(٧)، ثم أعلمه الله ﷻ ما يقولان لفرعون، والطريقة التي يتكلمان بها، والحجة التي يحتاجان بها.

(١) ينظر: العين: ٣/٣٠٦، مادة حفو.

(٢) الصحاح تاج اللغة: ٦/٢٣١٦، مادة حفا.

(٣) سورة مريم، جزء من الآية ٤٦.

(٤) كما حدث مع الخضر عليه السلام، وقارون والسامري.

(٥) سورة طه، جزء من الآية ٤٦.

(٦) سورة طه، جزء من الآية ٦٨.

(٧) سورة النمل، جزء من الآية ١٠.



قال الدكتور صلاح الخالدي: "إن موسى وهارون عليهما السلام مُقَدِّمَان على خطوة خطيرة حيث سيواجهان أعتى كافر، وفرعون يملك الكثير من مظاهر القوة والبطش والطغيان، ولا يعينهما في تحديّه ومواجهته إلا الله القوي الجبار، لذلك أرشدتهما الله إلى الاكثار من ذكره ونهاهما عن الضعف والوحي والفتور فقال لهما: ﴿وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي﴾"^(١).

• جانب دعوي: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئِنَّا﴾، وجه الله تعالى موسى وهارون إلى أهم الكلمات التي سيقولانها لفرعون، وطريقة المخاطبة له، فقال لهما: ﴿قَوْلًا لِّئِنَّا﴾، فمع ما كان عليه فرعون من عتو واستكبار، يكن موسى ملاطفا لينا، بأجمل الكلمات التي تنبئ عن جمالية الرسالة، وألطف العبارات التي من خلالها استخراج كوامن الخير في فرعون، فقد تسهم العبارات اللطيفة وتتفاعل مع صدقك لتدخل فؤاده، فيذكر أو يخشى، فيعرف الحق ويبتعد عن الباطل، ويؤمن بالله تعالى، ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَى﴾^(٢) ﴿وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾^(٣)، وقد اختلف أهل العلم بتفسير القول اللين على أقوال، منها:

١. وَعَدُهُ بشبابٍ لا هرم بعده، ومُلْكًا لا ينزعه إلا الموت، ولذة دائمية في المأكَل والمشرب^(٤).

٢. القول اللين بأن ينطق بالشهادة: (لا إله إلا الله)^(٥).

٣. مخاطبته بكنية يحبها وليس باسمه المجرد^(٦).

ولعل ليونة القول تكون في كل ما مضى وغيره، فتكون في الألفاظ والعبارات والأسلوب، حتى في نبرة الصوت وكيفية القول، هذا ما أمر به الله تعالى نبيه موسى. وقد جاءت كلمة "لعل" في القرآن الكريم على وجوه أهمها:

لتوقع حصول ما بعدها، واحتمال تحققه، والتوقع هنا موسى وهارون عليهما السلام، أي: قولاً لفرعون القول اللين مع رجائكم أن يتذكر أو يخشى، والخطاب وإن كان مع موسى عليه السلام .. فإن هارون تابع له، فجعل الخطاب معه خطاباً مع هارون^(٧).

(١) القصص القرآني: ٣٩٣/٢.

(٢) سورة النازعات: الآيتان ١٨-١٩.

(٣) ينظر: الكشف: ٤٩/٣.

(٤) ينظر: الكشف: ٤٩/٣.

(٥) ينظر: الكشف: ٤٩/٣.

(٦) ينظر: اللين والشدة في الدعوة قرآنية: ص ٢٢.



ولما أن بلغ موسى وهارون قصر فرعون عليهما السلام، وتوجها نحوه ليلبغاه الدعوة ويقيما الحجة عليه، فعل ما أمر الله تعالى به أول الأمر، فبدأ موسى بالكلمات اللينة، فعرفه بنفسه ورسالته، فجاببه فرعونُ اللين بالقسوة والرقة بالغلظة؛ ولم يحدث المأمول؛ إذ لم يكن لفرعون جوابًا كريمًا، وإنما كان رده مليئًا بالوقاحة والتصعيد، كما جاء ذلك صريحًا في قول الله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا...﴾^(١).

ثانيًا: الصالحون عليهم الرضوان:

(١) لقمان الحكيم:

من سور القرآن الكريم سورة لقمان، وقد أكرمه الله تعالى بالحكمة وهي: "العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور"^(٢)، وقد ذهب جمهور العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً^(٣)، تتلمذ على يد الأنبياء، وتتلمذ له الأنبياء^(٤)، كان أسود اللون أبيض القلب، اشتهر بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد بلغ تلك الرتبة العلية بسبب صدقه وأمانته وتركه ما لا يعنيه، "عَنْ مَالِكٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ، قِيلَ لَهُ: مَا بَلَغَ بِكَ مَا نَرَى؟ قَالَ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ وَتَرْكِي مَا لَا يَعْنِينِي"^(٥).

وقد حكى القرآن الكريم لنا أجمل مواظ لقمان الحكيم، وهو يربي ولده على ما فيه خيراً الدنيا والآخرة، فيوجهه بإصلاح علاقته مع ربه تبارك وتعالى، ومع والديه ومع نفسه والناس أجمعين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِىْ لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ١٤ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ يَبْنِىْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوٰتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦ يَبْنِىْ أَفَمِرَ الضَّلٰوَةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ

(١) سورة الاسراء: الآيتان: ١٠١-١٠٢.

(٢) معالم التنزيل: ٥٨٧/٣.

(٣) ينظر: معالم التنزيل: ٥٨٧/٣، مدارك التنزيل: ٧١٣/٢.

(٤) ينظر: مدارك التنزيل: ٧١٣/٢.

(٥) حلية الأولياء: ٣٢٨/٦.



لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾^(١).

يعظ لقمان ابنه بكل حنان وعطف ويوجهه بتوحيد الله تعالى، وعدم الشرك به شيئاً؛ فإنه تجاوز للحد وظلم للنفس الإنسانية أيما ظلم.

ثم يوصيه بعبارة مليئة باللين والرفق بالإحسان لوالديه والتعامل معهم بأكمل الوجوه وأحسنها، وطاعتها ومصاحبتها بالمعروف، وعليه متابعة طريق أهل الحق والإنابة والتزامه.

ثم يوجهه مصاحبا العطف بمراقبة الله تعالى في كل حين، ومحاسبة النفس، وألا يستحقر ذنباً صغيراً أو كبيراً.

ثم يوصيه بملاطفة ملازمة وكلمات رفيقة مليئة بالرحمة بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الحياة وما يلاقه من بلايا الأمور، وأن يكون هيناً ليناً حسن المعاشرة مع الناس، بعدم التكبر والغرور واحتقار الناس، وأن يمشي مقتصدًا بينهم، غاضاً من صوته، غير صخاب ولا نصاب.

إن المتأمل والمتأنى في هذه الوصايا النيرة كلها يجد عاملاً بارزاً وجانباً متكرراً فيها، باستعمال العبارات الدالة على اللين والاستعطاف والتحنن بمناداته: ﴿يَبْنَى﴾، قال الشيخ محمد الأمين: "تصغير ابن صغره للشفقة والمحبة وصغر السن"^(٢)، وقال الشيخ الزحيلي: "حرصاً عليه؛ لأن الأب يحب ابنه وهو أشفق الناس عليه"^(٣).

وفي تكرار العبارة ﴿يَبْنَى﴾ التأكيد على مداومة جانب اللين وملازمته، والاستعطاف في الوصايا التي يراد منها الاهتمام، واستخدام أسلوب الحب والشفقة وإشعار الولد بأن النصيحة نابعة من باب الخوف عليه والحرص على مصلحته، وعدم استخدام الألفاظ الجارحة والكلمات التي من شأنها الإنقاص من قيمة الابن، ليزيد من تقبل الابن لنصح الاب.

ويلحظ من تكرار لفظ ﴿يَبْنَى﴾ أن هذه الأمور لا يكفي ذكرها لأبنائنا مرة واحدة فقط، إنما يجب تكرارها دائماً بحسب الظروف والأحوال واستغلال الفرص المناسبة لتعميقها وتأكيدها

(١) سورة لقمان، الآيات ١٣-١٩.

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان: ٣١٦/١٣.

(٣) التفسير المنير للزحيلي: ١٤٥/٢١.



لدى الطفل وترسيخها في فكره وذنه، فلا يحتاج إلى من يعلمه ويدفعه إلى الخير بل يصير هو نفسه مندفعاً نحوه، محباً للصالح والهدى.

(٢) مؤمن سورة يس:

وهكذا المؤمن في سورة يس، قد اختار في دعوته ونصحه لقومه أجمل ألفاظ النداء، وألطف العبارات ﴿يَقَوْمُ﴾ شأنه شأن الأنبياء والمرسلين الذين استعملوا تلك العبارات بثناء أقوامهم، قال الإمام أبو السعود: "تعرض لعنوان رسالتهم حثاً لهم على اتباعهم كما أن خطابهم بـ﴿يَقَوْمُ﴾؛ لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته"^(١).

قال الله تعالى في شأن هذا العبد: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنَِّّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنَّتِ آمَنَتْ بَرِيكَتٍ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾﴾^(٢).

لما أرسل الله تعالى بعض أنبيائه لتلك المدينة، كذبهم القوم، وهُمُوا بِقَتْلِ رُسُلِهِمْ، جاءهم رجلٌ مؤمنٌ يسكنُ أقصى المدينة يسير مسرعاً؛ لنصرة الحق على الباطل، واسمه: حبيب بن مَرَى، واختلف أهل العلم في عمله، والمشهور أنه كان خطاباً نجاراً، كثير الصدقة يتصدقُ بِنِصْفِ كَسْبِهِ، كثير العبادة^(٣).

لما وصل حبيبٌ إلى القوم، حضَّهم على اتباعِ الرُّسلِ الذين أتوهم، وأمرهم بكل عطف ولين قائلاً لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا﴾، يا قومي الذين أنا منكم وأنتم مني، اسمعوا كلامهم فإنهم لا يطلبون على إبلاغِ الرسالة أجرًا، فهم مهتدون فيما يدعونكم إليه، أما أنا فإنني معهم فيما يدعون، وعلى دينهم الذي يأمرون، ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾، وما يمنعني من عبادته تعالى والإخلاص له، فهو الذي خلقتني وأوجدني وأنشأني، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، وإليه تعودون يوم المعاد، فيجازي العباد على ما عملوا، "إن خيراً فخير وإن شراً فشر"^(٤).

(١) إرشاد العقل السليم: ١٦٣/٧.

(٢) سورة يس، الآيات: ٢٠-٢٥.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٠٦/٦.

(٤) جامع البيان: ٤٥٢/٧، تفسير القرآن العظيم: ٥٠٦/٦.



وكيف تريدون مني أن أتخذ من دون الله تعالى إِلَهَةً لا تملك من الأمر شيئاً، فلو أرادني الله بِسُوءٍ ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾^(١)، فالأَصْنَامُ لا تملكُ نفعي ولا ضري ولا إنقاذي من عذاب الله تعالى^(٢).

ولما نصح قومه ودعاهم بكل هذا العطف واللين، مجادلاً لهم بكلمات العطف والحنان هرعوا لرجمه، فأسرع نحو المرسلين قبل أن يقتل فقال لهم: ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾^(٣) اسمعوا يا قومي واشهدوا أنني مؤمن معكم^(٣).

(١) سورة يونس: جزء من الآية ١٠٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٠٦/٦.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: ١٠١/٣.



الخلاصة

في هذه المسيرة العلمية خلصنا مما ذكرناه في هذا البحث بفوائد ونتائج نلخصها فيما

يأتي:

١. اللّين من صفات الأنبياء والمؤمنين الصالحين، وهو أثر من آثار رحمة الله تعالى، فوائده كثيرة، أهمها: خير سبيل يعطف قلوب الناس ويجمعهم، وهو أقرب إلى الإجابة والقبول ولاسيما في مجال الدّعوة إلى الله ﷻ، وهو يجلب السّماحة والمودّة ويستدعي رحمة الله تعالى.
٢. للين مظاهر يتضح بها، تبرز على من يتصف بها أهمها: التواضع وخفض الجناح مع الخلق، والمجادلة بالتي هي أحسن مع المخالف في الآراء، والهجر الجميل للمخاصم، والحرص الشديد على هداية الخلق للحق والصراط المستقيم.
٣. ديننا العظيم دين الفطرة السليمة، دين السلامة والرفق، لكن هذا لا يعني أن نجعل مقياس اللين والشدة في أي أمر من الأمور ما تهواه الأنفس والأهواء، وإن خفي الأمر فمما لا شك فيه أنّ سلوك اللين والتيسير هو المقدم.
٤. اللين والرفق وسيلة عظيمة في اصلاح مشاكل المجتمع وهو الحل الامثل لها.
٥. لا بد للخطاب بكل اشكاله الديني والسياسي والاجتماعي وغيره، أن يعود الى أصله بالاعتدال والوسطية ليكون سبيلا للتعايش السلمي بين أطراف المجتمع، وخير وسيلة لذلك هو اللين والعطف والرحمة.



المصادر

• بعد القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم «تفسير أبي السعود»، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ.
٦. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه «صحيح البخاري»، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة تزييم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٨. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.



١٠. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.
١١. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٢. سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
١٤. شرح صحيح مسلم «إِكْمَالُ الْمُعْلَمِ بِقَوَائِدِ مُسْلِمٍ»، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٦. العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٧. فَتْحُ الْقَدِيرِ الْجَامِعِ بَيْنَ فَنِّي الرُّوَايَةِ وَالِدِّرَايَةِ مِنَ التَّفْسِيرِ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
١٨. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٩. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.



٢٠. اللين والشدة في الدعوة -دراسة قرآنية-، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، غزة، إعداد: أسماء جميل أحمد محمود، إشراف الدكتور: وليد محمد حسن العامودي، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٢١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن «تفسير البغوي»، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي لشافعي (ت ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٥. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٦. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.





مسؤولية الخطباء الدينية

بين دقة الفهم وتحديد المفاهيم

م.د. طه حميد حريش
مديرية الوقف السني
محافظة الأنبار

tahahameed090@gmail.com

ISSN: 2071-6028





ملخص باللغة العربية

الخطاب جهد بشري ناتج من ثمرة الفكر في الاستبطاء، وقد يعتريه الخطأ، وإن أصول الإسلام ثابتة لا تتغير مهما تغير الزمان والمكان، أما ما دون ذلك فانها تتغير بما لا يتعارض مع الثوابت لما فيه من تحقيق المقاصد والمصالح. **فإشكالية البحث:** كون الخطاب يتأثر بالواقع الذي يعيش فيه من حيث القوة والضعف، والمصلحة والمفسدة، وما يترتب على ذلك من آثار إيجابية وسلبية، فهل من الممكن إعادة النظر في طبيعة الخطاب وتهذيبه؟ وما حكم هذه الأمور بالنظر إلى ضرورة إستحداث إستراتيجية جديدة تتسجم مع الواقع؟ **والهدف من البحث:** تقويم الخطاب الديني داخل المجتمع الإسلامي وخارجه مع ما يتناسب بين المحيط والبيئة، ليجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين معاني النصوص والواقع الذي له الأولوية في التأثير، كما لا يتجاهل التفاوت الموجود بين الاتجاهات المعاصرة؛ لتزدان ويكمل بعضها بعضاً؛ لأنها لا تريد الا توصيل رسالة الإسلام. **خطة البحث:** اقتضت أن يتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة. **فالمقدمة** فيها أهمية الموضوع، والعمل فيه، **والمبحث الأول** ضم أساسيات ومقتضيات الخطاب الديني، وآليات الموازنة بين الثوابت والمتغيرات لتحقيق المصالح، **والمبحث الثاني** بيّن مسؤولية الخطاب الديني التي تتوافق مع روح العصر، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: مسؤولية ، خطاب ، تجديد

The responsibility of religious discourse between the accuracy of understanding and the renewal of concepts

Dr. Taha Hameed Huraish Al-Fahdawy

Abstract: After thankful of Allah and his luck to me, I would show that speech is human being effort resultant of fruit of thought in eduction of legal evidences, so he is not impeccable. The holly of provisions and proved evidences that do not change with changing if time in place Religious Speech effects with reality that live with in respect of power, weakness, interest and utility, the resulting on that positives and negatives effects either inside or out Islamic society. Is it impossible to reconsidering of the nature of speech and its civility? Is it possible to change constants or variables or regiment or do amendments to speech .? What is provision for this cases in regard to necessity of developing a new strategical consistent with modern reality .? All these cases would be on our study in this research divided to sections and beaches.

Keywords: responsibility, speech, renewal



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فلا يخفى على الجميع أن الخطاب جهد بشري ناتج من ثمرة الفكر في الاستنباط من الأدلة الشرعية، إذ هو غير معصوم من الخطأ، فالدقاسة للنصوص دونه، فإن الأصول الثابتة تمثل كليات الإسلام ومبادئه فلا تتغير مهما تغير الزمان والمكان والأشخاص، أما ما دون ذلك فانها تتغير بما لا يعارض الكليات والثوابت بما فيه تحقيق مقاصد الشرع التي تتحقق فيها مصالح الناس.

إشكالية البحث: هي أن الخطاب الإسلامي يتأثر بالواقع الذي يعيش فيه من حيث القوة والضعف، ومن حيث المصلحة والمفسدة، ومن حيث الضر والنفع، وما يترتب على ذلك من آثار إيجابية وسلبية، ولا سيما مع تعدد وتلون الاتجاهات في الساحة الإسلامية.

الهدف من هذا البحث: تقويم الخطاب الديني داخل المجتمع الإسلامي وخارجه مع ما يتناسب بين المحيط والبيئة، فهو بذلك يجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين معاني النصوص والواقع الذي له الأولوية في التأثير، كما لا يتجاهل التفاوت الموجود بين الاتجاهات الإسلامية المعاصرة حسب جذورها الفكرية؛ لتزدان ويكمل بعضها بعضاً؛ لأنها لا تريد الا توصيل رسالة الإسلام، ويمكن صياغة النظرية وفق الأسئلة التالية:

هل من الممكن إعادة النظر في طبيعة الخطاب وتهذيبه؟، هل يجوز تغيير الثوابت أو المتغيرات أو ترتيبها أو إجراء تعديلاً عليها؟ ما حكم هذه الأمور بالنظر إلى ضرورة استحداث استراتيجية جديدة تتسجم مع الواقع المعاصر؟، وللإجابة عن هذه الأسئلة اقتضت خطة البحث: أن يكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة. **فالمقدمة** فيها أهمية الموضوع، والعمل فيه، **والمبحث الأول** ضم أساسيات ومقتضيات الخطاب الديني، وآليات الموازنة بين الثوابت والمتغيرات لتحقيق المصالح، **والمبحث الثاني** بيّن مسؤولية الخطاب الديني التي تتوافق مع روح العصر، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات. وأرجو من الله التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المبحث الأول: أساسيات ومقتضيات الخطاب الديني

المطلب الأول: أساسيات الخطاب الديني

لقد جرت العادة في توضيح بعض المفاهيم قبل البدء في محتوى البحث فأقول:
الخطاب: في اللغة: مراجعة الكلام بين طرفين لإفهام المقابل بقصد المخاطب والمتكلم^(١).

وفي الاصطلاح: هو كل أسلوب يعبر به عن الإنتاج الفكري، والفقهي، والعلمي، وعن سائر الفهوم، والجوانب المعرفية، سواء كان مرئياً أو مسموعاً أو مكتوباً، وسواء كان حكمة أو موعظة أو مجادلة بالتي هي أحسن، فهو سبيل الهداية وإشعاع رحمة الله تعالى للعالمين، والقصد منه الإفهام^(٢)، فقد تكون خطبة أو درساً أو كتاباً أو رواية أو مسرحية أو قصيدة... الخ^(٣).

وأما الديني: فنسبة إلى الدين الإسلامي، والإسلام هو الاستسلام لأمر الله تعالى، والانقياد لطاعته وقبول أمره^(٤)، وخطاب إسلامي لا يعني الإسلام، وإنما تعني نسبته إلى القيم الإسلامية، وانطلاقه منها وبذلك يختلف في صفاته، وخصائصه، ومواصفاته عن خطاب الشارع الحكيم^(٥)، الذي يوجه إلى الناس مسلمين وغير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم: فردية أو اجتماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية^(٦)، ويشترط في الخطاب أن يكون مفهوماً، وله سامع، وله موضوع محدد، وهدف يرجى تحقيقه، ويرتكز الخطاب الديني في الإسلام على أسس رصينة تتمثل بمصادر الشرع وأصوله كالقرآن والسنة، مع ما يضاف إليها من الإجماع والقياس والمصلحة وغيرها، وهذا مما يزيده حصانة ورفعة ليس كشأن الخطاب الوضعية الأخرى^(٧)، وقادر على تحشيد الجماهير حول رسالته وأهدافه^(٨)، فمثلاً:

(١) لسان العرب، مادة (خطب)، ٣٦٠/١، الكليات ٦٥٨/١، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٧٣/١.

(٢) ينظر: الأحكام للامدي: ١٣٦/١، البحر المحيط في أصول الفقه ٩٨/١، الخطاب الإسلامي (وقفه للمناصحة) ص ١٩.

(٣) تجديد الخطاب الإسلامي الرؤى والمضامين، ص ٧.

(٤) العين للفرهيدي ٢٢٦/٧، لسان العرب، مادة (سلم) ٢٨٩/١٢، التعريفات ٣٩/١.

(٥) ينظر: الخطاب الإسلامي (وقفه للمناصحة)، ص ٢٠.

(٦) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ص ١٥.

(٧) ينظر: كيف ندعو إلى الإسلام، ص ١٠٣، الخطاب الإسلامي ومميزاته والتحديات التي تواجهه، ص ٢٢٦.

(٨) ينظر: تجديد الخطاب الديني الرؤى والمضامين، ص ٨.



– حاجة الخطاب إلى القرآن الكريم: من الضروري ذلك والاعتصام به، ولا يستغني عنه من تصدر الساحة الإسلامية من العلماء والدعاة والخطباء والسياسيين وغيرهم، لكي لا تنزل الأقدام عن مسارها، فهو ميراً من النقص، والتحريف قال تعالى: ﴿مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، فأسلوبه يخاطب العقل والقلب معا ويجمع الحق والجمال معا، ويوجه العقول والعواطف معا يخفف على النفوس ان تجرع الأدلة العقلية، ويرفه عن العقول بالتفاؤل هداية الإنسان^(٢).

– حاجة الخطاب إلى السنة المطهرة: لأنها المصدر الثاني بعد كتاب الله تعالى، ودليل أساسي من أدلة الأحكام^(٣)، فهي المبينة والمفسرة لما أجمل القرآن، ومخصصة لعمومه ومقيدة لإطلاقه، وشارحة لإحكامه وأهدافه^(٤)، ولا يمكن فهم القرآن بمعزل عنها، ومنها يتخذ المسلمون أسس حياتهم في جميع المجالات ولا يستغني عنها الخطاب؛ لقوله ﷺ: (أوتيت القرآن ومثله)^(٥)، وتشمل كل ما نسب إلى النبي ﷺ من الأقوال والأفعال والتقريرات، وأوصاف الخير والكمال، مما أمر بإتباعه والتأسي به^(٦)، فكان النبي ﷺ يخاطب قومه والناس جميعاً بلغة تتناسب مع مكانتهم وعصرهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(٧)، فلا بد للخطاب ان يستمد لغته وأسلوبه منها، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ إِلَّا الْوَسْطَ فَخُذْهُ وَمَا نَهَيْتُكَ عَنْهُ فَانْهَوُا﴾^(٨).

– حاجة الخطاب إلى الإجماع: لأنه اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع^(٩)، فالعقل وحده لا يكفي وليس بمأمون، ومحدود بالبيئة والظروف^(١٠)، يقول النبي ﷺ: (ان امتي لا تجتمع على ضلالة)^(١١)، فلا بد من توظيفه في خطابنا ومدى قربه من الصواب بخلاف التاريخ لأنه أحداث وفيه من الأخطاء مقصودة أو غير

(١) سورة الإنعام الآية: (٣٨) .

(٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/٢٢٥ .

(٣) ينظر: اصول الاحكام وطرق الاستنباط في التشريع الاسلامي، ص ٥٣.

(٤) ينظر: حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، ١/٢١٨.

(٥) أخرجه الامام احمد في مسنده من حديث المقدم بن معدي كرب الكندي: برقم (١٧١٧٤).

(٦) ينظر: الإحكام للامدي ١/٨٧، الإبهاج في شرح المنهاج ٢/٢٦٣، أنيس الفقهاء ص ١٠٦،

مجموعة بحوث ندوة السنة النبوية في المملكة العربية السعودية ١٥/٦ .

(٧) سورة النحل، الآية ٤٤.

(٨) سورة الحشر، الآية ٧.

(٩) رفع الحاجب ٢/١٣٥، المحصول ١/١٨، كشف الإسرار ٣/٢٣٧، إرشاد الفحول ١/١٩٣.

(١٠) الإيمان والحياة، ص ٢٥٦.

(١١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب السواد الاعظم: برقم (٣٩٥٠).



مقصودة^(١)، فإن قول الله: ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ دِينُكُمْ وَآمَنْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، يتضمن توحيد المصدر في التلقي لكل زمان ومكان^(٣)، فهو بهذه النسبة المنتج المرتكز على قيم الإسلام^(٤).

المطلب الثاني: مقتضيات الخطاب الديني

أولاً: شمولية الخطاب الديني وعمومه: لكونه للناس أجمعين بشعوبهم وأوطانهم، فلا يخص قوماً دون قوم ولا زمان دون زمان^(٥)، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٦)، فالجميع مسؤول عن تبليغه بالقدر الذي يستطيع^(٧)، وانعقد الإجماع على عموم الرسالة وخلودها^(٨)، وكذلك عمومية الأحكام التي تنظم سلوك الإنسان وشؤونه في جميع مظاهر الحياة^(٩)، فالكل يحاسب على الخير والشر في الصغيرة والكبيرة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(١٠).

ثانياً: عالمية الخطاب الديني: فقد جاء لكل الناس، بغض النظر عن طبقاتهم أو أجناسهم، فلم يأت لطائفة معينة منهم أو لجنس خاص فهو للبشرية جمعاء^(١١)، قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(١٢).

ثالثاً: يصلح لكل زمان ومكان: يستمر الخطاب في المجتمع وينسجم مع الكون الطبيعي والبشري، ولديه القدرة على استيعاب الحياة ومشاكلها المتجددة في كل مكان وزمان؛ لأنه ليس وليد بيئة معينة أو ردة فعل أو سوء أوضاع وغيرها بل هو قادر على الإبداع في كل عصر

(١) تجديد الخطاب الديني الرؤى والمضامين، ص ١٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) في ظلال القرآن، ١٤/٥٦.

(٤) ينظر: ليس من الإسلام، ص ١٣٧.

(٥) ينظر: الإعلام الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة، ص ١٦٦.

(٦) سورة سبأ، الآية ٢٨.

(٧) ينظر: الإعلام الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة، ص ١٦٦.

(٨) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، ص ١٣٩.

(٩) فهم الاسلام في ظلال الاصول العشرين، ص ٢٦.

(١٠) سورة الزلزلة، الآية ٧.

(١١) ينظر: أصول الدعوة، ص ٥٦.

(١٢) سورة الفرقان، الآية ١.



ومكان، وتنظيم الحياة فيهما، ومقتضى هذا العموم ان تكون هذه الرسالة أو هذه الشريعة صالحة لكل قوم وكل بيئة، وكل مكان^(١).

رابعاً: مبني على التيسير ورفع الحرج: فتكاليفه سهلة تتسجم مع الفطرة البشرية وتتاسب طاقة الإنسان وقدرته عكس شرائع بعض الأمم السابقة^(٢)، قال تعالى: ﴿هُوَ أَجَبَتْكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي آلَينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣)، ويقول النبي ﷺ: (ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد إلا غلبه فسددوا وقاربوا)^(٤)، فلا يؤخذ بالمغالبة فمن شاد الدين غلبه وقطعه^(٥).

المطلب الثالث: آليات الموازنة بين الثوابت والمتغيرات

أولاً: الموازنة بين الثوابت والمتغيرات:

فالثوابت من حيث اللغة: هي الدوام والاستقرار^(٦)، وفي الاصطلاح: هي القطعيات التي لا اجتهد ولا خلاف فيها^(٧)، كالأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع وغيرها^(٨)، التي تشمل كليات الشريعة وأركانها من العقائد والعبادات والأخلاق وأصول المعاملات^(٩)، وهي القسم الثابت الذي لا يقبل التطوير ولا الاجتهاد ولا الإضافة^(١٠).

وأما المتغيرات فهي: التحويل لغةً، يقال غيرت الشيء أي: حولته عما كان عليه^(١١)، وفي الاصطلاح: هي موارد الاجتهاد، التي لم يبق فيها دليل قاطع^(١٢)، وتشمل الإجراءات والكيفيات المتعلقة بأحكام المعاملات وبعض فروع العبادات التي قلما تأتي فيها نصوص قطعية، أو جاءت مطلقة بالشرع، أو يتغير حكمها في كل عصر نظراً إلى وقوع أدلتها في دائرة الظن

(١) شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، ص ١٢ .

(٢) ينظر: فقه الأولويات دراسة في الضوابط، ص ٩٨ .

(٣) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم ٣٩.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن رجب ١/١٣٦ .

(٦) معجم مقاييس اللغة، ١/٣٩٩، لسان العرب، مادة (ثبت)، ١٣/٤٤١، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٢/١١٨.

(٧) ينظر: الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي، ص ١٩.

(٨) مجموعة الفتاوى: لا بن تيمية، ١١/٥٠٧.

(٩) ينظر: الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي، ص ٣٣.

(١٠) السلفيون والأئمة الأربعة ﷺ، ٢/٢٤ .

(١١) لسان العرب، مادة (غير) ١٧/٧٦ .

(١٢) ينظر: الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي، ص ٣٣، الثابت والمتغير في فكر الإمام الشاطبي، ص ٢٠.



الذي يدخله التعارض والترجيح^(١). فالتفريق بين النصوص القاطعة التي لا تحل المنازعة فيها، وبين موارد الاجتهاد التي يساغ فيها الخلاف واجب ولا ضيق فيها على المخالف، لتكون الأولى معقد الاتفاق، وفي الثانية يسعنا ما وسع سلفنا الصالح، فيتكلم الناس فيها بالبيّنات والحجج العلمية، مع بقاء الألفة والأخوة في الدين^(٢). فالتغيير يتعلق بتفصيل الأحكام المختلفة، فقد تكون محتملة، أو متروكة للاجتهاد، رحمة من الله تعالى^(٣)، فلا يخرج المختلفون فيها عن دائرة الرحمة إلا إذا تقاطعوا بسببها، وإن تطبيق الثبات والتغيير على أفعال المكلفين يبين لنا ملائمة الشريعة الإسلامية للفترة، تجمع بين الثبات والتطور ليعيش المجتمع المسلم ويستمر ويرتقي، ثابتاً على أصوله وقيمه، متطوراً في معارفه وأساليبه وأدواته^(٤). فالمرونة في الوسائل والجزئيات تختلف باختلاف البيئات والأزمان والأحوال والأشخاص والثبات في الأهداف والغايات والمبادئ ترسي الأسس، وتحدد الفكرة وترسم الطريق^(٥).

ثانياً: ضرورة تحقيق المصالح:

فللواقع اثر كبير على نوعية الخطاب سلباً أو إيجاباً حسب مقتضيات جلب المصلحة ودفع المفسدة التي يقرها صاحب الخطاب في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها العامة فالأمة الإسلامية قد مرت عليها فصول كانت قوية ومتعافية وفي فترات كانت فيها ضعيفة، فكانت إبان القوة المنبثقة عن التزامها بعقيدها أمة الفتح المجيد، والبناء الحضاري... وكانت في حالات ضعفها الأمة التي يغزوها أعداؤها، ويحتلون ديارها، ويستبيحون حرماها، ويتحكمون بمصيرها، وكنوزها وطاقاتها، ويبلغون مبلغاً فظيماً في سفك الدماء، وتخريب الديار، ونهب الثروات المادية، والحضارية^(٦). فقد رأينا خطاب القرآن المكي غير خطاب القرآن المدني^(٧)، فالداعية الموفق هو الذي يتناسب خطابه بحال زمانه ومكانه، فكل حالة خطاب يناسبها^(٨)، فقد غلب على العصر المكي حالة لاستضعاف بين المسلمين والتخفي في نشر الدعوة فأثروا الابتعاد عن استفزاز

(١) ينظر: الثابت والمتغير في فكر الإمام الشاطبي، ص ٢١.

(٢) ينظر: الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي، ص ٣١، الثابت والمتغير في فكر الإمام الشاطبي، ص ١٩.

(٣) ينظر: بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين، ص ٧١، وينظر الثابت والمتغير في فكر الشاطبي، ص ١٩.

(٤) ينظر: الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي، ص ٢١.

(٥) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ص ١٣٢.

(٦) ينظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ١٤٥.

(٧) ينظر: في فقه الاقليات المسلمة، ص ٥٢.٥١.

(٨) ينظر: سمات الخطاب الدعوي: ابو صهيب الرهواني/موقع رياض الدعاة.



الخصوم، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَائْتِدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١)، فكان النبي ﷺ يركز في خطابه على البناء التعبدى والأخلاقي من خلال تزكيه أرواحهم بأنواع العبادات وإرشادهم إلى الطريق التي تساعدهم على تحقيق هذا المطلب مثل:

١. التدبر في كون الله ومخلوقاته، وفي كتاب الله تعالى حتى يشعروا بعظمة الخالق وحكمته، قال تعالى: ﴿رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ اللَّيْلُ يُطَلِّبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

٢. التأمل في علم الله، وإحاطته الكاملة بعالم الغيب والشهادة؛ لأن ذلك يملأ الروح، والقلب بعظمته، ويطهر النفس من الشكوك قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ^(٣) وَهُوَ الَّذِي يُتَوَفَّيْكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٤)﴾^(٥).

٣. عبادة الله ﷻ وهي من أعظم الوسائل لتربيته الروح، قال ﷺ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٦)، فكان ﷺ يزكي أرواحهم بالعبادات التي تسمو بالروح وتطهر النفس^(٧).

٤. التربية الجسدية: حرص النبي ﷺ على تربيته أصحابه جسدياً، واستمد أصول تلك التربية من القرآن الكريم بحيث يؤدي الجسم وظيفته، التي خلق لها، دون إسراف أو تقدير، ودون محاباة لطاقة من الطاقات على حساب طاقه أخرى^(٨).

٥. تربية الصحابة على مكارم الأخلاق: فالعقيدة الصحيحة لا تكون بغير خلق، وقد ربي رسول الله ﷺ صحابته بأساليب متنوعة يتلو عليهم ما ينزل من القرآن، فإذا سمعوه، وتدبروه، عملوا بتوجيهاته^(٩)، كما كان يركز ﷺ على جمع أناس أقوياء يستطيعون حمل الأمانة كعمر بن الخطاب وحمة ﷺ فقد كان يدعو لعمر ﷺ أن يعز الله به الإسلام^(١٠).

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٦.

(٢) سوره الأعراف، الآية ٥٤.

(٣) سورة الإنعام، الآيتان ٥٩-٦٠.

(٤) سوره الإسراء، الآية ٢٣.

(٥) ينظر: السيرة النبوية إحداث ووقائع، ١/١٥٩.

(٦) ينظر: المصدر السابق ١/١٦٦-١٦٧.

(٧) ينظر: المصدر نفسه ١/١٦٩.

(٨) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ١/١٦٠.



وأما في مرحلة الجهر بالدعوة فكان خطابه أولاً للأقربين امتثالاً لأمر الله سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١)، فجعل ﷺ ينادي (يا بني فهر، يا بني عدي) لبطون قريش^(٢)، فخطبهم: (أريتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقين؟) قالوا ما جربنا عليك كذبا قط . قال (فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)^(٣)، وبهذا التمهيد الذي استفاد فيه رسول الله ﷺ من انطباع أهل مكة ومعرفتهم بأخلاق رسول الله ﷺ وصفته المتميزة وهي التصديق.

وفي العهد المدني أخذ منحى آخر تضمن بناء مجتمع إسلامي: على أسس ثابتة قوية^(٤)، كبناء المسجد والمواخاة بين المهاجرين والأنصار، وعقد الأحلاف والعقود وإبلاغ الرسالة إلى أمراء وملوك العالم للحوار والتواصل والتعريف بدعوة الإسلام، وهذه المرحلة هي مرحلة الانتقال^(٥).

إن خطاب الدعوة ليس كخطاب المعركة، وخطاب النصر غير خطاب الهزيمة، وخطاب العهد والقبول بمواطنة ليس مثل خطاب المواجهة، فلا يصح الخلط بين الدعوة والدولة، والاستضعاف والتمكين، وهي اليوم مخاطر إذا لم تُستدرك سوف تنتهي إلى كوارث تهلك المسلمين^(٦).

المبحث الثاني: مسؤولية الخطاب الديني وتقويمه

المطلب الأول: مسؤولية الخطاب الديني

أولاً: الابتعاد عن التفرع والتجزئة: إذا لم تكن هناك حاجة تتطلب ذلك؛ لأن تفريع الخطاب إلى قضايا جزئية لا تغني حاجة الجماهير بقدر ما تلبي حاجات القلة من الناس، وسيخرج عن كونه شاملاً وسيصرف النظر عن القضايا الكبرى التي تعيشها الأمة، وبالتالي يكون بعيداً أهداف الدعوة^(٧)، فالقرآن الذي ذم الكافرين^(٨)، هو ذات القرآن الذي ذم الظالمين^(٩)،

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٢) أخرجه البخاري بشرح ابن بطلان في كتاب الوصايا، باب إذا وقف أو أوصى لأقاربه، بالرقم (١٥) ١٦٢/٨.

(٣) ينظر: الأنوار في شمائل النبي المختار، ص ١٢، الروض الأنف ٣/١٧٥، الخصائص الكبرى للسيوطي ١/١٤٩.

(٤) ينظر: السيرة النبوية للصلاحي، ١/٤١٤.

(٥) ينظر: فقه السيرة: للإمام أبي عبد الله شمس الدين ابن القيم الجوزية، ص ٤١١.

(٦) ينظر: الخطاب الإسلامي (وقفه للمناصحة)، ص ٩١.

(٧) ينظر: لماذا يمزق القرآن: علي بن نايف الشحوذ، موقع شبكة مشكاة الإسلامية، ١٥/١.

(٨) ﴿قَوْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ﴾ سورة ص، الآية ٢٧.

(٩) ﴿قَوْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنَ عَذَابٍ يَّوْمٍ أَلِيمٍ﴾ سورة الزخرف، الآية ٦٥.



وهو ذات القرآن الذي ذم القاسية قلوبهم^(١)، والقرآن الذي ذم التحريف والكسب الحرام^(٢)، هو ذات القرآن الذي ذم التطفيف^(٣)، والقرآن الذي ذم الكذب^(٤)، هو ذات القرآن الذي ذم الافك^(٥)، فهذا يدل على شمولية خطاب القرآن الكريم في كل القضايا.

ثانيا: التوازن والاعتدال: من الاندفاعات، والغلو والتصادم^(٦)، وهذه آفات لم يسلم منها أي خطاب، والإسلام هو دين الوسط، يوجد التوازن ويجعل الضمير البشري يستقر على قرار ثابت^(٧)، سواء كان في العبادة أو في غيرها والأمثلة على ذلك كثير^(٨)، فالإنسان روح وجسد وقد زان الإسلام بينهما فلا يقيم جانباً على حساب جانب^(٩)، بل نج دفي دعائه ﷺ: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي)^(١٠)، فالأرض الإسلامية كلها استباحت نتيجة هذا الجهل^(١١)، فالخطاب الحق هو الذي يرغب الانسان في الدنيا كأنه يعيش ابدًا، ويرفع الهمة للعمل الآخروي كأنه يموت غداً فالإفراط والتفريط كلاهما يصرف عن جادة الطريق^(١٢).

ثالثا: الأولوية والتدرج: فمن الحكمة تقديم الأهم على المهم وحسن الترتيب، كل يأتي في موضعه، وفي أوانه، وفي مرتبته وفي نصابه^(١٣)، فلما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: (انك تقدم قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ﷻ فإذا عرفوا الله فاخبرهم ان الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا ذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم فإذا أطاعوك بها فخذ منهم وتوق كرائم

- (١) ﴿قَوْلٌ لِّلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ سورة الزمر، الآية ٢٢.
- (٢) ﴿قَوْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرَوْا بِهِ مَتَاعًا قَلِيلًا﴾ سورة البقرة، الآية ٧٩.
- (٣) ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ سورة المطففين، الآية ١.
- (٤) ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ﴾ سورة المرسلات، الآية ١٥.
- (٥) ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ آفَافٍ أَمِيرٍ﴾ سورة الجاثية، الآية ٧.
- (٦) ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ١١٩.
- (٧) ينظر: أخطاؤنا في معالجة الأخطاء، ص ٢٠.
- (٨) ينظر البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح: بالرقم (٤٧٧٦).
- (٩) ينظر: كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد، ص ١٤.
- (١٠) الأذكار النووية: زكريا بن يحيى بن شرف النووي، ص ٤٨٨.
- (١١) ينظر: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، ص ٦٤.
- (١٢) ينظر: الفكر العربي الإسلامي: بسام نهاد جرار، ٨/١.
- (١٣) ينظر: نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي: احمد الريسوني، ٥/١، فقه الاولويات دراسة جديدة في ضوء الكتاب والسنة: يوسف القرضاوي، ص ١٢٩.



أموال الناس^(١)، فترتيب الخطاب من ضروريات الخطاب الناجح الذي يعرف من أين يبدأ وكيف يبدأ، فلا يبدأ قبل ان تتوفر لديه إمكانية التمهيص والمعالجة حتى لا يكون عمله سلسلة من التجارب الفاشلة وأعمال مرتجلة^(٢).

رابعاً: الوضوح وعدم الغموض: في عباراته، وواضح في أسلوبه، وفي أهدافه، وهذا الوضوح أكثر ما نلمسه في كتاب الله ﷻ، اذ يُقبل عليه الكبير، والصغير ويفهمه آحاد الناس، وهذا الوضوح هو احد عوامل نجاح خطابنا، المتوافق مع تفاوت العقول وتتنوع المهارات، الواصل إلى المتلقي دون انغلاق^(٣)، قال تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾^(٤)، من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم^(٥)، وله مسالك في النفوس لطيفة ومداخل إلى القلوب دقيقة وبحسب ما يترتب في نظم هو تنزل في موقعه ويجري سمت مطلعته ومقطعه يكون عجب تأثير هو بديع مقتضياته^(٦).

المطلب الثاني: تقويم الخطاب الديني

أولاً: سبل الخطاب الديني وطبيعتها:

يهدف الخطاب إلى نقل الناس من الضلال إلى النور والعزيمة، بحسب أصناف المخاطبين وإفهامهم والبيئة والأحوال والنيات والأولويات والمناسبات والأوقات لاسيما أنه يتوجه إلى فئات متفاوتة، من الطفل والشاب والرجل والمرأة والعلم والجاهل، كل بحسب مستواه التعليمي او الثقافي، وموقعه ومهنته وظروفه الخاصة فضلاً عن كون الخطاب داخل المجتمع الإسلامي وليس مثل الخطاب مع المجتمعات الأخرى فخطابنا لابد أن يكون متنوعاً ومتعددًا يوزن بالأدب والعاطفة والعقل في فهم الحياة^(٧)، فالنبي ﷺ أوصانا أن نحترم الناس فقال: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)^(٨)، وعلى الرغم اليوم من وجود أنواع الخطاب المعاصر وصوره المقروءة والمسموعة والمرئية كالخطب والوعظ والارشاد والصحف والمجلات والكتب العلمية،

(١) اخبره البخاري في كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة: برقم (١٣٨٩).

(٢) ينظر: كيف ندعوا إلى الإسلام، ص ٤٠ .

(٣) ينظر: من خصائص الأدب الإسلامي ... (الوضوح): د. وليد قصاب، موقع الإسلام اليوم.

(٤) سورة الجن، الآية ٢.

(٥) اخبره الترمذي في سننه في، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل القرآن: برقم (٢٩٠٦) .

(٦) ينظر: إعجاز القرآن: الباقلاني، ١/ ٢٧٦ .

(٧) خطابنا الاسلامي في عصر العولمة، ص ٧٦.

(٨) اخبره الامام احمد في مسنده في باب إجلال الكبير، برقم (٣٥٨)، ١/ ١٣٠.



والأشرطة الدينية والاقراص والندوات والمؤتمرات^(١)، تؤدي دورها أمام هذا الكم الهائل من الانحرافات، ولكن نجد معظم الشباب يجدونها بعيدة عن اهتماماتهم، وتوجهاتهم، فلا بد لنا من تطوير وسائلنا لتتناسب متغيرات العصر الذي نعيشه، فالعمل الدعوي قد يحتاج إلى المقال الهادف، والقصيدة الجيدة، والقصة القصيرة والطويلة، على أن يلتزم المبدعون في كل هذه المجالات بقيم الإسلام وأهدافه وآدابه^(٢)، لاسيما إذا علمنا أن هناك عوامل عدة تؤثر على عقلية الشباب.

وأما الخطاب خارج المجتمع الإسلامي فهو لا يقل أهمية عن خطاب الداخل إن لم يكن أهم منه لأنه يعرض وجه الإسلام المشرق إلى غير المسلمين، قائم على الإقناع وعدم الإكراه فلم يضع كل الكفر في سلة واحدة، وإنما ميز بين المشركين وبين الكتابيين وبين اللادينيين، وبين المحاربين والمحبيين والمحايدين والمعاهدين الذين لم ينقضوا المسلمين شيئاً من العهود التي تعاهدوا معهم عليها، وميز بين اليهود الذين هم أشد عداوة للمسلمين وبين النصارى الذين هم اقربهم مودة^(٣)، فعلى المسلمون أن يدركوا أنهم لا يعيشون في جزر منعزلة، وإن الله تعالى وزع الحكمة بين عباده وبثها بين الشعوب^(٤)، فسورة (الكافرون) اشتملت على الاعتزاز، والتسامح معا في سياق واحد^(٥)، فقد نزلت بسبب مساومات قريش للنبي ﷺ ليعبد آلهم فترة من الزمن وبعدها يقرروا أيهما أفضل للعبادة فنزلت السورة بموقف صارم يرفض هذه المساومات، والتساهل في قضية التوحيد^(٦)، لكل دينه الذي يدين به، ويتحمل مسؤوليته في الدنيا والآخرة^(٧)، في أعلى درجات الحرية والاختيار قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٨)، مع صيانة حقوقهم وحرمة الاعتداء عليهم، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام^(٩). فالإسلام يرشدنا

(١) ينظر: الإعلام قراءة في الإعلام المعاصر والاعلام الإسلامي: د. محمد منير سعد الدين، ص ١١.

(٢) ينظر: الإعلام وهوية الأمة: المستشار عبدالله العقيل، ص ١٦.

(٣) ينظر: الغرب والإسلام أين الخطأ ؟ ... وأين الصواب: د. محمد عمارة، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٤) محاضرة ألقاها الدكتور أحمد كمال أبو المجد في مؤتمر مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة حول (أوروبا وإدارة حوار الثقافات الأوروبية ومتوسطة).

(٥) ينظر: الصحة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم: د. يوسف القرضاوي، ص ١٤٣.

(٦) ينظر: البحر المديد، ٥٤٦/٨، الجامع لإحكام القرآن: القرطبي، ٢٠/٢٢٤، تفسير الجلالين، ص ٨٤٢، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، ٩/١٣٢ .

(٧) ينظر: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الاندلسي، ٦/١٦٢.

(٨) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٩) أنوار البروق في أنواء الفروق للقرافي، ٧/٥.



إلى نشر الحب والتسامح بين الناس وان كانوا من ملة أخرى، ولا سيما ان كانوا مسلمين، ولا يجوز أن يحمله شتان قوم أن يحيد عن العدل^(١)، قال تعالى: ﴿لَا يَتَنَبَّهُوا عَلَى الَّذِينَ لَمْ يَغْنَبُوا فِي الْإِيمَانِ وَلَمْ يَمُوجُوا فِي دِينِكُمْ وَأَنْ تَبْرَهُمْ وَيُقْسِمُوا بِالنَّهْيِ﴾^(٢)، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا﴾^(٣)، وأما الكافر المحارب فقد نهانا الله ﷻ ان نبرهم أو نواليهم يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الْإِيمَانِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾^(٤)، بل أمرنا أن نجاهدهم ونغلظ عليهم^(٥)، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٦)، فجهادهم هو من ثوابت ديننا لأنه يحفظ البلاد^(٧).

هذا وقد اتخذت المناهج الإسلامية المعاصرة طرقا متنوعة في خطابها وفكرها، بدافع تقديم الإسلام إلى الناس بأحسن صورة، كالمناهج الصوفي الذي يركز على التجارب الروحية وخطرات الوجدان، وعلم القلوب، والتأملات والإلهامات والفيوضات التي تنمى بها المجاهدات الروحية^(٨)، لكنها وحدها لا تكفي، فهناك داخل هذا الخطاب الوان وتعدد، حسب درجات المقامات والأحوال .. وهو مغاير لما في الطرق الصوفية من بدع وخرافات لا علاقة لها أصلا بأصل الإسلام^(٩)، فالخطاب الفلسفي المنافي لأحكام الإسلام مرفوض بكل أشكاله^(١٠).

والثاني المنهج السلفي الذي هو دعوة إلى إتباع الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح ويمتاز بأنه يهتم بالعقيدة ومحاربة البدع، والمحدثات، كما يدعو إلى البحث عن الدليل والحديث الصحيح^(١١)، بيد أنه لا يخلو من الحدة والتمسك بظواهر النصوص، وعدم التعايش مع الآخر، واستخدام العبارات القاسية، والتسرع في التبديع والتفسيق والتكفير^(١٢).

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، ٩٠/٨.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٨.

(٤) سورة الممتحنة، الآية ٩.

(٥) ينظر: العالم الإسلامي اليوم: محمود شاكر، ص ٧١.

(٦) سورة التحريم، الآية ٧٣.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ٢٠٤/٨.

(٨) ينظر: الخطاب الديني بين التجديد والتبديد الأمريكي: د. محمد عمارة، ص ١٦.

(٩) ينظر: المصدر نفسه.

(١٠) ينظر: ثقافة الداعية: القرضاوي، ص ٨٢.

(١١) ينظر: الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: د. مانع بن حماد الجهني، ص ١٦٥.

(١٢) ينظر: الخطاب الذين بين التجديد والتبديد الأمريكي، ص ١٧.



والثالث هو منهج الإخوان المسلمين الذي يمثل أكبر الحركات الإسلامية المعاصرة، نادت بالرجوع إلى الإسلام كما هو في الكتاب والسنة وتطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة، وعدم فصل الدين عن الدولة^(١)، فهو يجمع بين الأصالة والمعاصرة ويواجه الأحداث بواقعية، باعتداله على كتاب الله مصدرا للعلم والمعرفة^(٢).

ومن أنواع الخطاب المعاصر الذي اتصف بأوصاف عدة نظرا لتأثره بالعوامل المتمثلة بسعة المعرفة وبقظة الوعي، وكثرة وسائل الإعلام، كما تميز هذا العصر أيضا بالإنفتاح الثقافي، والتفاعل الحضاري، أنتج ثورة المعلومات، وثورة الإتصال، وثورة التقنيات انعكست على السياسية والاقتصاد والفنون والأدب والثقافة والتعليم، بل على الحياة بأسرها، فلا يمكن لخطابنا الديني تجاهلها^(٣)، مما جعل البعض يرى ان العزلة هي الحل لأنها تشكل ضربا من التحصن، فاختاروا الإنطواء والإنكفاء حتى لا يلحقوا بغيرهم أي ضرر يذكر^(٤)، وليس هذا صحيحا لأن المخالطة واجبة، والإسلام ليس معنى خاصا بالفرد؛ بل هو أيضا عمل المسلم خارج نفسه^(٥)، وهذا الوجوب أصبح في زماننا أشد، لما عليه واقع الأمة اليوم^(٦).

وقد اختار البعض الخطاب الماضي القائل: ما ترك الأول للآخر شيئا^(٧)، وأن الحل هو بالرجوع إلى الماضي^(٨)، وهذا لا يتناسب مع العصر الحاضر فتغطية العجز عن الإنجاز والاحتماء بالماضي لا تعد حلا، فهو موت حضاري، لأن العبرة في استشراف الماضي هي الإفادة منه، لإبصار المستقبل في عملية النهوض والتنمية^(٩)، لان الصراع في العالم الجديد لن

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة ١/١٩٨، الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ ٣/١٢٩، الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٣١٥، الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ص ٨١، مذكرات الدعوة والداعية ص ٩٥، الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ص ١٩٥، معا على طريق الدعوة ص ١٠، مجموع رسائل حسن البناء، ص ١٧١.

(٢) ينظر: الخطاب الديني بين التجديد والتبديد الأمريكي، ص ١٤.

(٣) ينظر: ليس من الإسلام: محمد الغزالي، ص ٣، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: يوسف القرضاوي، ص ١٢٧.

(٤) تجديد الخطاب الديني الرؤى والمضامين، ص ٢٨.

(٥) اصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان، ص ٣٤٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٥٠.

(٧) ينظر: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين: محمد الغزالي، ص ١٨٥.

(٨) تجديد الخطاب الديني الرؤى والمضامين، ص ٥٦.

(٩) ينظر: الخطاب الإسلامي (وقف للمناصرة)، ص ٧٨.



يكون ايدلوجيا او اقتصاديا، بل سيكون الانقسام الكبير بين البشر، والمصدر الغالب للصراع ثقافيا^(١)، فهو يفقد واقعيته.

وقد اختار قوم الخطاب الناري الذي تكون نتيجة ردة فعل لما تتعرض لها الأمة الإسلامية والعربية من شتى صور الاعتداء فهو خطاب متشنج يترتب عليه قضايا خطيرة كاستباحة مال أو دم غالي في التكفير والتفسيق والتجهيل^(٢)، قد بدت آثاره من الدمار والخراب للفرد والمجتمع وهذا ما يتمناه أعداء الإسلام لكي يظهروا للعالم ان الإسلام هو دين عدواني إرهابي لا يعترف بوجود غيره، أو ويجعلونها ذريعة ليغزوا الدول، أو إشاعة الفرقة واثارة النعرات بينهم ليصرفوا الأنظار عن قضايا الأمة الكبرى.

بينما اختار البعض خطاب التبعية للحضارة الغربية فكثير من المثقفين المسلمين يعتقدون إننا إذا لم نتطور كما تطور الغرب، فان واقعنا سيكون مظلما، كما أن مستقبلنا سيكون أشبه بالعدم^(٣)، فينبغي أن نفرق بين التفاعل الثقافي وبين الغزو الثقافي نحن نوؤمن بالتفاعل الثقافي والتفاعل اخذ عطاء^(٤). والذي يبد ومن هذا التنوع حاجتنا اليوم إلى الخطاب الوسطي القائم على التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة والتشديد في الدين، والاجتهاد في الفقه والتسامح مع الآخر، والسلام مع المسالم، والجهاد للمعتدي ولسنا أمام خطاب واحد ما دمنا مثقفين في الأصول فليعذر بعضنا بعضا في الخلاف في الفروع فكل هذه المناهج مصدرها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كل واحد من هذه المناهج له خطاب خاص به هو في الحقيقة مكمل لخطاب المناهج الاخرى، فلا بد من جهد يبذل لتجميع العاملين لخدمة الاسلام ونصرة دعوته وتحكيم شريعته، وتوحيد امته، لسد الفجوة، وزرع الثقة، وغرس روح التسامح وحسن الظن، وتنقية الانفس من آفات العجب والغرور واتهام الآخرين واحتقارهم وهضم حقوقهم^(٥)، فينبغي أن نميز بين ما يلزم فيه الثبات والتشدد وما يقبل فيه المرونة والتطور ومعنى هذا أن نميز بين الثوابت والمتغيرات وبين الكليات والجزئيات وبين الغايات والوسائل ففي الأولى نكون في صلابة الحديد، وفي الثانية نكون في ليونة الحرير^(٦)، ولاسيما إذا عرفنا أن الإنسان اليوم يختلف عن الإنسان في صدر

(١) ينظر: صراع الحضارات اعادة صنع النظام العالمي: صامويل هنتجتون، ترجمة: طلعت الشايب، ص ١٠.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: الأشعري، واجهة الكتاب.

(٣) تجديد الخطاب الديني الرؤى والمضامين، ص ٦٦.

(٤) ينظر: الصحو الإسلامية والتحدي الحضاري: د. محمد عمارة، ص ١١٢.

(٥) ينظر: فقه الاولويات: د. يوسف القرضاوي، ص ٢٢٦.

(٦) ينظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: د. يوسف القرضاوي، ص ١٥٤.



الإسلام من حيث الخصائص الروحية والعقلية^(١)، وبهذا كله لابد أن نصوغ خطابنا الإسلامي وفق هذه الضوابط والمعايير حتى نستطيع أن نجمع بين أصالتنا الإسلامية وحاضرنا المعاصر؛ لكي لا نعيش خارج العالم المعاصر.

ثانياً: تقويم الخطاب الديني:

ولتقويم الخطاب الديني لابد أن يحتوي على أهم الركائز التي تشكل مضمون الخطاب والتي تتمثل في:

١- احترام الإنسان وتكريمه: فقد تكررت كلمة الإنسان في القرآن الكريم (٦٣) مرة، في حين تكررت كلمة ابن آدم (٦) مرات، وتكررت كلمة الناس (٢٤٠) مرة، وأول حوار في القرآن الكريم كان للناس كافة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢)، فالعناية بالإنسان كونه مخلوقاً مكرماً، وإذا كانت علائق الإيمان تربطنا برباط خاص: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣)، هذا لا يعني ان العلائق بيننا وبين بني البشر الذين نختلف معهم في الدين والملة لا توجد روابط، فالقرآن تحدث عن الرابطة الإنسانية وعن العشيرة وعن الدم قال تعالى: ﴿وَلِإِخْوَتِهِمْ أَهْلُ مَوَدَّةٍ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلِإِخْوَتِهِمْ أَهْلُ مَوَدَّةٍ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا أَنَا إِذْ أَنْذَرْتُ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾^(٦). فالعناية بالإنسان لابد أن تكون من صميم مقتضيات هذا الخطاب، وتأكيداً لهذا المفهوم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٧)، قال ﷺ: (وخالق الناس بخلق حسن)^(٨)، ومن جانب آخر امرنا الباري سبحانه وتعالى بحسن الخطاب، والجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٩)، وقال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١٠)، فإنسانية المنطلق هي لحة هذا الخطاب الذين

(١) ينظر: حصاد الغرور، الامام محمد الغزالي، ص ١٩٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٥٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية ٧٣.

(٦) سورة الاحقاف، الآية ٢١.

(٧) سورة الاسراء، الآية ٧٠.

(٨) اخرجه الترمذي في سننه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشره الناس: برقم (١٩٨٧).

(٩) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(١٠) سورة النحل، الآية ١٢٥.



حرص عليه لأننا لا نتعامل مع المسلم بمنطق ومع الآخرين بمنطق كشأن اليهود الذين يقولون ليس علينا في الأميين سبيل؛ ولذلك قال ﷺ: (من غشنا فليس منا)^(١)، سواء غش المسلمين أو غيرهم، فالرديلة هي الرديلة سواء مع المسلمين أو مع غيرهم؛ لأن الأخلاق في الإسلام ثابتة^(٢)، لذلك قال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٣).

٢- مخاطبة الناس على قدر عقولهم وخطورة الغموض: فثمة خطابنا الإسلامي النابع من هذا الكتاب العظيم إنما تكمن عندما يفهمه الناس ويعقلونه، ويحولونه إلى واقع عملي في حياتهم بأسلوب سهل وبلغة مفهومة واضحة؛ لأنه إذا لم تدركه عقولهم كان لبعضهم فتنة، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)^(٤)، فكان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه^(٥)، ويكرره ثلاثاً ليفهم منه^(٦)، فعلى صاحب الخطاب أن يكون واضحاً عالماً بالمقاصد الكبرى للإسلام عالماً بالسنن الكونية في منهج التغيير، بعيداً عن التكلف في العبارات أو الغموض في الكلمات بلغة سهلة مفهومة لا تقتصر على فئة دون أخرى ويكون شاملاً لكل فئات المجتمع وطبقاتهم.

٣ - الثاني وعدم العجلة: فالمرحلة المكية على مدار ثلاث عشرة سنة، كانت كلها في التربية، والإعداد وغرس لمفاهيم (لا اله الا الله) لأهمية هذه العقيدة من شأن في عدم الاستعجال واستباق الزمن^(٧)، لأن العجلة والتسرع ستكون نتيجته الخسران، فوجود الأصنام حول الكعبة أمر مؤلم، وكان المسلمون يمكن أن يقترحوا على النبي ﷺ أن يقوم بثورة على الأصنام ليحطمونها تحطيماً... لكنهم لم يفعلوا؛ لأنهم يتبعون قيادة يثقون في صدق إخلاصها للعقيدة، فهم ينظرون

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا: برقم (١٠١).

(٢) ينظر: الخطاب الإسلامي المتصل بالأصل ويتصل بالعصر: محاضرة ألقاها الدكتور عصام البشير بجائزة دبي للقرآن الكريم. ٢٠٠٥/١٠/٩.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة على طريق الاختصار: برقم (٢٠٥٧١).

(٤) أخرجه مسلم في مقدمته في باب من خص بالعلم قوما دون قوم: برقم (١٢٧).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام: برقم (٤٨٣٩).

(٦) ينظر: البخاري في كتاب العلم، باب إعادة الحديث ثلاثاً ليفهم عنه: برقم (٩٥).

(٧) ينظر: السيرة النبوية للصلاحي، ٢٣٥/١.



كيفية التنفيذ للأوامر التي اعتنقوها^(١)، فعلى الدعاة الابتعاد عن الحماس الزائد الذي يدفعهم إلى التعجل واستبطاء النتائج، وهذا لا شك خلاف الكيفية التي يجب أن نخاطب بها الناس، فإله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢)، أن سور القرآن المكية والمدنية تراعي المخاطب وتكلمه بما يناسبه^(٣)، فلا بد لخطابنا الإسلامي أن يتحلى بالعقلانية ولاسيما إذا كانت الأمة ضعيفة، لأننا أصحاب رسالة نريد نشرها في العالمين، وأن التوتر الدولي لا يخدم هذه الإرادة ولاسيما أن أمريكا تريد أن تستدرجنا إلى الصراع في ساحات تمتلك فيها الغلبة والتأثير كي تحقيق الفوز^(٤)، هي تسخر كل الطاقات والإمكانات لتشويه صورة الخطاب الاسلامي وجعل العالم والرأي العام العالمي يضع منظومة الفكر الإسلامي في خانة الأفكار والنظريات المتعجرفة السوداوية في مجال حقوق الإنسان^(٥)، فمسؤولية الخطاب محاربة الغلو في فهم الرؤية الإسلامية للعلاقات الدولية فلا شك أن الغلو في الخطاب في زمن أصبحت فيه الأمة هزيلة يؤسس لمجابهة غير متكافئة، كما يعطي الغرب الذريعة في ممارسة المزيد من الضغوط علينا، وقبل ذلك تشويه مبادئنا وسمعه الإسلام العالمية^(٦)، وأنا لا اقصد أن نساوم على ثوابتنا وديننا، ولا نتهاون فيه بحال، ولا نبيعه بملك المشرق والمغرب، ولا نفرط فيه، وإن نزلت بنا المحن من كل جانب، ولكن أقول لا بد لخطابنا الإسلامي في مثل هذه الظروف ان يتخلى بالحكمة لكي لا يعطي للحاقدين أي فرصة للنيل من الإسلام والمسلمين وأن يعمل أصحاب الخطاب الإسلامي على نزع فتيل الغضب والحماس والانفعال، الذي يحول بطبيعته دون التروي والتنبه والتعرف على الإمكانيات واختيار المكان الملائم للفعل، ضمن ظرف الزمان والمكان، حيث لا بد من النقلة الذهنية للمسلمين اليوم^(٧)، ليتم التحول من قول الشاعر:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ** هو أول وهي المحل الثاني^(٨)

- (١) ينظر: اتجاهات في ديبلوماسية الدعوة الإسلامية: د. رؤف شلبي، ص ٢٧ .
- (٢) سورة طه، الآية ١٢٣ .
- (٣) ينظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: د. يوسف القرضاوي، ص ٢٢ .
- (٤) نظر: تجديد الخطاب الديني الرؤي والمضامين، ص ٤٦ .
- (٥) ينظر: الإنسان المسلم وتقني ثقافة العنف كيف ولماذا وعلى من تقع المسؤولية ؟ مقالة: ياس خضر محمد الشمخاوي، موقع شبكة النبا المعلوماتية، الأحد ٢٢ نيسان/٢٠٠٧ .
- (٦) ينظر: تجديد الخطاب الديني الرؤي والمضامين، ص ٤٦ .
- (٧) ينظر: الخطاب الإسلامي (وقفة للمناصرة)، ص ٧٤ .
- (٨) ديوان ابي الطيب المتنبي، ص ٣٤٩ .



وعليه فإن الخطاب تابع لقوة الأمة وضعفها، فما كتب من فكر ليس من الضروري ان يكون بكل جزئياته صالحا لزماننا؛ لان الواقع اذا اختلف قد لا ينفع معه الاسلوب الذي كان عليه، وهذا قد يقع حتى في معاملة بعض الناس، فقد تعامل انسان بالرفق ثم يتضح انه لا تجدي معه الا الشدة او العكس فطالما ان الحياة متجددة ومختلفة ومتطورة ومتقلبة فالحاجة قائمة لإعادة النظر في الخطاب، وتطويره، واختبار قدرته على تقديم الرؤية السليمة للتعامل مع الواقع والتعامل مع قضايا الحياة والمجتمع وتقديم المفاتيح الصحيحة للدخول إلى المشكلات من أبوابها، ومعرفة الإمكانيات الذاتية والبشرية، والتقدير الواعي لقوة الخصم تقاديا للخسران والضياع .



الغاية

- فقد آن لي أن أوجز أهم ما توصلت إليه في هذا البحث:
- ❖ إن الخطاب جهد بشري نتيجة تعامل العقل مع النصوص فهو غير معصوم من الخطأ .
 - ❖ إن الثوابت هي أصول ومبادئ الإسلام التي لا تتغير مهما تغير الزمان، والمكان، وأما غير ذلك فانه يتغير بما لا يعارض الكليات لتحقيق المقاصد ومصالح الناس .
 - ❖ للخطاب الإسلامي اتجاهات متعددة تتناسب مع تعدد وتلون الاتجاهات في الساحة الإسلامية من حيث القوة والتمكين حسب جذورها الفكرية لتوصل رسالة الإسلام إلى الناس.
 - ❖ الخطاب الإسلامي له طابع يتناسب مع المحيط والبيئة التي يخاطبها داخل المجتمع الإسلامي وخارجه يتأثر بالواقع الذي يعيش فيه.
 - ❖ علينا أن نوجد الخطاب المعتدل الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين معاني النصوص والواقع له الأولوية في التأثير؛ لأنه يمتاز بالشمول واستيعاب الساحة إسلامي يسهم في تعزيز الوحدة الإسلامية، وتثبيت ركائزها وتفعيل مقوماتها.
 - ❖ البحث عن وسائل جديدة تدعم مسيرة الحوار الحضاري والتفاعل الايجابي والتواصل الإنساني مع الحضارات والثقافات الأخرى والاستفادة من الآخر بما لا يتعارض مع ثوابت الدين وتمنح قوة تأثير الايجابية لدى غير المسلمين .
 - ❖ مواجهة التحديات بأسلوب غير مباشر وغير انفعالي؛ بل بالواقع العقلي والنص النقلي والنقد البناء المنطقي .



المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي: علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: مجموعة من العلماء، مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٢. الاتجاهات الفكرية المعاصرة: المستشار الدكتور علي جريشه (ت ١٤٣١هـ)، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ط ٤، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٣. اتجاهات في ديبلوماسية الدعوة الإسلامية: الدكتور رؤف شلبي، مطبعة الفجر الجديد، منشية ناص، د.ط.
٤. الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: د. سيد الجميلي، مكتبة دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.
٥. الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ: محمود عبد الحليم (ت ١٣٩٧هـ)، دار الدعوة، ط ٢.
٦. الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية: زكريا سليمان بيومي مكتبة وهبه القاهرة ط ١ ١٩٧٩م.
٧. الأذكار النووية: لمحيي الدين زكريا بن يحيى النووي الدمشقي (ت ٦٧٦هـ)، مكتبة دار الفكر، لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٨. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، تحقيق: احمد عزيز عناية، مكتبة دار الكتاب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٩. اصول الاحكام وطرق الاستنباط في التشريع الاسلامي ا.د. حمد عبيد الكبيسي، ط ٣، ٢٠٠٤م.
١٠. الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية: د. محمود الخالدي، مكتبة دار الفكر، عمان، ط ١، ١٩٨٣م.
١١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن المختار الحكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، مكتبة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
١٢. إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد جعفر بن القاسم (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد احمد الصقر، مكتبة دار المعارف، القاهرة، د.ط.
١٣. الاعلام قراءة في الاعلام المعاصر والإسلامي: الدكتور محمد منير سعد الدين، دار بيروت المحروسة، بيروت، ط ٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
١٤. أنوار البروق في أنواء الفروق: لأبي العباس احمد بن إدريس الصنهاجي القرافي (ت ٦٨٢هـ)، تحقيق: خليل منصور، مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
١٥. الأنوار في شمائل النبي المختار: الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي، مكتبة دار البيضاء، بيروت، ١٩٨٩م.
١٦. البحر المحيط في أصول الفقه: لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٧. البحر المديد: للامام احمد بن محمد المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفارسي (ت ١٢٢٤هـ)، دار الكتب العملية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٨. بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط ٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.



١٩. تجديد الخطاب الرؤى والمضامين د. عبد الكريم بكار، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٠. التعريفات: للامام علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الايباري، مكتبة دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٢١. تفسير الجلالين: للاماميين جلال الدين محمد بن احمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، مكتبة دار الحديث، القاهرة، ط١.
٢٢. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي محمد سلامة، مكتبة دار طيبة للنشر والتوزيع: ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٣. الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي: مجدي محمد محمد عاشور، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٤. الثواب والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر: د. صلاح الصاوي، مطبعة وزارة التربية، ط٢، ١٩٩٧م.
٢٥. الجامع الصحيح المختصر: للامام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢٦. الجامع الصحيح سنن الترمذي: للامام محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)، مراجعة: احمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط.
٢٧. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن احمد أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سميح البخاري، مكتبة دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٢٨. الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة: لأبي أسامة بن عيد الهلالي السلفي الأثري، عمان، الأردن، ١٤١١هـ-٢٠٠٤م.
٢٩. حصائد الغرور: للشيخ محمد الغزالي (ت ١٩٩٦م)، مكتبة دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٣٠. حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة: للامام محمد بن خليفة بن علي التميمي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣١. الخطاب الإسلامي وقفة للمناصحة: عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٢. الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي: الدكتور محمد عمارة، مكتبة دار الشروق الدولية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٣٣. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: د. يوسف القرضاوي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.



٣٤. دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين: للشيخ محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٣٥. الدعوة الإسلامية في القرن الحالي: الشيخ محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٣٦. ديوان ابي الطيب المتنبي (ت٣٥٤هـ): علق على حواشيه وفسر كلماته اللغوية سليم ابراهيم صادر، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩٠٠م.
٣٧. رفع الحاجب عن مختصر ابن حاجب: عبد الوهاب بن علي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، مكتبة عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٣٨. سنن ابن ماجه: للامام محمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د.ط.
٣٩. سنن البيهقي الكبرى: للامام احمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٤٠. سنن الدارمي: للامام عبدالله بن عبدالرحمن أبي محمد الدارمي (ت٢٢٥هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٤١. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث: د. علي محمد الصلابي، مكتبة دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤١٨هـ-٢٠٠٧م.
٤٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للامام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطا، مكتبة دار الملايين، لبنان، ط١، القاهرة، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٤٣. الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم: د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٤٤. صحيح مسلم: للامام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٥. صراع الحضارات اعادة صنع النظام العالمي: صامويل هنتجتون (٢٠٠٨م)، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: د. صلاح قنصوه، ط٢، ١٩٩٩م.
٤٦. الطريق إلى جماعة المسلمين: حسن بن محمد بن علي جابر، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
٤٧. العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مكتبة دار الهلال، د.ط.
٤٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: ابو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، مكتبة دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ.



٤٩. فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء الكتاب والسنة: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٥٠. فقه الأولويات دراسة في الضوابط: محمد الوكيل، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٧م.
٥١. فقه السيرة: للإمام أبي عبد الله شمس الدين ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، جمع وإعداد: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، د.ط.
٥٢. الفكر العربي الإسلامي: بسام نهاد جرار، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، فلسطين، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٥٣. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٥٤. في فقه الاقليات المسلمة: د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٥٥. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: عبد العزيز بن احمد البخاري (ت٧٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود، مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٥٦. الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٥٧. كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد: د. عمر بن سليمان الأشقر، مكتبة دار النفائس، الأردن، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٥٨. كيف ندعو إلى الإسلام فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
٥٩. لسان العرب: للإمام محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، مكتبة دار صادر، بيروت، ط١.
٦٠. ليس من الإسلام: للشيخ محمد الغزالي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٦، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٦١. مجموعة بحوث ندوة السنة النبوية، اتخاذ السنة النبوية - إلى القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في السعودية: د. عبد الرحيم محمد المغزوي: الشاملة: الاصدار الخامس.
٦٢. المحصول في علم الاصول: فخر الدين عمر بن الحسين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض، مكتبة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٦٣. المدخل إلى دعوه الإخوان المسلمين: سعيد حوى (ت١٤٠٩هـ)، مكتبة وهبه، القاهرة، د.ط.
٦٤. مذكرات الدعوة والداعية: بقلم الإمام الشهيد حسن البنا (١٣٦٨هـ)، الزهراء للإعلام العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٦٥. مسند الإمام احمد: للإمام احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.



٦٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: للإمام احمد بن محمد بن علي المصري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط.
٦٧. معا على طريق الدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الشهيد حسن ألبنا: محمد عبد الحليم حامد، دار النشر والتوزيع الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٦٨. مقاييس اللغة: لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٦٩. الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، الرياض، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٧٠. نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي: احمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الاسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٧١. هذا ديننا: للشيخ محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٧٢. محاضرة ألقاها الدكتور أحمد كمال أبو المجد في مؤتمر مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة حول (أوروبا وإدارة حوار الثقافات الأوروبية متوسطة).
٧٣. خطابنا الإسلامي بين ثوابت الأصل ومتغيرات العصر: ا.د. عصام البشير، موقع الرافدين للبحوث والدراسات الاستراتيجية.
٧٤. لماذا يمزق القرآن: علي بن نايف الشحوذ، موقع شبكة مشكاة الإسلامية.





الخطاب الديني المعتدل

ودوره في تعزيز السلم المجتمعي

أ.م.د. نافع حميد صالح
جامعة الأنبار
كلية التربية للعلوم
الإنسانية

م.د. عبد الجبار حميد صالح
جامعة الأنبار
كلية التربية القائم
alanbaryb75@gmail.com

ISSN: 2071-6028





الخطاب الديني المعتدل ودوره في تعزيز السلم المجتمعي

م.د. عبد الجبار حميد صالح

جامعة الأنبار/ كلية التربية القانم.

أ.م.د. نافع حميد صالح

جامعة الأنبار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص باللغة العربية

إنَّ صلاح الأمة واستقرارها من صلاح دينها وثباته، ولا يمكن أن يتحقق الصلاح والاستقرار في ظل اقضاء الخطاب الديني المعتدل، وتسيّد الخطاب المتطرف للساحة الاجتماعية، واتخاذ الدين ذريعة لنشر الافكار والمعتقدات المنحرفة بما لا يتفق مع دعائم الاسلام السمحاء التي لا غنى لمجتمعاتنا عنها في كل وقت وحين، لذا فالخطاب الديني المعتدل بات الحديث عنه بل وترسيخه لدى المتسيدين للخطاب الديني ضرورة ملحة في مجتمعاتنا المسلمة ولا سيما بعد الأحداث والاضطرابات التي أصيبت بها أمتنا ؛ لتعزيز السلم المجتمعي المنشود، الذي تسعى إليه الأمم وتبذل الغالي والنفيس من أجل تحقيقه. إشكالية البحث: تنحصر اشكالية البحث في كون التطرف له ايدولوجيات وجذور ارتبطت بمتغيرات دينية وسياسية واجتماعية، وأصبح ونذير شؤم يهدد الخطاب الديني المعتدل في مجتمعاتنا الاسلامية، فهو ظاهرة مرضية أثّرت في مجتمعاتنا بسبب ابتعادها عن الخطاب الاعتدالي، لذا سنسعى جاهدين لتحقيق معالم الخطاب الوسطي الاعتدالي من خلال البحث. هدف البحث: يهدف البحث لتأصيل خطاب الاعتدال، وترسيخ معانيه في نفوس المسلمين ؛ لأنه الدعامة الرئيسة لتبليغ الناس دين الله، فهو يؤدي رسالة لها مضامينها واهميتها في الدعوة الإسلامية. منهجية الدراسة: وقد اعتمدت دراستنا هذه على المنهجية النظرية الاستدلالية، وجمع المعلومات المتعلقة بالدراسة من مظاهرها الأصلية، وقد قمنا بوضع العنوانات الرئيسة والتدليل عليها من القرآن والسنة وكلام العلماء مع بعض الفئات الخاصة بنا. النتائج: تحصلت للباحثين نتائج مصحوبة بتوصيات من أهمها: ١. إننا بحاجة للعمل على تجديد الفكر والرؤية بكل ما هو جديد، وبخلاف ذلك فأنتنا نبقى من حيث نحن لا ننتغير ولا نتجدد. ٢. من أهم أهداف الخطاب الديني هو تحقيق العدالة في المجتمعات بموازين الدين الإسلامي الحقيقي، ونبذ التطرف الذي يقود الى سلسلة لا متناهية من الصراعات المدمرة، وكذلك تحقيق السلم وهو الهدف الأعلى للخطاب المعتدل، وهداية الناس للطريق القويم هو الهدف الأبرز في الخطاب الإسلامي التأسيسي، وهو هدف ذو قيمة كبيرة يمر عبر دعوة الناس وتبليغهم وتنظيم حياتهم بسنن وقوانين وقواعد الهدي النبوي الشريف. ٣. لا بد لمن يريد للخطاب المعتدل الانتشار أن يعرض عن الجاهلين، ويخاطب الناس على قدر عقولهم، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والاستماع لهم وتقبل آرائهم، وعدم اللعب بمشاعرهم. ٤. يتميز الخطاب الدين المعتدل بالعالمية والشمولية، ويهتم بنهضة الانسان وثقافته، والتجديد ومواكبة الاحداث والازمان، كما أنه يركز على الجواهر واساسيات الدين ويهذب المظاهر وينقيها من الأفكار المريضة. ٥. إنَّ اكتشاف عناصر الخطر في الخطاب الديني، والتنبيه من تداعياته، وابرار مخاطره ومهدداته كالغلو في المسائل الدينية والسياسية، والجهل والانغلاق، يعدُّ الأساس في كيفية رسم صياغات جديدة للخطاب الديني ولا سيما في المجتمعات متعددة الطوائف والاعراق. التوصيات: ١. إنَّ تنقية التراث الإسلامي مما شابه من النزعات التطرفية المتشددة منذ قرون بات أمراً ضرورياً، فلن يتحقق الصلاح إلا بإصلاح ما أفسد، وهذا يستدعي وقفة جادة وجريئة للعلماء لمراجعة شاملة للمنظومة الدينية التي أصابها الوهن في ظل المتغيرات والأفكار الدخيلة على الإسلام. ٢. يجب أن ينطلق الخطاب الديني من القاعدة الاساسية التي تتضمن جلب المصالح وتكميلها ودفع المفاصد وتقليلها. ٣. مجتمعاتنا اليوم بحاجة الى خطاب ديني يؤكد على ضرورة التعامل الايجابي مع الآخر بعيداً عن الانغلاق الذاتي الذي لا يحترم السلم الاجتماعي. ٤. تجنب سلبيات الخطاب الديني من خلال البحث في موروثنا الاسلامي واستشراف المستقبل فمن لا ماضي له لا حاضر له ايضاً.

الكلمات المفتاحية: خطاب ، ديني ، تعزيز

*Moderate religious discourse and its role in promoting community peace**Dr. Abdul-Jabar Hameed Saleh**Dr. Nafea' Hameed Saleh*

That the validity of the nation and stability of the goodness of religion and stability, and can not be sucked under the exclusion of discourse to the Sunnis, and the Messenger of the extremist discourse of the social arena, and take the rhetoric and when, so moderate religious discourse has been talking about it and even the consolidation of those who hold religious discourse is an urgent need in our Muslim societies, Events and disturbances that have been inflicted on them in order to achieve them. **Problematic search:** The problem of searching is to search for scientific tools in psychology and to refrain from practicing your profession in education and exam.

Very searching The aim of the research is to consolidate the discourse of moderation and to consolidate its meaning in the hearts of Muslims, because it is the main pillar for informing the people of the religion of Allah. **Methodology of the study:** This study was based on the theoretical theory and the collection of information about the study of the original manifestations, and we have developed the main animals and demonstrate them from the Quran and Sunnah and the words of scientists with some of our gestures.

Results: I gave the researchers accompanying results: 1. •We need to work on the renewal of thought and vision with everything new is, otherwise we remain in terms of we do not change or renew. 2. •One of the most important goals of religious discourse in World War I, at the end of the Second World War, and the rejection of extremism, which leads to an endless series? A goal of great value is passing through inviting and informing people, organizing events in Sunan, and the laws and rules of the Prophet's guidance. 3. •It is necessary for those who want to moderate speech spread to expose the ignorant, and address people to the extent of their minds, and invited them to wisdom and good advice, and listen to them and accept their views, and not play with their feelings. 4. •The discourse of moderate religion is characterized by universality and inclusiveness. It focuses on the renaissance of the human being and his culture, the renewal and keeping abreast of events and times. He also focuses on the essences and fundamentals of religion, and beautifies appearances and purifies them of sick thoughts. 5. •The discovery of elements of danger in religious discourse, the warning of its repercussions, and its dangers and threats, such as ignorance of religious and political issues, ignorance and isolation, is the basis for how to draw new formulations of religious discourse, especially in multi-ethnic and multi-ethnic societies.

Recommendations:

- ☐ The regulation of modest Islamic interests for centuries has become necessary, and I have prayed for it with the Great Great Great Word.
- ☐ The religious discourse must proceed from the basic rule of singularity and reduce it.
- ☐ Our communities today need a religious discourse that emphasizes the need to deal positively with the other away from closure with travel that does not respect social peace.
- ☐ The series of religious discourse through research into our Islamic heritage and looking forward to the future. No past, no one is present for it either.

Keywords: speech, religious, promotion



المقدمة

الحمدُ لله مستحق الحمد، الذي له الكبرياء والمجد، الحمدُ لله حمداً لك يا من نطقْتُ بحمْدك جميع الكائنات، فالسماؤ دائماً وأبداً تقول: سبحان من رفعني بقوته وأمسكني بقدرته فهو ركني وهو عمادي، والأرض دائماً وأبداً تقول: سبحان من بسطني بقوته ومهدّ مهادي، والبحار دائماً وأبداً تقول: سبحان من أسأل عيون مائي لفُصّادي ووُرّادي، وأصلي وأسلم على شفيعي ومناي ومرادي، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسانٍ إلى يوم التّنادٍ... وبعدُ:

فإنّ صلاح الأُمّة واستقرارها من صلاح دينها وثباته، ولا يمكن أن يتحقّق الصّلاح والاستقرار في ظل اقضاء الخطاب الديني المعتدل، وتسيّد الخطاب المتطرف للسّاحة الاجتماعيّة، واتخاذ الدين ذريعة لنشر الافكار والمعتقدات المنحرفة بما لا يتفق مع دعائم الاسلام السمحاء التي لا غنى لمجتمعاتنا عنها في كل وقت وحين، لذا فالخطاب الديني المعتدل بات الحديث عنه بل وترسيخه لدى المتسيدين للخطاب الديني ضرورة ملحة في مجتمعاتنا المسلمة ولا سيما بعد الأحداث والاضطرابات التي أصيبت بها أمتنا ؛ وذلك من أجل تعزيز السلم المجتمعي المنشود، وتحقيق الاستقرار الذي تسعى إليه الأُمم وتبذل الغالي والنفيس من أجل تحقيقه، فهو ليس كلمات عابرة تقال فلا تُسمع، وشعارات ترفع فلا تتحقق وإنما هو رسالة ذات مضمون له أهميته، وأهدافه وخصائصه، وإيجابياته، وآثاره الفكرية والعقدية والاجتماعية، لذا يتوجب على من تصدروا للخطاب الديني في مجتمعاتنا إن أرادوا تعزيز السلم، وتحقيق الاستقرار فعليهم أن يبتعدوا في خطاباتهم عن التقليد والجمود وينبغي أن يكون خطابهم مواكباً لتطورات العصر ومستجداته في إطار يتناسب مع الزمانية والمكانية التي تواكب التجمعات البشرية كي يستفيد منه الأفراد والجماعات المسلمة وغير المسلمة بغية الحصول على التغيير الاجتماعي الآتي المطلوب.

❖ إشكالية البحث: تتحصر اشكالية البحث في كون التطرف له ايولوجيات وجذور ارتبطت بمتغيرات دينية وسياسية واجتماعية، وأصبح ظاهرة مرضية أثّرت في مجتمعاتنا البعيدة عن الخطاب الاعتدالي، ونذير شؤم يهدد الخطاب الديني المعتدل في مجتمعاتنا الاسلامية، ففي خضم التداعيات التي ألّمت بنا ابتعد بعض المسلمين عن طريق الاعتدال وانتهجوا طريق التطرف والتشدد الذي قادنا لسلسلة لا متناهية من الصراعات التي نخرت جسد الأُمة من الداخل والخارج، وانحرف البعض عن المنهج الاعتدالي ولا سيما الشباب الذين نقل معرفتهم بالأحكام الشرعية فتدفعهم حماسهم للدين ورغبتهم في خدمته؛ للانضواء تحت أية جماعة تعلن أنها تقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى، دون أن يتبينوا حقيقتها، وأهدافها، وغاياتها، وصلاح من يوجهون أمورهم، ومدى عدالتهم وصدقهم في خطاباتهم، وقد دلت المشاهدة والتجارب في العديد من البلاد الإسلامية على وجود أهداف سياسية ومذهبية خفية منحرفة وراء تلك الجماعات، فلا يخفى على



من يراقب الوضع الراهن من تصاعد حدة مستويات الغلو والتطرف الديني والسياسي لبعض الجماعات والاحزاب السياسية، لذا جاء هذا البحث ليعالج هذه الظاهرة والظواهر العالقة في الفكر الإسلامي من خلال الخطاب الديني المعتدل الذي له دور كبير في تبصير المسلمين بواجبهم نحو المجتمع الذي يعيشون فيه، ومسئوليتهم أمام الله عن حفظ أمنه، وعدم إشاعة الاضطراب فيه، تحت ستار الغلو في الدين والتطرف في فهم أحكامه، وإساءة تأويل ما أنزل الله على رسوله.

❖ أهمية البحث: تتبع أهمية من كون الخطاب الديني المعتدل هو الدعامة الرئيسة لتبليغ الناس دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو يؤدي رسالة لها مضامينها وأهميتها في الدعوة الإسلامية، ولكن بعض المسلمين اليوم قد تخلوا عن هذه الدعامة التي بها حفظ حياتهم، وعز دينهم، واستقرار مجتمعاتهم، فصاروا فيه على طرفي نقيض بين متعصب متطرف ومتساهل مُفرط وكلا الفريقين جانبوا الصواب وحادوا عن طريق الحق الذي عليه أهل الاعتدال والوسط، لذا سنسعى جاهدين لتحقيق معالم الخطاب المعتدل الذي به تحقيق الاستقرار وتعزيز السلم من خلال هذا البحث.

لا شك أنَّ الخطاب الديني من المسائل الهامة التي وجدت إقبالاً واسعاً، وعنيت عناية خاصة من قبل العلماء والمتقنين والباحثين، فهو ليس وليد الساعة كما يظن البعض بل أنَّه قديم متجدد يولد في كل زمن ولادة تتسجم ومتطلبات الزمان والمكان الذي هو فيه، لذا فالخطاب بشكله العام يتسم بالتضيد، والتنسيق، والانسجام، ويمتد حضوره ويستمد طاقته من النصوص القرآنية المقدسة، والسنة النبوية المشرفة.

❖ خطة البحث: وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم إلى: مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، بينا في التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث، وأهمية الخطاب الديني، وتناول المبحث الأول: أهداف الخطاب الديني وأخلاقياته، وصار الحديث في المبحث الثاني عن: خصائص الخطاب الديني ومهدداته، واشتمل المبحث الثالث على بيان: دور الخطاب الديني في تعزيز السلم المجتمعي، ومن ثم وُضع للبحث خاتمة - نسأل الله حسنها - تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها وبعض التوصيات المقترحة، ومن ثم خُتم البحث بثبت المصادر والمراجع التي استُقي منها البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



التمهيد

قبل الغور في سبر هذا الموضوع المهم، والبحث في ثنياه لا بد من المرور بهذه اللحظة السريعة، والتعريف ببعض مفردات البحث، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تعريف الخطاب في اللغة والاصطلاح:

١- الخطاب في اللغة: مأخوذ من خطب يخطب خطباً والخطب: الشأن، والأمر صغر أو عظم، وخطب الخاطب على المنبر خطبةً، بالفتح، وخطبةً، بالضم، وذلك الكلام: خطبة أيضاً، أو هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه. ورجل خطيب: حسن الخطبة^(١).

وعرف أيضاً: بمراجعة الكلام، يقال خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب^(٢).

٢- الخطاب في الاصطلاح:

لقد عرف الخطاب بشكل عام تعريفات عدة، ومنها:

أ- هو الوسيط اللساني في نقل مجموعة من الأحداث والثقافات الواقعية والتخيلية التي يطلق عليها البعض مصطلح الحكاية^(٣).

ب- الخطاب في كل اتجاهات فهمه، هو في حالة فعل من حيث هي ممارسة تقتضي فاعلاً، وتؤدي من الوظائف ما يقترن بتأكيد أدوار اجتماعية معرفية بعينها^(٤).

ج- الخطاب اصطلاحاً: (كل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نص، وإذا ما خرج ليندرج تحت السياقات الاجتماعية سمي خطاباً، فالخطاب إذن يضطلع بمهمة توصيل رسالة، ومن ثم فهو مغمور في الأيديولوجيا، ومبالغ في خرق النظام بحثاً عن المرجع، فهو يتجه إلى مجموع القراء)^(٥).

ويمكن للباحثين أن يعرفان الخطاب الديني: بأنه كل ما يستند إلى مصادر التشريع الإسلامي كالقرآن الكريم، والسنة النبوية وغيرها، سواء أكان هذا الخطاب صادراً من جهات إسلامية أو مؤسسات دعوية - رسمية أو غيرها- أو أفراد جمعهم الاستناد إلى الدين الإسلامي وأصوله وثوابته ومتغيراته.

ثانياً: تعريف الاعتدال في اللغة والاصطلاح:

١- الاعتدال في اللغة: مأخوذ من العدل وهو (ضد الجور وما قام في النفوس أنه

(١) ينظر: القاموس المحيط: للفيروز آبادي، ص ١٠٣ مادة (خطب).

(٢) ينظر: لسان العرب: لابن منظور، ٢ / ١١٩٤ مادة (خطب).

(٣) ينظر: خطاب الحكاية: جبران جينيت، ص ٣٨-٣٩.

(٤) ينظر: آفاق العصر: جابر عصفور، ص ٤٨.

(٥) مناهج الدراسة الأدبية: حسين واد، ص ٣٧.



مستقيم كالعدالة...) (١).

٢- الاعتدال في الاصطلاح: هو التزام المنهج القويم والحق المبين الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والتشدد والتساهل (٢).

ثالثاً: تعريف السلم في اللغة والاصطلاح:

١- السِّلْمُ في اللغة: ضدّ الحربِ وَمِنْهُ اشتقاق السِّلَامَةِ وهو مصدر سَلِمَ يَسْلُمُ سِلْماً وسلاماً (٣).

٢- السلم في الاصطلاح: يمكن للباحثين أن يعرفان السلم بأنه: الوضع الطبيعي لحياة المجتمعات والأمم إذ يسود فيه الأمن والسلام، ويشعر الأفراد والجماعات بالأمان والسكينة والاستقرار وهو عامل مهمّ لتقدم الامم ورفيها.

رابعاً: تعريف المجتمع في اللغة والاصطلاح:

١- المجتمع في اللغة: (مشتق من الفعل اجتمع ضد تفرق) (٤).

٢- المجتمع في الاصطلاح: (كل مجموعة من الافراد تربطهم رابطة ما، معروفة لديهم ولها اثر دائم او مؤقت في حياتهم وعلاقتهم مع بعض) (٥).

المبحث الأول: أهداف الخطاب الديني المعتدل وأخلاقياته .

المقصّد الأول: أهداف الخطاب الديني المعتدل.

للخطاب الديني أهداف متعددة ومتنوعة، ومن أهمها ما يأتي:
أولاً: هداية الناس:

تعد هداية الناس للطريق القويم هي القيمة الأبرز في الخطاب الإسلامي التأسيسي، وهو هدف ذو قيمة كبيرة يمر عبر دعوة الناس وتبليغهم وارشادهم عن طريق الخطاب المعتدل الذي ينظم حياة الأفراد والجماعات بسنن وقوانين وقواعد الهدي النبوي الشريف، الذي يركز على هداية الناس، وحثهم لسلوك طريق الدعوة إلى الله تعالى عن طريق الخطاب المعتدل، وترغيبهم في ذلك، وكشف زيف الخطابات المتطرفة التي أودت بالأمة وشبابها في هاوية القتل والتكفير، لذا على المسلم أن يبذل غاية جهده ليتحقق مراد الله من خلال الخطاب المعتدل لتبصير الناس

(١) القاموس المحيط: للفيروزآبادي، ص ١٣٣٢ مادة (عدل).

(٢) ينظر: بدائع السلك في طبائع الملك: لابن الازرق المالقي المالكي، ١/ ٢٤٢.

(٣) ينظر: جوهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ): ٨٥٨/٢ مادة (سلم)، وتهذيب اللغة: لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبي منصور (ت ٣٧٠هـ): تحقيق: محمد عوض مرعب، مادة (حرب): ١٦/٥.

(٤) القاموس المحيط: للفيروز آبادي، مادة (جمع) ص ١٩٣.

(٥) علم الاجتماع: د. علي عبد الواحد وافي، ص ١٦.



بالحق وهدايتهم طريق الرشاد.

ومثل هذا الهدف يحتاج إلى دراسة ودراية في استراتيجيات بناء الخطاب المعتدل لتكوين الوعي الفردي والاجتماعي عند من يصلهم ذلك الخطاب، والسيرة النبوية الشريفة مليئة بالأحداث التي تدل على وقع الخطاب المعتدل ووصوله لقلوب المخاطبين وعقولهم ومن ذلك ما روي (عن ابن عباس أن ضماداً قدم مكة وكان من أزد شنوءة وكان يرقى من هذه الرّيح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إنّ محمّداً مجنون فقال: لو أنّي رأيت هذا الرجل لعلّ الله يشفيه على يديّ قال: فلقبه فقال: يا محمّد إنّّي أرقى من هذه الرّيح وإنّ الله يشفي على يدي من شاء؛ فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أمّا بعد، قال: فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء فأعادهنّ عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرّات قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن ناعوس البحر قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومك؟» قال: وعلى قومي...^(١).

والشاهد من هذا الحديث الشريف يتكرر في خطاب النبي ﷺ المعتدل تجاه قول ضماد الذي قال: "يا محمّد إنّّي أرقى من هذه الرّيح وإنّ الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك"، فأجابه النبي ﷺ بكلمات قليلة ولكن وقعها كان كبيراً، فلم يعنفه النبي ﷺ ولم يزجره، ولم يقل له: قد قلت ما سمعت وإن واحدة لتكفي، خاصة أنه كان ﷺ أفصح الناس لساناً، وأبلغهم بياناً، كيف لا وهو الرحمة المهداة الذي كان يحرص على هداية الناس، ومباشرة كل عمل من شأنه إيصال هذه الهداية إلى قلوب العباد، ويظهر ذلك جلياً من خلال هذا الموقف الذي واجهه مع ضماد، فقد أعاد النبي صلى الله عليه وسلم كلامه ثلاث مرّات؛ بناء على طلب الصحابي ضماد، مع أن ضماداً لم يطلب منه ﷺ إلا الإعادة مرة واحدة، فزاد النبي ﷺ في عدد المرّات، رجاء أن تصل هذه الكلمات إلى عقله وقلبه، وهو الرجل الذي جاء ليرقيه من الجنون وإذا به يعلن إسلامه لما رأى من الخطاب المعتدل والخلق الحسن، فأى رحمة وشفقة بالأمة أعظم من ذلك، ومع مسلك لا يخلو من التواضع الجم^(٢).

لذلك فالخطاب الإسلامي يتجه إلى المتلقين؛ لبناء مزيد من الثقة بالإسلام وقيمه ومبادئه، وترسيخ قيم الانتماء إليه باعتباره نعمة تفضل الله بها على عباده المؤمنين، فهو يتجه نحو الهداية لا التضليل، ونحو الرحمة لا القتل والتكفير، ولهذا كان الصدق أساساً في الخطاب

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب (تخفيف الصلاة والخطبة): ١١/٣ برقم (٢٠٤٥).

(٢) ينظر: شمائل الرسول ﷺ: أحمد بن عبد الفتاح زواوي، ٢٠٥٠/٢.



الإسلامي، كي يتحقق له أسباب السلامة وعوامل الثقة بها، ومن ينتبع خطب النبي ﷺ يدرك ذلك، فقد كان حريصاً أشد الحرص على ما فيه مصلحة البشرية وهدايتهم، ليس هذا في خطب الرسول ﷺ فحسب، بل وفيما روي عنه من الأحاديث النبوية الشريفة، وهذا الحرص يتفق مع هدي القرآن الكريم ويسير في ظله، فالداعية الراشد لا يكتفي بالحرص على المخاطبين فقط، بل لا بد من الرحمة بهم، تأسياً بالرسول ﷺ، فالله ﷻ أعلم بما أودع في قلب رسوله ﷺ من حسن الخلق والرحمة؛ ليكون مسموعاً ومطاعاً، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١) (٢).

ثانياً: تحقيق السلم:

كان النظام الاجتماعي في الجاهلية يعاني فيه الناس من المشاكل بين الأعراق والأديان في جو يسوده الخوف، وانعدام الأمن والسلام، وانعدام المساواة، وعدم التسامح، وحرب القبائل والسلب وغيرها، فسادت الممارسات الجائرة في المجتمع الجاهلي وحلت محل العدالة والتسامح فأصبح القوي يأكل الضعيف، والغني الفقير، لكن عندما بعث الله ﷻ الهادي محمد ﷺ رحمة للعالمين تغيرت الموازين وانقلبت رأساً على عقب، وقام ﷺ بحمل أعباء هذا الدين، فردّ الحقوق لأهلها، وأعان الضعفاء والمساكين، وساد الأمن، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وكل ذلك حدث بغرس العقيدة السليمة، والخطاب المعتدل وإشاعة روح المحبة والوئام بين الناس جميعاً.

لا بد للقائمين على الخطاب الديني المعتدل أن يضعوا نصب أعينهم تحقيق هذه الغاية الأسمى، والحلة الأبهى، والهدف الأعلى للخطاب المعتدل، إذ بتحقيقه يعم الخير وينحسر الشر ويولي مدبراً، وتستطيع المجتمعات العيش بسلام، وقد سعى النبي ﷺ لتحقيق هذا الهدف من خلال خطابه المعتدل في كل شؤون سلماً وحرباً، ولم تغب الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة في كل لحظاتها حتى في قلب المعارك التي خاضها عليه السلام، فما من مواجهة بين المسلمين وأعدائهم إلا والتوجيهات النبوية كانت حاضرة ومؤكدة على ضرورة الدعوة إلى الله قبل المواجهة، وهذا واضح جلي في كثير من الأمثلة ومنها: (فأعطاه الراية فقال: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم)^(٣).

(١) سورة التوبة، من الآية ١٢٨.

(٢) ينظر: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ: لسعيد بن علي ثابت، ص ٩٠ - ٩١.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (فضل من أسلم على يديه رجل)، ٣/ ١٠٩٦ برقم (٢٨٤٧).



إنَّ هذا الحديث الشريف يفتح لنا آفاقاً كبيرة للحياة، ويبين لنا بأنَّ الدعوة إلى الله تعالى ليست منحصرة في حالة السلم فحسب، بل إنَّ المسلم الحق وهو في قلب المعركة داع إلى الله تعالى في خطابه المعتدل قبل أن يكون مقاتلاً، فالدعوة إلى الله تعالى هي الأصل، والهداية خير من القتل، وهداية إنسان واحد خير من حمر النعم، فليدرك هذا الأمر شباب الإسلام أنَّ قضية الدعوة إلى الله يجب أن ترافق المسلم في كل لحظة من لحظات حياته قبل المعركة وخلالها وبعدها، وأنَّ يصبح تقييم القيادة والحركة من خلال المعركة ونسيان الأصل الذي قامت عليه الجماعة هو انحراف في الفهم الإسلامي ولا شك وكانت معركة خبير ظاهرة خاصة في قلب هذه الأحداث لكنها بقيت تحمل طابع الخطاب الديني المعتدل الذي رسخه النبي ﷺ في أحبائه ونقل هذه الصورة السمحاء لأعداء الإسلام من اليهود وغيرهم الذين حاربوا هذه الدعوة منذ مهدها وحاربوا الرحمة المهداة، وسيد الدعاة محمد ﷺ منذ ولادته وحتى وفاته ﷺ^(١).

لذلك فهذا الدين لم ينتشر بالسيف والقتل كما يروج لذلك بعض المستشرقين وأذئابهم من المتطرفين الذين يدعون الإسلام وهو منهم براء، فالكره والقتل والتدمير ليست من أخلاق الإسلام في شيء، فديننا دين المحبة والسلام والرحمة والوئام، وقد انتشر بالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، واللين والرحمة، والخطاب المعتدل.

لقد ركَّز رسولنا الأكرم ﷺ على هذه الأسس الرصينة والأخلاق العظيمة، إذ كانت البعثات الدعوية في عصر السيرة إلى البوادي والأمصا تترأً رغم الأخطار التي كانت تحدق بالإسلام، ومن يتوغل في دراسة الواقع التاريخي لانتشار الإسلام تتكشف أمامه الآفاق الواضحة عن حقيقة اعتناق الناس للإسلام منذ عصر النبوة، إذ كان الإسلام ينتشر في ظروف السلم بنطاق أوسع بكثير من ظروف القتال، فعدد الداخلين فيه بعد " صلح الحديبية، وفتح مكة " كان أضعاف عدد من دخله قبل الصلح، وقد استمر انتشار الإسلام بعد انحسار سلطانه العسكري والسياسي، ومازال يمتد في العصر الحديث، وبهذا يتبين لنا دور الخطاب الديني المعتدل، وتهافت مقولة أنَّ الإسلام انتشر بالسيف، لذلك فارتباط الجهاد بفرض العقيدة على الناس مبعثه الدعاية والتمويه الذي شحنت به الدراسات الاستشراقية، وإن فك الارتباط بين الاثنين ضروري لتصور الحقيقة، ويكفي أن القرآن الكريم أوضح بما لا يقبل الشك حرية الناس في اختيار الإسلام أو البقاء على النصرانية واليهودية حتى داخل المجتمع الإسلامي وضمن سيادة الدولة الإسلامية، وهذا ما تثبتته آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢)، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٣). وتدعمه الوقائع التاريخية الصحيحة حيث رحبت الشعوب بتحرير الإسلام لها من

(١) ينظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير محمد الغضبان (ت ١٤٣٥هـ)، ٣/ ٨٢.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٥٦.

(٣) سورة الكافرون، الآية ٦.



سيطرة الرومان والفرس، وعبر القبط في مصر واليعاقبة في الشام عن سرورهم بالحرية الدينية التي أعلنها الإسلام^(١).

لذلك فتغليب جانب دعوة الناس ولا سيما غير المسلمين مقدم على جانب القتال، وقد ذكر ابن حجر، بأن تألف الكافر حتى يسلم، أولى من المبادرة إلى قتله^(٢).

ثالثاً: تحقيق العدالة في المجتمعات بموازين الدين الإسلامي الحقيقي :

إن ديننا دين الرحمة، ونبينا نبي الرحمة، وربنا رب الرحمة والغفران فهو الرحمن الرحيم بعباده، ومن رحمته جل جلاله أن أزال معايير التمايز بين البشر التي تقوم على الطبقة والعصبية القبلية والثراء واللون والجنس، وأقام معياراً موضوعياً في متناول جميع الناس وهو تحقيق العدالة والمساواة بين طبقات المجتمع على أساس التقوى، فالناس جميعاً سواسية لا فرق بين أسود وأبيض إلا بالتقوى كما قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾^(٣)(٤).

لا شك أنَّ الخطاب الإسلامي يكون مؤثراً وله وقع في النفوس متى ما كان أهله يسعون لتحقيق مبادئ العدالة والمساواة في المجتمع، ولا يفرقون بين السيد والمسود والراعي والرعية في نزاحم الحقوق، وقد يتقهقر وينهار إن كان المتسيدين للمشهد الديني مستبدين بأرائهم ويسعون لتحقيق مصالحهم الشخصية على حساب الآخرين.

وقد سطر الصحابة رضوان الله عليهم أروع الصور والأمثال في كيفية سلوك القائد والبدء بأنفسهم من كل التوجيهات الدينية، كي يكون خطابهم مسموعاً وله وقع في النفوس، فهذا سيدنا أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه جاء له -خلال قيادته للجيش الإسلامي في حرب فارس- بطعام شهى خاصا به فرده وقال: بنس الرجل أبو عبيدة إذا خص نفسه بشيء دون من يقاتلون معه ويريقون دماءهم، والله إن أبا عبيدة لا يأكل من الطعام إلا ما أكله المسلمون كلهم، وسيدنا عمر رضي الله عنه قد روي أسود اللون في النازلة التي نزلت بالمسلمين عام الرمادة وقد كان أبيضه، ف قيل: مم هذا؟ ويأتي الجواب: إنه رضي الله عنه كان يأكل السمن واللبن فلما أمحل الناس أكل الزيت حتى تغير لونه، وقد حلف ألا يأكل لحماً ولا سمناً حتى يحيا الناس، وعمر نفسه هو الذي قال: بنس الخليفة أنا إذا أكلت طعاماً جيداً وتركت الناس يأكلون طعاماً خشناً^(٥).

(١) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية: د.

أكرم ضياء العمرى، ٣٤٢/٢.

(٢) ينظر: شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم: أحمد بن عبد الفتاح زواوي، ١٩٢/١.

(٣) سورة الحجرات، من الآية ١٣.

(٤) ينظر: بناء المجتمع الإسلامي: د نبيل السمالوطي، ص ٣٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٨.



رابعاً: نبذ التطرف وتعرية المتطرفين:

يؤدي التطرف الديني الى التعصب الاعمى والعنف الذي يقود الى سلسلة لا متناهية من الصراعات المدمرة التي تتخر المجتمع والأمة داخليا وخارجياً^(١)، ولا شك أنَّ التطرف ظاهرة مَرَضِيَّة تسود فئات معينة وسط النسيج الاجتماعي في الأمة ككل وتهدد أمنه واستقراره اذا ما اطلق العنان لمثل تلك الافكار ولاسيما عند الشباب، فالتطرف حقيقة واقعية نلمس آثارها السلبية في مجتمعاتنا المعاصرة، فهو بأشكاله المختلفة وأنواعه المتعددة لم يأت جزافاً بل له أسبابه ودواعيه، كما أنَّ له مخاطر أثرت سلباً في الأفراد والجماعات، لذا فإنَّ معرفة أسباب التطرف وجذوره وعلاقته بالنواحي الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية تعد في غاية الاهمية؛ لتحديد العلاج المناسب والتعامل معه كظاهرة تفرض نفسها في المجتمع المعاصر.

ما ذكرناه آنفاً عن التطرف ليس محل تفصيل بحثنا فقد كُتِبَتْ في هذا المجال المؤلفات والبحوث، وأقيمت الندوات والمؤتمرات حول التطرف واسبابه ودواعيه وجذوره، فمحل تحرير بحثنا هو أن الخطاب الديني يهدف إلى عدة أهداف رئيسة ومنها نبذ التطرف بكل أنواعه وأشكاله، واحلال الوسطية محله؛ لأن التطرف إن شاع سيضطرب الافراد وتهلك المجتمعات، وتصبح حياة الناس فوضى فيأكل القوي الضعيف والغني الفقير، وتتعدم كل مقومات الحياة سواء على المستوى الاقتصادي أم الاجتماعي أم السياسي، لذلك أكد القرآن الكريم على إشاعة مبدأ الوسطية ونبذ التطرف بآيات عدة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٢)، وقال ﷺ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾^(٣).

إنَّ الكلمة لها وقع كبير في نفوس المجتمعات والأمم لذلك يحتاج من الدعاة والمصلحين التنبه لهذه

الركيزة المهمة وعدم اغفالها، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم ﷺ أهمية الخطاب المعتدل ودوره في جذب الناس لهذا الدين، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٤)، وقال ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَقْنَصُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٥).

إننا بأمس الحاجة اليوم إلى الخطاب الديني المعتدل ودعمه بكل الوسائل والأساليب اللازمة لمواجهة العنف الذي تلبس بالدين زوراً وبهتاناً، وهذا يتطلب من الدعاة والمصلحين قبل أن يطالبوا بتجديد الخطاب الديني تفكيك الخطاب المتطرف، وتعريته على حقيقته وتجريده

(١) التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية: محمد ياسر خواجه، ص ٢٩.

(٢) سورة البقرة، من الآية ١٣٤.

(٣) سورة النساء، من الآية ١٧١.

(٤) سورة النحل، من الآية ١٢٥.

(٥) سورة آل عمران، من الآية ١٥٩.



لسحب البساط الديني من التيارات الارهابية المتطرفة التي لبست ثوب الدين وهو منها براء، وذلك يتطلب آلية حقيقة للتعاطي الايجابي مع احتياجات المجتمع ولا سيما الشباب وتوفير سبل مبتكرة لاستيعابه، ومنها^(١):

• الرد على الخطابات الأساسية للتطرف والعنف والتي ارتبطت بثقافة الكراهية ضد الآخر والتي غذتها جملة من العوامل ومنها الخطابات التي تدعو للعنف ضد الانسانية من قبل تلك التيارات المتطرفة التي نصبت نفسها حكماً على سلوك الآخرين وتصرفاتهم.

• تنقية التراث الإسلامي مما شابه من النزعات التطرفية المتشددة منذ قرون، فلن يتحقق الصلاح إلا بإصلاح ما أفسد وهذا يستدعي وقفة جادة وجريئة لمراجعة شاملة للمنظومة الدينية التي أصابها الوهن في ظل المتغيرات والأفكار الدخيلة على الإسلام قديماً وحديثاً.

• تقنين المعايير والكفاءات وتحديدتها التي يجب توافرها في القائمين على ممارسة المهن المتعلقة بالخطاب الديني سواء كان ذلك في المجال التعليمي أو الوعظي والارشادي داخل المساجد وخارجها.

• ربط مخرجات التعليم الديني بتوقعات الدولة مما يتناسب واحتياجات المجتمع، لذا يجب أن تكون المخرجات عاملاً أساسياً في البناء لا الهدم ولا سيما في المجتمعات التي تتصف بالتعددية الدينية والثقافية بحيث تكون تلك المخرجات مساهمة في البناء والتطوير والازدهار لا معولاً للهدم والتدمير من خلال الخطابات المتطرفة والتحريض على الكراهية والبغض المنتشرة اليوم من خلال الوسائل والمنابر والتجمعات الدينية والتعليمية الإعلامية وغيرها.

المقصد الثاني: أخلاقيات الخطاب الديني

لا بد لمن يريد للخطاب المعتدل الانتشار والقبول أن يتخلق ببعض الأخلاقيات التي لا يمكن الاستغناء عنها لمن أراد الخير، والنفع للناس، ومواصلة القافلة لمسيرها نحو بر الأمان، ومن أهم تلك الأخلاقيات ما يأتي:

أولاً: مخاطبة الناس على قدر عقولهم: هذا خلق رفيع لا يدرك كنهه إلا من فتح الله عليه، فمن رزقه الله تعالى هذا الخلق مع الاحاطة بطبائع الناس فهو كفيل بتحقيق الخير في الناس بنتيجة لا يظنها الكثيرون، إذ ينبنى على ذلك ملاحظة استيعاب المدعوين وسعة مداركهم، فلا يلقي إليهم خطاباً لا تبلغه عقولهم فيوقعهم إما في النفرة والشرود، وإما في التخبط الفكري والدخول في غياهب الفتن المهلكة كالتكفير والقتل^(٢).

إن مخاطبة الناس على قدر عقولهم أمر في غاية الأهمية ؛ كونه يجعلهم على بصيرة من دينهم ويبعدهم عن الفتن المهلكة، فمن لم يفعل ذلك فقد أضر بنفسه وبالمجتمع وفي هذا

(١) ينظر: تفكيك خطاب التطرف: د. محمد يونس، الشبكة العنكبوتية - موقع الاتحاد.

(٢) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة: د صالح بن عبد الله بن حميد، ص ٣٠.



يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)^(١).

ثانياً: الاعراض عن الجاهلين:

ومن أهم الأخلاقيات التي يجب على الداعية أن يتخلق بها الاعراض عن الجاهلين والمثبطين، ومن يلتفت سيتعثر كثيراً، ويقصر عن مواصلة المسير، لذلك مدح الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾^(٢).

إن هذا لخلق عظيم لا يدركه إلا من خبره وجعله أساساً ومنهاجاً لحياته، وقد كان حبيبنا صلى الله عليه وسلم يستنفذ كل الطرق والوسائل في دعوته للناس ومخاطبته لهم، ومن السبل التي كان يسلكها صلى الله عليه وسلم في تأليف مدعويه الإحسان إليهم بالعفو والامتنان، وذلك من كمال حكمته صلى الله عليه وسلم إذ كان يتألف الناس بما يعلم فيه صلاحهم ويتناسب وحالهم، فكان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يتألف بالعفو والاعراض عن الجاهلين ممتلاً^(٣) قول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٤).

يجب على كل مسلم عالم وداعية وخطيب أن يعرف أنواع الأخلاق السيئة ويستحضرها في ذهنه، ويتخلق بأخلاق الإسلام السمحاء ومنها الاعراض عن الجاهلين فهو أنجع علاج لكسبهم في جانب الدعوة الإسلامية، فالجدال معهم يؤدي إلى الغضب المفضي إلى الشحناء والبغضاء، وقد يدفع الغضب بصاحبه لارتكاب جريمة الاعتداء بين أفراد المجتمع، ولهذا وجه الإسلام بالابتعاد عن الغضب وعن أسبابه لما له من آثار سلبية على علاقة الناس ببعضهم ببعض.

يجب التنبيه لمسألة مهمة قررها الدكتور عبد الكريم زيدان وهي أنه: (لا يكفي للمسلم أن يعرف أنواع الأخلاق السيئة ونتائجها، بل عليه أن يستحضر هذه المعرفة في ذهنه لئلا ينساها، فإن آفة العلم النسيان، والنسيان يؤدي إلى إهمال معاني الأخلاق، فيضعف أثرها في النفس، ويصدر عنها ما لا ينبغي من الأفعال... ولما غضب سيدنا عمر رضي الله عنه عندما قال له رجل: إنك لا تقضي بالعدل ولا تقضي بالحق، قال بعض الحاضرين: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وهذا من الجاهلين، فقال سيدنا عمر رضي الله عنه: صدقت، وذهب عنه الغضب، فالتذكر الدائم لمعاني الأخلاق وتذكر الأساس الذي قامت عليه وهو الإيمان بالله تعالى، وإن الالتزام بمقتضى الأخلاق من ثمرات الإيمان ومن معاني الإسلام،

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، المقدمة، باب (النهي عن كل ما سمع): ٩/١ برقم (١٤).

(٢) سورة الفرقان، من الآية ٦٣.

(٣) التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم: إبراهيم بن عبد الله المطلق، ص ٩٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٩٩.



كل هذا يجعل سلوك المسلم في حدود الأخلاق الإسلامية^(١).

لا شك أن كل داعية إلى الله تعالى تعرض للجاهلين واذاهم، وهنا نذكر لا بد للدعاة إلى الله تعالى أن يعاملوا الناس بأخلاق الإسلام لا بأخلاق المعرضين الجاهلين، وأن ينظروا للناس من منظور الرحمة التي يحملونها في قلوبهم والتي بها الهداية والفلاح، وأن يعرضوا عن الجاهلين ويصبروا على أذاهم؛ لأن الدعاة ينظرون من المقام الرفيع والمستوى الشمولي تجاه الجاهلين، لذلك ينبغي أن يتحلوا بالصبر على أذى الجاهلين ولا يغضبوا منهم ويعيدوا الكرة معهم، وقد بين رسولنا الكريم ﷺ هذا المنهج الرباني ورتب عليه أجراً كبيراً، قال ﷺ: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)^(٢).

ليس العجب من صدور الجاهلين -فهذا قد واجهه كل الدعاة إلى الله تعالى- بل العجب من عدم الصبر عليهم والانقطاع عنهم، وهذه ليست من أخلاق الدعاة، فإن الداعي لا بد أن يكون حليماً صبوراً لما يحصل له من الأذى، فإن لم يحلم ويصبر كان "ما يفسد أكثر مما يصلح"، وقد كان ﷺ يخالط الناس ويصبر على أذاهم ويعيد الكرة معهم ويدعو لهم بالهداية والصلاح والشواهد على ذلك في السيرة النبوية الشريفة أكثر من أن تحصى^(٣).

ثالثاً: عدم اللعب بمشاعر العامة واضاعة جهدهم تجاه قضية معينة:

يجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يتخلقوا بهذا الخلق، ويتبعوا عن اللعب بمشاعر الناس وتضييع جهدهم؛ لأن هذا يفقداهم الصدق تجاه المدعويين وبالتالي سيؤثر ذلك سلباً على الدين، ويجب عليهم أن يقوموا بالحوار والاقناع بعيداً عن تزييف الحقائق وإضلال الجماهير التابعة لهم والمؤمنة بمصادقية دعوتهم، وابتعادهم عن الاستمالة والإغراء القائمين على اساس الكذب والغش والخداع.

رابعاً: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

لقد حث ديننا الحنيف على تبليغ العلم وجواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدم (... فرب مبلغ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)^(٤)، ومن هذا المنطلق علمنا رسولنا الكريم ﷺ مبدأ المسؤولية في الخطاب الديني، فقد أمره الله تعالى بتبليغ الرسالة للناس جميعاً،

(١) أصول الدعوة: الدكتور عبد الكريم زيدان، ص ٩٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤٣/٢ برقم (٥٠٢٢) وقال الشيخ الأرنؤوط: (إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين).

(٣) ينظر: أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، ص ٤٨٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب (الخطبة أيام منى): ٢ / ٦٢٠ برقم (١٦٥٤).



ومحاجة المكذابين والكفار ومخاطبة عقولهم، وبالرغم من ذلك فإنَّ الله تعالى لم يترك لرسوله الكريم -وهو النموذج الأول لرجل الاتصال- حرية القول على الإطلاق بل حدد له منها حداً للقول وللاتصال، وأوجب عليه أن يعتمد في اتصاله بالناس على الحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلة الناس بالحسنى، وأن لا يسب الذين يدعون من دون الله، وأن يقول لهم حسناً، هذه الحدود لحرية القول والمسؤولية في الخطاب الديني علمها الرسول ﷺ صحابته وحملهم إياها كما علمهم الصلاة، والحج والزكاة وبقية شعائر الدين الحنيف^(١).

إنَّ الإسلام بالرغم من أنه دعوة للناس جميعاً إلا أن سنن الله تعالى وقوانينه في الكون ثابتة لن تتبدل، لذا يبقى الخلاف والاختلاف والتمايز في الدين قائماً بين البشر، فلن يجتمع الناس على دين واحد، وملة واحدة إلا أن يشاء الله تعالى، ومن ثمة فليس هناك ما يدعو الإنسان أن يُكره أخاه على الدخول في دينه، ومن يحب النجاة لأخيه ويتمنى أن يقاسمه نعيم الجنة فأولى له أن يسلك لهدايته طريق الحكمة والموعظة الحسنة لا طريق الحرب والسيف والعنف والإكراه^(٢)؛ لأن الحكمة إن اقترنت بالدعوة فإنها تقوي الأمل واليقين، وترتفع بالناس إلى مستوى الشعور بالمسؤولية والتكليف، فمتى ما تأكد في الناس هذا الشعور فسوف تتغير طباعهم وتعتدل مسالكهم ويسلم توجيههم تجاه هذا الدين الحنيف، فحق على الداعي إلى الله أن يعمل على إيقاظ هذا الشعور في المدعوين^(٣).

إنَّ التحلي بهذا الخلق العظيم له أثره في حياة الناس ومعتقداتهم، فهو يعود على الأفراد والأمم بالنفع العام، ويؤدي إلى زرع الثقة في النفوس وتعزيز رابطة الحب والاحترام والتعاون والإخاء بين الأفراد والجماعات بشتى صنوفهم وقومياتهم وأعراقهم، وبذلك تتوحد الأمة ويتم القضاء على القبلية والنعرات الشخصية والمذهبية، وهذا كله يصب في صالح النظام الإسلامي الذي نحن بأمس الحاجة إليه اليوم.

خامساً: تقبل الرأي والرأي الآخر: لا بد للداعية المسلم أن يتحلى بالصبر ويتقبل آراء المخالفين برحابة صدر، وحكمة، ولا يتسرع في الحكم على المخالفين بل عليه احتوائهم وتقبل آرائهم فذلك أدعى لكسب ودهم وجذبهم للدين الاسلامي الحنيف.

(١) ينظر: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ: سعيد بن علي ثابت، مصدر سابق ص ٨٠.

(٢) ينظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام: سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، ٢/٢٢١.

(٣) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة: د صالح بن عبد الله بن حميد، ص ٤.



المبحث الثاني: خصائص الخطاب الديني ومهدداته.

المقصود الأول: خصائص الخطاب الديني

للخطاب الديني خائص ومميزات كثيرة ومن أهمها:

١- العالمية والشمولية: إنَّ أهم ما يميز الخطاب الاسلامي هو أنَّ رسالته جاءت للناس جميعاً، فهو ليس لفرد بعينه، أو أمة بعينها بل هو للناس جميعاً، كما أنَّ منهجه شمولي ومتكامل - فهو عمل وعقيدة وعاطفة وحب واهتمام واعمار - فهو ليس رسالة لاهوتية تنحصر في المساجد فحسب بل هو رسالة شاملة للحياة كلها دينياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وتربوياً، فهو شامل "للمنهج والزمان والمكان والانسان" وفيه دقائق الحياة وتفصيلاتها، فهو يمزج بين امور الدين والحياة ليتماشى ذلك مع الواقع الحياتي للناس أراد الله سبحانه وتعالى ان يفي بحاجات الناس وينظم لهم حياتهم على وفق القواعد الكلية والاصول العامة، أما الجزئيات والدقائق فقد تركها لاجتهادات الناس حسب حاجات عصرهم.

لم نسهب في تبين هذه الخصيصة وذكرناها على عجلة من الأمر ؛ لأنَّ هذه المسألة من مسلمات ديننا الحنيف، ومشتهرة عند المسلمين، ومنتشرة في مؤلفاتهم، فقلَّما نجد كتاباً أو مؤلفاً في هذا الفن يغفل عن ذكر هذه المسألة ويفصل القول فيها.

٢- الاهتمام بهضة الانسان: يؤكد الخطاب الاسلامي الاعتدالي على النهضة العلمية والثقافية للإنسان ؛ لأنها تعيد للإسلام شبابه وازدهاره، فيرى المسلمون فيها طريق العز والمجد والكرامة، فالثقافة الإسلامية هي النواة لاستقرار المجتمعات والأمة، وأن أي انحراف فيها يؤدي لفساد المجتمع وهلاكه. وقد أحسن القائل (١):

كل شعب قام يبنى نهضة ** وأرى ببنائكم منقسماً

في قديم الدهر كنتم أمة ** لهف نفسي كيف صرتم أمما

والناظر في حالنا اليوم يجد كثيراً منا ابتعد عن منهج سلفنا الصالح، فمن يتتبع حالهم يجد أنَّ زمام القيادة الإسلامية كانت بيد صناديد الرجال الذين كان كل فرد منهم مكرمة جليلة للنبي محمد ﷺ فكانوا على قدر من الإيمان والعقيدة والعمل والخلق والتربية والتهديب وتركبة النفس وسمو السيرة والاعتدال، فقد صاغهم النبي ﷺ بسياسته الحكيمة، وخطاباته المعتدلة صوغاً، وصبهم في قالب الإسلام صباً، فعادوا لا يشبهون أنفسهم إلا في الأجسام لا في الميول والنزعات، والرغبات والأهواء، ومن يتفحص سيرتهم وأخلاقهم لم يجد عليهم مأخذاً جاهلياً ينافي روح الإسلام والنفسية الإسلامية، ولو تمثل الإسلام بشراً لما زاد على أن يكون كأحدهم، وكانوا أقيسة تامة للدين والدنيا والجمع بينهما، فكانوا أئمة يصلون بالناس، وقضاة يفصلون قضاياهم،

(١) ينظر: المستشرقون في الميزان: لأبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملاء



ويحكمون بينهم بالعدل والعلم، ويخاطبونهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمانة لأموال المسلمين وخزنتهم، وقادة للجيش، وأمراء لإدارة البلاد، وكان أحدهم تقياً زاهداً وبطلاً مجاهداً، وقاضياً فهِماً، وفقياً مجتهداً وأميراً حازماً وسياسياً محنكاً، فالدين والسياسة كانا يتمثلان في شخص الخليفة^(١).

إنَّ الإسلام نهضة عامة شاملة، والخطاب الديني الاعتدالي عماد هذه النهضة وأداة فعالة من أدواتها، وكانت هذه النهضة دينية في روحها وأساسها، وقد أضاع ظلماتها الخطاب المعتدل وبدد غياهب الجهالة فيها، وأدى رسالته الأولى في إصلاح المجتمع البشري، وتحقيق أسباب السعادة والاستقرار له في حياته، وقد بين كل ما به صلاح أمور البشرية في العقيدة والتشريع والمعاملات والاجتماع والأخلاق والفكر والحكم والسياسة، ولم يدع مجتمعا إلا حض عليه، وأقام من شأنه، وطلب فيه من القول ما هو ضروري له، كخطبة الجمعة والعديد وموقف عرفات وغيرها، ولذلك كان صاحب هذه الدعوة يمثل الإمام الهادي، والفيلسوف المشرع، والحاكم العادل، والزعيم السياسي، والقائد الحربي، والمصلح الاجتماعي، والرائد الفكري، وكذلك كان خلفاؤه من بعده^(٢).

إن الخطاب الديني يدخل في جميع ميادين حياتنا، وغرضه الأساس رفع راية الإسلام خفاقة في سماء الحق، وإقامة عمود الدين وترسيخ العقيدة الصافية في النفوس، والدعوة إلى الرحمة والتسامح، وتبيين معالم الحلال والحرام، والوعظ والإرشاد والحث على مكارم الأخلاق وغيرها من الأمور التي جاء بها الإسلام وحث عليها كونها اللبنة الأساس في استقرار الأفراد والجماعات.

وبناءً على ما تقدم فد(إعادة هذه الثقافة إلى إيجابياتها، هي السبب في نهضة الأمة كجماعة، وكأفراد، وهي السبب بعد ذلك في دفع الاستعمار، وفي محو الظلم والإهانة البشرية، اللذين تقوم عليهما سلطته المستعمرة في البلاد الإسلامية)^(٣).

٣- فقه التجديد ومواكبة الاحداث والازمان: إنَّ التجديد ليس معناه الانحلال من أخلاقيات الدين وثوابته، وقيمه وسلوكياته، فليس هو العقل الذي يعشق الخرافة ويقدها بل هو عقل يرفضها وقلب ينبذها ؛ كونه يقوم على أساسيات الدين لا على: (تلاعب أعداء الإسلام وأجراؤهم بعبارات التقدمية والرجعية، والتمدن والتخلف، والسبق الحضاري والبدائية، والتطور الجمود، ونحو ذلك من عبارات، فيضعونها في غير مواضعها، أخذوا يطلقون على كل فضيلة خلقية، وكمال أدبي، ومعاملة شريفة، واستمساك بالدين وبالعادات الحسنة، عبارات الرجعية

(١) ينظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي (ت ١٤٢٠هـ)، ص ١١٩.

(٢) ينظر: الخطابة الإسلامية: عبد العاطي محمد شليبي، عبد المعطي عبد المقصود، ص ٣١.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي (ت ١٤٠٢هـ)، ص ١٣٨.



والتخلف والبدائية والجمود، لتغيير المسلمين منها، وتضليلهم، وصرفهم عن الحق الذي هم عليه. ويطلقون على الرذائل الخلقية والسلوكية، وعلى التحلل من كل كمال أدبي، وعادة حسنة، وعمل ديني، عبارات النقدية، والتمدن، ومقتضيات الحضارة، ومقتضيات التطور، ونحو ذلك من عبارات، لتبرير هذه القبائح، والتشجيع عليها، وتحبيب الأجيال الناشئة بها، التي تستهويها مغريات التجديد، وتستدرجها بوارق الطموح^(١).

وبهذه الحيل الخطيرة والدعوات الكاذبة استطاع أعداء الإسلام أن يجعلوا أبنائنا وبناتنا يقفون في مقدمة جيوش الغزاة الذين يعملون على هدم عرى الإسلام، واضعاف وحدتنا الإسلامية، واستغلال طاقاتنا وثرواتنا للتسلط على ديننا وبلادنا، لذلك فالواجب على العلماء العاملين، والدعاة المخلصين، والمفكرين الملمهين أن يعيدوا النظر في قضايا الخطاب الاسلامي ويواكبوا القضايا المتجددة في كل زمان ومكان ؛ ليكون المسلمون على بينة من الأمر ولا يندفعوا ببريق الحضارة الغربية وبهرجها الزائف.

٤- التركيز على الجواهر وتهذيب المظاهر: من خصائص الخطاب الاسلامي الاعتدالي أنه يركز على المسائل الجوهرية الكلية والتي هي أساس الاسلام، أما المظاهر الجزئية فيعمل على تنشيط فاعليتها، وتنقيتها وتهذيبها مما يصيبها من شوائب الفهم الخاطئ لها .

وتزداد فاعلية الخطاب في نفوس السامعين إذا قرن موضوعها بشيء من الواقع الذي يعيشونه فيستخدم الأحداث التي تقع وسيلة لإيصال الحقائق التي يريدها، لذلك فمن فقه الاختيار التركيز على أساسيات الدين وقضاياه الكلية، وعدم تهويل الجزئيات على حساب الكليات، وكذلك كانت خُطْبُهُ ﷺ تقرر أصول الدين من الإيمان بالله ولقائه، وملائكته، وكتبه، ورسله، وذكر الجنة والنار وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً ومعرفة بالله وأيامه، فخطبته ﷺ ليست كخطب غيره التي تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق، كالنوح على الحياة والتخويف بالموت، فإنّ هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلي التراب أجسادهم، وبناءً على ذلك لا ندعي التركيز على الكليات وإهمال الجزئيات بل على العكس من ذلك فبعض الجزئيات أو الفروع التي قد يرى الخطيب وجوب بيانها للناس، إلا أنه لابد من التأكيد على ربط تلك الجزئية بالكليات العامة، وهذا الربط له أثره في بيان حكم الأمر والنهي والحض على الالتزام بالأمر، واجتناب النهي، وإذا جعل الخطيب مدخله إلى الجزئيات أموراً كلية كان ذلك أدعى لقبول القول، وأكثر استقراراً لنفوس الأفراد^(٢).

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني (ت ١٤٢٥هـ)، ص ٣٠١.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ٤٠٩/١، وموضوعات خطبة الجمعة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٤-٥٥.



ومن يتأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه رضي الله عنهم أجمعين الوسطية يجدها كفيلاً ببيان التوحيد والهدى، وتهذيب الجزئيات وربطها بالكلية العامة وعدم تركها سائبة من غير أصل؛ لأن هذا من شأنه أن يفتح الباب لكل من هب ودب للتلاعب بالدين على وفق الهوى والنفس، وبذلك ينعدم الأمن، وتعم الفوضى، وينهدم الاستقرار المجتمعي كما يحدث في زماننا اليوم إذ أصبح الكل مفتي زمانه وإمام عصره وصار الدين بضاعة رائجة بين السوق وغيرهم، ورجعنا القهقري بعد أن كنا قادة العالم وإساسة نهضته، وكنا ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في التنظيم، لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضماير، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب وتزاج بين هذه وتلك. فلا تكل الناس إلى وسط السلطان، ولا تكلمهم كذلك إلى وحي الوجدان، ولكن مزاج من هذا وذاك. ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في الارتباطات والعلاقات لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تتلاشى شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً، لا هم له إلا ذاته.. إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه، ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة، وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة، والجماعة كافلة للفرد، في تناسق، واتساق^(١).

المقصود الثاني: مهددات الخطاب الديني

إن اكتشاف عناصر الخطر في الخطاب الديني، وتوظيفات الاعلام لمضامينه، وتوصيف المشكلة، وإبراز مخاطرها، والتنبيه من تداعيات مظاهرها يعد الأساس في كيفية رسم صياغات جديدة للخطاب الديني، في مجتمع متعدد الطوائف والاعراق. وقد يواجه الخطاب الديني بعض العقبات التي تعرقل مسيرته التي جاء من أجلها ومن أهم تلك المهددات ما يأتي:

١- الغلو في المسائل الدينية والسياسية: وقد حددنا الغلو بهاتين المسألتين (الدينية والسياسية) كونهما الموجه والمقرر الرئيس لحياة الناس، وصمام الأمان للأفراد والمجتمعات، لذا يعد الغلو في المسائل الدينية والسياسية نذير شؤم للمجتمعات، فهو داء عضال يصيب المجتمعات فيحدث خلا في العقيدة، وانحرافاً في المفاهيم وبالتالي اضطراباً في الحياة وهلاكاً للشعوب والأمم ولا يمكن أن يسلم منه حتى الطفل الرضيع، لذلك حذر الله سبحانه وتعالى منه في كتابه العزيز في مواطن عدة قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(٢). وهذا الخطاب تحذير لأهل الكتاب، فهو يشملهم ويشمل كل من اتخذ الغلو منهجاً في حياته، وقال

(١) الحضارة الإسلامية: أحمد عبد الرحيم السايح، بحث منشور (٣٤) مج ١، ص ٧٤.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ١٧١.



تعالى أيضاً مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فَاسْتَفْتِمُ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْمَؤُنْ لَهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرَةً﴾^(١)، وقد حذر النبي ﷺ من الغلو في الدين، فعن ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ قال: (...إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(٢).

إن هناك كثير من المسائل التي لبست ثوب الدين ولكن دافعها سياسي بحت، لذا فمن أهم المشكلات التي تواجه الدعاة في زماننا مشكلة الغلو في الدين والسياسة، والانحراف عن المنهج الاعتدالي، فبعض الشباب ولا سيما من نقل معرفتهم بالأحكام الشرعية تدفعهم حماسهم ورغبتهم في خدمة الإسلام إلى الانضمام لأية جماعة تعلن أنها تقوم بواجب الدعوة إلى الله، فيقبل هؤلاء الشباب أحياناً على هذه الجماعات دون أن يتبينوا حقيقة أهدافها، ودون أن يكون لديهم معرفة كاملة بصلاح من يوجهون أمورهم، ومدى عدالتهم وصدقهم، وقد دلت المشاهدة والتجارب في العديد من البلاد الإسلامية على وجود أهداف سياسية ومذهبية خفية منحرفة وراء ممارسة بعض المناشط الدعوية، والتي تدعو للخروج على المسلك الصحيح الذي يجب أن يسلكه المسلم تجاه ربه ودينه ومجتمعه وإخوته^(٣).

لا يخفى على من يراقب الوضع الراهن من تصاعد حدة مستويات الغلو والتطرف السياسي لبعض الأحزاب السياسية، وتزداد هذه الحدة أيام الانتخابات فلا يهدأ للساسة بال حتى حصولهم على بطاقة دخول المشهد السياسي حتى لو كان ذلك على حساب الدخول في عالم الجريمة، فهذا الانتشار الواسع للغلو السياسي هو أحد أمارات تآكل العقد الاجتماعي وانحطاط الامم وأقول العمران، كما أنّ انتشار الغلو في الدين أحد أمارات الخروج على إجماع الأمة، وتكفير المجتمع برمته استناداً إلى أدلة مغلوطة وتأويلات خاطئة ليست من الإسلام في شيء، وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل تجاوزوه إلى استحلال دماء مخالفينهم من رجال الأمن والقيادات الدينية والاجتماعية التي تتاهض فكرهم المريض، فديننا الحنيف له أحكامه الواضحة والقاطعة في حفظ الأمن، ولزوم الاستقرار، وعدم الاعتداء على حقوق الناس، ولذا فقد أصبح لزماً على الدعاة والمخلصين أن يقوموا بمهمة الخطاب الاسلامي الاعتدالي؛ لأنه يحث الناس نحو اتباع أحكام الشرع، وعدم الغلو في فهمها، واتخاذها وسيلة للخروج على الجماعة، بزعم إصلاح الراعي أو الرعية، فواجب الدعاة والخطباء اليوم هو تبصير المسلمين بواجبهم نحو المجتمع الذي يعيشون فيه، ومسئوليتهم أمام الله عن حفظ أمنه، وعدم إشاعة الاضطراب فيه، تحت ستار الغلو

(١) سورة هود، الآية ١١٢.

(٢) أخرجه الامام احمد في مسنده، ٣٤٧/١ برقم (٣٢٤٨) وقال الشيخ الارنؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير زياد بن الحصين فمن رجال مسلم).

(٣) ينظر: الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله: عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، ص ١٢١-١٢٢.



في الدين والتطرف في فهم أحكامه، وإساءة تأويل ما أنزل الله على رسوله.

٢- الجهل والانغلاق: يعد الجهل والانغلاق من أعظم أسباب انحراف المجتمعات عن المنهج الرباني، فهما داء عضال وطريق موصل للضلالة والنتية وعدم الاستقرار، ففي الحديث عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)^(١)، وقد بين الإمام النووي رحمه الله معنى هذا الحديث قائلاً: (هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه: أن يموت حملته، ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالاتهم فيضلون)^(٢)، فمتى ما انتشر الجهل ضل الناس وأضلوا، لذلك كان النبي ﷺ يحذر من انتشار الجهل ويأمر بإظهار العلم والتحذير من كتمانها، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»^(٣)؛ لأن في كتم العلم ضرر على المسلمين من انتشار الجهل والأمية، أما إظهاره من خلال الحوار المنهجي فيساعد على ظهور العلم ونشره بين الناس؛ لأن الهدف الأسمى هو الحق والوصول إليه، فيسعى الجميع بعد ذلك إلى تعلم ذلك الحق وتعليمه، فينتشر بذلك العلم ويظهر، وخير دليل على ذلك حوارات مصعب بن عمير رضي الله عنه ظهر العلم في المدينة حتى دخل أكثر دُورها، فعندما نجح في حوار مع أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنه وأسلما، بدأوا في إظهار هذا الدين ونشره في المدينة وتعليم الناس أمور دينهم حتى عمَّ الأمن والاستقرار في المجتمع المدني^(٤).

٣- الاغترار بالنفس: يشكل الاغترار بالنفس عقبة في طريق الدعاة إلى الله ﷺ لطريق الوسطية والاعتدال، وسبب ذلك هو عجب الإنسان بنفسه لعلمه أو ماله أو جاهه أو حسبه أو نسبه أو سلطانه، وغير ذلك مما يدعو إلى الاغترار بالنفس، فيؤدي به ذلك إلى استعظام نفسه، ورؤية قدره فوق أقدار الناس، فيحتقرهم ويزدريهم، ناسياً هذا المغتر أن الله تعالى هو المنعم بهذه الأشياء وأن لو شاء لسلبها منه^(٥).

(١) أخرجه الامام البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب (كيف يقبض العلم): ١/ ٥٠ برقم (١٠٠).

(٢) سلوة العارفين: للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ص ١٤٧.

(٣) أخرجه الامام ابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، باب (بَابُ الرَّجْرِ عَنْ كِتَابَةِ الْمَرْءِ السُّنَنَ مَخَافَةَ أَنْ يَنْكَلِ عَلَيْهَا دُونَ الْحِفْظِ لَهَا) ٢٩٨/١ برقم (٩٦) وقال الشيخ شعيب الأريؤوط: (إسناده حسن في الشواهد).

(٤) أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه وتطبيقاته التربوية: عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، ص ٩٢.

(٥) ينظر: اصول الدعوة: عبدالكريم زيدان، ص ٣٦٠.



إنَّ المجتمع الذي يسعى للاعتدال في خطابه فلا بد أن يتسم ابنائه بالإخلاص، والتوبة، والصبر، والصدق، والأمانة ومراقبة الله في كل أحواله وعلاقاته، واليقين بالله، والتوكل عليه، والاستقامة والمجاهدة، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، وستر عورات المسلمين، والتخلي عن البخل والشح، والتواضع، وخفض الجناح، وهدم التكبر، وحسن الخلق والحلم والأناة، والرفق والعفو والإعراض عن الجاهلين، وحفظ السر والوفاء بالعهد وطلاقة الوجه عند اللقاء ومساعدة الفقراء والمساكين وغيرها، وإن كان الحال كذلك فلا بد وأن يكون تتميز الأمة بالأفضلية؛ كونها تحقق التكافل، والتكامل، والتعاون، والخلو من المشكلات الاجتماعية والانحرافات بشتى أنواعها^(١).

لقد وجهنا البارئ جل جلاله إلى ضرورة تقوية أواصر المحبة والعلاقات الاجتماعية مع الآخرين بعيداً عن الاعتزاز بالنفس والتكبر، فلمن خلت نفسه عن الكبر والعلو فجعل له جزاء الجنة قال تعالى: ﴿لَكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

٤- تقديس الاشخاص دون المبادئ: مما يعيق حركة الدعوة الاسلامية ويعرقل مسيرتها هو الاعتقاد بقسوة الاشخاص دون المبادئ والأصول العامة، وقد ابتليت مجتمعاتنا اليوم بهذا الداء العضال، فما ان يسطع نجم عالم في تخصص ما ولا سيما في العلوم الشرعية حتى يتبادر البعض بوضع هالة القدسية له، فيجعلون ما يقوله ويفعله ثابت لا يقبل النقاش والجدال وان اي نقد حتى لو كان بناءً تجاه ذلك العالم فهو غير مقبول، بل ربما يفرضي عندهم للدخول في الاتم الموجب للنار، وليتهم اقتصروا على تأثيم المخالفين بل تعدوا إلى أبعد من ذلك فجعلوها حرباً ضرورياً سواء أكان بالحديد والنار أم باللسان والقلم ضد من يحاول نقد ذلك العالم وتصحيح الاخطاء التي يقع فيها، وهذا الأمر يعد مصنعاً لانتشار الجهل والتخلف وتعطيل مسيرة الحياة، وهدماً لأمن المجتمعات واستقرارها، فبه تتغلق العقول، وتحجب الآفاق وينتشر التعصب، ويختفي الإبداع الذاتي، ويعم الجمود والتخلف، وينقلب التقديس من التقدير المحمود إلى التآليه المذموم، وبذلك يتوقف النمو وتبدأ مرحلة الجفاف والتبؤ في المجتمعات، لذا فلا بد للأجيال القادمة أن تعي أن تقديس الاشخاص مرض ينخر جسد الامة ويحتاج الى علاج يصحح المسار بعيداً عن التعصب والنقد المذموم والتجريح والتشهير، ويكون ذلك من خلال النقد البناء وهذا ليس فيه منقصة للعلماء على العكس فهناك فرق بين تقدير العلماء وتوقيرهم وبين اصفاء القدسية عليهم فالكل خطأ ولا يوجد شخص فوق الخطأ والنقد سوى الانبياء المعصومين، وهذا ما قرره السابقون من علماء الأمة وجهابذتها.

أما آن الاوان لدعاة الخطاب الإسلامي لترسيخ مفهوم تقديس المبادئ والاصول الثابتة

(١) بناء المجتمع الإسلامي: د. نبيل السمالوطي، ص ٣٧.

(٢) سورة القصص، الآية ٨٣.



على الاشخاص، ويفهم المجتمع ان لا احد فوق النقد لتقويم الخطأ والخل؛ (لأن تعظيم فرد من أفراد الأمة وحصر الحقيقة فيما يقول أو يكتب من أسباب تخلف الأمة وواحد من الطرق المؤدية إلى السقوط، لأن أصالة النقص البشري أرسخ من احتكار المعرفة المطلقة التي تنتج عن تقديس الأشخاص مهما كانت مستوياتهم العلمية والفكرية، وإذا بالغت أية أمة في تعظيم فرد واحد من سالف علمائها أو حصرت فهم الحقيقة ببضعة أفراد ممن كان لهم نصيب من التميز أو الشهرة من أبنائها وتوقفت بمعارفها عند انجازات أولئك الأفذاذ فإنها بذلك تعلن أنها تجهل أصالة النقص البشري الملازم حتى للعظماء المبدعين كما تجهل أن لكل جيل نصيبه من العظمة والإبداع وأن المعرفة الإنسانية عملية تراكمية تنمو باستمرار)^(١).

٥- التطرف في تصوير التطرف: إن التطرف ظاهرة مرضية تؤثر في المجتمعات البعيدة عن الخطاب الاعتدالي والمصابة بالأفكار المريضة، فله جذوره وايدولوجياته التي ترتبط بمجموعة متغيرات دينية أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وغيرها، لذلك أكثر ما يهدد الخطاب الديني هو التطرف من قبل العلماء والخطباء والدعاة في تصوير التطرف، وعدم الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى، إذ يعد التطرف اتخاذ الفرد موقفاً متشدداً متسمّاً بالقطيعة في استجاباته للمواقف الدينية والسياسية والاجتماعية، وعلى هذا الاساس يتحول التطرف من مجرد فكر الى سلوك ظاهري عمل سياسي أو ممارسة اجتماعية يتم استعمال العنف فيها كوسيلة لتحقيق المبادئ التي يؤمن بها الفكر المتطرف او اللجوء الى الارهاب النفسي.

لقد اصبح عالمنا العربي منتجاً للتطرف بكل انواعه، لذلك فمن واجب كل من تصدى لعلاج هذا الامر أن يتصف بالاعتدال والاتزان في حكمه، ولا يكون متطرفاً في حديثه عن التطرف وطرق علاجه، واول سمات الاعتدال هنا عدم المبالغة أو التطرف في تصوير التطرف، والتخويف منه، فهذا يلحق الضرر بالأفراد والمجتمعات ويشوه الحقائق^(٢).

(١) حصون التخلف (موانع النهوض في حوارات ومكاشفات): ابراهيم البليهي، ص ٢٣.

(٢) ينظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: للدكتور يوسف القرضاوي، ص ١٣٤ - ١٣٥، وظاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية اسبابها ووسائل علاجها: د. محمد فاروق النبهاني، ص ٢٤.

**المبحث الثالث: التأسيس للخطاب الديني المعتدل ودوره في تعزيز السلم المجتمعي.****المقصود الأول: التأسيس للخطاب الديني**

ينطلق التأسيس البنوي للخطاب الديني ومؤثراته وزمنية استخداماته وإمكانية عرضه وتقديمه بالطريقة المثلى من أسئلة مهمة، ينطبق عليها كل كلام له بعد تفاعلي مع الناس، وتتحدد عناصر الاسئلة بالآتي^(١):

- ❖ تحديد مناسبة الخطاب الديني، ومادته، والدافع اليه.
- ❖ معرفة الوقت الانسب للخطاب ونشره، وفق خطط مدروسة مسبقاً.
- ❖ تحديد الجمهور المستهدف من الخطاب الديني، ومعرفة موقعه الايجابي والسلبي بمعنى آخر تحديد المحايدين والمؤيدين والمعارضين لمضامين لبنية الخطاب الديني.
- ❖ ما الأهداف والمقاصد المرجو تحقيقها من الخطاب الديني.
- ❖ الاستراتيجيات المهيأة للخطاب الديني أزاء جماعة بعينها هل هي ثابتة أم أنها متحولة وقابلة للتغيير وفق الظروف والأحوال التي تتطلبها كل مرحلة ؟
- ومن خلال التعرف الى الاجابات التي من الممكن الحصول عليها نتيجة هذه الاسئلة الافتراضية، ننطلق الى طرح مجموعة تساؤلات محورية، في محاولة لتجديد الخطاب الديني وتقوية مناعته، وذلك من خلال مبدأ النقد والتقويم، من اجل خطاب ديني اكثر اعتدالاً، ومسؤولية في مقارنته ونشره لدقائق الأمور في اللحظات الحرجة والحالات الطارئة والظروف الاستثنائية، ومن هذه التساؤلات:
- ❖ هل يقتصر الخطاب الديني على البعد الروحي القيمي أم يتعدى الى ابعاد ومقاصد سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها؟
- ❖ هل الخطاب الديني، هو احادي الاتجاه ام انه يقدم انفتاحات حوارية تجاه الآخرين؟
- ❖ من المسؤول عن التوظيف السياسي للخطاب الديني؟
- ❖ لمن يتوجه الخطاب الديني، هل يتوجه لجمهور المشايخين أم لجمهور العامة؟
- ❖ ما الفرق بين الخطاب الديني والخطبة ؟
- ❖ هل من شأن الخطاب الديني أن يحمل بين طياته عبارات من شأنها أن تخلق التباسات حادة

❖ في تفسيرها تجاه الآخرين؟.

وتكون خلاصة الاجابات عن هذه التساؤلات: إنّ المجتمعات ذات التعددية والتنوعات الحضارية والدينية تكون في الغالب من الاوقات محكومة بنوعين من الخطاب الديني:

(١) ينظر: الاعلام والخطاب الديني: مقال للدكتور. جورج كلاس،



أحدهما: الخطاب في الظروف الاعتيادية ويتفرع عنه خطاب المداراة الذي يتناول العلاقات مع الآخرين ويحرص على اظهار الجانب الانساني والاهتمام بهم من أجل ضمان دخولهم في ديننا الحنيف، وثانيهما: خطاب الظروف الاستثنائية والذي يحمل بظواهره ومستوراته مواقف رافضة وعدائية مع الآخر، وهذا محكوم بمعرفة ظروف النشأة واسبابها، وفي كلا الحالتين يجب خلق التوازن الفكري والتدقيق في مكونات الخطاب قبل نشره للناس، كي لا يكون الخطيب متبنياً لمواقف مسبقة ربما تخالف ما يعتقد، وبذلك يساهم بتعميم المخاطر ونشرها بسبب أو من دونه.

لذلك فإن الأمر الأكثر أهمية هو: كيفية تأسيس خطاب ديني ايجابي في مجتمع دائم التعارض والخلاف؟ وهل من المعقول أن يوصلنا تعايش الاديان والطوائف إلى صياغة خطاب ديني توحيدي شامل؟

والجواب عن المفصلين السابقين بالآتي^(١):

• في كل الاحوال التي تم فيها قياس تأثيرات الخطاب الديني على المجتمعات في حالات الذروة من الخلافات يبقى الشعور بحب الوطن، وبقيمة الانتماء بقضايا المصيرية والتعاليم الدينية أمراً لا يمكن الاستغناء عنه، وتوظيف ذلك في خدمة الدين الحنيف للخروج من شرك المأزق الذي تعيشه الأمة اليوم.

• يؤسس التعاطي الحواري الانفتاحي للخطاب الديني لعملية تبديل بعض الشعارات التقليدية، بحيث يستعيد الدعاة والخطباء والوعاظ زمام الامساك بقيادة الكلام وتوجيهه، وبذلك ننقل من مرحلة " قبول الآخر" الى حالة جديدة وضرورية هي: " العمل لتفهم الآخر، وملاقاته الى منتصف الطريق بل والذهاب اليه إن اضطر الأمر" ؛ وذلك لخلق مناخات حوارية هادفة معتدلة، والتأسيس لتلاقات هادئة، بعيداً عن واقع التشنجات المأزومة والمحكومة بظروف استثنائية سواء كانت تلك الظروف سياسية أم اقتصادية أم غيرها.

• بالرغم من التمايزات الطرفية التي تحكم الاحوال السياسية يجب على المتصدرين للخطاب الديني أن يعملوا بجهد ومسؤولية لتظهير جوانب الاعتدال في مضمون النص الديني وتحليل ابعاده، من دون التسرع بتقديم قراءات تحليلية خاطئة ذات ارتدادات عكسية تؤثر سلباً على أهل الخطاب الديني، والمجتمع .

• الحرص على اظهار ايجابيات النص الخطابي الديني، من خلال بعض الحوارات النقاشية مع بعض علماء الدين والدعاة والخطباء والوعاظ، ولا سيما أولئك الذين اجمعوا على ضرورة التقييم المستدام للخطاب الديني وضرورة الانتقال من (الكفاءة الى الفعالية) بحيث تكون

(١) ينظر: الاعلام والخطاب الديني: مقال للدكتور. جورج كلاس،



الرصانة في الكلام، والرغبة بتقديم الايجابيات على السلبيات هي الضوابط المفروض التقيد بها في انتاج الخطاب الديني.

• تتم عملية مقارنة مضامين الخطاب الديني في وسائل الاعلام، وتحليله على وقع دقة الظرف وخطورة المرحلة التي تعيشها البلاد، في حالة اختلال الوزن واضمحلال القيم، وعدم الالتزام بأخلاقيات الاعلام والشرع الناطمة له، وعلى هذا الاساس تتحدد مسؤولية الوسيلة الاعلامية، من حيث انها الاداة التي تسوق الكلام وتنتشره، إذ يكون الإعلام حارساً للسلم الاهلي، ومساهماً أساسياً في محاربة الفتن المذهبية وعصبية البغض والكراهية.

المقصد الثاني

دور الخطاب الديني في تعزيز السلم المجتمعي.

الخطاب الديني له دور كبير في تعزيز السلم المجتمعي وتحقيقه، ومن أهم ما يقوم به الخطاب الديني المعتدل ما يأتي:

١- المساهمة في تهدئة الأزمات التي تعصف بالأمة:

تصاب الأمم في بعض أدوارها الحياتية بكوارج ونكبات تخلف لها انتكاسات كبرى على أوضاعها العامة، وما يعتري الأمم في بنيتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والخلقية إثر هزيمتها في أي معركة من معاركها يُشبه إلى حد كبير ما يعتري الجسم الإنساني في أجهزته المختلفة إثر مرض عضال، وتختلف الأمم كما تختلف الأجسام في القدرة على تحمل ما يلزم العارض الجديد من تغير، وفي التغلب على ما يرافقه من متاعب وآلام، كما تختلف أخيراً في القوة الذاتية ومدى استعدادها لقبول المرض أو رفضه والخلص منه، من أجل هذا يلجأ الأطباء في معالجة مرضاهم إلى غرس روح الأمل في المريض حتى لا ييأس من الشفاء، ولعل الأمر في علاج الأمم لا يختلف كثيراً عن علاج الأفراد بطرقه ووسائله، ولكن أخطر ما يقع في الأمر أن يخطئ الطبيب في تشخيص المرض؛ لنقص في علمه أو تجربته، أو لالتباس الأعراض عليه بسبب تشابهها ودقة الفروق بينها، ولا يختلف الحال في علاج الأمة والمجتمعات، فالناظر لأحوال كثير من الأمم في الماضي والحاضر يتبين له انطباق هذا المثل على الأوضاع التي تحل بها إثر الانتكاسات التي تحصل لها، فما تزال تعصف بالإنسانية اليوم رياح الشر، ويخيم عليها نذر الفناء، وتهددها أشباح الحرب المدمرة التي تحرق الأخضر واليابس وتقضي على الأمن والرخاء والسلام، وتتسف ما بناه الإنسان في تقدمه، ولا عاصم لها من كل هذه المحن المقبلة، والأزمات المستعصية إلا بالعودة الكاملة الواعية الصادقة إلى الخطاب الاعتدالي وجمي العقيدة الوسطية المعتدلة الحقبة، فبهما تحسم الأدواء، وتحل المشكلات، وتقضي على الأزمات، وتشيع روح الخير والطمأنينة والسلام، وما لم تبّن حياة الإنسان في هذه الأرض على أسسٍ من منهج هذه العقيدة التي توازن بين مطالب الجسم والروح، وحاجات الفرد والمجتمع، وتفصل بين



الحق والباطل، والفضائل والردائل؛ فلن ينحسم الصراع بين قوى الخير والشر، ولن تجد سفينة الحياة سبيلها إلى شاطئ السلامة، وملاذ الطمأنينة وأفق الرحمة والعدل، والتسامح والمساواة^(١).

إنَّ النصر الحقيقي للخطاب الديني المعتدل هو في الثبات على الدين ولا سيما في أوقات الفتن والأزمات التي تعصف بالأمة، وبيان سماحة الإسلام والحذر من الوقوع فريسة للحرب الإعلامية والنفسية الضخمة التي تدور رحاها في وقتنا الحاضر.

لذا لا بد للخطاب الديني أن يتميز بنقل رسائله الصادقة على وفق الاحداث والمستجدات فور وقوعها؛ فهو الوسيلة الأساسية في وقت الأزمات، والحروب والصراعات^(٢).

ولا شك أنَّ (توافر الذهن الوقاد والعقل النير ميزة كبرى يتحلى بها الداعية حتى يستطيع أن يرجح بين الآراء المختلفة، ويحلل الأمور ويدلل على الصواب، ويرتب الأولويات ويختار الأوقات، وينتهاز الفرصة المناسبة، ويتخلص من المشكلات، ويقوى للرد على الشبهات، والتكيف مع الأزمات، وربما يلتقي الداعية بأصناف من المدعويين يحتاج الداعية معهم إلى إقامة الحجة العقلية)^(٣)، ومن المعلوم أنَّ معالجة الموضوعات تختلف باختلاف محتواها وظروفها وسامعيها، ففي بعض الظروف يحسن البسط والإطناب، ويكون السامعون مستعدين للاستماع كما هو مشاهد في الظروف الحادة والأزمات المتواترة، لذا يجب على الخطيب أن يمتلك الجاذبية وحسن العرض والإلقاء ولطف التودد والأخذ بالألباب ومجامع العقول ما يجعلهم يطلبون المكوث حول خطيبهم ويقبلون منه الإطالة^(٤).

٢- التصدي للإرهاب والتطرف:

تتبع أهمية الخطاب الديني المعتدل المناهض للتطرف؛ كون التطرف ظاهرة مَرَضِيَّة تسود فئات معينة وسط النسيج الاجتماعي في المجتمع ككل تهدد أمنه واستقراره وافراده اذا ما اطلق العنان لمثل تلك الافكار من غير كبح جماحها بالخطاب المعتدل ولاسيما عند الشباب، لذلك فالتطرف حقيقة واقعية نلمسُ تأثيرها في مجتمعاتنا المعاصرة، فهو بأشكاله المختلفة لم يأت جزافاً بل له اسبابه ودواعيه، كما أنَّ له مخاطر تؤثر سلباً على الأفراد والجماعات والمجتمعات، لذا فإنَّ معرفة أسباب التطرف وجذوره وعلاقته بالنواحي الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية تعد في غاية الاهمية؛ لتحديد نوع العلاج المناسب والتعامل معه كظاهرة تقرض نفسها في المجتمع المعاصر، ولسنا هنا بصدد بيان تلك المسائل فقد كتب عنها الكثير وأشبهت بحثاً من قبل المفكرين والعلماء والباحثين.

(١) ينظر: لمحات في الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، (ص: ٣١٠، ٣٧٠، ٣٧١).

(٢) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي: أحمد أحمد غلوش، ص ٤٠.

(٣) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم: علي محمد محمد الصلّبي، ص ٤٠٧.

(٤) ينظر: منهج في إعداد خطبة الجمعة: د صالح بن عبد الله بن حميد، ص ٢٩.



إنَّ النفحات القرآنية متمثلة بالخطاب الديني المعتدل متى ما تمكنت من القلوب وسيطرت على العقول أفضت إلى الانضباط الأخلاقي في ميادين الحياة، فلا يمكن أن توجد ظاهرة فردية أو أسرية أو اجتماعية إلا ولها آداب في شريعتنا الغراء، فلو وعاهها الانسان منذ صباه فإنه سيتأدب بها أدباً ذاتياً ويلتزم بها دون رقيب لشعوره بقدسية هذه المبادئ، ولا نجد مثل هذه القدسية للقوانين الوضعية، وهذا سبب رئيس في حب الخروج عليها وعدم الالتزام بها، ومن هنا تبدأ ظاهرة التطرف^(١).

إنَّ الخطاب الديني المعتدل الذي يتلقاه الاشخاص سواءً من الإمام والخطيب أو المعلم او ولي الامر أو الأهل له أثرٌ بالغ في استقرار الافكار والمعتقدات التي توصلهم إلى الطريق المستقيم الذي بهم صلاحهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة.

يؤدي التطرف الديني الى التعصب الاعمى والعنف الذي يقود الى سلسلة لا متناهية من الصراعات المدمرة داخل المجتمع، ويبلغ أثر التطرف الديني غايته حين يسقط في هاوية التكفير الذي يسقط عصمة الآخرين ويستبيح دماءهم، وكذلك بمصادرة حرية الآخرين من قبل الجماعات المتطرفة إذ إلزاموا الناس بما لم يلزمهم الله تعالى وفرضوا أموراً ما أنزل الله بها من سلطان، وجعلوا عبادة الله التي هي اسمى ميزة في المؤمنين واسهل ما يمكن التقرب به الى الله عسرة شديدة^(٢).

٣- التصدي للإعلام السيء وكشف المستور عنه:

لا شك أنَّ وسائل الإعلام سلاح ذو حدين، إنَّ استخدمت في جانبها الايجابي حلت الطمأنينة والأمان والسلام، وإن استخدمت في جوانبها السلبية حلت المصائب والويلات وحل الهلاك على المجتمعات^(٣).

وقد أدرك اليهود والنصارى هذه الحقيقة وما فيها من المكاسب، لذا سيطروا على الصحافة والإعلام وأخذوا ينشرون ما يوافق أهواءهم ورغباتهم، فهم المتحكمون في المسار الصحفي الإعلامي، وهم يعلمون علم اليقين بأنَّ السيطرة على الإعلام تعني السيطرة على العالم والتلاعب به، واستخدامه كوسيلة من وسائل الحرب ونشر الذعر بين صفوف المسلمين وغير

(١) ينظر: التطرف الايدلوجي من وجهة نظر الشباب الأردني (دراسة سوسيولوجية للمظاهر والعوامل) د. علاء زهير الرواشدة، ع(٦٣) مج ٣١/٦١٣، وأسباب الإرهاب والعنف والتطرف: أ. د. غانم بن صالح السدلان، ص ٦ وما بعدها.

(٢) ينظر: الصحوه الاسلاميه بين الجحود والتطرف: للدكتور يوسف القرضاوي، مصدر سابق، ص(٤١-٤٢-٥٢).

(٣) ينظر: الاعلام السيء وأثره في شبابنا المسلم: د.عبدالجبار حميد الصالح، بحث منشور(ع٣٥) لسنة ٢٠١٧م، مج ٦/٣٥٨٤.



ذلك من الأمور وقد تحقق لهم ذلك الأمر، حيث أن الكثير من وسائل الإعلام اليوم تبع للغرب، فأغلب تلك الوسائل تتجاهل قضايا المسلمين المصيرية وتركز على سفساف الأمور، حتى شاع الانقسام والفرقة بين المسلمين، كما أنه أوقظ العنصرية من مرقدها، وقد أصبحت تلك الوسائل ناطقة باسم الباطل وهاجساً له^(١).

إن بعض المؤسسات الاعلامية في بلادنا ولا سيما العراق يقع على عاتقها مسؤولية كبيرة في انتشار التطرف كونها تدعو من خلال منصاتها لخطاب الكراهية وهذا يدل على عدم التزامها بالمسؤولية الرئيسة وعدم المهنية في العمل، وهذا عائد الى عدم كفاءة ومهنية الادارات المتسيدة للمشهد الاعلامي، اذ أن دور الاعلام يجب ان يكون بنشر المحبة والفرح والسرور وكل ما يعبر عن الحياة الكريمة، وهذا لم نلمسه في بعض المؤسسات الاعلامية إذ أن لخطابها الاعلامي يناهض السلم المجتمعي، لذا يشترط سيادة الخطاب الديني المعتدل للمساهمة في الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فهو عامل مهم لوقف الاحتراب ولا سيما بين القوى السياسية المتناحرة^(٢).

هذه الصور تدل على مدى تغلغل اليهود والماسونية وغيرهم في معظم وسائل الإعلام اليوم؛ وذلك لنشر الارهاب والتطرف، والفساد والعري في مجتمعاتنا الإسلامية، من خلال ثلة ضالة تتفذ مخططاتهم^(٣).

لذلك فالعلاقة بين الاعلام والخطاب الديني علاقة وثيقة جداً من حيث أن الاعلام هو الأداة التي تسوق الكلام وتنشره، من خلال قنواته الفضائية وغيرها، إذ يساعد في نشر وتطهير الخطاب الديني وقياس أهميته وتأثيراته الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، ويساعد في كيفية التعاطي مع الواقع الاجتماعي والسياسي من خلال دور الاعلام في صناعة السلام، وتعزيز فرص انصاج الحلول في مجتمعات منقسمة، إذ أن مبادرة طرح موضوعات الخطاب الديني ودراسة تأثيراته وفاعليته تكون من خلال وسائل الاعلام ودوره في معرفة كيفية استخدام الخطاب وفنية توظيفه لخدمة اهداف سياسية او طائفية بعيداً عن المعنى الروحي والبعد الانساني لمضامين الخطاب^(٤).

(١) ينظر: التلويث الفكري والإعلامي في العالم الإسلامي: د عايد الشعراوي، دار النهضة الإسلامية، بيروت، ط ١ / ١٤٠٩ هـ: ص ١٤٠، والاعلام السيء وأثره في شبابنا المسلم: د. عبدالجبار حميد الصالح، مصدر سابق، مج ٦ / ٣٥٧٢ - ٣٥٧٣.

(٢) ينظر: دور الاعلام في تعزيز السلم الاهلي: نبراس احمد، ندوة للنقابة الوطنية للصحفيين، موقع النقابة الوطنية للصحفيين العراقيين، ٢٠ حزيران ٢٠١٦.

(٣) ينظر: الاعلام السيء وأثره في شبابنا المسلم: د. عبدالجبار حميد الصالح، مصدر سابق، مج ٦ / ٣٥٨٥.

(٤) ينظر: دور الخطاب الديني في تحقيق التغير الاجتماعي، نبراس النائلي، مقال منشور على شبكة النبا المعلوماتية. (www.m.annabaa.org.com)



٤- حماية حقوق الانسان:

تتطلق حقوق الإنسان وواجباته في ديننا الحنيف من منطلق رئيس هو الإيمان بالله وحده، وهذا الإيمان ينبغي أن يخالط حياته وأن يصاحب كل حركاته وسكناته، وذلك يستدعي أن يكون للإنسان حقوقاً في مال الله، وأرضه، وله أن يكسب معيشته في حدود ما شرع الله، فإن عليه واجبات إزاء أسرته، وواجبات إزاء مجتمعه والإنسانية قاطبة، وهذه الحقوق والواجبات نظمتها الشريعة الإسلامية فلها أبواب وينود تحكم كل دقائقها وتفصيلها^(١).

إن حقوق الإنسان مضمونة مصانة في ديننا الحنيف، ولا يمكن التعدي عليها بأي شكل من الاشكال، ومن كان وقافاً عند حدود الله تعالى يعرف أهمية حقوق الانسان في الإسلام، ومن هنا كان الخطاب الديني حارساً لحقوق الناس ومدافعاً عنهم إذ تكفل بحقوق الافراد وحماية حرياتهم، وصان دماءهم وأموالهم، فهذا رسولنا الكريم ﷺ قد بين هذا الأمر من خلال خطاباته المتعددة واعطاه بالغ الأهمية، ولم يغفل عنه سواء كان في بداية مشواره الدعوي أم في نهايته، وقد أعلنها ﷺ صرخة مدوية في قلعة الأكوام يوم حجة الوداع إذ قال ﷺ: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا)^(٢)، فهذه (الخطبة الجامعة حققت الدماء التي لم يكن لها قبل الإسلام حرمة كالتي حظيت بها بعد الإسلام، فكم من قبيلة أبادتها قبيلة، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة، وكم من بريء قتل جهرة أو غيلة بجريرة غيره، وربما كان ذلك من أجل شاة رعت حول الحمى، أو مستجير فر من عقوبة يستحقها، أو غير ذلك من الأسباب الحقيقية أو الموهومة، فلما شرف الله البشرية بالرسالة الخاتمة، رسالة الإسلام، حقن الله بها دماء الناس إلا بحق، فحقن الدماء في الإسلام ليس قاصراً على المؤمن، بل يتعداه إلى غيره من أهل الكتاب والمشركين الذين بيننا وبينهم عهد ممن دخل في دار الإسلام أو في ذمة المسلمين بأمن، فيحرم على المسلمين قتله، بل حتى الكافر أو المشرک الذي استجار بالمسلمين قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَهُ﴾^(٣)، وهذا أقصى ما يطلب في المحافظة على حقوق الإنسان^(٤).

(١) ينظر: حقوق الإنسان والقضايا الكبرى: كامل إسماعيل الشريف (ت ١٤٢٩هـ)، بحث منشور، ص ١٦.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب (حجة الوداع، ٣٩/٤ برقم (٣٠٠٩).

(٣) سورة التوبة، من الآية ٦.

(٤) الجوانب الاعلامية في خطب الرسول ﷺ: لسعيد بن علي، مصدر سابق، ص ٧٦.



إِنَّ النّبي ﷺ بصفته رئيساً للدولة وضع قوانين في وثيقته المشهورة نظم بها العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وهذا القانون قد جاء فيه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ فُرُشٍ وَيُتْرَبٍ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحَقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ، الْمُهَاجِرُونَ مِنْ فُرُشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) وجاء فيه أيضاً: (وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَقْذِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) إلى أن قال ﷺ: (وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرَكُونَ مُفْرَحاً^(١) بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ وَعَقْلِ ... وَإِنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالاً لِفُرُشٍ وَلَا نَفْسًا وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ ... وَإِنَّكُمْ مَعَهُمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)^(٢).

من خلال هذه النصوص يتبين لنا أنه في نطاق القوانين المحلية بين المؤمنين وغيرهم والتي لم تصل إليها الدول إلا بعد أربعة عشر قرناً وعرفت باسم القانون الدولي الخاص فإن الكتاب الذي وضعه النبي كدستور الحكومة بالمدينة تضمن حفظ حقوق المؤمنين وغيرهم، إذ جعل المؤمنين أمة من دون الناس وأنهم متضامنون في الحياة الاجتماعية وفي أداء الديات، وأن هذه المعاهدة مفتوحة لمن أراد الانضمام إليها من غير المسلمين، وفي مجال تنازع القوانين حسم النبي ﷺ الأمر فقرر أنه عند اختلاف الديانات فالقانون الواجب التطبيق هو شريعة الإسلام إذا اختلف أصحاب هذه الديانة ولجأوا إلى محاكم المسلمين، هذا في القوانين المحلية، أما في نطاق اتصال الدولة بغيرها من الدول وهو ما يعرف حالياً بالقانون الدولي، فالإسلام نظام عالمي تضمن المعاهدات الداخلية والخارجية في السلم والحرب، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)^(٤).

إِنَّ هذه الحقوق التي أعلنها وأكد عليها رسولنا الكريم ﷺ هي بمثابة الإطار العام للنظام الإسلامي، إذ جعلها مرتبطة بحق الاتصال بالمدعوين وتبليغهم، ومنحهم حرية الخطاب المعتدل الذي يرتبط وجوداً وعدماً بخصوصية الأمة الإسلامية، وبعد هذا الإعلان بأربعة عشر قرناً أدرك الغرب هذه الحقيقة بعد أربعة عشر قرناً، لذلك يحتسب هذا السبق في هذا المجال لديننا الحنيف

(١) المنقول بالدين.

(٢) أخرجه الإمام ابن زنجويه في كتابه الأموال، كتاب (العهود التي كتبها رسول الله ﷺ)، ٤٦٦/٢ برقم (٧٥٠)، والإمام البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الديات، باب (العاقلة) ١٠٦/٨ برقم (١٦٨٠٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٤) ينظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية: المستشار سالم علي البهنساوي (ت ١٤٢٧هـ) ص ٢٤٧.



الذي أكد على حماية حقوق الانسان.

لقد سعى الخطاب الديني المعتدل من خلال وسائله المتعددة إلى تعزيز روح التضامن والتعايش بين البلاد الإسلامية وتهيئة الجو لروح الوحدة، والاهتمام ببث روح التعاون والمساواة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، واحترام سيادة كل دولة ووحدتها، وحل المنازعات بالطرق السلمية عن طريق التفاوض والمناقشات الودية الأخوية، وتعزيز المبادئ الإسلامية والعمل بمقتضاها، مع احترام حقوق الإنسان وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء^(١).

٥- تقبل الآخر: من الضروري استمرار الخطاب المعتدل وفق مفردات الحجة والبرهان والاستدلال وقبول الآخرين بعيداً عن التهديد والترهيب وتأليب العامة وتأجيج مشاعرها واستخدامها لفرض توجه معين وتسويقه على أنه الحل الامثل وما سواه باطل وبالتالي يفرض على الناس على اساس اعتباره الحقيقة المطلقة، وقد نقض القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَآؤُا بُرْهَٰنُكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)، لذلك فمستلزمات مثل هذا الحوار هي بدحض الحجة بالحجة والفكرة بالفكرة والكلمة بالكلمة وامتلاك الحد المطلوب من المعرفة^(٣).

إن هذه الامور والصور التي بينها أنفاً بمجموعها تؤدي الى استقرار المجتمعات وحماية أمنها، فمتى ما كان الخطاب الديني المعتدل هو المتسيد لمشهد الحياة، وعنصراً فاعلاً في تهدئة الازمات، ومتصدياً للتطرف والارهاب، وكاشفاً لزيغ الإعلام ولأغيبه التي يمارسها تجاه المسلمين، ومدافعاً عن حقوق الآخرين، ومتقبلاً لآرائهم فلا شك بأنه سيعم الأمن والأمان في ربوع بلادنا العربية والإسلامية، ويعود الإسلام قوياً مهاباً.

(١) ينظر: دور الإعلام في التضامن الإسلامي: إبراهيم إمام، ص ٢٧١.

(٢) سورة البقرة، من الآية ١١١.

(٣) ينظر: دور المؤسسات الدينية والمتقنين في تعزيز السلم الاجتماعي: كاوه محمود، مقال منشور في

موقع الحوار المتمدن بتاريخ (٢٠١١/٣/١٤) www.m.alhewar.org



الخاتمة والنتائج

بعد هذا المشوار الموضوعي للخطاب الديني وأهميته، وأهدافه ومهدداته، وخصائصه وأخلاقياته، والدور الذي يحققه في تعزيز السلم المجتمعي تحصلت نتائج مصحوبة بتوصيات وتوجيهات، نوجزها بالآتي:

أولاً: النتائج:

❖ إننا بحاجة للعمل على تجديد الفكر والرؤية بكل ما هو جديد، وتطوير خطابنا الديني كي يلقي اذاناً صاغية وقلوباً واعية، وبخلاف ذلك فأنا نبقى من حيث نحن لا ننتغير ولا نتجدد وقانعين بالتبعية والتخلف والطائفية والتطرف وكل ما يسئ لنا ويعمل على دمارنا دينياً واخلاقياً .

❖ من أهم أهداف الخطاب الديني هو تحقيق العدالة في المجتمعات بموازين الدين الإسلامي الحقيقي، ونبذ التطرف الذي يؤدي الى التعصب الاعمى والعنف الذي يقود الى سلسلة لا متناهية من الصراعات المدمرة التي تتخر المجتمع والأمة داخليا وخارجياً، وكذلك تحقيق السلم وهو الهدف الأعلى للخطاب المعتدل، إذ بتحقيقه يعم الخير وينحسر الشر، وتستطيع المجتمعات العيش بسلام، وكذلك تعد هداية الناس للطريق القويم هي الهدف الأهم والقيمة الأبرز في الخطاب الإسلامي التأسيسي، وهو هدف ذو قيمة كبيرة يمر عبر دعوة الناس وتبليغهم وارشادهم عن طريق الخطاب المعتدل الذي ينظم حياة الأفراد والجماعات بسنن وقوانين وقواعد الهدي النبوي الشريف.

❖ لا بد لمن يريد للخطاب المعتدل الانتشار والقبول أن يتخلق بالأخلاق الرسول ﷺ ومنها: الإعراض عن الجاهلين، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والاستماع لهم وتقبل آرائهم، وعدم اللعب بمشاعرهم واضاعة جهدهم تجاه قضية معينة.

❖ يتميز الخطاب الدين المعتدل بالعالمية والشمولية، ويهتم بنهضة الانسان وثقافته، والتجديد ومواكبة الاحداث والازمان، كما أنه يركز على الجواهر واساسيات الدين ويهذب المظاهر وينقيها مما يشوبها من الأفكار المريضة.

❖ إن اكتشاف عناصر الخطر في الخطاب الديني، والتنبيه من تداعياته، وابرار مخاطره ومهدداته كالغلو في المسائل الدينية والسياسية، والجهل والانغلاق، والاعتزاز بالنفس، ووضع هالة لقدسية الاشخاص حتى لو جانبوا الصواب في اجتهاداتهم، يعد الأساس في كيفية رسم صياغات جديدة للخطاب الديني ولا سيما في المجتمعات متعددة الطوائف والاعراق.

❖ يلعب الخطاب الديني دوراً كبيراً في تعزيز السلم المجتمعي وتحقيقه، واستقرار المجتمعات وحماية أمنها، فمتى ما كان الخطاب الديني المعتدل هو المتسيد لمشهد الحياة، وعنصراً فاعلاً في تهدئة الازمات، ومتصدياً للتطرف والارهاب، وكاشفاً لزيغ الإعلام والأعبي



التي يمارسها تجاه المسلمين، ومدافعاً عن حقوق الآخرين، ومتقبلاً لأرائهم فلا شك بأنه سيعم الأمن والأمان ويتحقق الاستقرار والسلم المجتمعي .

❖ في كل الاحوال التي تم فيها قياس تأثيرات الخطاب الديني على المجتمعات في حالات الذروة من الخلافات يبقى الشعور بحب الوطن، وبقيمة الانتماء بقضايا المصيرية والتعاليم الدينية أمراً لا يمكن الاستغناء عنه، وتوظيف ذلك في خدمة الدين الحنيف للخروج من شرك المأزق الذي تعيشه الأمة اليوم.

ثانياً: التوصيات: يوصي الباحثان بالآتي:

❖ إنَّ تنقية التراث الإسلامي مما شابه من النزعات التطرفية المتشددة منذ قرون بات أمراً ضرورياً، فلن يتحقق الصلاح إلا بإصلاح ما أفسد، وهذا يستدعي وقفة جادة وجريئة للعلماء والدعاة والقادة لمراجعة شاملة للمنظومة الدينية التي أصابها الوهن في ظل المتغيرات والأفكار الدخيلة على الإسلام.

❖ يجب أن يكون الخطاب الديني إيجابياً في كل مناحي الحياة وينفع جميع الناس من خلال تحقيق التنمية المستدامة، والعدالة الاجتماعية، ومحاربة البطالة، والاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها.

❖ يجب أن ينطلق الخطاب الديني من القاعدة الاساسية التي تتضمن جلب المصالح وتكميلها ودفع المفسد وتقليلها التي جاءت بها الشريعة الاسلامية، ويراعي كل ما أنت به الشريعة الاسلامية والقوانين الدينية العادلة، ويعطي كل حكم ما يستحقه من الاهتمام، ويفرق بين ثوابت الدين واصله التي لا يدخلها تغيير لا في الشكل ولا في المضمون.

❖ مجتمعاتنا اليوم بحاجة الى خطاب ديني يؤكد على ضرورة التعامل الايجابي مع الآخر بعيداً عن الانغلاق الذاتي الذي لا يحترم السلم الاجتماعي.

❖ تجنب سلبيات الخطاب الديني من اجل نشر الخير بشكل افضل وميسر وسهل من خلال التزامه بمبادئ الدين والشريعة ودعوة الناس لذلك، من خلال البحث في موروثنا الاسلامي واستشراف المستقبل فمن لا ماضي له لا حاضر له ايضاً من خلال التوسط والاعتدال وجعلهما منهج حياتنا لأنهما يقودانا الى بر الامان.



تَبَيَّنَ المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير، الاستشراق، الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري): عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، ط ٨، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢. أصول الدعوة: الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣. أعلام وأقلام في ميزان الإسلام: سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٤. آفاق العصر: جابر عصفور، ط ١، دار الهدى للثقافة والنشر، سوريا، دمشق، ١٩٩٧م.
٥. مناهج الدراسة الأدبية: حسين واد، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٨٥م.
٦. الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله: عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ.
٧. الأموال: لأبي أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (ت ٢٥١هـ).
٨. بدائع السلك في طبائع الملك: لابن الأزرق المالقي المالكي، تحقيق علي سامي النشار، وزارة الاعلام، العراق، ط ١، د.ت.
٩. بناء المجتمع الإسلامي: د نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط ٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٠. تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه - شروطه وأسبابه - مراحل وأهدافه): علي محمد محمد الصَّلَّابِي، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، مكتبة التابعين، مصر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١١. التدرج في دعوة النبي ﷺ: إبراهيم بن عبد الله المطلق، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٧هـ.
١٢. التلوُّث الفكري والإعلامي في العالم الإسلامي: د عايد الشعراوي، دار النهضة الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ.



١٣. تهافت العلمانية في الصحافة العربية: المستشار سالم علي البهنساوي (ت ١٤٢٧هـ)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٤. الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المسمى (صحيح البخاري): للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٥. الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ: لسعيد بن علي ثابت، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ.
١٦. حصون التخلف (موانع النهوض في جوارات ومكاشفات): إبراهيم البليهي، د. ط، د. ت.
١٧. خطاب الحكاية: جبران جينيت، ترجمة، محمد معتصم وآخرين، ط ٣، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٣م.
١٨. الخطابة الإسلامية: عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦م.
١٩. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٦، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٠. سلوة العارفين: للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: السيد يوسف احمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط.
٢١. السنن الكبرى: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط ١، ١٣٤٤هـ.
٢٢. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية: د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٦، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٣. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي: أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٤. شمائل الرسول ﷺ: أحمد بن عبد الفتاح زاوي، دار القمة، الإسكندرية، د. ط.
٢٥. الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف: للدكتور يوسف القرزاوي، ط ٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٨٢م.



٢٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: للإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٢٧. علم الاجتماع: د. علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط.
٢٨. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي (ت ١٤٠٢هـ).
٢٩. القاموس المحيط: للفيروز ابادي مجد الدين محمد بن يعقوب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ومؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط.
٣٠. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، دار المعارف، القاهرة، د. ط.
٣١. لمحات في الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط ١٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٣٢. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، د. ط.
٣٣. المستشرقون في الميزان: لأبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملاً محمد عظيم القارئ المدني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٧، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
٣٤. المسند: للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د. ط. أحاديثه مزيلة بأحكام الشيخ شعيب الأرنؤوط.
٣٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المسمى (صحيح مسلم): للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط.
٣٦. مفهوم الحكمة في الدعوة: د صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٣٧. المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير محمد الغضبان (ت ١٤٣٥هـ)، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط ٦، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.



٣٨. منهج في إعداد خطبة الجمعة: د صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

٣٩. موضوعات خطبة الجمعة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

✓ الرسائل والاطاريح والمجلات والدوريات والمؤتمرات:

١. أسباب الإرهاب والعنف والتطرف: أ.د. غانم بن صالح السدلان، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي عن موقف الاسلام من الإرهاب، موقع السكينة، ٢٠١١م.

٢. أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير ؓ وتطبيقاته التربوية: عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، بقسم التربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إشراف: د عبد الرحمن بن رجاء الله الأحمد، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ.

٣. الاعلام السيء وأثره في شبابنا المسلم: د. عبد الجبار حميد الصالح، بحث منشور في مجلة الدراسات العربية (دورية علمية محكمة) جامعة المنيا، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ع ٣٥، لسنة ٢٠١٧م، مج ٦.

٤. التطرف الایدلوجي من وجهة نظر الشباب الأردني (دراسة سوسيولوجية للمظاهر والعوامل)، د. علاء زهير الرواشدة، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض ع (٦٣)، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٥. التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية: محمد ياسر خواجه، بحث منشور في مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، المغرب، الرباط، ٢٠١٥م.

٦. الحضارة الإسلامية: أحمد عبد الرحيم السايح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة، ع٣، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٧. حقوق الإنسان والقضايا الكبرى: كامل إسماعيل الشريف (ت١٤٢٩هـ)، بحث قدم في الندوة العالمية لحقوق الانسان في الاسلام المنعقدة في روما بإيطاليا بتاريخ: ١٩/١١/١٤٢٠هـ الموافق ٢٥/٢/٢٠٠٠م)، مجلة مجمع الفقه الإسلامي.

٨. دور الإعلام في التضامن الإسلامي: إبراهيم إمام، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١٦، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.



٩. ظاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية: د. محمد فاروق النبهان، بحث مقدم الى المؤتمر العام الثامن للمجلس الاعلى للشؤون الإسلامية حول (الاسلام ومستقبل الحوار الحضاري)، القاهرة، ١٩٩٦م.

✓ مواقع الانترنت:

١. الاعلام والخطاب الديني: مقال للدكتور. جورج كلاس:
<https://www.elnashra.com/news/show/900422>
٢. تفكيك خطاب التطرف: د. محمد يونس، موقع الاتحاد،
www.alittihad.ae/mobile/details.php?y=2016&id=65084
٣. دور الاعلام في تعزيز السلم الاهلي: نبراس احمد، ندوة للنقابة الوطنية للصحفيين، موقع النقابة الوطنية للصحفيين العراقيين، ٢٠ حزيران ٢٠١٦.
٤. دور الخطاب الديني في تحقيق التغير الاجتماعي، نبراس النائلي، مقال منشور على شبكة النبا المعلوماتية. (www.m.annabaa.org.com)
٥. دور المؤسسات الدينية والمتقنين في تعزيز السلم الاجتماعي: كاوه محمود، مقال منشور في موقع الحوار المتمدن بتاريخ (٢٠١١/٣/١٤) www.m.alhewar.org





حَسَنَ الْفَحْمِ وَأَثَرُهُ فِي خِطَابِ الْإِعْتِدَالِ

دراسة موضوعية في كتاب العلم من صحيح البخاري

م.د. عبد القادر محمد حسين

جامعة الفلوجة

كلية العلوم الإسلامية

dr.abdulqader.m@uofallujah.edu.iq

ISSN: 2071-6028





حسن الفهم وأثره في خطاب الاعتدال
دراسة موضوعية في كتاب العلم من صحيح البخاري

م.د. عبد القادر محمد حسين
جامعة الطلوجة / كلية العلوم الإسلامية

ملخص باللغة العربية

ينطلق هذا البحث من ضرورة حسن فهم النص وكيفية التعامل معه، والمطلع على حوادث التاريخ يجد التباين واضحاً في فهم كثير من النصوص بحسب حال المتلقي وخلفيته الفكرية والثقافية ومن هنا جاء هذا البحث ليقف على المقاربات العلمية التي تؤصل لضوابط فهم النصوص وتحصن العقل من الانحراف والانزلاق في مسالك التطرف والغلو واتباع الهوى، التي لها الأثر السلبي الكبير في الخطاب الفكري والديني ولاسيما في مجتمع متعدد الثقافات، لذا كان الضابط في إنزال أحكام النصوص هو حسن فهمها بحسب السياق المراد فيه، فالبحث محاولة في استخراج ضوابط حسن فهم النص الشرعي - الحديث النبوي - نموذجاً - عن طريق دراسة الوسائل النبوية في بناء الفهم السليم وأثر ذلك في اعتدال الخطاب الديني، فكان عنوان البحث: (حسن الفهم وأثره في خطاب الاعتدال دراسة موضوعية في كتاب العلم من صحيح البخاري)، وهو معالجة إشكالية " ظاهرة سوء فهم النصوص الشرعية" لدى كثير من طوائف المسلمين بما أثر سلباً على الخطاب الإسلامي وأفقدته صبغة الاعتدال الذي هو من خصائص أمة الإسلام. **هدف البحث:** يهدف البحث إلى إبراز الوسائل النبوية في بناء الفهم السليم، والبعد عن الغلو في الخطاب والتعرف على المبادئ العامة في فهم النص النبوي. **منهجية البحث:** اتبع الباحث المنهج الاستقرائي في جمع المادة، والمنهج الاستنباطي في تحليل المعلومات، والمنهج الوصفي في عرض المادة، وكانت عينة البحث من "كتاب العلم" من صحيح البخاري. **نتائج البحث:** خلص إلى عظم منزلة الفهم في العلم وأهميته في التعامل مع النصوص، وأن لحسن فهم النصوص الشرعية أثراً كبيراً في اعتدال الخطاب الإسلامي الذي يعد من أهم ركائز السلم المجتمعي، وثبت استعمال النبي ﷺ وسائل عديدة (١١ وسيلة) في بناء قواعد فهم النصوص، كما أن من أهم بواعث الانحراف في الخطاب الديني سوء فهم النص، الذي يقود إلى سوء التطبيق والغفلة عن مقاصد التشريع الإسلامي. ويوصي البحث بضرورة حث طلبة العلم الشرعي والباحثين على الاهتمام بالفهم في العلم والحرص على التفكير العميق في التعامل مع النصوص، والعناية بالدراسات التحليلية ووضع منهجية واضحة للتعامل مع نصوص السنة.

الكلمات المفتاحية: فهم ، دراسة ، موضوعية

The best understanding and its impact in the letter of moderation

Dr. Abdul-Qader Muhammad Hussain

Abstract: This research is based on an important intellectual thought on which the rules are based. It is the good understanding of the text and how to deal with it. It is clear that there is a difference in the understanding of many texts according to the receiver's condition and its intellectual and cultural background. The rules of understanding of the texts and fortifying the mind from deviation and slipping in the ways of extremism and fanaticism, which have a significant negative impact on intellectual and religious discourse, especially in a multicultural society, so the rule in provision of the texts is the better understanding according to the context in which it does not lead to misunderstandings. I try to study the prophetic means in building the correct understanding, and the impact of this on the moderate religious discourse, in an objective study for Imam Al-Bukhari in his Sahih (Book of Science), The title of the research is: (Good understanding and its impact on the moderate discourse in an objective study in the book of science from Sahih Al-Bukhari). Some of the research results are the following: For the good understanding of the texts of Islamic Law a significant impact on the moderation of the Islamic discourse, which is one of the most important pillars of community peace. 1. The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) used various means and methods to teach his companions, God's mercy on them, and served as basic rules for understanding the Islamic texts. 2. Islamic discourse is the container expressing Islam in its doctrine, philosophy and holistic view of life, if it was according to its rules and principles. 3. One of the most important motives of deviation in religious discourse is the misunderstanding of the Islamic texts, which leads to the mismanagement inevitably, and disregard for the purposes of Islamic legislation and the aims of moderate discourse.

Keywords: Understanding, Study, Objectivity



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. وبعد.. ينطلق هذا البحث من أسس فكري مهم تنبى عليه الأحكام وتوضع به القواعد ألا وهو حسن فهم النص وكيفية التعامل معه، والمطلع على حوادث التاريخ يجد التباين واضحاً في فهم كثير من النصوص بحسب حال المتلقي وخلفيته الفكرية والثقافية ومن هنا جاء هذا البحث ليوقف على المقاربات العلمية التي تؤصل لضوابط فهم النصوص وتحصن العقل من الانحراف والانزلاق في مسالك التطرف والغلو واتباع الهوى، التي لها الأثر السلبي الكبير في الخطاب الفكري والديني ولاسيما في مجتمع متعدد الثقافات، لذا كان الضابط في إنزال أحكام النصوص هو حسن فهمها بحسب السياق المراد فيه وألا تنزل في غير المنزل الملائم لها فأردت في بحثي هذا استخراج ضوابط حسن فهم النص الشرعي -الحديث النبوي أنموذجاً- من خلال دراسة الوسائل النبوية في بناء الفهم السليم وأثر ذلك في اعتدال الخطاب الديني، في دراسة موضوعية في ما دونه الإمام البخاري في صحيحه (كتاب العلم)، فكان عنوان البحث هو: (حسن الفهم وأثره في خطاب الاعتدال دراسة موضوعية في كتاب العلم من صحيح البخاري).

إشكالية البحث: ظاهرة سوء فهم النصوص الشرعية لدى كثير من طوائف المسلمين بما أثر سلباً على الخطاب الإسلامي أفقده صبغة الاعتدال التي هي من خصائص أمة الإسلام. هدف البحث: يهدف البحث إلى إظهار الوسائل النبوية في بناء الفهم السليم والابتعاد عن الغلو في الخطاب الإسلامي والتعرف على المبادئ العامة في فهم النص النبوي. منهجية البحث: اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي في مناقشة إشكالية البحث وإثبات نتائجه.

خطة البحث: اقتضت خطة البحث أن أقسمه على مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة: المطلب الأول: (الوسائل النبوية في بناء الفهم السليم)، والمطلب الثاني: (أثر الفهم في اعتدال الخطاب)، ثم كانت الخاتمة، وقد اعتمدت على مصادر ومراجع مهمة أفدت منها في دراسة الموضوع ومناقشة محاوره.



مدخل تعريفي

أولاً: تعريف الفهم لغة واصطلاحاً:

الفهم لغة: (مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ. فَهْمُهُ فَهْمًا وَفَهْمًا وَفَهَامَةً: عَلِمَهُ؛ وَفَهِمْتَ الشَّيْءَ: عَقَلْتُهُ وَعَرَفْتُهُ. وَتَفَهَّمَ الْكَلَامَ: فَهَمَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَرَجُلٌ فَهْمٌ: سَرِيعُ الْفَهْمِ)^(١).

الفهم اصطلاحاً:

الفهم هو: (تصور المعنى من لفظ المخاطب)^(٢). والفقه هو الفهم، يقول الآمدي (ت ٦٣١هـ): (أَمَّا الْفَقْهُ: فَفِي اللَّغَةِ عِبَارَةٌ عَنِ الْفَهْمِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ﴾، أَيْ لَا نَفْهَمُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، أَيْ لَا تَفْهَمُونَ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ: فَفَهْتُ كَلَامَكَ، أَيْ فَهَمْتُهُ)^(٣). وعرف الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) الفهم بأنه: (فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقتضيه من قول أو فعل)^(٤).

الفرق بين العلم والفهم:

يفرق العلماء بين العلم والفهم كما قال الآمدي (ت ٦٣١هـ): (والأشبه أن الفهم مغاير للعلم؛ إذ الفهم عبارة عن جودة الذهن من جهة تهيئته لاقتناص كل ما يرد عليه من المطالب، وإن لم يكن المتصف به عالماً كالعامي الفطن، وقيل: الفهم: تصور المعنى من اللفظ، أما العلم فهو مطلق الإدراك)^(٥).

أهمية الفهم في العلم:

من الأمور التي دائماً ما يدعو إليها القرآن الكريم ويحث عليها هي الفهم؛ ويختم الكثير من آياته بالدعوة إلى التدبر، والتفكير، والعقل، والعلم، فيقول عز من قائل: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، و﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، و﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾، أي أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ فَيَعْتَبِرُوا، والتدبر: (هُوَ التَّفَكُّرُ وَالتَّفَهُمُ)^(٦).

والفهم شرط في العلم فمن لا فهم له لا علم له، قال ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) مقررًا هذا الأصل: (التفهم للعلم هو التفقه فيه، ولا يتم العلم إلا بالفهم، وكذلك قال علي: والله ما عندنا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مؤمن. فجعل الفهم درجة أخرى بعد حفظ كتاب الله، لأن بالفهم له تبين معانيه وأحكامه. وقد نفى ﷺ العلم عمن لا فهم له بقوله: رب حامل فقه لا فقه له)^(٧).

(١) لسان العرب: ١٢/٤٥٩، وينظر: مقاييس اللغة: ٤/٤٥٧.

(٢) التعريفات: ص ١٦٩.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٦/١.

(٤) فتح الباري: ١/١٦٥.

(٥) الإحكام للآمدي: ٦/١، وتاج العروس: ٣٣/٢٢٤.

(٦) تاج العروس: ١١/٢٦٦.

(٧) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١/١٥٧.



ولذلك يرى ابن القيم (ت ٧٥١) أن الفهم نعمة من الله تعالى بل هو نور يقذفه الله في قلب العبد فقال رحمه الله تعالى شارحاً هذا المعنى: (صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما... وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفساد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمده حسن القصد، وتحري الحق، وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى)^(١).

ثم عدّد مراتب العلم ذاكراً منزلة حسن الفهم: (ومن الناس من يحرمة لسوء إنصاته فيكون الكلام والممارات أثر عنده وأحب إليه من الإنصات، وهذه آفة كامنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم، وهي تمنعهم علماً كثيراً ولو كان حسن الفهم، ذكر ابن عبد البر عن بعض السلف أنه قال: من كان حسن الفهم رديء الاستماع لم يقم خيره بشرة)^(٢).

وبعد بيان معاني هذه المصطلحات (الفهم والفقه والعلم) يمكننا أن ندلج إلى الوسائل النبوية في بناء الفهم، والأساليب التي كان يتبعها في تعليم صحابته ﷺ، وهو يضع منهجاً علمياً دقيقاً في ترتيب الأفهام وهداية العقول.

المطلب الأول: أثر السنة النبوية في بناء الفهم السليم

استعمل النبي ﷺ وسائل عديدة وطرائق مختلفة في تعليم أصحابه ﷺ، وبناء المنظومة الفكرية وأسباب الوعي السليم لديهم، وكان يقدم لهم الدروس العملية في ذلك، فأسس قواعد وأصولاً لبناء الفهم السليم البعيد عن سوء الفهم الذي يؤدي إلى الضلال والانحراف والغلو والتطرف، وقد جمع الإمام البخاري في كتابه "الصحيح" جملة من هذه الأحاديث المشتملة لهذه القواعد وضمّنها "كتاب العلم"، وقد عملت على استنباط بعض هذه القواعد والمفاهيم النبوية في التأسيس للفهم السليم المؤدي للسلم المجتمعي، وسأذكر بعضاً منها على سبيل التمثيل:

أولاً: الفهم في العلم:

بوب الإمام البخاري باباً مستقلاً وسماه (باب الفهم في العلم)، وهذا تأكيد منه على أهمية الفهم وأثره في التعامل مع أحاديث النبي ﷺ، وقد قرن العلم به ونفى العلم عن لا فهم له: قال ابن بطال (ت ٤٤٩ هـ): (التفهم للعلم هو التفقه فيه، ولا يتم العلم إلا بالفهم.. وقد نفى ﷺ العلم عن لا فهم له بقوله: (رب حامل فقه لا فقه له)^(٣).

(١) إعلام الموقعين: ٦٩/١.

(٢) مفتاح دار السعادة: ١٦٩/١.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٥٧/١.



وساق البخاري في هذا الباب حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: (كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار، فقال: (إن من الشجرة شجرة، مثلها كمثل المسلم). فأردت أن أقول: هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم، فسكت، فقال النبي ﷺ: (هي النخلة).

وهنا استنبط ابن عمر من قرينة الجمار الذي أهدي إلى النبي ﷺ أن الشجرة المسؤول عنها هي النخلة، لأن النبي ﷺ إنما طرح هذا السؤال بعد إهدائه الجمار الذي هو رأس النخلة، فدلّ على أنها هي ^(١).

قال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): (وفيه التحريض على الفهم في العلم وقد بوب عليه المؤلف باب الفهم في العلم وفيه استحباب الحياء ما لم يؤدي إلى تقويت مصلحة ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت) ^(٢).

ثانيًا: الحث على الوعي وتبليغ العلم:

من الوسائل التي أكد عليها النبي ﷺ في بناء الفهم السليم الحث على الوعي، والوعي هو: (حِفْظُ الْقَلْبِ الشَّيْءَ، وَعَى الشَّيْءِ وَالْحَدِيثَ يَعْه وَعِيًا وَأَوْعَاه: حَفِظَهُ وَقَهَمَهُ وَقَبِلَهُ، فَهُوَ وَاعٍ، وَقُلَانٌ أَوْعَى مِنْ قُلَانٍ أَيْ أَحْفَظُ وَأَفْهَمُ) ^(٣).

وقد أخرج البخاري (عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه: ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره، وأمسك إنسان بخطامه -أو بزمامه- قال: أي يوم هذا. فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوي اسمه، قال: (أليس يوم النحر). قلنا: بلى، قال: (فأي شهر هذا). فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: (أليس بذي الحجة). قلنا: بلى، قال: (فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليليل شاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه) ^(٤).

هنا يؤكد النبي ﷺ على الوعي وأهمية التبليغ المقرون بالفهم وهذه من الوسائل النبوية في تعليمه لصحابته رضي الله عنهم؛ لذلك هو يحثهم على وعي كلامه ومن ثم تبليغه للآخرين، ولأن الأفهام تتفاوت والأذهان تتباين قال ﷺ: (رُبُّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ) ^(٥).

ومن الوسائل النبوية التعليمية في هذا الحديث أنه يحفز أذهانهم ليقبلوا على كلامه بعقولهم وأفهامهم، قال القرطبي (ت ٦٧١هـ): (سأله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهمهم وليقبلوا عليه بكليتهم وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه) ^(٦).

(١) ينظر: إرشاد الساري: ١/١٧١، ومنار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: ١/١٧٤.

(٢) فتح الباري: ١/١٤٦.

(٣) لسان العرب: ١٥/٣٩٦، وينظر: مقاييس اللغة: ٦/١٢٤.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب قول النبي ﷺ (رب مبلغ أوعى من سامع).

(٥) فتح الباري لابن حجر: ١/١٥٩.

(٦) فتح الباري لابن حجر: ١/١٥٩، وينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري: ١/١٥٩.



إن هذا الوعي يجب أن يكون إحدى ركائز الحوار المجتمعي القائم على الفهم السليم للنص الديني، فمن غير الفهم والوعي يسود الجهل وتضطرب الآراء، وتتداعى العصبية ويقع الخلاف المهدد للسلم الاجتماعي، ومن هنا تأتي أهمية الفهم في العلم والوعي المؤسس للحوار البناء عند تعدد الآراء واختلافها.

ثالثاً: دُعَاؤُهُ لِأَصْحَابِهِ بِالْفَهْمِ:

الدعاء بالفهم هو أحد الوسائل النبوية في تحصيل الفهم وهو يشمل دعاء العالم للمتعلم بالفهم والفقه، وأيضاً دعاء طالب العلم لنفسه بذلك، أما دعاء العالم للمتعلم فما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (ضمني رسول الله ﷺ وقال: (اللهم علّمه الكتاب)^(١).

قال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): (وقد أخرج أحمد من طريق عمرو بن دينار عن كريب عن ابن عباس في قيامه خلف النبي ﷺ في صلاة الليل، وفيه: فقال لي: (ما بالك أجعلك حذائي فتخلفني) فقلت: أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله! فدعا لي أن يزيدني الله فهماً وعلماً)، والمراد بالكتاب: القرآن؛ لأن العرف الشرعي عليه، والمراد بالتعليم: ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه)^(٢).

وأما دعاء طالب العلم لنفسه فقد قال الإمام مالك (ت ١٧٩هـ): (فمن أراد التفهم فليحضر خاطره، ويفرغ ذهنه، وينظر إلى نشاط الكلام، ومخرج الخطاب، ويتدبر اتصاله بما قبله، وانفصاله منه، ثم يسأل ربه أن يلهمه إلى إصابة المعنى)^(٣).
رابعاً: ضرب الأمثال:

يعد ضرب المثل من الوسائل التعليمية الحديثة لما للمثل من أثر بالغ في إيصال المعنى إلى عقل المتلقي؛ ذلك أنه يقدم المعنوي في صورة حسية فيربطه بالواقع ويقره إلى الذهن^(٤)؛ لذا استخدم النبي ﷺ هذه الوسيلة بضرب الأمثلة التصويرية لتقريب الفكرة وتوضيحها بالمثل الحسي الملموس والمشاهد، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيّة، قبلت الماء، فأنبئت الكأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: قول النبي ﷺ: (اللهم علّمه الكتاب).

(٢) فتح الباري: ١/١٧٠، وينظر: مسند الإمام أحمد: ٥/١٧٨، ولفظه: (قَالَ لِي: مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ جَذَائِي فَتَخْنِسُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْيَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ قَالَ فَأَعْجَبْتُهُ فَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْماً وَفَهْماً).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١/١٥٧.

(٤) ينظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: ٢/٣٩٩.



كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به^(١).

قال ابن القيم في فائدة ضرب الأمثال: (فهذه وأمثالها من الأمثال التي ضربها رسول الله ﷺ لتقريب المراد، وتفهم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به، فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره؛ فإن النفس تأنس بالنظائر والأشياء الأنس التام، وتتفر من الغربة والوحدة وعدم النظر؛ ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له)^(٢).

خامساً: التمهيد للفهم:

من الوسائل التربوية المهمة كذلك أن يقدم المعلم والواعظ مقدمة تمهيدية لما يريد توجيهه للمتلقي كأن يبادره بالسؤال والاستفهام ليلفت انتباهه ويشدّه للاستماع والإقبال عليه وهو ما يخلق نوعاً من الإثارة والتشويق، والرسول ﷺ أفضل من استخدم مثل هذه الوسيلة ومن ذلك ما رواه ابن عباس ؓ في قصة وفد عبد القيس فقال: (هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم)^(٣).

سادساً: التشجيع على السؤال:

من وسائل التعليم الناجحة هي تشجيع المتعلم على إثارة الأسئلة والاستفهام وتنمية هذه الرغبة بالتعلم وحسن الفهم بوساطة التشجيع على السؤال، وكسر الحواجز النفسية لدى المتعلم أو المتلقي كالحياء أو الخوف من طرح الأسئلة، وهو ما ينعكس سلباً على حسن الفهم لمقاصد الكلام ودلالات معانيه، وهي المنهجية التي اتبعها النبي ﷺ مع أصحابه الكرم في تشجيعهم على السؤال وحثهم على الفهم، ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة ؓ أنه سأل النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: (لقد ظننت يا أبا هريرة- أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه، أو نفسه)^(٤).

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: فضل من علم وعلم.

(٢) إعلام الموقعين: ١/١٨٢-١٨٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم، ويخبروا من وراءهم.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: الحرص على الحديث.



هنا أظهر النبي ﷺ رضاه عن سؤال أبي هريرة ؓ، واستحسانه له، وعن حسن فهم أبي هريرة ومزيد حرصه، وهو ما ترك أثراً إيجابياً في نفس أبي هريرة بتشجيعه على إظهار المزيد من الحرص على طلب العلم والفهم، ولذلك قال ابن بطال: (ت ٤٤٩ هـ) في بيان فوائد هذا الحديث: (فيه: أن للعالم أن يتفرس في متعلميه، فيظن في كل واحد مقدار تقدمه في فهمه، وأن ينبهه على تفرسه فيه، ويعرفه ذلك، ليبعثه على الاجتهاد في العلم والحرص عليه...، إلى أن يسأل عن غامض المسائل، ودقيق المعاني، لأن المسائل الظاهرة إلى الناس كافة يستوى الناس في السؤال عنها، لا اعتراضها في أفكارهم، وما غمض من المسائل، ولطف من المعاني، لا يسئل عنها إلا راسخ بَحَاث، يبعثه على ذلك الحرص)^(١).

ولا شك أن هذا لون رائع من ألوان التعليم يثير في النفس الرغبة في السؤال ويدفعها بقوة إلى التطلع للمعرفة والفهم واستشراف الجواب ومن ثم استيعابه وحفظه، لما فيه من طرافة وغرابة^(٢)، فضلاً عن أن هذا الأسلوب في التعليم يسهم في خلق جو من حرية الحوار المجتمعي المفضي إلى التفاهم المعزز لأسباب السلم الاجتماعي.

سابعاً: لفت الانتباه:

يلجأ النبي ﷺ إلى وسائل التأثير السمعي أو البصري في المتلقي أو المتعلم حتى يحدث عنده نوعاً من (الصدمة) التي تؤدي إلى زيادة التنبيه والإثارة ولفت الانتباه إلى أهمية المسألة المراد بيانها أو التحذير منها فيظهر نوعاً من المبالغة في ردة الفعل تجاه سؤال السائل لتكون مدعاة للفهم أكثر، ومن ذلك ما أخرجه البخاري وبوّب له: (باب: الغضب في الموعظة والتعليم، إذا رأى ما يكره) عن أبي مسعود الأنصاري قال: (قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً من يومئذ، فقال: (أيها الناس، إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)^(٣).

ومنه أيضاً ما رواه عن زيد بن خالد الجهني: (أن النبي ﷺ سأله رجل عن اللقطة، فقال: (اعرف وكاءها، أو قال وعاءها، وعفاصها، ثم عرفها سنة، ثم استمتع بها، فإن جاء ربه فادها إليه). قال: فضالة الإبل؟ فغضب حتى احمرت وجنتاه، أو قال احمر وجهه، فقال: (وما لك ولها، معها سقاءها وحذاؤها، ترد الماء وترعى الشجر، فذرها حتى يلقاها ربه).

قال الحافظ ابن حجر: (الواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضب لأن مقامه يقتضي تكلف الانزعاج لأنه في صورة المنذر وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم

(١) شرح صحيح البخاري: ١/١٧٦.

(٢) ينظر: الوسائط التعليمية في الأحاديث النبوية، مقال: سعيد رفعت راجح، موقع الألوكة.

(٣) ينظر: كتاب العلم: باب الغضب في الموعظة والتعليم.



ونحوه؛ لأنه قد يكون أدعى للقبول منه وليس ذلك لازماً في حق كل أحد بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين^(١).

وما أخرجه البخاري كذلك عن أبي موسى قال: (سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: (سلوني عما شئتم). قال رجل: من أبي؟ قال: (أبوك حذافة). فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: (أبوك سالم مولى شيبه). فلما رأى عمر ما في وجهه قال: يا رسول الله، إنا نتوب إلى الله عز وجل)^(٢).

ولعل الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) استنبط من ذلك ما ذكر أنه مستحب للخطيب فقال: (يستحب للخطيب أن يفخم أمر الخطبة ويرفع صوته ويجزل كلامه ويكون مطابقاً للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب ولعل اشتداد غضبه كان عند إنذاره أمراً عظيماً وتحديده خطباً جسيماً)^(٣).

إذن هذه الوسيلة النبوية في لفت انتباه المتلقي وتهيئ ذهنه لاستقبال التوجيه واستلام الرسائل الإيجابية، وهو أسلوب ناجع للقادة والمؤثرين في المجتمع في شد انتباه الجمهور والتأثير فيهم وتوظيفها في تحقيق الوثام عند حدوث الأزمات الاجتماعية والتعالي على الخلافات بما يحقق السلم المجتمعي ويرسي قواعد المواطنة الصالحة.

ثامناً: تكرار الحديث:

وهو من الوسائل التربوية والتعليمية الهامة التي اتبعها النبي ﷺ وهي من الوسائل المعينة على الحفظ والفهم والاستيعاب، وقد أدرك الرسول ﷺ قيمة هذه الوسيلة فحرص على استخدامها: عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: (أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تفهم عنه)^(٤). قال ابن بطال (ت ٤٤٩هـ): (وفيه: أن الثلاث غاية ما يقع به البيان والإعذار به)^(٥). لذلك من أصول التربية التعليمية في الإسلام إعادة الجملة ثلاث مرات لكي يستوعبها الطالب فإن كان حديثاً نبوياً فمن السنة إعادته ثلاثاً، لأن الثلاثة غاية ما يقع به البيان والأعذار كما قال ابن بطال (ت ٤٤٩هـ)، وهذا ما كان يفعله ﷺ عملياً لكي تقتدي به أمته، مع أنه ﷺ لم يكن يسرد الكلام سرّاً وإنما يأتي به كلمة كلمة، فلو اقتصر على مرة واحدة لكفت، ولكن مع ذلك كان يكرر ثلاثاً ليكون أسوة لغيره^(٦).

(١) فتح الباري: ١/١٨٧.

(٢) كتاب العلم: باب الغضب في الموعظة والتعليم، إذا رأى ما يكره.

(٣) شرح النووي على مسلم: ٦/١٥٦.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه.

(٥) شرح صحيح البخاري: ١/١٧٣.

(٦) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: ١/١٩٤.



تاسعاً: الحث على الكتابة:

تعد الكتابة من الوسائل المعينة على الحفظ والفهم معاً لذا حث النبي ﷺ أصحابه على الكتابة في أكثر من مناسبة، ومنها ما أخرجه الإمام البخاري فيما بوب له تحت عنوان: (باب: كتابة العلم) عن أبي هريرة ؓ: (فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: (اكتبوا لأبي فلان)، وأيضاً ما رواه في الباب نفسه عن ابن عباس ؓ قال: (لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا من بعده)^(١)).

لذلك قال العلماء: إنه لولا أهمية الكتابة وأثرها في الفهم وحفظ العلم لما أمرهم النبي ﷺ بالكتابة، فهو أدعى للفهم والعمل بما هو مكتوب^(٢).

عاشراً: مراعاة أفهام الناس

من أصول بناء الفهم السليم هو أن يراعي المعلم والمتكلم أفهام المتعلمين والمخاطبين فلا يخاطبهم بما تفتن به عقولهم أو بما يؤدي إلى سوء الفهم بل يجب مراعاة الرأي العام في المجتمع والمحافظة على السلم المجتمعي فلا يخرج عن المألوف فيه إذا كان في ضمن ما يسعه الشرع ولا يخالفه، ومن ذلك ما أخرجه البخاري في (باب: من ترك بعض الاختيار، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه)، حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: (يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم - قال ابن الزبير - بكفر، لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس وباب يخرجون)^(٣).

قال ابن بطال في بيان الفوائد المستنبطة من الحديث: (قال المهلب: فيه أنه قد يترك شيئاً من الأمر بالمعروف إذا خشي منه أن يكون سبباً لفتنة قوم ينكرونه ويسرعون إلى خلافه واستنباعه)^(٤).

وقد تكون مراعاة أفهام الناس في ترك إنكار منكر خشية الوقوع فيما هو أشد منكراً منه، قال ابن حجر: (ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم

(١) ينظر صحيح البخاري: كتاب العلم: باب: كتابة العلم.

(٢) ينظر: فتح الباري: ٢٠٨/١.

(٣) كتاب العلم في الباب المذكور.

(٤) شرح صحيح البخاري: ٢٠٥/١.



يكن محرماً^(١).

بل يجوز للإمام أن يترك بعض الأحكام غير الواجبة مراعاة للرأي العام إذا لم يفوت مصلحة على الناس، أو لم يجرّ إلى مفسدة أعظم، قال ابن بطال: (وفيه: أن النفوس تحب أن تساس بما تأنس إليه في دين الله من غير الفرائض، بأن يترك ويرفع عن الناس ما ينكرون منها)^(٢).

وهذا المبدأ أصل مهم في أصول التخاطب مع الجماهير وإدراك المزاج الشعبي ومديات تأثير الخطاب فيهم، فلا ينبغي مخاطبتهم بما يثير فيهم العصبية أو الطائفية والعرقية وكل ما يشكل تهديداً للسلم الاجتماعي، بل الواجب ألا تثار المسائل الخلافية أمام الرأي العام، وهذا يتوقف على درجة الوعي لمن يتصدى لمخاطبة الجمهور من قادة وخطباء وإعلاميين.

حادي عشر: التخصيص بالعلم كراهة سوء الفهم

هذه قاعدة مهمة في التعليم يؤصل لها النبي ﷺ ويجعلها مناراً للسالكين في طريق التعليم وسياسة أمر الناس والمجتمع، وهي أن يراعي المعلم مستوى فهم المخاطب أو المتلقي فيخصّ ببعض العلم من يتوافر فيه حسن الفهم للخطاب، ولا يبذله لمن يقصر فهمه عن مدلولات الخطاب ومقاصده وبالتالي يسيئ الفهم ويقع في المحذور، ومنه ما أخرجه البخاري في (باب: من خص بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا)، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، (أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل، قال: (يا معاذ بن جبل). قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: (يا معاذ). قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً، قال: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار). قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: (إذا يتكلموا). وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً^(٣).

وفي رواية أخرى: (أن النبي ﷺ قال لمعاذ: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة). قال: ألا أبشّر الناس؟ قال: (لا، إني أخاف أن يتكلموا).

(١) فتح الباري: ٢٢٥/١.

(٢) شرح صحيح البخاري: ٢٠٥/١، وينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ١٥٣/٢.

(٣) ينظر الباب في كتاب العلم من صحيح البخاري.



قال ابن بطال: (قال المهلب: فيه أنه يجب أن يُخصَّصَ بالعلم قوم لما فيهم من الضبط وصحة الفهم، ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لقصير فهمه، كما فعل ﷺ^(١)).

لذلك على العالم ألا يضع العلم إلا عند من يستحقه ويفهمه، ومن يظن أنه يضبطه كما فعل معاذ حين حدّث به بعد أن نهاه النبي ﷺ عن أن يخبر به خوف الاتكال^(٢).

هذه هي أهم الوسائل النبوية المستنبطة من كتاب العلم من صحيح البخاري، التي تحت على الفقه والعلم والتي تسهم في بناء الفهم السليم لدى المتلقي وتؤسس لخطاب إسلامي معتدل له دوره الكبير في تعزيز التنمية المجتمعية.

وبعد أن نتحقق هذه المعاني وتترجم عملياً في التعامل مع النص الشرعي لابد أن يتحقق أثرها في بناء خطاب معتدل وهذا ما سنبحثه في المطلب الثاني من هذا البحث.

المطلب الثاني: أثر الفهم في اعتدال الخطاب

مرّ بنا تعريف الفهم والعلم، ومن أجل فهم العلاقة بين حسن الفهم والخطاب الديني ومعرفة كنه هذه العلاقة لابد من تعريف الخطاب (الإسلامي) أولاً ثم بيان أهمية العلاقة الوثيقة بينهما وكما يأتي:

أولاً: مفهوم الخطاب: الخطاب في اللغة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً^(٣)، والخطاب هو الكلام الذي يُقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطاباً^(٤).

والخطاب الديني (الإسلامي) هو الخطاب الذي مستنده الدين، ويقصد به إيصال الأحكام الشرعية للناس، بوساطة النبي ﷺ، لتنظيم علاقتهم بخالقهم وعلاقتهم مع أنفسهم وفيما بينهم، والخطاب الإسلامي متوسط معتدل في أصله، وعامل مؤثر في ترسيخ السلم الاجتماعي.

لذا يمكن تعريف الخطاب الديني الإسلامي بمفهومه الاصطلاحي بأنه الكلام المستند لمرجعية إسلامية من القرآن والسنة، سواء أكان منتج الخطاب جماعة أم أفراداً^(٥).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٢٠٧/١، وينظر: فتح الباري: ٢٢٨/١.

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٢٠٧/١.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٣٦٠/١.

(٤) ينظر: الإحكام للآمدي: ٩٥/١.

(٥) ينظر: مفهوم الخطاب الإسلامي: مقال د. السيد محمد مرعي، على موقع الألوكة.



فالخطاب الإسلامي هو الوعاء المعبر عن الإسلام في عقيدته وفلسفته الفكرية ونظرته الشمولية للحياة، إذا كان على وفق ضوابطه ومبادئه التي ذكرناها سابقاً.

ثانياً: سمات الخطاب الإسلامي: إن من أهم سمات الخطاب الإسلامي الربانية في المصدر والمنشأ، فالخطاب الديني يجب أن يكون ربانياً في مصدره ومنشأه يستمد مبادئه وقيمه من تعاليم الدين الحنيف بمصدره الرئيسين الكتاب والسنة، وهذا هو مقتضى الرسالة الإلهية التي أنزلت رحمة للعالمين وجاءت لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

إن الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط من سمات الخطاب الإسلامي الأصيل؛ ولذا نجد أن من أهم بواعث الانحراف في الخطاب الديني هو سوء الفهم للنصوص الشرعية، وهو الذي يقود إلى سوء التطبيق حتماً، والغفلة عن مقاصد التشريع الإسلامي ومرامي الخطاب المعتدل.

ويبقى الخطاب الإسلامي الصحيح هو البعيد عن الانغلاق وفي الوقت نفسه المحافظ على وسطيته واعتداله من غير تفريط في الثوابت الشرعية، ولا إفراط في الانفتاح والتحرر من القيود والضوابط الشرعية، والوقوع في المحظور والمحرمات، أو التحريف في المفاهيم الإسلامية وتعطيل الأحكام الشرعية من خلال التلاعب بمعاني النصوص ودلالاتها أو تتبع الرخص الشرعية وتقديم الآراء المرجوحة على الراجحة.

ثالثاً: العلاقة بين الفهم والخطاب:

إن الفهم قدرة عقلية تتفاوت في قوتها وضعفها بين الناس، فحسنُ الفهم للنص الواعي لمقاصده هو الذي يقدر الأمور بقدرها ويضعها في نصابها، ويستعين بالفهم السليم على تطبيق النصوص ويحافظ عليها من التحريف والتأويل الفاسد لدلالاتها، وأما ضعيف الفهم، فهو الذي يتجنى على النصوص ومراد الشارع بالخطاب، ولذلك نصَّ كثير من العلماء على أن من أسس طلب العلم: حسن الفهم والفقه للنصوص الشرعية، قال الخطيب البغدادي: (العلم هو الفهم والدراية، وليس بالإكثار والتوسع في الرواية)^(١).

وقال ابن عبد البر (ت ٤٦٣) في حكم الإكثار في الرواية من دون الفهم: (والذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلمائهم ذمُّ الإكثار دون تفقه ولا تدبر)^(٢).

إن حسن فهم النص، وحسن التعامل معه هو من باب حماية النص من التحريف والتأويل الفاسد، وهي مهمة العلماء المحققين كما أخبر الرسول ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ١٧٤/٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: ١٢٤/٢.



خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين^(١). وقد قدم هؤلاء العلماء جهوداً علمية كبيرة في خدمة فهم النص وتيسيره على طلبة العلم، بشكل لا نظير له في سائر الأمم، ومن ذلك ما قدمه علماء الحديث رحمهم الله تعالى على سبيل المثال في خدمة الحديث النبوي وفهمه، ومن أبرز هذه الجهود ما يأتي:

١. علم غريب الحديث: وهو العلم الذي يشرح الألفاظ الغامضة الواردة في متن الحديث، وهذا العلم لبنة أساسية في حسن فهم السنة النبوية، وقد سئل الإمام أحمد (ت ٢٠٤) رحمه الله تعالى عن حرف من الغريب فقال: (سلوا أصحاب الغريب؛ فإنني أكره أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطئ)^(٢).

٢. علم مختلف الحديث: وهو: العلم الذي يبحث في الأحاديث التي ظاهرها التعارض، فيزيل تعارضها، أو يوفق بينها، كما يبحث في الأحاديث التي يشكل فهمها أو تصورها، فيدفع إشكالاتها، ويوضح حقيقتها^(٣)، ويعرف أيضاً بمشكل الحديث، وهو من أهم العلوم التي وضعت لحسن فهم السنة النبوية.

٣. علم ناسخ الحديث ومنسوخه: والنسخ هو: (رفع تعلق حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه)^(٤). ومعرفة ما وقع فيه النسخ من الحديث النبوي من أهم ما يساعد على حسن فهم السنة النبوية. ومما يذكر أن الإمام علي عليه السلام مرَّ على قاصٍّ فقال: (تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلك)^(٥).

٤. علم أسباب ورود الحديث: وهو (ما ورد الحديث متحدثاً عنه أيام وقوعه)، ومنزلة هذا العلم من السنة كمنزلة أسباب النزول من القرآن، (وهو طريق قوي لفهم الحديث؛ لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)^(٦).

فكل هذه الوسائل هي غيض من فيض مما قدمه العلماء في القرون السابقة من خدمة السنة النبوية وتيسير وسائل فهم النص النبوي.

(١) ينظر تخريج ابن القيم له في: مفتاح دار السعادة: ١/١٦٣.

(٢) شرح نخبة الفكر للقاري: ص ٥٠٢.

(٣) ينظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: ص ٩١.

(٤) ينظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: ص ٩٥.

(٥) تدريب الراوي: ٢/٦٤٣.

(٦) منهج النقد في علوم الحديث: ص ٣٣٤، وينظر: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: ص ٤٦٧.



أثر حسن الفهم في تعزيز السلم المجتمعي:

إن حسن الفهم يقود إلى حسن التعامل مع النص الشرعي وهو ما ينعكس إيجابياً بالضرورة على حسن الخطاب الإسلامي في اعتداله ووسطيته وشموليته وبالتالي يساعد على المحافظة على السلم المجتمعي وتحصين المجتمع من الغلو والتطرف، ولو أخذنا الحديث النبوي مثلاً للنص الشرعي وكيفية التعامل معه فإن العلماء من الفقهاء والمحدثين ذكروا مبادئ عامة للتعامل مع النص النبوي وتضبط قواعد فهم النص، ومنها ما يأتي^(١):

١. التوثق من صحة ثبوت النص (الحديث).

الاستيثاق من صحة النص يكون على وفق القواعد الدقيقة التي وضعها علماء الحديث في قبول الروايات وردها، وهو علم (مصطلح الحديث) لا يوجد له نظير في بقية الأمم، فلا ينبغي التعامل مع أي حديث قبل التوثق من صحة ثبوته في مظان السنة النبوية، فنقبل الصحيح والحسن، ولا نقبل الموضوع أو الضعيف غير القابل للعمل به.

٢. قراءة النص على وفق دلالات اللغة وفي ضوء سياق حديث الكلام النبوي.

لا ينبغي لمن أراد فهم كلام النبوة أن يقرأ النص الحديثي بعيداً عن قواعد لغة الخطاب النبوي ولسان العرب، وأن يكون فهمه في ضمن السياق العام للحديث في الواقعة أو القصة ولا سيما في لغة من أوتي جوامع الكلم وملك ناصية الفصاحة والبيان الإنساني.

٣. معرفة سبب ورود الحديث النبوي.

لكل حديث سبب وقصة، فمن يريد حسن فهم الحديث النبوي لابد من معرفته بسبب ورود الحديث والظروف المحيطة بالحديث.

٤. فهم الحديث في ظلال القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة الأخرى.

لكي نفهم السنة النبوية فهماً صحيحاً بعيداً عن التحريف والانتحال، وسوء التأويل، لابد من أن نفهمها في ضوء القرآن الكريم مقاصده الكلية، لأنه روح الوجود الإسلامي، وأساس بنيانه، وإنما السنة شارحة له، وهي البيان النظري، والتطبيق العملي للقرآن، وما كان للبيان أن يناقض المبيّن، ولا الفرع أن يعارض الأصل^(٢).

(١) ينظر: المدخل لدراسة السنة النبوية: ص ٩٤-١٠٠.

(٢) ينظر: المدخل لدراسة السنة النبوية: ١٠٨-١٠٩.



٥. التأكد من سلامة النص من معارض أقوى منه من القرآن أو الحديث.

وهذه قاعدة مهمة في فهم النصوص النبوية بألا يكون هناك تعارض في الدلالة والمعنى بين الحديث النبوي والقرآن الكريم، وكذلك سائر الأحاديث الصحيحة الأخرى فالنبي ﷺ ﴿وَمَا يَطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم ٣-٤) فكيف يخالف حديثه القرآن!؟

٦. جمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد.

من اللازم لفهم السنة فهماً صحيحاً أن تجمع الأحاديث الصحيحة فيرد متشابهها على محكمها، ويفسر عامها بخاصها، ويحمل مطلقها على مقيدها، وبذلك يفهم المعنى المراد وتترك مقاصده، ولا تضرب بعضها ببعض^(١).

٧. الجمع أو الترجيح بين مختلف الحديث.

لأن الأصل في النصوص الشرعية ألا تتعارض ولا تتناقض، فإذا افترض وقوع شيء من هذا التعارض في الظاهر لا على الحقيقة فالواجب إزالة هذا التعارض -المتوهم- وهذا يكون إما بالجمع بين النصين، وهو الأولى، أو بالترجيح بينهما على أحد وجوه الترجيح التي ذكرها العلماء وأوصلها قسم منهم إلى أكثر من ستين وجهاً^(٢).

هذه المبادئ التي قررها العلماء في التعامل مع النص الشرعي هي بمثابة صمام الأمان بالنسبة للعلماء والدعاة والخطباء في اتباع منهجية علمية واضحة في التعاطي مع الوقائع والأحداث التي تواجههم في المجتمع والحياة اليومية؛ لذا فالواجب عليهم أن ينهضوا لمواجهة خطاب التطرف والغلو وأن يعملوا لاستعادة السلم الاجتماعي وهو السبيل الوحيد لاستقرار الحياة العامة والتقدم والتطور الإيجابي؛ لأن عامل الاستقرار مهم وضروري فلا أمن ولا استقرار إلا بوجود مقومات السلم الاجتماعي القائم على اعتدال الخطاب على مختلف الصعد السياسية والدينية والاجتماعية.

إن الفهم السليم لنصوص الوحيين (القرآن الكريم والسنة النبوية) تمنح المسلم الحصانة من الانحراف والزيغ عن مقاصد الشريعة ومراد خطاب الشارع، فاعتدال الخطاب الديني القائم على الفهم السليم للنصوص الشرعية والاستدلال الصحيح هو أفضل طريقة يمكن أن تعالج جميع الانحرافات التي تعاني منها المجتمعات اليوم سواء كانت هذه الانحرافات عقديّة أم فكرية، وهي

(١) ينظر: المدخل لدراسة السنة النبوية: ١٤٠.

(٢) ينظر: المدخل لدراسة السنة النبوية: ١٥٣.



كفيلة بإيجاد شخصية متزنة مطمئنة قادرة على بث روح الاعتدال والتسامح في المجتمع المؤسس للسلم المجتمعي.

وفي المقابل فإن سوء فهم النص وعدم إدراك مقاصده وبالتالي غياب خطاب الاعتدال يؤدي إلى الاضطراب في الشخصية وعدم اتزانها وهو ما يخلق جواً من التوتر والتعصب داخل المجتمع وبث روح الفرقة والخلاف بين أبنائه، الأمر الذي يهدد السلم والأمن المجتمعي، ويؤدي بالضرورة إلى الضلال والانحراف في الخطاب عن مقاصده ومراميه، قال ابن القيم: (وما أكثر ما ينقل الناس المذاهب الباطلة عن العلماء بالأفهام القاصرة)^(١).



الخاتمة

يمكن أن نلخص أهم نتائج البحث بما يأتي:

١. عظم منزلة الفهم في العلم وأهميته في التعامل مع النصوص الشرعية لمصدري الوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية.
٢. لحسن فهم النصوص الشرعية أثر كبير في اعتدال الخطاب الإسلامي الذي يعد من أهم ركائز السلم المجتمعي.
٣. استعمل النبي ﷺ وسائل عديدة وطرائق مختلفة في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم وكانت بمثابة قواعد أساسية لفهم النصوص الشرعية، وقد تطرق البحث إلى إحدى عشرة وسيلة.
٤. إن حسن الفهم يقود إلى حسن التعامل مع النص الشرعي وهو ما ينعكس إيجابياً بالضرورة على حسن الخطاب الإسلامي في اعتداله ووسطيته وبالتالي يعزز السلم المجتمعي وتحصين المجتمع من الغلو والتطرف.
٥. إن من أهم بواعث الانحراف في الخطاب الديني هو سوء الفهم للنصوص الشرعية، وهو الذي يقود إلى سوء التطبيق حتماً، والغفلة عن مقاصد التشريع الإسلامي ومرامي الخطاب المعتدل.

التوصيات

١. يوصي الباحث بضرورة حث طلبة العلم الشرعي على الاهتمام بالفهم في العلم والحرص على التفكير العميق، والابتعاد عن السطحية في التعامل مع النصوص الشرعية.
٢. يوصي الباحث المتخصصين بالدراسات الشرعية ولاسيما الباحثين بعلوم الحديث النبوي بالناية بالدراسات التحليلية ووضع منهجية واضحة للتعامل مع نصوص السنة.
٣. يوصي الباحث الأساتذة والمعلمين بضرورة اتباع الوسائل النبوية التعليمية في الحث على الفهم المؤسسة لخطاب الاعتدال.



المصادر والمراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام للآمدي أبو الحسن الآمدي (ت ٦٣١هـ): تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣هـ.
٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين: المؤلف: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٣هـ.
٤. تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.
٥. تدريب الراوي تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض.
٦. التعريفات للجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٧. جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٨. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.
٩. شرح صحيح البخاري لابن بطل (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
١٠. شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر: الملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار الأرقم، بيروت.
١١. صحيح البخاري: (ت ٢٥٦هـ)، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.



١٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٤. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: د. سعيد بن علي القحطاني، مطبوعات وزارة الأوقاف، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ.
١٥. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: شمس الدين الكرمانى (ت ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٦. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري: أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت ٨٩٣هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٧. لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
١٨. مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٩. المدخل لدراسة السنة النبوية: القرضاوي، مكتبة وهبة، ط ٥، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٢١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢. مفهوم الخطاب الإسلامي: مقال د. السيد محمد مرعي، على موقع الألوكة.
٢٣. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٤. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.



٢٦. منهج النقد في علوم الحديث: الدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٢٧. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مُصْطَلَحِ أَهْلِ الْأَثَرِ: ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي (جامعة طيبة بالمدينة المنورة)، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٨. الوسائط التعليمية في الأحاديث النبوية، مقال: سعيد رفعت راجح، موقع الألوكة.
٢٩. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد أبو شُهبة (ت١٤٠٣هـ)، دار الفكر العربي.





أثر خط القرآن الكريم والسنة النبوية في نشر ثقافة المحبة والتسامح

م.د. كريم حمزة حميدي
كلية الإمام الكاظم (ع)
أقسام بابل

kareemkareemxx@yahoo.com

ISSN: 2071-6028





أثر خطاب القرآن الكريم والسنة النبوية
في نشر ثقافة المحبة والتسامح

م.د كريم حمزة حميدي
كلية الإمام الكاظم (ع) - أقسام بابل

ملخص باللغة العربية

لقد جعل الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام أمة الاعتدال والتسامح والمحبة، فليس التطرف والغلو والظلم والعدوان على الآخرين من شيم هذه الأمة فقد جعلها الله تعالى أمةً وسطاً كما نصَّ القرآن الكريم ذلك، فالتسامح والمحبة هما ركيزة الإسلام في مرحلة الدعوة باعتراف جميع المؤرخين وعند القراءة الواعية للقرآن الكريم والتأمل في نصوصه المباركة، وبإنعام النظر في سيرة الرسول المصطفى ﷺ نجد فيهما تأكيد الاعتدال والاستقامة في شتى جوانب الحياة، من هنا حاول البحث رصد عددٍ من مظاهر خطاب المحبة والتسامح في المدونتين المقدستين، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فجاء البحث على تمهيدٍ ومبحثين، تناولتُ في التمهيد الخطاب وأثره في المتلقي. في حين جاء المبحث الأول ليسلط الضوء على دراسة النصوص القرآنية التي تتضمن خطاب المحبة والتسامح. وأما المبحث الثاني فخصص لدراسة النصوص الواردة عن السنة النبوية الشريفة في ضوء خطاب المحبة والتسامح.

الكلمات المفتاحية: خطاب ، ثقافة ، محبة

Impact of Quran and Sunnah Discourse on the Dissemination of the values of Love and Forgiveness

Dr. Karim Hamza Hameedi Al-Essawi
Grand Imam University College

Abstract: Almighty Allah made Islamic nation a nation of love, tolerance and moderation. So, extremity, extravagance, tyranny, and aggression against others are not its traits. Instead, Almighty Allah made a middle nation as Holy Quran revealed. Love and tolerance were one of the important pillars of Islamic nation at the stage of its call with the admittance of all historians. A close reading and contemplation for Holy Quran and its texts with due attention to the biography of Prophet Mohammad (PBUH) finds that there is an emphasis on moderation and straightness in all walks of life. The paper tries to observe several phases of tolerance and love in Holy Quran and Honorable Prophet Hadeeth (Sunnah). Accordingly, the paper consists of an introduction and two chapters. In the introduction, I have dealt with the discourse and its effect on the recipient. Chapter one sheds light on the study of Quranic texts which encompass the discourse of tolerance and love. While chapter two is allocated to study the texts in Honorable Prophet Hadeeth (Sunnah) which covers the discourse of tolerance and love. The researcher concludes that the vocabulary of "love" and its derivations is used extensively in Holy Quran and Honorable Prophet Hadeeth (Sunnah). Almighty Allah proves in short sentences of Holy Quran the mutual love between the creator and the creatures and vice versa. More importantly, the Holy Quran talks about non-believers as brothers of prophets (Peace be Upon Them) in eight Quranic places. One of the visible human positions which are immortalized by history in the Prophet's biography is the brotherhood between immigrants and supporters. It is still a prominent feature of love. The prophet's attitude and respect towards holy books which belong to Jews not only affects the Jews themselves but also the orientalists of Jews afterwards. This issue proves the originality and depth of Prophet's human mission.

Keywords: speech, culture, love



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم. وبعد...

فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الإسلام خاتماً للأديان، وقد كرم الله تعالى أمة الإسلام من بين جميع الأمم بأن جعلها أمة الاعتدال والتسامح والمحبة، فليس التطرف والغلو والظلم والعدوان على الآخرين من شيم هذه الأمة فقد جعلها الله تعالى أمةً وسطاً كما نص القرآن الكريم ذلك، فالتسامح والمحبة هما ركيزة الإسلام في مرحلة الدعوة باعتراف جميع المؤرخين وعند القراءة الواعية للقرآن الكريم والتأمل في نصوصه المباركة، وإنعام النظر في سيرة الرسول المصطفى ﷺ نجد فيها تأكيد الاعتدال والاستقامة في شتى جوانب الحياة، ومن أهم الأمور التي تتجلى فيها أهمية الاعتدال وآثاره على الفرد والمجتمع هو كيفية التعامل مع الآخر الذي يختلف مع المسلم في عقيدته أو في رأي معين، وهذا لا يأتي إلا من خلال ثقافة المحبة والتسامح.

من هنا حاول البحث رصد عددٍ من مظاهر خطاب المحبة والتسامح في المدونتين المقدستين، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فجاء البحث على تمهيدٍ ومبحثين، تناولتُ في التمهيد الخطاب وأثره في المتلقي. في حين جاء المبحث الأول ليسلط الضوء على دراسة النصوص القرآنية التي تتضمن خطاب المحبة والتسامح في التعامل مع الآخر سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيرهم. وأما المبحث الثاني فخصص لدراسة النصوص الواردة عن النبي ﷺ في ضوء خطاب المحبة والتسامح والابتعاد عن التطرف والتشدد. وقد ختمتُ البحث بخلاصةٍ بيّنتُ فيها أهم ما جاء في البحث، وقد تتوّعتُ روافد البحث بين المصادر القرآنية والمدونات الحديثة وغيرها مما يخدم فكرة البحث. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



التمهيد: الخطاب وأثره في المتلقي

يُعدُّ الخطابُ من أهم مظاهر السلوك الإنساني، بل هو هويَّة الإنسان، فضلاً عن كونه المرأة التي تعكسُ مشاعرَهُ وانفعالاته واتجاهاته النفسيَّة، يُقابلُ ذلك متلقي الخطاب الذي لا بدُّ من أن تظهر آثار ذلك الخطاب فيه، والخطابُ في اللغة: مراجعةُ الكلام^(١). أي: مراجعة الكلام بين المتكلم والسامع. جاء في (مقاييس اللغة): "الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطَبُهُ يُخَاطَبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ"^(٢). أمَّا معنى الخطاب في الاصطلاح، فهو: "توجيهُ الكلام نحو الغير للإفهام، ثُمَّ نُقِلَ إلى الكلام المُوجَّه نحو الغير للإفهام، وقد يُعبَّر عنه بما يقع به التخاطب"^(٣). فلا بدُّ من أن يكون ذلك الخطاب مفهوماً، ويتجنَّب الغموض، وهذا ما ذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ [ص: ٢٠]. قال الزمخشري: هو "البين من الكلام المخلص الذي يتبينه من يُخاطَب به لا يلتبس عليه"^(٤). لذا يحتاج الخطيبُ إلى لغةٍ فصيحَةٍ وبلاغةٍ في البيان، تعينه على إظهار ما استجاشت به نفسه من مشاعر مكارم الأخلاق وسمو النفس، فيكونُ ذا ذوقٍ لفظيٍّ، ونموٍّ فكريٍّ، وعاطفةٍ جيَّاشةٍ. ومن هنا قيل: "مطالع العلوم ثلاثة: قلب مفكر، ولسان معبر، وبيان مصور"^(٥) وبالعبرة الجزلة الجميلة المؤثرة تُستدر العواطف، ويُجمع بها شتات القلوب المتفرقة، وتجمع بها كلمة الحق والخير.

وأما المُخاطَبُ، فهو عنصرٌ مهمٌّ في تركيبة الخطاب، وهو العنصر الثاني من حيث الأهمية، فلا بدُّ من وجود وشائج الاتصال مع الآخرين؛ لأنَّ "الوعي الذاتي يقتضي الشعور بالآخرين، فهو اجتماعي في أعماق طباعته الميتافيزيقية، وما دامت حياة الإنسان تعبيراً عن الأنا فإنها تفترض وجود الآخرين"^(٦).

(١) ينظر العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة (خطب): ٢٢٢/٤، وتهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، مادة (خطب): ١١٢/٧.

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م. مادة (خطب): ١٩٨/٢.

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦: ٧٤٩/١.

(٤) الكشف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ: ٨٠/٤.

(٥) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل، طبع: بيروت، دار الكتب العلمية د.ت: ٤٨.

(٦) العزلة والمجتمع، نيقولا يرد يائف، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: علي أدهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م: ٩١.



ويأتي خطاب القرآن الكريم في صدارة الاستعمالات اللغوية في التراث من حيث التأثير في المتلقي، فانبهر به العرب، وكان سبباً رئيساً لدخول غير العرب في الدين الإسلامي؛ فأعجز القدرة البشرية أن تأتي مثله. لذا عمد البيانون بمختلف مرجعياتهم إلى تغلغل النص القرآني في بواطن نتائجهم الإبداعية والفكرية، ليكون مرجعية تعين المتلقي على تفهم خلفية النص المرسل، كما تعين المرسل على نسج نصّه بصور مستجيبة عند القارئ المسلم^(١).

ومن هنا فإننا يجب أن نؤثر الاستعمال القرآني والخطاب الإلهي بوصفه نظاماً كلامياً عالياً على الاستعمالات كافة؛ لأننا كما يقول الدكتور صبحي الصالح: (نجعل القرآن حكماً على قواعد اللغة والنحو، ولا نجعل تلك القواعد حكماً على القرآن، فما استمد النحاة قواعدهم إلا من القرآن بالدرجة الأولى، ثم من الحديث وكلام العرب بالدرجة الثانية)^(٢). فما زال المتكلم اليوم بحاجة إلى التزوّد من الخطاب القرآني بغض النظر عن قواعد اللغة؛ لما فيه من حجة للسان، وبراعة في البيان.

المبحث الأول: خطاب المحبة والتسامح في القرآن الكريم

سنتناول في هذا المبحث عدداً من الآيات القرآنية المتضمنة خطاب المحبة والتسامح، سواء أكان ذلك الخطاب مع المسلمين أم مع غيرهم؛ لأنّ الخطاب في الإجمال هو خطاب سماوي، يحمل صفات حميدة ملؤها المحبة والتسامح، والتي انعكست على خلق صاحب الدعوة الإسلامية الرسول محمد ﷺ، كما سيتبين ذلك في المبحث الثاني.

إنّ لفظ (الحب) ومشتقاته استُعمل كثيراً في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ. وقد أثبت الله تعالى في جمل قصيرة من القرآن حبّ العباد مع الله وحبّ الله مع العباد، فقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. ثم أظهر لبيان المقصود نوعية العباد الذين يستحقون محبة الله؛ إذ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ويعلم بهذه الآيات أن صفات الإحسان والتوبة والعدل والقسط والنقوى والصبر والطهارة وسيلة لحب الله تعالى.

فعلى سبيل التمثيل في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المذكور آنفاً قال الراغب الأصفهاني: (فمحبة الله تعالى للعبد إنعامه عليه، ومحبة العبد له طلب الرّزق لديه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَحَبُّ حُبِّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِي﴾ [ص: ٣٢]، فمعناه: أحببت الخيل حبّي للخير، وقوله

(١) ينظر تأصيل النص (قراءة في أبديولوجيا التناص)، د. مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات، صنعاء، اليمن، ط ١، ٢٠٠٣م: ١٦٨.

(٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط ٢، ٢٠٠٠م: ٢٥٨.



تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، أي: يثيبهم وينعم عليهم، وقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]، تنبيهها أنه بارتكاب الآثام يصير بحيث لا يتوب لتمامه في ذلك، وإذا لم يتب لم يحبّه الله المحبّة التي وعد بها التوابين والمتطهرين^(١). ويحمل الخطاب القرآني في هذا النص دلائل معنوية كبيرة؛ إذ إنّ محبة المعبود للعبد أعلى ما يطمح إليه الإنسان الذي تحلّى بالإحسان والصبر والتوبة وغيرها من الصفات، ممّا يدلّ على عظمة الخالق ورحمته وعطفه، بخلاف من يصور العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسر، وعذاب وعقاب، وجفوة وانقطاع.

ومن الآيات القرآنية التي تدلّ على التسامح قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة: ١٠٩]. فالعفو: هو ترك العقوبة على الذنب. والصفح: هو ترك اللوم عليه وهو أبلغ من العفو، إذ قد يعفو ولا يصفح. جاء في تفسير الطبري: (يعني جل ثناؤه بقوله: (فاعفوا) فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وخطأ في رأي أشاروا به عليكم في دينكم، إرادة صدكم عنه، ومحاولة ارتدادكم بعد إيمانكم، وعما سلف منهم من قيلهم لنبيكم ﷺ: ﴿وَأَسْمِعْ عَذْرَاسِمْ وَرَعْنَا لِيَا أَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْبَانِ﴾ [النساء: ٤٦]، واصفحوا عما كان منهم من جهل في ذلك حتى يأتي الله بأمره، فيحدث لكم من أمره فيكم ما يشاء، ويقضي فيهم ما يريد. ففرض فيهم تعالى ذكره، وأتى بأمره^(٢). والأمر بالصفح والصفح هو أن لا يقاتلوا وأن يعرض عن جوابهم فيكون أدعى لتسكين النائرة وإطفاء الفتنة وإسلام بعضهم، لا أنه يكون ذلك على وجه الرضا^(٣).

ومن الآيات التي تضمنت الاعتدال في التعامل مع أهل الكتاب من خلال محاورتهم بالحنس والانتلاق من النقاط المشتركة بوصفهم أتباعا لديانات سماوية، قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فعند الرجوع إلى أقوال المفسرين

- (١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ: ٢١٥.
- (٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ٢/٥٠٣.
- (٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ: ١/٥٥٩.



لمعرفة المراد من الآية والمقصود من كلمة (سواء) نجد أن المراد منها كلمة الحق والعدل، يقول السمرقندي في تفسيره لهذه الآية: (قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ۟﴾ يعني كلمة عدل بيننا وبينكم... ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يعني ألا نوحّد إلا الله ﴿وَلَا تُشْرِكُ بِهِۦ شَيْئًا﴾ من خلقه ﴿وَلَا يَخْذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم اتخذوا عيسى ربا... ﴿إِن تَوَلَّوْا۟﴾ يعني أبوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا۟﴾ لهم يا معشر المسلمين ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: مخلصون لله بالعبادة والتوحيد^(١).

وبناءً على ما تقدّم اتّضح بأنّ المراد من (كلمة سواء) هي الكلمة العادلة التي لا ميل فيها لطرف دون آخر وهي كلمة الحق التي جاء بها جميع الأنبياء وهي توحيد الله تعالى وترك عبادة غيره^(٢).

لذا نجد النص القرآني يعبر عن القوم الكافرين بأنّهم إخوة الأنبياء (عليهم السلام)، في ثمانية مواضع قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُم هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، فأضاف الله تعالى نبيه إلى الكافرين بالأخوة^(٣)، ولتوضيح الإخوة قيل: إنهم قالوا للأنبياء أخوهم وإن كانوا كفرة، يعني به أنّه قد أتاهم بشرّ مثلهم من ولد أبيهم آدم، وهو أرحج عليهم. ويجوز أن يكون أخاهم؛ لأنه من قومهم ليكون أفهم لهم بأن يأخذوا عن رجل منهم^(٤).

إنّ هذا التعبير يشير إلى أنّ معاملة هود لهم كانت أخوية على الرغم من كونه نبياً، وهذه الحالة هي صفة الأنبياء (عليهم السلام) جميعاً، فهم لا يعاملون الناس من منطق الزعامة والقيادة أو معاملة أب لأبنائه، بل من منطلق أنّهم إخوة لهم معاملة خالية من أية شائبة واي امتياز أو استعلاء^(٥) ويتكرر الحكم ذاته مع قوم النبي صالح (عليهم السلام)، وذلك في قوله

(١) تفسير السمرقندي، (بحر العلوم)، بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ): ٢٢١/١.

(٢) مجمع البيان، مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطوسي، صيدا، ١١٣٣هـ: ٢١٤/٢.

(٣) ينظر الإفصاح، محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مركز مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، ط ١، قم - إيران، ١٤١٢هـ: ١٢٦.

(٤) ينظر معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: ٣٤٧/٢.

(٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط ٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م: ٥٨٨/٦.



تعالى: ﴿وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، ونرى هنا أيضاً أنَّ القرآن حين يتحدث عن نبيه صالح (عليه السلام) يذكره على أنه أخوهم، وأي تعبير أروع وأجمل منه حيث بيّنا قسماً من محتواه في الآيات المتقدمة، أخ محترق القلب ودود مشفق ليس له هدف إلاّ الخير لجماعته^(١).

ومن الآيات القرآنية المباركة التي تجلت فيها أسمى صور الاعتدال في التعامل مع اليهود والنصارى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ففي هذه الآية الكريمة يضع القرآن الكريم للمسلم منهج المناظرة والمحاورة مع أهل الكتاب وهو منهج الاعتدال والاستقامة والانصاف، فالقرآن الكريم يأمر المسلمين بأن تكون مجادلتهم ومناظرتهم لأهل الكتاب ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي أن تكون المناظرة والمجادلة معهم بالرفق ولين الكلام وحسن الخلق واللفظ في الدعوة إلى الحق، لا أن يكون الكلام معهم بالشدّة والغلظة والتعالي عليهم ومحاولة الانتقاص منهم، وأن يكون الهدف منها الوصول إلى الحق واتباعه وليس بقصد الانتقاص منهم وإظهار ضعفهم وعجزهم عن الرد؛ لأن ذلك لا يعود بالنفع على الاسلام والمسلمين، فيكون الكلام معهم بأسلوب معتدل جميل ينتقي فيه المتحدث عباراته بعيداً عن التطرف والغلو فيستميل قلب الطرف الآخر إليه ويصلا معاً إلى الحق، باستثناء ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فهؤلاء لا ينفع معهم الرفق واللين لأنهم أعلنوا عداوتهم لله ورسوله وكفروا بالنبي ﷺ وكنتمو ما يعرفون من صفاته المذكورة في الانجيل^(٢).

وبعد التوجيه بالقول بالحسنى في محاجتهم لأهل الكتاب أمرهم القرآن الكريم بأن يوضحوا لهم موقف الاسلام من الأنبياء السابقين (عليهم السلام) فالمسلمون يؤمنون بمن سبقهم من الأنبياء (عليهم السلام) ويجمعهم مع أتباع الديانات السماوية الأخرى توحيد الله تعالى وعدم الشرك به جلّ وعلا، يقول تعالى: ﴿مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ فالقرآن الكريم يريد أن تكون محاجة المسلمين لأهل الكتاب (مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن

(١) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٥٧٧/٦.

(٢) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٣١/٨ - ٣٢، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ٦٣٢.



مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدر في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدر بجميع ما معهم من حق وباطل فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن الواجب أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافراً^(١). فمن خلال هذه المحاجة والمناظرة المنطقية التي تنتم بالاعتدال والانصاف في التعامل مع الآخر تقام الحجة عليهم لأن القرآن الكريم يؤكد على القضايا العقائدية المشتركة بين جميع الأديان السماوية فتوحيد الله تعالى والإيمان بالرسول وبالكتب السماوية التي أنزلت معهم وما أنزل على نبينا الكريم محمد ﷺ هذه الأمور هي من صميم الاسلام ومن خلال هذا الخطاب المعتدل تقام الحجة عليهم بالتصديق بالنبي محمد ﷺ والايمان بالقرآن الكريم^(٢)، فهذا الخطاب المعتدل يظهر الحق جلياً أمام الآخر بعيداً عن التطرف أو الغلو والاقصاء أو الانتقاص من الرسل (عليهم السلام)، فالمسلم لا يمنع الهوى وتأخذه العزة بالإثم من الاعتراف بالحق إن كان مع من يختلف معه في العقيدة أو الرأي بل يكون الهدف هو إعلاء الحق ونصرتة واتباعه بعيداً عن التعصب لجهة دون أخرى وإملاء ما يريد عليه.

ومن المفاهيم والمبادئ التي دعا إليها الإسلام بل أكد عليها في أكثر من مورد؛ إذ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِآيَاتِهِ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ لَفُتِنًا لَعَلَّ يَفْتِنُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعُفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وبهذا الخلق الرفيع وهذه الرحمة الواسعة استطاع النبي ﷺ أن يهدي الطغاة والمتجرفين والأجلاف الذين لم يستطع أحد قبله أن يتعامل معهم أو يقودهم. فقد أرسل الله تعالى نبيه الأكرم رحمة للعالمين، من دون التفريق بين العالمين سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين.

ومن آيات التسامح والمغفرة قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجن: ١٤]؛ إذ ندبهم إلى حسن الخلق، وجميل العشرة، والتجاوز عن الجهل، والتفكير من كدورات البشرية. ومقتضيات الشَّحِّ. وبين أن الله ﷻ لا يفوته أحد. فمن أراد أن يعرف كيف يحفظ أوليائه، وكيف يدمر أعداءه. فليصبر أياماً قلائل ليعلم كيف صارت

(١) تيسير الكريم الرحمن: السعدي: ٦٣٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن: السعدي: ٦٣٢.



عواقبهم^(١). قال الرازي: (وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْغُفْرَانِ الصَّبْرُ وَتَرْكُ الْإِنْتِقَامِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِالْغَوْرِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الْفُرْقَان: ٧٢] وَقَالَ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْأَعْرَابِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الْأَحْقَاف: ٣٥] وَقَالَ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٤] قَالَ الْوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ هَذَا قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ السَّيْفِ. قَالَ الْقَفَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الَّذِي عِنْدِي أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْسُوحٍ وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا نَزَلَتْ عَقِيبَ قِصَّةِ أُحُدٍ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ أُمِرُوا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يُؤْدُونَ بِهِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَرِيقِ الْأَقْوَالِ الْجَارِيَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَاسْتِعْمَالِ مَذَارِئِهِمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَمْرِ بِالْقِتَالِ لَا يُنَافِي الْأَمْرَ بِالْمُصَابِرَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَ الْوَاحِدِيِّ ضَعِيفٌ، وَلِقَوْلِهِ مَا قَالَهُ الْقَفَّالُ^(٢). فهذه جملة من الآيات الكريمة التي ذكرها الرازي ليبين أن المغفرة هنا هي الصبر، ثم رد على الواحدي قوله بالنسخ؛ لما يترتب عليه من معنى ضد المحبة والتسامح التي تترجح من دلالة الآية الظاهرة، فضلاً عن سياق النص.

وهذا دليل آخر يظهر منهجية القرآن الكريم في حرية الفكر والمعتقد، فالنقطة السابقة بينت أن الإسلام لا يلزم أحداً باتباع منهجيته بالقوة، والنقطة الحالية تؤكد على السماح للآخر بممارسة المعتقد المخالف للرؤية الإسلامية، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١-٦].

المبحث الثاني: خطاب المحبة والتسامح عند النبي ﷺ

سنتناول في هذا المبحث خطاب المحبة والتسامح في النصوص الموروثة عن النبي محمد ﷺ، فقد قام دين الله ﷺ وشع نوره ليضيء أرجاء المعمورة فكان العدل عماده والسماح أوتاده، به حفظت الحقوق وصينت الحرمات وعمرت الأوطان وسعدت النفوس واستقرت الأرواح، وقد نصب الحق سبحانه وتعالى لهذا الكون موازين قسط وعدل، ومن هذه الموازين رسول الإنسانية، ومثبت أركان المحبة والتسامح، النبي محمد ﷺ، وتمثل ذلك بأقواله وأفعاله. من هنا سنسلط الضوء في هذا المبحث على أقواله وأفعاله ﷺ وأثرهما في نشر المحبة والتسامح.

- (١) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٣، د.ت: ٣٩١/٣.
- (٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ: ٤٥٤/٩.



ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تعدُّ عنوانينا للمحبة والتسامح قوله (ﷺ) كما جاء في صحيح البخاري: (رَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)^(١). ومنه قوله (ﷺ): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهْرِ)^(٢). فقوله (ﷺ) يشبه فيه المؤمنين بالجسد، الذي يكون الإنسان حريصاً أشدَّ الحرص على المحافظة عليه؛ لأنَّ إصابة عضوٍ منه مدعاةٌ لإصابته بالحمى والسَّهر، وكذا علاقة المؤمنين فيما بينهم من حيث الرحمة والمودة والصلة.

فالرسول محمد (ﷺ) أدبه ربه فأحسن تأديبه، وقد خلقه ليحمل أقوى رسالة، وأعظم هداية، رياه ربه على الصفح الجميل، ليكون قلبه متجها دائماً إلى ما هياه الله تعالى له، من حمل الدعوة إلى الحق، متفرغاً لها، فما كان من إحن يضعها دبر أذنه، وما كان من واجب تفرغ له ليليل الرسالة على أكمل وجه، فلا يشغل نفسه حقد، ولا تملؤها إحن، فحسك الصدور يشغل عن العمل، ويفسد الصلوات، ويغري بالعداوة، ونبي الله تعالى فوق أن يشغله ضغن. ولقد كان النبي (ﷺ) كذلك قبل أن يبعثه الله تعالى، فلم يعلم في تاريخ حياته أنه شغل نفسه بأحقاد الجاهلية وما كانت تبثه من عداوات^(٣).

ومن المواقف الإنسانية التي خلَّدها التاريخ في سيرة الرسول الأكرم (ﷺ) وتعدُّ علامةً من علامات المحبة هي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، إذ كانت سياسة الرسول في هذه الظروف القاسية سياسة القائد المحنك الرشيد، فقد عمل على تنظيم صفوف المسلمين وتوكيد وحدتهم، فربط بينهم برباط قوي متين، وذلك أنه عقد تلك الأخوة النادرة المثل بين الأنصار والمهاجرين، وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب، فكان أبو بكر الصديق أماً خارجة بن زهير الأنصاري، وكان أبو عبيدة بن الجراح أماً لسعد بن معاذ الأنصاري، وكان

(١) صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط ١، ١٤٢٢ هـ: ٥٧/٣. برقم (٢٠٧٦).

(٢) مكارم الأخلاق للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٩ هـ-١٩٨٩ م: ٣٤٣.

(٣) خاتم النبيين (ﷺ)، محمد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة (ت ١٣٩٤ هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥ هـ: ١٨٤/١.



عبد الرحمن بن عوف أخا لسعد بن الربيع الأنصاري، وهكذا أصبح المهاجرون والأنصار بنعمة الله إخواناً^(١).

إنَّ إخوة العقيدة والايما ن هي الأخوة المطلوبة؛ لأنَّها خالصة لذات الله عزَّ وجل، فهي ليست كأخوة النسب والعشيرة أو غيرها فقد ذكر لنا القرآن الكريم نهايات مأساوية لعدة مظاهر هي تعد من معاني الأخوة على الرغم من أنها لا تقل شأنًا عن أخوة الايمان فيما اذا اقترنت به، لذلك أثبت رسول الله ﷺ لسلمان المحمدي رابطة لا تنقطع حينما قال: (سلمان منا أهل البيت)^(٢)؛ لأنَّه قصد أهل بيت العقيدة الحقَّة، فصار مرتبطاً بأهل هذا البيت بهذه الرابطة. فالاختلاف الظاهر بين البشر من حيث البلدان والانساب والالوان وغير ذلك هذا الاختلاف ينصهر في بوتقة العقيدة والدين وهذا هو التشريع الذي جعله الدين الاسلامي وبنى عليه الهرم المجتمعي واراد الحفاظ عليه والدفاع عنه وصرح قائلاً : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. فالحب والتآخي في العقيدة ليس لأجل المصالح الدنيوية التي تتصرم مع زوال المصلحة.

وكان النبي ﷺ حريصاً على التزام التسامح الديني مع اليهود كونهم أهل كتاب سماوي أمثالاً لقوله تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وكثأكيد على التسامح الديني ما روي في البخاري عن أبي هريرة حين حدث تشاد بين مسلم ويهودي فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين وقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين فطم المسلم اليهودي فشكا إلى النبي محمد ﷺ فدعا المسلم ونهره قائلاً "لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى..."^(٣).

ومن مواقف التسامح في عهد الرسول ﷺ ما قرره بين المسلمين واليهود في صحيفة، فلمَّا قدم المدينة، كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادَّع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم، وجاء فيه: "أنه من تبعنا من يهود، فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وأنه لا يجبر مشرك ملاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن قبائل يهود أمة مع

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار (ت ١٤١١هـ)، دار الندوة الجديدة بيروت، لبنان: ١٩٥.

(٢) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢: ٢١٢/٦. برقم (٦٠٤٠).

(٣) ينظر صحيح البخاري: ١٢٠/٣. برقم (٢٤١١).



المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم^(١). لقد اعترفت الصحيفة لليهود ومواليهم بحرية ممارسة عقيدتهم، كما ضمنت لهم الحماية والمساواة في المعاملة. وهكذا ظلت طوائف يهودية كبيرة في بلاد الحجاز وفي المدينة المنورة ذاتها طوال عهد النبي ﷺ تنظم علاقتها بالمسلمين مصالحات وعهوداً أبرمها النبي ﷺ واستمرت نافذة بعد وفاته. ويوجد في المدينة على عهد النبي ﷺ بعض النصارى بقوا على دينهم، وكان الرسول ﷺ قد عرض على بعضهم الإسلام ولم يفرضه فإن أبوا قسمت أموالهم نصفين وتركت لهم حريتهم الدينية، وذلك فيما يبدو كان جارياً على النصارى المقيمين في المدينة وقد حدث جعدة بن هاني الحضرمي "أن النبي بعثه إلى رجل نصراني بالمدينة يدعوه إلى الاسلام وقال له: فإن أبى اقسام ماله نصفين".

أما ما تمثل في أحد المواقف وهو في موقعة مؤتة فإن الرسول ﷺ قد خرج مُشِيعاً لِأَهْلِ مُؤْتَةَ حَتَّى بَلَغَ ثِيَّةَ الْوَدَاعِ، فَوَقَّفَ وَوَقَّفُوا حَوْلَهُ، فَقَالَ: "اغْرُوا بِاسْمِ اللَّهِ فَقَاتِلُوا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ بِالشَّامِ، وَسَتَجِدُونَ فِيهِمْ رَجَالًا فِي الصَّوَامِعِ مُعْتَزِلِينَ مِنَ النَّاسِ فَلَا تَعْرَضُوا لَهُمْ، وَسَتَجِدُونَ آخِرِينَ لِلشَّيْطَانِ فِي رُءُوسِهِمْ مَفَاحِصُ فَأَقْلِقُوهَا بِالسُّيُوفِ، وَلَا تَقْتُلُوا امْرَأَةً، وَلَا صَغِيرًا ضَرْعًا، وَلَا كَبِيرًا فَانِيًا، وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرَةً، وَلَا تَعْوِزَنَّ نَخْلًا، وَلَا تَهْدِمُوا بَيْتًا"^(٢)، وعلى الرغم من أن الجهة التي أرسلها لهم الرسول ﷺ كانت جهة الروم وهم نصارى وفيهم أديان أخرى، إلا ان الملاحظ أن الرسول ﷺ يأمر جنوده بعدم قتل الناس أو قطع الشجر أو إغراق النخيل أو التعرض لمن هم بالصوامع لغرض التعبد وهم يخالفون دين الإسلام، وهو يمثل ولا شك قمة فيما نسعى إليه للتوصل في بحثنا هذا .

فإن الإسلام يؤكد في ثقافته على إفشاء السلام بكل تداعياته ليحجب عن العنف حضوره بكل تداعياته، كما تبين في خطبة الرسول ﷺ المذكورة آنفاً، لذا قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشَوْهُ فَيَكُمُ)^(٣) وإفشاء السلام سبب من أسباب

(١) ينظر السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م: ٥٠١/١.

(٢) ينظر السنن الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ١٥٤/٩.

(٣) ينظر: المعجم الكبير: ١٨٢/١٠. برقم (١٠٣٩١).



السلامة: فعن البراء عن رسول الله ﷺ قال: (أفشوا السلام؛ تسلموا)^(١). كما أن السلام وسيلة من وسائل التحاب والتآخي بين أفراد المجتمع ومختلف فئاته التي لها أثر كبير في زرع الثقة بينهم كما في قول رسول الله ﷺ: (أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)^(٢). وقال النووي في شرحه للحديث: (وَفِيهِ الْحَثُّ الْعَظِيمُ عَلَى إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَبَذْلِهِ لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مَنْ عَرَفَتْ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ وَالسَّلَامُ أَوَّلُ أَسْبَابِ التَّأَلُّفِ وَمِفْتَاحُ اسْتِجْلَابِ الْمَوَدَّةِ وَفِي إِفْشَائِهِ تَمَكُّنُ أَلْفَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَإِظْهَارُ شِعَارِهِمُ الْمُمَيِّزِ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ وَلُزُومِ التَّوَاضُّعِ وَاعْظَامِ حُرْمَاتِ الْمُسْلِمِينَ)^(٣).

ومن المواقف المشهودة في سيرة الرسول الأكرم ﷺ التسامح مع أناس أسروا وهم على شركهم، فلم يلجنهم على الإسلام، بل تركهم واختيارهم. ذكر الثقات من كتّاب السير والحديث أن المسلمين أسروا في سرية من السرايا سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال الحنفي وهم لا يعرفونه، فأثوا به إلى رسول الله فعرفه وأكرمه، وأبقاه عنده ثلاثة أيام، وكان في كل يوم يعرض عليه الإسلام عرضا كريما فيأبى ويقول: إن تسأل مالا تعطه، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، فما كان من النبي إلا أن أطلق سراحه. ولقد استرقت قلب ثمامة هذه السماحة الفائقة، وهذه المعاملة الكريمة، فذهب واغتسل، ثم عاد إلى النبي مسلما مختارا. هكذا يُعلمنا رسول المحبة والتسامح في التعامل مع الآخرين. فالخلق الحسن أثمر عن النتيجة المرجوة من دعوته ﷺ^(٤).

ومن مواقف التسامح الديني في سيرة المصطفى ﷺ ما قام به عندما كان من بين المغانم التي غنمها المسلمون في غزوة خيبر صحائف متعدّدة من التوراة، فلمّا جاء اليهود

(١) ينظر: موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الداراني، عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط ١، (١٤١١ هـ - ١٤١٢ هـ) = (١٩٩٠ م - ١٩٩٢ م): ٢١١/٦.

(٢) ينظر: صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٧٤/١. برقم (٥٤).

(٣) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢: ٣٦/٢.

(٤) ينظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ٤٠٣هـ)، دار القلم، دمشق، ط ٨، ١٤٢٧هـ: ٩٩/٢.



يطلبونها أمر النبي ﷺ بتسليمها لهم^(١). يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون معلقاً على هذه القصة: (ويدلّ هذا على ما كان لهذه الصّحائف في نفس الرسول من المكانة العالية مما جعل اليهود يشيرون إلى النبيّ بالبنان، ويحفظون له هذه اليد حيث لم يتعرّض بسوء لصحفهم المقدّسة، ويذكرون بإزاء ذلك ما فعله الرّومان حين تغلّبوا على أورشليم وفتحوها سنة ٧٠ ب. م إذ حرقوا الكتب المقدّسة وداسوها بأرجلهم، وما فعله المتعصّبون من النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حيث أحرقوا أيضاً صحف التوراة، وهذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممّن ذكرناهم وبين رسول الإسلام^(٢)). فموقف الرسول ﷺ هذا واحترامه للصّحائف المقدّسة لم يؤثر باليهود وحسب، بل أثّر فيما بعد بالمستشرقين من اليهود وغيرهم، ممّا يدلّ على عمق الرسالة الإنسانية التي يحملها النبي محمد ﷺ.

ومن الأحاديث النبوية المأثورة التي تأمر بالمحبة ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا)^(٣). فالكلام محمول على المبالغة في الحث على التحابب وإفشاء السلام. أو المراد لا تستحقوا دخول الجنة أولاً حتى إيماناً كاملاً. ولا تؤمنوا ذلك الإيمان حتى تحابوا وأصله تتحابوا. أي يحب بعضكم بعضاً.

(١) ينظر تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت ٩٦٦هـ)، دار صادر، بيروت د.ط: ٥٥/٢.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهلية و صدر الإسلام، للدكتور إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب)، القاهرة، ١٩٢٧م: ١٧٠.

(٣) صحيح مسلم: ٧٤/١. برقم (٥٤).



نتائج البحث

بعد رحلة علمية في رحاب مدونتين مقدستين، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية خلصنا إلى عدد من النقاط المهمة على النحو الآتي:

- يُعدُّ الخطابُ من أهم مظاهر السلوك الإنساني، بل هو هُويَّة الإنسان، فضلاً عن كونه المرآة التي تعكسُ مشاعره وانفعالاته واتجاهاته النفسية، يُقابلُ ذلك متلقي الخطاب الذي لا بُدَّ من أن تظهر آثار ذلك الخطاب فيه، المتكلم اليوم بحاجة إلى التزوّد من الخطاب القرآني بغض النظر عن قواعد اللغة؛ لما فيه من حجة للسان، وبراعة في البيان.

- إنَّ لفظ (الحب) ومشتقاته استُعمل كثيراً في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ. وقد أثبت الله تعالى في جمل قصيرة من القرآن حبَّ العبادِ مع الله وحبَّ الله مع العباد، ويعلم بهذه الآيات أن صفات الإحسان والتوبة والعدل والقسط والتقوى والصبر والطهارة وسيلة لحب الله تعالى. ممَّا يدلُّ على عظمة الخالق ورحمته وعطفه، بخلاف من يصور العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسر، وعذاب وعقاب، وجفوة وانقطاع.

- عبَّر النص القرآني عن القوم الكافرين بأنَّهم إخوة الأنبياء (عليهم السلام)، في ثمانية مواضع قرآنية.

- يضع القرآن الكريم للمسلم منهج المناظرة والمحاورة مع أهل الكتاب وهو منهج الاعتدال والاستقامة والانصاف، فالقرآن الكريم يأمر المسلمين بأن تكون مجادلتهم ومناظرتهم لأهل الكتاب ﴿بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

- ذكر الرازي جملة من الآيات الكريمة ليبين أنَّ المغفرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ عَمَلُكُمْ يَكْفُرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ تعني الصبر، ثم ردَّ على الواحدي قوله بالنسخ فيها؛ لما يترتب عليه من معنى ضد المحبة والتسامح التي تترجح من دلالة الآية الظاهرة، فضلاً عن سياق النص.

- من المواقف الإنسانية التي خلَّدها التاريخ في سيرة الرسول الأكرم ﷺ وتعدُّ علامة من علامات المحبة هي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وإنَّ إخوة العقيدة والايمان هي الأخوة المطلوبة؛ لأنَّها خالصة لذات الله ﷻ، فهي ليست كأخوة النسب والعشيرة أو غيرها فقد ذكر لنا القرآن الكريم نهايات مأساوية لعدة مظاهر هي تعد من معاني الأخوة.



- كان النبي ﷺ حريصاً على التزام التسامح الديني مع اليهود كونهم أهل كتاب سماوي امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.
- على الرغم من أن الجهة التي أرسل الرسول ﷺ المسلمين إليها في إحدى المعارك كانت جهة الروم وهم نصارى وفيهم أديان أخرى، إلا أن الملاحظ أن الرسول ﷺ يأمر جنوده بعدم قتل الناس أو قطع الشجر أو إغراق النخيل أو التعرض لمن هم بالصوامع لغرض التعبد وهم يخالفون دين الإسلام، وهو يمثل ولا شك قمة في الإنسانية والتسامح والمحبة.
- إنَّ موقف الرسول ﷺ في احترامه للصحائف المقدسة العائدة لقوم من اليهود، لم يؤثر باليهود وحسب، بل أثر فيما بعد بالمستشرقين من اليهود وغيرهم، ممَّا يدلُّ على عمق الرسالة الإنسانية التي يحملها.



- القرآن الكريم.

١. الإفصاح، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، مركز مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، ط ١، قم، إيران، ١٤١٢هـ.

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.

٣. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت ٩٦٦هـ)، دار صادر، بيروت د.ط.

٤. تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهلية وصدر الإسلام، للدكتور إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب)، القاهرة، ١٩٢٧.

٥. تأصيل النص (قراءة في أيديولوجيا التناص)، د. مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات، صنعاء، اليمن، ط ١، ٢٠٠٣م.

٦. تفسير السمرقندي، (بحر العلوم)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ).

٧. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩. خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

١٠. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.



١١. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
١٢. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ)، دار القلم، دمشق، ط ٨، ١٤٢٧هـ.
١٣. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٤. صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥. عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل، طبع: بيروت، دار الكتب العلمية د.ت.
١٦. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٧. العزلة والمجتمع، نيقولاوي برد يائف، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: علي أدهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ٢، ١٩٨٦م.
١٨. القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار (ت ١٤١١هـ)، دار الندوة الجديدة بيروت، لبنان.
١٩. الكشف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
٢٠. لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٣، د.ت.
٢١. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط ٢٤، ٢٠٠٠م.
٢٢. مجمع البيان، مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطوسي، صيدا، ١١٣٣هـ.



٢٣. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٤. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢.
٢٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
٢٦. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
٢٧. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٢٨. مكارم الأخلاق سليمان بن أحمد بن أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٢٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
٣٠. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الداراني، عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط ١، (١٤١١-١٤١٢هـ) = (١٩٩٠م-١٩٩٢م).
٣١. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.





أثر التوسُّط والاعتدال في الخطب الدينية

في تحقيق التنمية المجتمعية

د. محمد حامد محمد سعيد

جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه

الإسلامية العالمية

وزارة التعليم العالي بدولة إندونيسيا

d.muhammed.hamed@gmail.com

ISSN: 2071-6028





أثر التوسط والاعتدال في الخطاب الديني في تحقيق التنمية المجتمعية

الدكتور محمد حامد محمد سعيد
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين - جامعة السلطان
عبدالحليم معظم شاه الإسلامية العالمية
وزارة التعليم العالي بدولة ماليزيا

لا نختلف أن للخطاب الديني أثر كبير وخطير -إيجابياته وسلبياته- في تغير نفوس مستمعيه، حيث إنه الوسيلة الأولى التي استخدمها كل رسول في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، ومما ابتليت به الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر ضعف الخطاب الديني الموجهة لأبنائها وفقد الثقة فيه وفيم يلقيه، وبين تساهل البعض وتشدد البعض الآخر في توجيه خطابه لمدعويه كانت النتيجة أن ظهر في واقعنا من أساء للخطاب الديني وهو يظن أنه يحسن استعماله، مع أن ضرره أكثر من نفعه، لأنه اتسم بالبُعد عن المنهج المعتدل الوسط الذي رضىه الله تعالى للأمة الإسلامية، فظهر العنف والتطرف والإرهاب الذي تعاني منه الأمة اليوم. ويهدف البحث إلى: إثبات ما يتمتع به الإسلام من توسط واعتدال في شتى ميادينه، في التشريعات، والعبادات، والمعاملات، ويهدف كذلك إلى بيان أثر الخطاب الديني في تحقيق التنمية المجتمعية التي يستفيد منها كل طبقات المجتمع مسلمين وغير مسلمين، ومدى التعايش السلمي فيما بينهم. ومنهجية الدراسة تتمثل في: الاعتماد على المنهج الاستنباطي، وكذا المنهج التحليلي، ثم ذكرت بعضاً من النماذج المتعلقة بإظهار وسطية الإسلام واعتداله وذلك من خلال التشريعات، ثم الآثار المتعلقة بالخطاب الديني من أجل تحقيق التنمية المجتمعية بشتى أنواعها. ومن نتائج الدراسة: أن الدين الإسلامي دون غيره من الديانات الأخرى امتاز بخصيصة قلما أن توجد إلا فيه ألا وهي التوسط والاعتدال في شتى تشريعاته، وللخطاب الديني بلغة معاصرة أهمية قصوى في تغيير وجهة نظر غير المسلمين للإسلام وأهله، فالإسلام دين لا تشدد فيه ولا عنف ولا تطرف ولا إرهاب، ووسطية الإسلام واعتداله أدت إلى تحقيق التنمية المجتمعية في كل شأن من شؤون الحياة اليومية، ومن أهم التوصيات الدراسة أننا نوصي الباحثين والمهتمين بالنشاط الأكاديمي العلمي بالاهتمام بالدراسات الإسلامية، حيث إن مما امتازت به التوسط والاعتدال، ونوصي كذلك الحكومات والمؤسسات أفراداً وجماعات بتبني مثل هذه المؤتمرات فهي فرصة حقيقية لتبادل الخبرات الأكاديمية والتدريسية، وتبادل الثقافات والآراء من علماء شملت بلادهم المعمورة بأسرها، ونوصي علماء الأمة الإسلامية بالأخذ بمنهج وسطية الإسلام واعتداله في كافة ميادين الإسلام، وعدم التشدد والمغالاة والتعسير على الناس في شؤون حياتهم، والاستفادة من الخطاب الديني بلغة معاصرة.

الكلمات المفتاحية: توسط، اعتدال، تنمية

The Effect of Mediation and Moderation in Religious Discourse on Community Development

Dr. Mohamed Hamed Mohamed Said

We do not dispute that the religious discourse has a great and dangerous impact - in its positive and negative aspects - in changing the hearts of its listeners, as it is the first means used by every messenger to invite his people to worship God alone. Nowadays the Islamic nation is plagued by the weakness of religious discourse which is directed to its people. Moreover, this discourse lost its trust among its supporters. Because some orators take the easiest way in delivering this discourse while others embrace the extremist, the result was that in our reality the religious discourse appeared to be insulted. In doing so, he thinks that it is better to use it, even though it is more harmful than its usefulness, because it is far from the moderate approach that God has accepted for the Islamic nation. This situation produces violence, extremism and terrorism which the nation suffers from today. The paper aims at demonstrating the role of Islam in mediating and moderation in its various fields in legislation, worship and transactions. It also aims to demonstrate the impact of religious discourse on achieving community development that benefit all segments of the society, Muslims and non-Muslim and to what extent they enjoy coexistence. The methodology of the study depends on the deductive approach, as well as the analytical method. Then I mention some of the models related to show the moderation of Islam and its moderation through legislation and the effects related to religious discourse in order to achieve community development of all kinds. Among the results of the study is that the Islamic religion, without any other religion, is characterized by a particularity that can only be found in it. It is mediation and moderation in its various legislations. The religious discourse in contemporary language is of utmost importance in changing the viewpoint of non-Muslims to Islam and its people. Extremism and terrorism, and the centrality of Islam and moderation led to the achievement of community development in all matters of daily life. The most important recommendations of the study are that we recommend researchers and those who are interested in the academic activity draw due attention to Islamic studies, which is characterized by mediation and moderation. We also recommend governments and institutions to hold such conferences and symposiums to exchange visions and thoughts. We invite the scholars of the Islamic nation to adopt the moderate approach of Islam and its moderation in all fields of life. At the same time they should avoid to harden, exaggerate and disturb people in their affairs, and to benefit from religious discourse in contemporary language.

Keywords: mediation, moderation, development



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين الداعي إلى صراط الله المستقيم، وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

مما لا شك فيه أن للخطاب الديني أثر كبير وخطير-إيجابياته وسلبياته- في تغير نفوس مستمعيه، حيث إنه الوسيلة الأولى التي استخدمها كل رسول ونبي في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، فكان كل رسول ونبي يقول بلسانه لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، ومما ابتليت به الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر ضعف الخطاب الديني الموجهة لأبنائها وفقد الثقة فيه وفيمن يليقه، وبين تساهل البعض وتشدد البعض الآخر في توجيه خطابه لمدعويه كانت النتيجة أن ظهر في واقعنا من أساء للخطاب الديني وهو يظن أنه يحسن استعماله، مع أن ضرره أكثر من نفعه، لأنه اتسم بالبُعد عن المنهج المعتدل الوسط الذي ارضاه الله تعالى للأمة الإسلامية حين قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ فظهر العنف والتطرف والإرهاب الذي تعاني منه الأمة.

فمن هذا المنطلق شرعت في المشاركة في المؤتمر الدولي الأول المنعقد بجامعة الأنبار بدولة العراق الشقيقة تحت المحور الخامس **{المحور الديني لخطاب الاعتدال}** ببحث يحمل عنواناً **((أثر التوسط والاعتدال في الخطاب الديني في تحقيق التنمية المجتمعية))**

حيث يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة أذكر فيها:

أولاً : أسباب اختيار الموضوع. ثانياً : مشكلة البحث. ثالثاً : الهدف من البحث. رابعاً : أسئلة البحث. خامساً : منهج البحث. سادساً : خطة البحث.

أولاً : أسباب اختيار الموضوع : تتمثل أسباب اختيار هذا الموضوع في عدة نقاط منها:

١- إظهار مميزات وسمات الخطاب الديني الإسلامي، وما يتميز به من توسط واعتدال في الأقوال والسلوكيات.

٢- بيان وتوضيح أن التوسط والاعتدال في الإسلام سبب أساسي في تحقيق التنمية المجتمعية بشتى مجالاتها.

٣- إظهار أن الخطاب الديني وآثاره المتنوعة تكمن في نهايتها إلى تحقيق التنمية المستدامة بين طوائف المجتمع الواحد.

ثانياً : مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث فيما يتسم به البعض من فهم عقيم لنصوص الشرع الحنيف الممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتحميلها فوق طاقتها، ونسبة أقوال وأفعال الشرع منها برئ، فهؤلاء وأمثالهم كان ضررهم للإسلام أكثر من نفعهم إياه.



ثالثاً: الهدف من البحث: يهدف البحث إلى إثبات ما يتمتع به الإسلام من توسط واعتدال في شتى ميادينه، في التشريعات يتميز بالتوسط والاعتدال وذلك من خلال تشريع العبادات، وكذا تشريع المعاملات، ثم يأتي تشريع الزواج وبيان ميزة الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى، وكذا يهدف البحث إلى بيان أثر الخطاب الديني في تحقيق التنمية المجتمعية التي يستفيد منها كل طبقات المجتمع مسلمين وغير مسلمين.

رابعاً: أسئلة البحث: يرد في سياق هذا البحث عدة أسئلة منها على سبيل المثال:

س/ما هو مفهوم الخطاب الديني في ظل المصطلحات الحديثة المعاصرة؟

س/هل التوسط والاعتدال في الإسلام سبب تقدم أم سبب تخلف وتأخر؟

س/هل التوسط والاعتدال منوط بالتشريعات وحدها أم يُعد ميزة في الإسلام كله؟

س/ما هي الآثار المترتبة على التوسط والاعتدال في الخطاب الديني وذلك حتى تتحقق

التنمية المجتمعية؟

خامساً : منهج البحث: اعتمدت في بحثي هذا على كل من المنهج الاستنباطي، وكذا

المنهج التحليلي، ثم سرت في بحثي هذا على طريقة النماذج المتعلقة بإظهار وسطية الإسلام

واعتداله وذلك من خلال التشريعات، ثم الآثار المتعلقة بالخطاب الديني من أجل تحقيق التنمية

المجتمعية، كل هذا في ضوء الضوابط العلمية التي أقرها علماء البحث العلمي.

سادساً : خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

التمهيد: التعريف بمفهوم الخطاب الديني ، وكذا التنمية المجتمعية.

المبحث الأول: وسطية الإسلام واعتداله في الخطاب الديني في ظل التشريعات، وفيه

ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وسطية الإسلام واعتداله في الخطاب الديني من خلال تشريع العبادات.

المطلب الثاني: وسطية الإسلام واعتداله في الخطاب الديني من خلال تشريع

المعاملات.

المطلب الثالث: وسطية الإسلام واعتداله في الخطاب الديني من خلال تشريع الزواج.

المبحث الثاني: أثر الخطاب الديني من خلال توسطه واعتداله في تحقيق التنمية

المجتمعية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر الخطاب الديني في الدعوة إلى الحوار الهادف البناء.

المطلب الثاني: أثر الخطاب الديني في البُعد عن العصبيّة والهوى.

المطلب الثالث: أثر الخطاب الديني في نشر الأمن والأمان في أرجاء المجتمع.

الخاتمة: وأذكر فيها أهم النتائج والتوصيات. هذا عن الإجمال ويليهِ التفصيل -سائلاً

الله تعالى التوفيق والسداد والقبول- اللهم آمين.

**التمهيد:**

أقوم في تمهيد البحث بتعريف لمفهوم الخطاب الديني ، وكذا التنمية المجتمعية في ضوء ما ذكره أهل الاختصاص في هذا الشأن.

مفهوم الخطاب الديني: نستطيع القول بأن الخطاب الديني هو: "الخطاب الذي يستند إلى مرجعية إسلامية من أصول دين الإسلام القرآن والسنة، وأي من سائر الفروع الإسلامية الأخرى، سواء كان منتج الخطاب منظمة إسلامية، أم مؤسسة دعوية رسمية، أم غير رسمية، أم أفراداً متفرقين، جمعهم الاستناد إلى الدين وأصوله، والخطاب الإسلامي يمتاز بالتجديد في إطار أسس العقيدة الإسلامية، وترتبط مضامينه بحاجات المسلمين، وفق احتياجاتها ووفق أولوياتها، وتتصل مقاصده لمعالجة التحديات التي تواجهها الأمة في كل عصر ومصر"^(١)، إذا فمفهوم الخطاب الديني أنه الخطاب المعتمد على أسس شريعتنا الإسلامية ألا وهي القرآن الكريم، وسنة نبينا المصطفى ﷺ، وهذا الخطاب تارة يصدر عن مؤسسة دعوية حكومية، أو مؤسسة دعوية غير حكومية أفراداً تارة، ومجموعة تارة أخرى.

مفهوم التنمية المجتمعية: إن مفهوم التنمية المجتمعية مفهوم شامل لكل منحنى من مناحي الحياة، فهو مفهوم: "متكامل يهدف إلى تحسين حياة الإنسان على هذه الأرض في مختلف النواحي الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية وفق شرائع الله المقررة لبنى الإنسان"^(٢)، فثمرة الخطاب الديني المتمسم بتوسطه واعتداله تنمية شاملة لكل قطاع من قطاعات الدولة التي يؤثر فيها ذاك الخطاب.

المبحث الأول: وسطية الإسلام واعتداله في الخطاب الديني في ظل التشريعات

مبحثنا هذا احتوى على ثلاثة مطالب، أثرت أن تكون هذه المطالب نماذج من التشريعات الإلهية والنبوية والتي اتسمت بالتوسط والاعتدال في العبادات، والمعاملات، والزواج. **المطلب الأول: وسطية الإسلام واعتداله في الخطاب الديني من خلال تشريع العبادات.** إن الخطاب الديني في تشريع العبادات ليبدو ظاهراً واضحاً بتوسطه واعتداله من خلال تلكم التشريعات، فالتأمل فيها جيداً يستطيع القول بأنه لا يوجد تشريع سماوي سبق التشريع الإسلامي واتسم بما اتسم به من توسط واعتدال مع أتباعه.

فنضرب على صحة كلامنا هذا أمثلة جليلة واضحة من خلال التشريعات في العبادات ومدى توسط واعتدال الخطاب الديني فيها، فمثلاً في فريضة الصلاة ما نقرأه في سبب نزول

(١) موقع السكينة مقال بعنوان مفهوم الخطاب الديني، للأستاذ عبد السلام حمود.

(٢) التنمية الاجتماعية من منظور التربية الإسلامية ليوסף بن أحمد العجلاني، ص ٢ (بتصرف).



قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(١)، ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: "﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾" قال: نزلت ورسول الله ﷺ مخف بمكة وكانوا إذا سمعوا القرآن سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله ﷻ لنبيه ﷺ ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾، أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾، عن أصحابك فلا يسمعون ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، وقالت عائشة رضي الله عنها: نزلت هذه الآية في التشهد، كان الأعرابي يجهر فيقول: التحيات لله والصلوات والطيبات يرفع بها صوته، فنزلت هذه الآية^(٢).

ومن بلاغة القرآن الكريم أنه عبر بالصلاة عن القراءة: "لأن كل واحد منهما مرتبط بالآخر، لأن الصلاة تشتمل على قراءة وركوع وسجود فهي من جملة أجزائها، فعبّر بالجزء عن الجملة، وبالجملة عن الجزء على عادة العرب في المجاز وهو كثير، ومنه الحديث الصحيح: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي" أي قراءة الفاتحة^(٣).

وفي الآية محل الشاهد نرى أن هناك نهى عن رفعة الصوت أكثر مما يحتاج إليه، وكذا النهي عن الإسرار أكثر من اللازم، وما على المسلم إلا التوسط والاعتدال في أداء صلاته، وفي شرح لهذا الحديث: "(ابْتَغِ) اقصد (بَيْنَ ذَلِكَ) بين الجهر والسر (سَبِيلًا) طريقًا وسطًا معتدلًا"^(٤). وهذا هو قمة البلاغة في الخطاب الديني الوسطي الممثل في أداء فريضة الصلاة.

وفي فريضة الزكاة نرى ما يتقارب مع المعنى السابق من توسط واعتدال في الخطاب الديني فمن ذلك ما ورد عن ابن عباس رضيهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"^(٥)، إن روعة الخطاب الديني في هذا الحديث تأتي بلهجة

(١) سورة الإسراء ١١٠.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ٢٩٥/١، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ ٨٧/٦ برقم (٤٧٢٢) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار ٣٢٩/١ برقم (٤٤٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣٤٤/١.

(٤) تعليق د. مصطفى البغا على صحيح البخاري، ٨٧/٦.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، ١٢٨/٢ برقم (١٤٦٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ٥٠/١ برقم (١٩).



التحذير النبوي الشريف على ولاية الأمور ونوابهم من السعاة من أخذ كرائم أموال الأغنياء في الزكوات، وأن عليهم أن يتسموا بالوسطية في جمع الأموال لا من أنفسها وأعلاها وأجودها، ولا من رديتها وسيئها وخبيثها، فلا مناص من الوسطية في الأخذ، والوسطية في العطاء.

ويلحق الإمام النووي على هذا الحديث بقوله: "يحرم على الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة، بل يأخذ الوسط ويحرم على رب المال إخراج شر المال"^(١)، ولابن الأثير كلام قريب من هذا المعنى حيث يقول: "أي تجنبها لا تأخذها في الصدقة لأنها تكرم على أصحابها وتعز فخذ الوسط لا العالي ولا النازل"^(٢)، فالخلاصة أن جابي الزكاة يأخذ الزكاة من الأوسط لا من الأعلى والأعلى، ولا من الأقل والأرخص بل هو بين هذا وذاك وهي الوسطية التي امتاز بها التشريع الإسلامي الحنيف، وبتطبيق الوسطية في الأخذ والعطاء تتحقق التنمية المجتمعية في كل أرجاء المجتمع، فالفقير يعلم أن حقه سيصل إليه من مال الأغنياء، والغني يعلم أن ما نفسه أحبه وعشقه -المال- محفوظ له بأمر الشارع نفسه، وكل هذا سوف يثمر لنا مجتمعاً آمناً سالماً مطمئناً على نفسه وماله.

وفي تشريع فريضة الصيام أيضاً تظهر براعة الخطاب الديني من خلال توسطه واعتداله حيث إنه لا يأمر أتباعه بالصيام في أسفارهم وخاصة لو لحق بهذا المسافر ضرر أو تعب أو أذى، فإذا لم يلحقه أي شيء مما سبق فلا بأس من الصيام، وهذا من روعة الإسلام في تشريعاته، ولهذا نقرأ قوله تعالى عن الأعداء الميحة للفطر: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٣)، ومعنى الآية كما أوردها ابن كثير: "ومن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه أو يؤذيه، أو كان على سفر، أي في حالة السفر، فله أن يفطر، فإذا أفطر فعليه عدة ما أفطره في السفر من الأيام، ولهذا قال ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ أي إنما رخص لكم في الفطر في حال المرض والسفر مع تحتمه في حق المقيم الصحيح تيسيراً عليكم ورحمة بكم"^(٤)، وقد ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى رجلاً قد اجتمع الناس عليه، وقد ظلل عليه، فقال: ما له؟ قالوا: رجل صائم، فقال رسول الله ﷺ: ليس البر أن تصوموا في السفر"^(٥)، وفي مفاتيح الغيب للرازي في المسألة السابعة: وذهب أكثر الفقهاء إلى أن الإفطار

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، ١/١٩٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات بن الجزري، ٥/٤٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/٣٦٩.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، ٢/٧٨٦ برقم (١١١٥).



رخصة فإن شاء أفطر وإن شاء صام... ثم قال عتيها ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾، ولا بد وأن يكون هذا اليسر والعسر شيئاً تقدم ذكرهما، وليس هناك يسر إلا أنه أذن للمريض والمسافر في الفطر، وليس هناك عسر إلا كونهما صائمين فكان قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ معناه يريد منكم الإفطار ولا يريد منكم الصوم^(١).

فمن خلال ما سبق بدا واضحاً ما تميز به الخطاب الديني من خلال تشريع الصيام في ضوء وسطيته واعتداله في عدم فرضه للصيام على المريض والمسافر، حيث ترك الأمر لهم على سبيل الاستحباب والندب وذلك اتباعاً للحديث المروي عن عائشة - رضي الله عنها - أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ: أصوم في السفر؟ - وكان كثير الصيام -، فقال: إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر^(٢).

وبعد حديثنا عن وسطية الإسلام واعتداله في الخطاب الديني من خلال تشريع العبادات، ننتقل إلى المطلب الثاني وعنوانه:

المطلب الثاني: وسطية الإسلام واعتداله في الخطاب الديني من خلال تشريع المعاملات.

نستطيع القول بأن الخطاب الديني قد سلك من خلال توسطه واعتداله في تشريع المعاملات عدة مسالك أدت في نهايتها إلى تحقيق التنمية المجتمعية بشتى جوانبها فمن ذلك:

(١) حسن التوكل على الله تعالى:

إن حُسن التوكل على الله تعالى أدب هام في تشريع المعاملات الذي شرعه الله تعالى لعباده، فقد رود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً"^(٣)، إن حُسن التوكل: "أن تأخذ بكل الأسباب المشروعة المتاحة، مع تعلق القلب بالله وحده، فترك الأسباب طعن في التشريع، والاعتماد على الأسباب وتعلق القلب بها طعن في التوحيد"^(٤)، فلا مناص من التوسط والاعتدال من خلال حُسن التوكل على الله تعالى.

(١) مفاتيح الغيب للرازي، ٥/٢٤٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار، ٣/٣٣ برقم (١٩٤٣) واللفظ له، مسلم في صحيحه كتاب الصيام، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر، ٢/٧٨٩ برقم (١١٢١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب في التوكل على الله، ٤/١٥١، برقم (٢٣٤٤).

(٤) آداب البيع والشراء، والمحاذير الشرعية التي قد يقع فيها البائع والمشتري دراسة موضوعية د. ربيع إبراهيم محمد حسن، ص ٥٨٣.



(٢) التبكير في طلب الرزق:

إن التبكير في طلب الرزق والسعي إليه والتزام المسلم به لدليل قوي على دقة الخطاب الديني فهو يحث أتباعه على سعيهم وتبكيرهم في طلب أرزاقهم، حيث يقول رسول الله ﷺ، فيما رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي وحسنه، من حديث صخر الغامدي رضي الله عنه: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا"، "وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ"، "وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَتَرَى وَكَثُرَ مَالُهُ"^(١)، قال ابن بطال: "وإنما خص ﷺ البكور بالدعاء بالبركة فيه من بين سائر الأوقات لأنه وقت يقصده الناس بابتداء أعمالهم، وهو وقت نشاط وقيام من دعة، فخصه بالدعاء؛ لينال بركة دعوته جميع أمتة"^(٢).

(٣) طلب الكسب الحلال:

حث الإسلام الحنيف على طلب الكسب الحلال المبارك فيه -بإذن الله تعالى- وذلك من خلال خطابه الديني المتمس بالتوسط والاعتدال وذلك من خلال رواية رافع بن خديج رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: "عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ"^(٣). والبيع المبرور هو الذي لا يخالطه إثم من غش، وكذب، وتدليس، وغيره، وإذا فسد الزمان فلا يبالي المرء أكسبه من الحلال كان أم من الحرام؟. إذا فلا مناص من طلب كسب الحلال بتوسط واعتدال دون كذب أو غدر أو خيانة، وإنما يكون الكسب من خلال الصدق والوفاء بالعهود والمواثيق وأداء الأمانات إلى أصحابها... وهكذا.

(٤) السهولة والسماحة في البيع والشراء:

السهولة والسماحة في أمور البيع والشراء أمر حث عليه الخطاب الديني دون تشدد أو عنف أو مغالاة أو احتكار، وإنما جعل سمته الأساسية السهولة والسماحة فقد ثبت في صحيح البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "رَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"^(٤).

قال ابن بطال: "فيه الحض على السماحة وحسن المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة والركة في البيع، وذلك سبب إلى وجود البركة فيه لأن النبي عليه السلام لا يحض أمتة إلا على ما فيه النفع لهم في الدنيا والآخرة، فأما فضل ذلك في الآخرة فقد

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب التجارات، بباب مَا يُرْجَى مِنَ الْبَرَكَةِ فِي الْبُكُورِ، ٣/٣٤٦ برقم (٢٢٣٦).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ١٢٤/٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٥٠٢/٢٨، برقم (١٧٢٦٥).

(٤) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب السُّهُولَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الشَّرَاءِ وَالْبَيْعِ، وَمَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيُطْلَبْهُ فِي عَفَافٍ ٥٧/٣، برقم (٢٠٧٦).



دعا ﷺ بالرحمة لمن فعل ذلك، فمن أحب أن تتاله بركة دعوة النبي ﷺ فليقتد بهذا الحديث ويعمل به، وفي قوله ﷺ: (إذا اقتضى) حض على ترك التضييق على الناس عند طلب الحقوق وأخذ العفو منهم^(١)، ويستنبط من الحديث أيضًا كما قال ابن حبيب: "تستحب السهولة في البيع والشراء، وليس هي ترك المكايسة فيه، إنما هي ترك المضاجرة ونحوها، والرضا بالإحسان وببسيير الريح، وحسن الطلب"^(٢).

(٥) إنظار المعسر:

وإنظار المعسر تعني: إمهال المدين، والصبر عليه حتى يتمكن من القضاء والوفاء، أو الوضع عنه بعضًا مما عليه، أو وضع ما عليه كلية، واعتباره صدقة عليه الله تعالى، ودليل ذلك ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: "كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ"^(٣)، فالخطاب النبوي الديني هنا يلفت الأنظار إلى حُسن المعاملة بين الأخ وأخيه وخاصة عند الاستدانة وعدم القدرة على السداد.

(٦) كتابة الدين، وعقود البيع، والإشهاد عليها:

كتابة الدين أمر حث عليه الخطاب الديني القرآني من خلال قوله تعالى: ﴿تَتْلُوهَا أَلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة ٢٨٢)، ومعنى الآية يعني: "اكتبوا الدين والأجل" ﴿وَيَكْتُبْ﴾ الكاتب بين البائع والمشتري ﴿يَتَيْنَكُم﴾ كاتبٌ بِالْمَعْدِلِ يَعْدِلُ {بَيْنَهُمَا} في كتابه فلا يزداد على المطلوب ولا ينقص من حق الطالب^(٤)، ففي قوله فلا يزداد على المطلوب ولا ينقص من حق الطالب دليل على أن المطلوب هنا هو التوسط والاعتدال في كتابة الدين دون ميل أو جور على أحد من الطرفين المتعاملين بالبيع والشراء.

(٧) الصدق والتوضيح في المعاملة^(٥):

الصدق عنصر أساسي في البيع والشراء وأي معاملات مالية وغير مالية، لا مجال فيها لكذب وغدر وخيانة، ولهذا نرى ثمرة الصدق في المعاملة أن التاجر الصادق في تعاملاته يُحشر

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٢١١/٦.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن، ١٣١/١٤.

(٣) كتاب البيوع، باب من أنظر معسرًا، ٥٨/٣، رقم (٢٠٧٨).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، ٢٢٨/١.

(٥) هذه العناوين مقتبسة من آداب البيع والشراء، والمحاذير الشرعية التي قد يقع فيها البائع والمشتري دراسة موضوعية د. ربيع إبراهيم محمد حسن، ص ٥٨٣ وما بعدها (بتصرف).



يوم القيامة مع أهل الصلاح والتقوى من النبيين والصديقين، فقد أخرج الترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصَّدِيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ"^(١). وكذا ثبت عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْبَيْعَانِ بِالْأَخْيَارِ مَا لَمْ يَنْفَرَقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّتَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"^(٢)، ومعنى الحديث: "إن صدقا أي في صفة البيع والثمن وما يتعلق بهما (وبينا) أي عيب الثمن والمبيع (بورك) أي كثر النفع (لهما في بيعهما) أي وشرائيهما أو المراد في عقدهما (محقت) بصيغة المجهول أي أزيلت وذهبت (بركة بيعهما)"^(٣).

هذا هو الخطاب الديني النبوي بتوسطه واعتداله من خلال المعاملات والتي مثلتها بعضاً من النقاط سالفة الذكر.

المطلب الثالث: وسطية الإسلام واعتداله في الخطاب الديني من خلال تشريع الزواج.

لقد سلك الإسلام طريقاً ظهرت فيه وسطيته بين الأديان الأخرى فلا هو بالمانع المترهب، ولا هو بالمطلق العنان للشهوات والغرائز تُقضى على أي لون كانت، وإنما كان وسطاً معتدلاً بين هذا وذاك، وذلك من خلال خطابه الديني المعتدل في تشريع الزواج، والممثل في النقاط التالية:

أولاً: وسطية الإسلام من خلال ذم الرهبانية.

حارب الإسلام كل ما يتصادم مع طبيعة الفطرة التي خلق الله الناس عليها وذلك من خلال ذمه للرهبنة ونهيه عن التبتل، فعن سعد ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا"^(٤).

"قال العلماء التبتل هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعاً إلى عبادة الله، وأصل البتل القطع ومنه مريم البتول وفاطمة البتول لانقطاعهما عن نساء زمانهما ديناً وفضلاً ورغبة في الآخرة ومنه صدقة بنته أي منقطعة عن تصرف مالكها، قال الطبري: التبتل هو ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع إلى الله تعالى بالتفرغ لعبادته، وقوله (رد عليه التبتل) معناه نهاه عنه، (لاختصينا) معناه لو أذن في الانقطاع عن النساء وغيرهن من ملاذ الدنيا لاختصينا لدفع شهوة

(١) أخرجه الترمذي في سننه أبواب البيوع، مَا جَاءَ فِي التُّجَارِ وَتَسْمِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُمْ ٥٠٧/٣، رقم (١٢٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البيوع، باب الصَّدَقِ فِي الْبَيْعِ وَالْبَيَانِ، ١١٦٤/٣، رقم (١٥٣٢).

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا المباركفوري، ٣٧٥/٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، ٤/٧، رقم (٥٠٧٣) واللفظ له، مسلم في صحيحه كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه، ١٠٢٠/٢، رقم (١٤٠٢).



النساء ليتمكننا التبتل"^(١)، فالنهي عن التبتل هنا لأن فيه تصادمًا مع الفطرة الطبيعية التي خلق الله تعالى الناس عليها، ولأن فيه أيضًا منع للمقصود من الزواج ألا وهو تكثير سواد المسلمين ضد أعدائهم، فالوسطية هي الحل الأمثل في الزواج وليس الرهبانية المنهي عنها شرعًا. ثانيًا: وسطية الإسلام من خلال الحث على الزواج.

حث الإسلام على الزواج ورغب فيه سالكًا بذلك مسلك الوسطية فلا إفراط ولا تفريط في شأن الزواج، فقد حض الرسول ﷺ الشباب على الزواج وذلك من خلال قوله ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"^(٢)، والمنهج الوسطي هنا أن من عنده رغبة وسعة في شأن الزواج فليتزوج، ومن ليس عنده فالحل بالنسبة هو الصوم؛ حيث لم يأمره الرسول ﷺ بقضاء شهواته في الحرام، وإنما وضع له الحل الأوسط في وقاية نفسه من الوقوع في الحرام وذلك من خلال الصوم.

ثالثًا: وسطية الإسلام في الإثابة على إتيان العلاقة الزوجية.

العلاقة الخاصة بين الرجل وزوجته لا يُتصور في دين من الأديان أن يجعل لها ثوابًا وأجرًا، وإنما مما يُميز به الإسلام أنه جعل للزوج والزوجة أجرًا وثوابًا في لحظات الإتيان بحقهما الشرعي، فعن أبي ذر أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور... وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"^(٣)، فالحديث فيه دلالة واضحة على منهج الوسطية والاعتدال في تعاملاته مع أتباعه، حيث يتلذذ الزوج بزوجته، وتتلذذ الزوجة بزوجها وبالرغم من هذه الحالة فبالنية الصادقة يتحول هذا التلذذ إلى عبادة وطاعة وقرية لله ﷻ.

ومما يُستنبط من الحديث أن فيه دليلًا: "على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه أو إعفاف زوجته ومنعهما جميعًا من النظر إلى حرام أو التفكير فيه، أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة"^(٤).

(١) تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم، ١٠٢٠/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ٣/٧ رقم (٥٠٦٥) واللفظ له، مسلم في صحيحه كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاققت نفسه إليه، ١٠١٨/٢ رقم (١٤٠٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ٦٩٧/٢ برقم (١٠٠٦).

(٤) تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم، ٦٩٧/٢.

فمن خلال النقاط الثلاث سألغة الذكر المتعلقة بوسطية الإسلام واعتداله من خلال تشريع الزواج يتحقق الاستقرار النفسي والبدني لكل طبقة من طبقات المجتمع، ولكل فئة من فئاته، فلا عدوان ولا تهجم على النساء في الشوارع، ولا أولاد شوارع، ولا أطفال متشردين لا نعلم لهم آباء ولا أمهات، فالمجتمع كله حريص أشد الحرص على تحقيق التنمية المجتمعية بين جنباة.

**المبحث الثاني: أثر الخطاب الديني
من خلال توسطه واعتداله في تحقيق التنمية المجتمعية**

إن من المتعارف عليه عقلاً وشرعاً وأكاديمياً أن البحث أو العمل إذا لم يكن له ثمرة فلا فائدة من دراسته وتعب النفس فيه-فالعبادات نفسها لها ثمرة تتحقق من خلالها- ومبحثنا هذا يُعد ثمرة للخطاب الديني حيث يحتوي على ثلاثة مطالب هي في جملتها عبارة عن بعض من آثار الخطاب الديني في تحقيق التنمية المجتمعية التي تعم وتشمل المجتمع بأسره، فمع المطلب الأول الوارد تحت عنوان:

المطلب الأول: أثر الخطاب الديني في الدعوة إلى الحوار الهادف البناء.

إن الخطاب الديني القرآني كثيرًا ما دعا وتحدث بين صفحاته عن الحوار وأهميته في بناء النهضة لدى الأمة بأسرها، حتى في سياق عرض العقيدة على غير المسلمين نراه يسلك مسلك المحاور مع الخصم، وذلك من أجل إقناع الخصم نفسه وإقراره بخطئه فمن ذلك حوار سيدنا إبراهيم الوارد في سورة الأنعام وذلك بداية من الآية (٧٤) وحتى الآية (٨٢)، وكذا قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل ١٢٥)، ويعلق صاحب مفاتيح الغيب على هذه الآية بقوله: "اعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن، وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل في آية أخرى قال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت ٤٦)، ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض، وجب أن تكون طرقًا متغايرة متباينة، وما رأيت للمفسرين فيه كلامًا ملخصًا مضبوطًا، واعلم أن الدعوة إلى المذهب والمقالة لا بد وأن تكون مبنية على حجة وبينة، والمقصود من ذكر الحجة، إما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد في قلوب المستمعين، وإما أن يكون المقصود إلزام الخصم وإفحامه" (١)، إذا فهدف الخطاب القرآني هنا إجراء حوار بين داعي ومدعو مبني على أسس ثلاثة: إما حكمة، وإما موعظة حسنة، وإما مجادلة مشروطة أن تكون الحسنى هي سمتها.

والمجادلة بالحسنى وضحت من خلال قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟

(١) مفاتيح الغيب للرازي، ٢٠/٢٨٦.



أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ (آل عمران ٦٤)، يذكر معلقاً على الآية صاحب كتاب التحرير والتتوير ما نصه: "رُجُوعٌ إِلَى الْمُجَادَلَةِ، بَعْدَ انْقِطَاعِهَا بِالِدَّعَاءِ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، بَعَثَ عَلَيْهِ الْحَرِصُ عَلَى إِيْمَانِهِمْ، وَإِشَارَةً إِلَى شَيْءٍ مِنْ رِزْقِ أَهْلِ الْكِتَابِينَ عَنْ حَقِيقَةِ إِسْلَامِ الْوَجْهِ لِلَّهِ، ... وَقَدْ جِيءَ فِي هَذِهِ الْمُجَادَلَةِ بِحُجَّةٍ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَوْثِلاً وَهُوَ دَعْوَتُهُمْ إِلَى تَخْصِصِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ وَتَبْذِيرِ عَقِيدَةِ إِشْرَاكَ غَيْرِهِ فِي الْإِلَهِيَّةِ" (١).

فالخطاب الديني القرآني هنا يريد من صاحبه أن يسلك مسلك المحاور الذي يدعو إلى فكرته بفكر راق معتدل لا تشدد فيه ولا تعنيف للخصم، فالغرض من المجادلة في الآية كما ورد في النص السابق "الْحَرِصُ عَلَى إِيْمَانِهِمْ، وَإِشَارَةً إِلَى شَيْءٍ مِنْ رِزْقِ أَهْلِ الْكِتَابِينَ عَنْ حَقِيقَةِ إِسْلَامِ الْوَجْهِ لِلَّهِ".

إذا فمن آثار الخطاب الديني أنه يدعو إلى حوار هادف بناء يصل بصاحبه وخصمه في نهايته إلى بر الأمان كما يقولون.

المطلب الثاني: أثر الخطاب الديني في البعد عن العصبية والهوى.

التعصب واتباع الهوى آفة ابتلي بعض الناس، كانت لها الآثار السلبية على حياتهم وبُعدهم عن المنهج الوسطي المعتدل، فالخطاب الديني القرآني وكذا النبوي كلاهما يدلان على سلبية العصبية واتباع الهوى حيث إنها من مداخل الشيطان على الإنسان.

ففي القرآن الكريم نقرأ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات ١٣)، وفي سبب نزول هذه الآية نرى أن القرآن ينهى ويبعد المرء عن العصبية العمياء التي لا فائدة منها البتة، حيث ثبت أنه: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَلَّا حَتَّى أَذْنَ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ بْنُ أَبِي الْعَيْصِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَبَضَ أَبِي حَتَّى لَمْ يَرِ هَذَا الْيَوْمَ، وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ: أَمَا وَجَدَ مُحَمَّدٌ غَيْرَ هَذَا الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ مُؤَدِّئًا؟، وَقَالَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو: إِنَّ يَرِدُ اللَّهُ شَيْئًا يُغَيِّرُهُ، وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنِّي لَا أَقُولُ شَيْئًا أَخَافُ أَنْ يُخْبِرَ بِهِ رَبُّ السَّمَاءِ، فَاتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالُوا، فَدَعَاهُمْ وَسَلَّاهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَأَقْرَؤُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَرَجَرَهُمْ عَنِ النَّفَّاحِ بِالْأَنْسَابِ وَالتَّكَاثُرِ بِالْأَمْوَالِ وَالْازْدِرَاءِ بِالْفُقَرَاءِ، فَإِنَّ الْمَدَارَ عَلَى التَّقْوَى أَيْ الْجَمِيعُ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، إِنَّمَا الْفَضْلُ بِالتَّقْوَى" (٢)، فالعصبية ليست من الإسلام في شيء نهى عنها القرآن الكريم وحذر منها، وجعل معيار التفاضل تقوى الله ﷻ.

(١) التحرير والتتوير للطاهر بن عاشور، ٣/٣٦٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٦/٢٤١، أسباب نزول القرآن للنيسابوري، ص ٣٩٤.



وفي الخطاب الديني النبوي قريب من معنى الآية المباركة من خلال الحديث الوارد في صحيح البخاري عن المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غَلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأَمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرُؤُ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِيبُوهُمْ^(١)، وفي تعليق على هذا الحديث نقراً ما نصه: "استدل أيضاً بقوله ﷺ لأبي ذر فيك جاهلية أي خصلة جاهلية مع أن منزلة أبي ذر من الإيمان في الذروة العالية، وإنما وبخه بذلك على عظيم منزلته عنده تحذيراً له عن معاودة مثل ذلك لأنه وإن كان معذوراً بوجه من وجوه العذر لكن وقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه"^(٢)، فسيدنا أبو ذر رضي الله عنه رغم مكانته ومنزلته بين الصحابة إلا وأن صدور هذه العصبية منه أمر غير مشروع، حذر منه الرسول أباذر وكل الصحابة بل وكل المسلمين إلى قيام الساعة، وما أروع تعبير العلامة ابن حجر حين قال: "لكن وقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه" فالصغيرة صغيرة في حق العوام، أما الصغيرة في حق العلماء والقادة وأهل الصلاح والتقوى فهي كبيرة وجب التحذير منها.

ونفس المعنى السابق ذكره من تحذير من العصبية نقراً سويماً ما ورد في صحيح مسلم عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ^(٣) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارٍ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ دَعَاؤِ الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعَوْهَا، فَإِنَّهَا مُنْبِتَةٌ» فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَالَ: قَدْ فَعَلَوْهَا، وَاللَّهِ لَنُزَجَّعُنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. قَالَ عُمَرُ: دَعَنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «دَعُهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»^(٤). إن العصبية وفعل أمور الجاهلية أفعال خبيثة وآثار قبيحة لا تؤدي إلى الإيجابيات وإنما تؤدي إلى السلبات المنهي عنها في شريعتنا الإسلامية، وهذا ما لفت إليه الأنظار كل من الخطاب الديني الشامل للقرآن والسنة النبوية المطهرة.

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، ١٥/١ رقم (٣٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٨٥/١.

(٣) أي: ضرب، يراجع كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٩٢/١ مادة (كسع).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، باب تَصْنِيفِ الْأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، ٤/١٩٩٤، رقم (٢٥٨٤).

**المطلب الثالث: أثر الخطاب الديني في نشر الأمن والأمان في أرجاء المجتمع.**

لقد كان للخطاب الديني آثار واضحة جلية في نشر الأمن والأمان من خلال الآيات والأحاديث الواردة في هذا الشأن، ويمكن لنا أن نعبر عن هذه الآثار من خلال عدة نقاط أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: طلب الأمن مقدم على طلب الرزق.

الأمن مطلب هام من مطالب الحياة كلها، فالكليات الخمس لا يمكن لها التحقق إلا من خلال منظومة الأمن، ومن الكليات الخمس المحافظة على النفس وهذا يتحقق بالطعام والشراب -الغذاء الحسي والغذاء الروحي-، الغذاء الحسي للبدن والروحي للروح، ولهذا لما نقرأ الآيات المتعلقة بسيدنا إبراهيم وسؤاله الله تعالى نرى أنه سأل الله تعالى الأمن والأمان للبيت الحرام قبل أن يطلب الرزق له، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة ١٢٦)، وقريب من هذه الآيات ما ورد في سورة إبراهيم ٣٥-٣٧.

ويعلق الشيخ الطاهر ابن عاشور على هذه الدعوات بقوله: "كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوة، فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة، ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول، وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانه لتوطيد وسائل ما أراده لذلك البلد من كونه منبع الإسلام"^(١).

ثانياً: العبادة لا تتحقق ولا تؤتي ثمارها إلا في جو من الأمن والأمان.

إن من أجل نعم الله تعالى على عباده أن شرع لهم العبادات ليتعبدوا بها، ويكونوا على اتصال دائم بخالقهم عز وجل، وهذا الاتصال بالخالق ﷻ لا يمكن له أن يتم ويتحقق ويؤتي ثمرته المرجوة إلا في جو من الأمن والأمان، ولهذا نرى العبادات يختلف أداها في حالة الخوف وعدم الأمن، وما شرعت صلاة الخوف إلا لأجل لهذا الغرض، لأن المسلم في خوفه حاله مختلف تملأ عن حله في السلم والأمن، فلهذا يقول ﷻ: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِي ظِلْفَةٍ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ ظِلْفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يَصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ

(١) التحرير والتنوير، ١/٧١٥.



مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَصْعَوْا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (النساء ١٠٢)، ونقرأ مبلثرة بعد هذه الآية قوله: ﴿إِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء ١٠٣).

فإنه جعل الصلاة في أوقات الخوف لها كيفية معينة وطريقة مختلفة تؤدي بها، ليس كنفس الحال والطريقة التي تؤدي بها في أوقات الأمن والأمان، ولهذا نرى براعة النص القرآني حينما يقول في الآية الثانية ﴿وَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ اختلف الوضع والحال في أوقات الطمأنينة.

يقول ابن تيمية: "معلوم أن طمأنينة القلب حال الجهاد لا تكون كطمأنينته حال الأمن، فإذا قدر أنه نقص من الصلاة شيء لأجل الجهاد لم يقدح هذا في كمال إيمان العبد وطاقته، ولهذا تخفف صلاة الخوف عن صلاة الأمن، ولما ذكر سبحانه وتعالى صلاة الخوف قال: ﴿وَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا" فالإقامة المأمور بها حال الطمأنينة لا يؤمر بها حال الخوف^(١).

ثالثاً: الأمن سبب من أسباب تحقق الرزق وتوسعته.

في مثال واحد من أمثلة القرآن الكريم يضربه لنا لنعلم مدى أهمية الأمن في تحقق أسباب الرزق وسعته على العباد والبلاد، حيث يضرب الله تعالى المثل بالقرية المؤمنة التي كانت تعيش حياة يغلب عليها ثلاثة أمور هي محاور الحياة، أولها: الإيمان، ثانيها: الأمن والطمأنينة، ثالثها: سعة الرزق، نقرأ هذا المعنى جيداً في رحاب سورة النحل والآية (١١٢) من قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، يقول ابن كثير مانصه: "ففضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا ندّاً ولا وثناً، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبها منه، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾"^(٢).

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ٢/٢٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٨/٤٦٧.



ويعلق د. الزحيلي بقوله: "قوله: {أَمِنَةً} إشارة إلى الأمن، وقوله: {مُطْمَئِنَّةً} إشارة إلى الصحة بسبب طيب الهواء والمناخ، وقوله: {يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} إشارة إلى الكفاية، وبعد أن وصفت القرية بهذه الصفات الثلاثة قال: {فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ} والأنعام جمع نعمة، وهو جمع قلة، أي أنها كفرت بأنواع قليلة من النعم، فعذبها الله، والمقصود التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإذا كان كفران النعم القليلة موجباً للعذاب، فكفران النعم الكثيرة أولى بإيجاب العذاب"^(١). وبالمعنى المضاد فإذا كان عدم الأمن سبب من أسباب انقطاع الرزق، فإن مما يُسلم به أن وجوده سبب من أسباب تحققه بل وزيادته، وبنظرة واقعية على الواقع المعاصر للمنطقة العربية هل من المعقول أن يأتي رجل أعمال يستثمر فيها أمواله وهي ليس فيها لا أمن ولا أمان ولا طمأنينة على النفس والولد والمال فكيف يتحقق فيها أي نوع من أنواع الاستثمارات؟ ولهذا لما ضرب الله تعالى المثل القرآني كان الهدف منه التذكير والتذكير لأهل مكة، ومن يأتي من بعدهم إلى يوم الدين، أن الأمن والأمان يجلب الخير والرزق ويمنع الفقر والذل، إلا إذا كان على سبيل الابتلاء والاختبار، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة ١٥٥).

ما سبق بعض من آثار الخطاب الديني بتوسطه واعتداله من أجل نشر الأمن والأمان في أرجاء المجتمع، ومما لا خلاف عليه أنه إذا تحقق الأمن والأمان تحققت التنمية المجتمعية بشي فروعها، وسائر أركانها، وعم الخير البلاد والعباد.

(١) التفسير المنير لوهبه الزحيلي، ٢٥٢/١٤.



الخاتمة

بعد وقت قصيره ليس بالقصير في رحاب بحثنا المعنون ب((أثر التوسط والاعتدال في الخطاب الديني في تحقيق التنمية المجتمعية)) يطيب لنا أن نذكر أنفسنا ومن يقرأ هذه الصفحات ببعض من النتائج التي توصلنا إليها، وبعض من التوصيات التي هي لنفسي قبل أن تكون لغيري، فمن أهم النتائج التي توصلت إليها:

أولاً: امتاز الدين الإسلامي دون غيره من الديانات الأخرى بخصيصة قلما أن توجد إلا فيه ألا وهي التوسط والاعتدال في شتى تشريعاته.

ثانياً: للخطاب الديني بلغة معاصرة أهمية قصوى في تغيير وجهة نظر غير المسلمين للإسلام وأهله، فالإسلام دين لا تشدد فيه ولا عنف ولا تطرف ولا إرهاب، وإنما آفة المسلمين أنهم لا يحسنون عرض دينهم على الآخرين، لذا اتهموا بالغلو والتطرف والإرهاب.

ثالثاً: وسطية الإسلام واعتداله أدت إلى تحقيق التنمية المجتمعية في كل شأن من شئون الحياة اليومية في السياسة، في الثقافة، في التقدم والرقي، في فهم الإسلام نفسه.... الخ.

رابعاً: للخطاب الديني أثر فعال في بناء نهضة الأمم والشعوب حيث إنه خطاب يدعو إلى الحوار المثمر، خطاب يدعو إلى البُعد عن العصبية الجاهلية واتباع الهوى، خطاب يدعو إلى نشر الأمن والأمان في شتى ربوع المعمورة. هذا عن أهم النتائج.

أما عن أهم التوصيات فيمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: أوصى الباحثين والمهتمين بالنشاط الأكاديمي العلمي بالاهتمام بالدراسات الإسلامية فإن بضاعتها قلت في السوق العلمي نظراً لبُعد البعض عنها، ومحاولة الإعلام التقليل من شأنها، حيث إن مما امتازت به الدراسات الإسلامية الشرعية التوسط والاعتدال.

ثانياً: أوصى كل المهتمين بالدراسات الإسلامية من حكومات ومؤسسات وجماعات وأفراد بتبني مثل هذه المؤتمرات فهي فرصة حقيقية لتبادل الخبرات الأكاديمية والتدريسية، وتبادل الثقافات والآراء من علماء شملت بلادهم المعمورة بأسرها.



ثالثًا: أوصى كل علماء الأمة الإسلامية بالأخذ بمنهج وسطية الإسلام واعتداله في كافة ميادين الإسلام، وعدم التشدد والمغالاة والتعسير على الناس في شئون حياتهم، فرسولنا الكريم-صلى الله عليه وسلم- ما خَيْرَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فالمنهج الوسطي المعتدل هو المنهج الذي رضىه الله تعالى للأمة الإسلامية حين قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة ١٤٣).

رابعًا: أوصى كل القائمين على هذا المؤتمر بنشر الأبحاث ليس على مستوى دولة العراق وحدها، وإنما على مستوى الدول العربية والإسلامية، وليس النشر فقط وإنما العمل على ترجمة الأبحاث المقدمة المقبولة لدى لجنة التحكيم بأكثر عدد من لغات العالم، فنحن من نعرض بضاعتنا على الآخرين ولا ننتظر حتى يأتي الآخرون ليأخذوا منا ما نكتب، ومما لا أشك فيه أن دولة العراق عمومًا وجامعة الأنبار خصوصًا كفاءات وقدرات تُعين وتُساعد على ترجمة هذا الأبحاث بلغات متعددة لكل جهات العالم، فبارك الله فيهم وجزاهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء.



فهرس المراجع

١. آداب البيع والشراء، والمحاذير الشرعية التي قد يقع فيها البائع والمشتري دراسة موضوعية د. ربيع إبراهيم محمد حسن، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر، السنة ٢٨، العدد ١١١، أكتوبر ٢٠١٧م.
٢. أسباب نزول القرآن المؤلف: للواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٣. التحرير والتنوير للظاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٤. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للمباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. تفسير القرآن العظيم لابن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
٧. تفسير مقاتل بن سليمان لمقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
٨. التنمية الاجتماعية من منظور التربية الإسلامية ليوسف بن أحمد العجلاني، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ.
٩. التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه للبخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
١١. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٢. سنن ابن ماجه لابن ماجة، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
١٣. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
١٤. شرح صحيح البخاري لابن بطلال، لابن بطلال (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.



١٥. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٦. الفتاوى الكبرى لابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
١٨. كتاب العين للخليل الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل لابن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٠. مفاتيح الغيب للرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
٢١. المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
٢٢. موقع السكينة مقال بعنوان مفهوم الخطاب الديني للأستاذ عبد السلام حمود غالب منشور بتاريخ ١١/٩/٢٠١٣م.
٢٣. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.





الشريعة الإسلامية

لنظم التعايش بين اتباع الديانات

د. محمد عزت فاضل

جامعة الموصل

كلية الحقوق

Maher2007_55@yahoo.com

ISSN: 2071-6028





ملخص باللغة العربية

لا يمكن ان ينتمي افراد شعب ما إلى نوع واحد من حيث العرق أو المذهب أو اللغة أو الدين، بل يحمل في الغالب تنوعاً اجتماعياً، مما يقتضي احتواءه، ولا سيما في المجتمعات المعقدة من أجل تذليل العقبات التي قد تنشأ عن إدارة الحكم. الأمر الذي يتطلب تحديد مدى قابلية الشريعة الإسلامية للتكيف مع النظم المعاصرة في تحقيق التعايش بين اتباع الديانات، ويعتبر البحث في الجانبين التنظيمي والوظيفي للسلطة في الإسلام أمراً جوهرياً في تحليل مكانة التكيف والتطور على وفق المتغيرات العامة. ويتمثل هدف البحث في تحديد الصيغة المناسبة لإدارة المجتمع المتعدد الطوائف من أجل تحقيق الاستقرار، فضلاً عن التكامل والوحدة. وتقوم منهجية الدراسة على المنهج التحليلي النظري، فضلاً عن الإشارة إلى بعض التجارب المتبعة عبر التاريخ الإسلامي، حيث تم المزج بين المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، وتم جمع بيانات البحث بالاعتماد على طريقة الملاحظة العلمية. بينما تمثلت عينة البحث في اختيار نظامين حديثين لإدارة المجتمع التعددي هما التوافقية والفيدرالية. وفي الخاتمة توصلنا إلى مجموعة نتائج أبرزها ان نظام التوافق افضل من الفيدرالية في إدارة هكذا مجتمع من أجل تحقيق التعايش لفترة انتقالية، ومن ثم الانتقال إلى العيش المشترك، بينما لا تكون الفيدرالية ضامنة لوحدة الأمة بسبب إمكانية التداخل الاجتماعي، كما ان سياسة الحكم في الإسلام انما هي تتسم بالمرونة بالنظر إلى عدم وجود أحكام قطعية الدلالة تتناول آلية إسناد السلطة ووظائفها، كما يمثل باب المصالح المرسله أساساً شرعياً للتكيف مع النظم الحديثة عندما تكون الوحدة مهددة بخطر التفكك. هذا وتوصلنا أيضاً إلى مجموعة توصيات أولها ندعو القائمين على السلطة إلى تبني الحلول الوسطى بالشكل الذي يسمح للأقليات بالمشاركة لتحقيق الثقة، وثانيهما نقترح إنشاء مجلس خاص يمثل الطوائف الدينية في المجتمع التعددي لضمان مشاركتها ولا سيما في المسائل التي تخص شؤونها الثقافية والاجتماعية .

الكلمات المفتاحية: نظم ، تعايش ، ديانات

*Islamic Legitimacy for Coexistence Regulations among Followers of Religions**Dr. Mohammed Azzit Fadhil Al-Taqi*

Abstract: It is impossible for any individual of people to belong to one type of ethnicity, doctrine, language or religion. Mostly it carries a social variety. This case can be clearly seen in complex societies which need to include all its individuals for the sake of overcoming the obstacles that may be appeared because of authority administration. This situation requires us to determine the extent to which Islamic law is able to adjust with contemporary regulations in achieving coexistence among followers of religions. Searching into organizing and functional aspects of authority in Islam is an essential element of analyzing the means of adoptability and development according to general changes. The study aims at determining the suitable shape for administrating pluralistic society of cults to fulfil stability, integrity and unity. The methodology of the study is based on theoretical-analytical approach in addition to references of some experiences followed across Islamic history where there is a mixture between induction and elicitation. The data has been gathered depending on scientific observation. The sample of the study is represented by choosing two modern systems for administrating a pluralistic society, that is, harmonization and federation. In conclusion, the researcher arrived at a group of results. The most prominent ones are the adjustable system or harmonization is better than federation in administrating such society to achieve coexistence for transitional period and then move to live together. The federal system does not guarantee the unity of nation because of the ability of social interference. Moreover, the policy of rule in Islam is characterized by flexibility because there are no final judgements which deal with the mechanics of establishing authority and its functions. The common interests represent a legitimate basis for adaptability with the modern systems when unity is in danger of disintegration. The researcher arrived at a group of recommendations. One of these recommendations is the invitation of politician to adopt intermediary solutions which allow minorities to participate in administration to achieve trust. Secondly, we suggest setting up a special council which represents religious communities in pluralistic society to ensure participation especially in issues related to its social and cultural affairs.

Keywords: systems, coexistence, religions



المقدمة

تميل العديد من المجتمعات المعاصرة التي تشهد تنوعاً اجتماعياً من حيث الدين أو المذهب أو العرق أو اللغة إلى إيجاد نظام حكم يعمل وفق شراكة وطنية في ممارسة السلطة، والتي عادةً ما تتخذ شكل النظام التوافقي أو الفيدرالي وهي أنظمة قانونية يتناولها الفكر الدستوري ضمن عالم القانون. فالمجتمع الإسلامي كسائر المجتمعات يضم المسلمين وغير المسلمين، مما يقتضي تحديد معالم الوحدة فيه ولا سيما في مجال ممارسة السلطة السياسية.

وتكمن أهمية البحث في ان رسم قواعد واضحة لإدارة المجتمع التعددي وتأسيس مدى انسجامها مع قواعد الشرعية الإسلامية سيضع حداً للغلو والتطرف والإرهاب. ويتمثل هدف البحث في الوصول إلى نوع الأسلوب المناسب لحكم هكذا مجتمع من حيث ضمان التكامل والوحدة بعيداً عن الانقسامات التي تضعف الأمة.

بينما تدور مشكلة البحث حول الإجابة على تساؤلات عدة هي: ما مدى نجاح الفيدرالية الطائفية في إدارة هكذا مجتمع؟ وهل تغني عن التوافقية؟ وهل تتسجم النظم المعاصرة مع قواعد الشرعية الإسلامية؟ وهل تكفي تلك القواعد لحماية الأقليات؟

وتقوم فرضية البحث على ان هناك علاقة طردية بين وحدة الأمة وطبيعة الحكم السائد، فكلما باعد ذلك الحكم بين مكونات المجتمع كلما ضاق مفهوم الوحدة لصالح التجزئة. وتم الاعتماد على المنهج التحليلي الذي يقوم على دراسة ما جاء به الفقه من آراء وتوجهات في دراسة الموضوع.

وتم تقسيم دراسة البحث إلى مبحثين: تناول الأول مفهوم نظم التعايش في المجتمعات التعددية، ودرس الثاني طبيعة سياسة الحكم وصلاحيها للتعايش في ضوء الشرعية الإسلامية. ومن ثم نختم بأهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها.

المبحث الأول: مفهوم نظم التعايش في المجتمعات التعددية

تواجه المجتمعات التعددية -التي تضم مجموعة من الطوائف المتميزة فيما بينها على أساس اللغة أو الدين أو العرق ونحو ذلك- صعوبات في إدارة كفة الحكم بسبب حالة عدم الثقة السائدة بينها، الامر الذي دفع بهكذا مجتمعات إلى تبني نظم مختلفة كالتوافق كما في لبنان، أو الفيدرالية كما في ماليزيا من اجل توزيع السلطة لإرضاء طوائف المجتمع. وفيما يأتي سندرس فكرة نظم التعايش في المجتمعات المعقدة في المطلبين الآتيين:

**المطلب الأول: الفيدرالية**

تعني الفيدرالية نظام دستوري بمقتضاه تتوزع السيادة الداخلية بين حكومة الاتحاد والوحدات المكونة له، وتفقد الأخيرة سيادتها الخارجية لصالح الاتحاد، وهو ما اكده عدد من فقهاء القانون كاوبنهايم (Oppenheim) ومارسيل برلوت (Mercel prelot)، وعرفه الفقيه الدستوري أندري هوريو (André Horiu) بأنه "شراكة دول لها فيما بينها علاقات قانونية داخلية أي قانون دستوري، بموجبه تقوم دولة أعلى فوق الدول المشاركة"^(١).

وأشار أستاذ القانون الدستوري د. عصام سليمان إلى أن الفيدرالية هي "شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي"، وذلك في إشارة له إلى أهميتها في تحقيق الاستقرار في المجتمع التعددي^(٢). ونرجح التعريف الأول؛ لكونه لم يحدد أساس الشراكة؛ لأن إقامة الفيدرالية إما أن تبنى على اعتبارات تاريخية أو لغوية أو عرقية أو جغرافية، بما في ضمنها إمكانية منح الطوائف إمكانية إدارة شؤونها القطاعية باستقلالية. وإن فكرة النظام الاتحادي في هكذا مجتمع لا تختلف كثيراً عن تلك المتبعة في المجتمعات الأخرى سوى من حيث أصل النشأة.

قد يبدو للوهلة الأولى أن توزيع الاختصاصات الفيدرالية على أساس وحدات طائفية في المجتمع التعددي يخفف من حدة الصراع على النفوذ داخل الحكومة المركزية. لكن إقامة الفيدرالية في الدولة على ذلك الأساس يختلف عما إذا كان على أساس جغرافي بالنظر لوجود ولايات فرعية قد تغلب على مصلحة الاتحاد بشكل يضر بالوحدة الوطنية.

إذ يمنع تنوع الطوائف في الوحدة الإدارية الواحدة من إقامة ولاية فيدرالية على أساس الطائفة الواحدة، لأن من شأن إقامة الفيدرالية على هذا الأساس محاذير عدة بالنظر لوجود مشاكل تحول من دون نجاح الفيدرالية أبرزها التداخل السكاني في الاقليم الواحد، وما يتبعه من تعقد ممارسة السلطة فيه^(٣). لذا فقد تطلب الفقه لإمكان نجاح الفيدرالية الطائفية عدة شروط هي:

١. عدم الاختلال بالتعايش المشترك من قبل القوى أو من قبل مكون ما على بقية القوميات والا فسيهدد ذلك الوحدة الوطنية كما حصل في انهيار الاتحاد السوفيتي عام

(١) الفيدرالية وإمكانية تطبيقها كنظام سياسي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٩. د. محمد عمر مولود،

(٢) الفيدرالية والمجتمعات التعددية ولبنان، د. عصام سليمان، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١، ص ٣٧-٣٨.

(٣) للمزيد ينظر: الفيدرالية والمجتمعات التعددية ولبنان، د. عصام سليمان، ص ٢٢٤ وما بعدها.



- ١٩٩١^(١). لان عدم ديمقراطية السلطة السياسية التي كانت تنسم بالشمولية والمركزية في الحكم ادى إلى ضعف شعور الجمهوريات بالهوية الوطنية المشتركة قياساً بهويتها المحلية^(٢).
٢. ان تتمركز الطوائف في مناطق محددة جغرافياً، ولا يشترط لتحقيق ذلك تمركز كل أبناء طائفة ما في منطقة معينة، بل يكفي أن تحوي الغالبية العظمى من تلك الطائفة.
٣. أن تكون الطوائف مهيأة لتقبل الفيدرالية من خلال التعاون في ممارسة السلطة بما يحول دون فقدان الثقة فيما بينها.
٤. ان تتعاون الطوائف لتجاوز الصعوبات الاقتصادية؛ كي يتحقق التعايش.
٥. أن تتوافق الطوائف في ممارسة السياسة الخارجية والدفاعية والتي تدخل ضمن صلاحيات الاتحاد، ويرجع ذلك إلى احتفاظها بالعادة بعلاقات وثيقة مع قوى خارجية، وتلك العلاقات، بدون التوافق، ستسبب خلافات في سير تلك السياسة، وبنفس الوقت يعني هذا الشرط أن على الطوائف تغليب المصالح المشتركة للاتحاد^(٣).
- في تقديرنا ان تلك الشروط قد توجد اقاليم فيدرالية تمارس عملها بكفاية لكن لا يضمن ذلك التعاون والتضامن والتوازن الكفيل بنجاح الوحدة الوطنية وسيجعلها قطاعات مستقلة مهيأة للتجزئة متى ما اختلف القابضين على السلطة.
- وقد حاول الفقه تقديم بعض الحلول لذلك من بينها ما ذهب اليه د. أنطوان فتال الذي ذهب إلى انه بالإمكان تأسيس حكومة الاتحاد على أساس طائفي باستثناء المجلس الأعلى في البرلمان فيجب أن يشكل بالتمثيل النسبي غير الطائفي، بينما ذهب الأستاذ موسى برنس إلى ضرورة استبعاد المجلس الأدنى في البرلمان والحكومة من التشكيل الطائفي، وقد انتقد ذلك الرأيين؛ لأنه في مجتمع تنقسم فيه الأقاليم بشكل طائفي يعني انتقال الطائفية إلى مختلف الهيئات الاتحادية، كما أن الأخير قد تواجه الشلل عند عدم توافق الطوائف على قضايا السياسة الخارجية والدفاعية بالنظر لطبيعة العلاقات التي تربطها بالقوى والدول الأجنبية^(٤).
- مما تقدم لا تضمن الفيدرالية الطائفية نجاح الوحدة الوطنية وسيجعلها وحدات مستقلة مهيأة للتجزئة متى ما اختلف الحكام. كما ان تشكيل الحكومة الاتحادية سيعيد المواجهة بين الأقاليم والطوائف، مما يثير إمكانية الاخذ بالحكم التوافقي.

(١) الفيدرالية وأفاق نجاحها في العراق، لطيف مصطفى أمين، دار سرمد، سليمان، ٢٠٠٦، ص ٥٨-٦٢.

(٢) العراق بين اللامركزية الإدارية والفيدرالية، طه حميد حسن العنبيكي، ط ١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ع ١٥٥، ٢٠١٠، ص ٣٣.

(٣) الفيدرالية والمجتمعات التعددية ولبنان، د. عصام سليمان، ص ٤٤-٤٧، ٢٤٠-٢٤١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٧-٢٤٠.



المطلب الثاني: نظام التوافق

عُرف هذا النوع من النظم بتعريفات متعددة، فقد عرفه استاذ الفكر السياسي د. حميد فاضل حسن بأنه: (تتبنى السلطة وتتمحور على أساس طائفي بما يخدم هذه الجماعة التي ينسب إليها مجموعة الحاكمين والمرتبطين بالسلطة واعتماد التمييز الطائفي بحسب امتيازات وحقوق الطوائف الأخرى)^(١).

ونلاحظ على التعريف المذكور أنه يصلح لتحديد معنى الطائفية بشكل عام وليس الطائفية السياسية بشكل خاص من حيث تحديد هيكلية وأسلوب ممارسة السلطة بموجبها. ويعرف البعض ذلك النظام بأنها (تلك الديمقراطية التي تسمح بالتنوع في المصالح والآراء والحلول الوسطى)^(٢). ونرى أن هذا التعريف يتسم بالإيجاز في عرض المضمون وبما يسمح بالإجماع في اتخاذ القرارات.

وبهذا المعنى عبر استاذ العلوم السياسية آرند يجبهارت Arend Lijphart عن التوافق بـ"التراضي المشروط"، وعرفه بأنه "وجود قواسم مشتركة بين المجتمعات المنقسمة محوراً التراضي بين النخب الممثلة أو المعبرة عن جماعات مختلفة على آليات التعاون وضمان مشاركة هذه الجماعات في الحكم"^(٣). كما اعتبر يجبهارت التوافقية شكل من أشكال الحكومة التي تتيح تقاسم السلطة في المجتمعات المنقسمة سياسياً وعرقياً ودينياً، إذ يستند في المقام الأول على جمع الأقليات الإيديولوجية واللغوية في صنع القرار الحكومي ومنحهم النفوذ في عملية تشكيل سياسة الدولة بدلاً من الاعتماد على حكم الأغلبية^(٤).

ويلحظ أنه إذا كان التراضي بين المكونات إحدى سمات هذا الحكم، إلا أن ذلك ليس حتمياً بكافة النواحي، بل يقتصر على النواحي الأساسية فقط.

كما عرف الحكم التوافقي بأنه "شكل من أشكال الحكم المطبقة في بعض البلدان غير المتجانسة شعبياً، يقضي بإعطاء حق الحكم بالتوافق فيما يتعرض ببعض الأمور الأساسية

(١) إشكالية الطائفية السياسية في العراق بين الاستمرارية والانكفائية، د. حميد فاضل حسن، مجلة كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد، ع ٣٢، شباط، ٢٠٠٦، ص ١٨٤.

(٢) التحولات الديمقراطية في العراق (القيود والغرض)، حسنين توفيق إبراهيم، عبد الجبار احمد عبد الله، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، ط ١، ع ٣٤، ٢٠٠٥، ص ٩٣.

(٣) النظام السياسي العراقي الجديد (قراءة في نموذج الديمقراطية التوافقية)، د. وحيد عبد المجيد، كراسات استراتيجية، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، ع ١٤٤، أكتوبر ٢٠٠٤، ص ٦.

(4) Brian D. Williams, How Consensual Are Consensus Democracies? A Reconsideration of the Consensus/Majoritarian Dichotomy, University of California at Riverside, P.3-4. Research published on August 26 2015, the site follows; www.democracy.uci.edu/.



للجماعات المتميزة عن بعضها البعض والمكونة في مجموعة شعب الدولة^(١). ونجد ان هذا التعريف جاء موجزاً لكونه غير مانع وشامل لما يندرج تحت التوافقية. وعليه فان نظام التوافق يعني إيجاد حكومة ائتلافية تضم مختلف القطاعات المستقلة بإدارة شؤونها بما يضمن الفيتو المتبادل بينها حول القرارات الهامة والنسبية في توزيع المناصب داخل الدولة.

تهدف التوافقية من حيث المبدأ إلى توفير فرصة للأقليات للمشاركة في الحياة السياسية، الأمر الذي يؤدي إلى تحقيق الاستقرار السياسي وصولاً إلى دمج الفئات المجتمعية المختلفة والنظر في مصالح الأقلية^(٢). وتتحقق الوحدة الوطنية باعتراف كل المجموعات الاثنية المتنوعة ببعضها البعض؛ لان الرفض المطلق للانتماءات الفرعية داخل المجتمعات المتعددة يهدد وحدة النظام السياسي واستقراره؛ لكونه سيثير العصبية المكبوتة ويفتح المجال لتسييسها لتكون عرضة للنزاع والانقسام الوطني^(٣).

ويجد Arnt to Ebhart ان حكومة الأغلبية ربما تكون أسرع حسماً من التوافقية، لكن الاخيرة باتخاذها القرارات على المدى البعيد تحافظ على الوحدة الوطنية ولاسيما إذا أجاد الحكام تطبيق الفيتو المتبادل من دون مغالاة^(٤).

ويعتبر الفقه المؤيد للتوافقية بتحقيقها التعايش السلمي في المجتمع هي أفضل من ديمقراطية أكثرية تمزقها الصراعات بين المجموعات^(٥). وذلك بحكم اهميتها في تقليل الانقسامات

(١) هناء صوفي عبد الحي، الديمقراطية التنافسية (الحالة اللبنانية)، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ع ١٢٤، خريف ٢٠٠٦، ص ١٢٩، ١٣٠. مع العلم أن النظام التوافقي يختلف عن النظام التنافسي في أن الأخير يقوم على حكم الاغلبية من دون النظر إلى الأقلية من دون وجود لأي ائتلاف بين الطوائف. ينظر: المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(2) Adrian Vatter, Swiss Consensus Democracy in Transition. A Reanalysis of Lijphart's Concept of Democracy for Switzerland from 1997 to 2007, Department of Political Science, University of Zurich, Switzerland Research published on August 27 2015, the site the following: www.ipw.unibe.ch/.

(٣) التضامن الوزاري والحكومات الائتلافية، د. حيدر المولى، ط ١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١١، ص ٣٥.

(٤) الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، آرت لبهارت، ترجمة: حسني زينة، ط ١، منشورات دار الفرات، بيروت ٢٠٠٦، ص ٨٤.

(٥) محاضرات في القانون الدستوري والأنظمة السياسية، د. صالح طليس، ط ١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١٢، ص ١٩٨؛ سمير المقدسي، وفاديا كيوان، وماركوس ماركاتير، لبنان: الديمقراطية المقيدة وتأثيرها الوطني، بحث ضمن كتاب: تفسير العجز الديمقراطي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة، ٢٠١١، ص ٢٠٧، ٢١٠.



من خلال التوازن المعقول بين المكونات وبناء الثقة المتبادلة بينها^(١). ولا تمثل خطراً على سير النظام السياسي لثلاث أسباب:

الأول: أنه نظام بإمكان كافة القطاعات ممارسته، وليس حق للأقلية فحسب.
والثاني أن مجرد إتاحة النقض يمنح شعوراً بالأمان ويجعل استخدامه مستبعداً.
والثالث: أن الاستعمال غير المحدود للنقض سيجعل كل قطاع يعترف بالآثار السلبية التي تترتب على ذلك^(٢).

ويذهب رأي إلى أن التوافقية ستؤثر سلباً على وحدة الدولة؛ لأنها ستقوم على فكرة توازن القوى على نحو تغيب فيه فكرة المجتمع المتلاحم، فكل جماعة تعتبر نفسها مجتمعاً قائماً بذاته لا تربطها مع الجماعات الأخرى سوى فكرة التعايش لضمان استمرار المصالح الخاصة المتقلبة لا فكرة العيش^(٣).

ويجد استاذ علم الاجتماع روبرت ماكيفر Robert McIver أن إخضاع الجماعات المتنوعة لسلطة شاملة تبسط سلطتها على الجميع هو الحل، لكن أمام قوة الجماعات المتحضرة يصعب ذلك، بل كثيراً ما تسعى إلى إضعاف الدولة وتقييد سلطتها، التي إذا ما التزمت بها تعايشت تلك الجماعات التي لها حقوق وامتيازات متساوية^(٤).

بيد أن نجاح الحكم في هكذا مجتمع يتطلب عدة مقومات موضوعية منها قوة السلطة لتفرض ليس احترام الشعب فقط، بل لتمنع مجموعات المصالح من تنصيب نفسها أنظمة إقطاعية تنصرف بالسلطة لمنفعتهم^(٥). وأن يكون الحكام أعضاء في مجموعة متنوعة من الفئات الاجتماعية وليس فئة واحدة، وأن يكون سلوكهم يتطابق مع أغراض المؤسسة، وأن يكون الإجماع العام والمصلحة المشتركة عاملاً للوحدة السياسية، إذ تعتمد القوة المؤسساتية ومداها

(١) الواقع السياسي وتداعياته على التخطيط الاستراتيجي للدولة العراقية، د. عامر هاشم عواد، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي لقسم الدراسات السياسية، بيت الحكمة، بغداد ٢٠١١، ص ٣٣.

(٢) الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، أرنت ليبهارت، ص ٦٤-٦٥.

(٣) القانون الدستوري اللبناني وأهم النظم السياسية في العالم، د. محمد المجذوب، الدار الجامعية للطبع والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٤) تكوين الدولة، روبرت ماكيفر، ترجمة: د. حسن صعب، دار العلم للملايين، ب.ت، سوريا، ص ١٤١-١٤٢، ٥٠٠.

(٥) الديمقراطية الفرنسية، فاليري جسكار دستان، ترجمة: عبد الله نعمان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط ١، ١٩٧٧، ص ١٤٣.



على درجة المتحد في مجتمع معقد^(١). وان إيجاد حكومة حيادية معتدلة نحو كل الطوائف سيساعد على خلق إحساس بالشخصية المشتركة بين تلك الطوائف ويحول من دون خلق شعور الانفصال^(٢).

كما ان على الجماعات الحاكمة الاستعداد للحلول الوسطى والمواقف المعتدلة كما يقول بريان بازي؛ كي تكون السلطة قوية^(٣). وذلك يعتمد على وعي ممثلي المكونات التي تقوي من مفهوم المواطنة أو الولاء العام للدولة بشكل يحول من دون تفنيت وحدة الاخيرة^(٤).

وعليه تكون التوافقية في المجتمع التعددي ضرورية لفترة انتقالية ما لتحقيق التعايش بين افراد المجتمع، بينما الفيدرالية لا تكون ضامنة لوحدة الأمة بسبب إمكانية التداخل الاجتماعي، وما يتبعها من تعدد الاجهزة وتعهدها.

-
- (١) النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، صموئيل هنتكتون، ترجمة: سمية فلّو عبود، ط١، دار الفجر العربي الجديد، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٨-١٩.
- (٢) الدستورية والديمقراطية (دراسة في العقلانية والتغيير الاجتماعي)، جون الستر، رون سلا جستاد، دار النسر للنشر، الأردن، ب-ت، ص ٤١-٤٢.
- (٣) الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، آرنست ليههارت، ص ٥٥؛ التضامن الوزاري والحكومات الائتلافية، د. حيدر المولى، ص ٢٧، ٣٣.
- (٤) ضوابط الديمقراطية اللبنانية، عصام نعمة إسماعيل، مجلة المستقبل العربي، عدد ٣١٤، ٢٠٠٥، ص ١٦٥.

**البحث الثاني: طبيعة سياسة الحكم وصلاحياتها للتعايش في ضوء الشريعة الإسلامية**

يتطلب بحث شرعية نظم التعايش المعاصرة وفق الشريعة الإسلامية دراسة مقومات الحكم الراشد واسلوب تكوين السلطة ووظيفتها لتحقيق التعايش بين ابناء الديانات المختلفة وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: مقومات الحكم الراشد

ابتداءً لم تأتي مصادر الشريعة الإسلامية الغراء الاصلية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بأحكام تخص شكل السلطة السياسية وتنظيمها عما إذا كانت ملكية أو جمهورية وطبيعة علاقتها بالهيئات الأخرى، بل ترك ذلك للأمة حسب ظروف كل زمان ومكان وإن حدد مبادئ عامة يجب احترامها^(١). فالرسول الكريم محمد ﷺ رفض تسميته ملكاً، ويعتبر تداول السلطة مسألة دنيوية غير منظمة بنصوص شرعية، كما حصل بعد وفاة الرسول إذ عالج الصحابة مسألة خلافته بوصفها مسألة اجتهادية محضة، وبالتالي فالأمر متروك للأمة^(٢).

بيد ان الشارع سبحانه وتعالى وصف من يستقيم على طريق الحق من خلال الاستجابة لأوامر الله ورسوله الكريم محمد ﷺ بـ(الراشدون) كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٣).

وتتلخص مبادئ الحكم الراشد في شريعة الإسلام بعدة نقاط اهمها مبدأ التوحيد ويعني بأن تنطلق العقيدة من الايمان الراسخ بان الله تعالى وحده لا شريك له وهو خالق العالم بما فيه، ومبدأ الاستخلاف ويعني قد خلق الانسان واستخلفه بالأرض ليعيش فيها ويعمرها طبقاً لأوامر الله ونواهي، ومن لا يؤمن بالله ورسوله وصفهم الخالق عز وجل بـ(الطغاة) كحكم فرعون لمصر القديمة في عهد النبي موسى (عليه السلام)، وزعماء المشركين في مكة في عهد الرسول، وكذلك مبدأ المساواة بين الناس لانهم من اصل واحد^(٤). كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٥).

(١) نظرية الدولة، د. طعيمة الجرف، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣٢٦-٣٢٩.

(٢) الدين والدولة وتطبيق الشريعة، د. محمد عابد الجابري، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٦-١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٤) الحكم الراشد والدعوات الى الحكم الديمقراطي الاسلامي الرشيد في الفكر الاسلامي الحديث والمعاصر، د. هاشم يحيى الملاح، بحث مقدم الى الندوة العلمية الـ(٣٠) لمركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل في ٢٥/٢/٢٠٠٩ حول (الحكم الراشد والتنمية المستدامة في العراق ودول الجوار)، ص ٣، ٧-١٢.

(٥) سورة الحجرات، الآية ١٣.



أكد الإسلام أيضاً على مبدأ العدل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(١). وأكد على الحسبة في مجال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

كما قرر الشارع ﷺ ان تكون إدارة شؤون الأمة على أساس مبدأ الشورى كما في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(٣). ويستند المبدأ إلى الاجتهاد في استخدام العقل على مستوى الجماعة لمعالجة المشكلات في الامور التي لا يوجد فيها تشريع ملزم لا يقبل التأويل أو الخلاف^(٤). بيد انه لم يرد نص محدد يعالج آلية تكوين مجلس الشورى وعدده ووظائفه وعلاقته مع الخليفة. ويتبع الاجتهاد حول أحكام السلطة اساليب المعرفة القابلة للتطور والتقدم، وبخلافه ستفوت الغاية منه، فعلى سبيل المثال ان قاعدة (الاحكام تدور مع عللها وليس مع حكمها)، هي قاعدة تتطلب احترام المصلحة المتوخاة من النص الشرعي، والتعامل بمرونة مع الواقع^(٥).

وهكذا فان آلية تنظيم السلطة في الإسلام متروكة لتقدير الأمة باعتبارها تدخل ضمن باب المصالح المرسلّة، مما يتيح التكيف مع التطورات الحاصلة في المجتمعات

وتمثل تلك المصالح مسائل سكت عنها الشارع سبحانه وتعالى، ويترتب على بناء الحكم فيها أما دفع مفسدة أو جلب مصلحة وهو ما يطلق عليه الباحثين المعاصرين بـ(دائرة التشريع الحر أو دائرة العفو أو الفراغ) والتي تجعل للأمة حق وضع الأحكام الملائمة، وعلى هذا الأساس يكون من حق الأمة مثلاً حق وضع أجل معين لانتهاء ولاية الحاكم^(٦).

وعلى هذا الأساس اتجه الفقه نحو الاجتهاد في وضع قواعد لاختيار السلطة السياسية ووظائفها كما سنرى في المطالب اللاحقة.

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٣) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٤) الحكم الراشد والدعوات الى الحكم الديمقراطي الاسلامي الرشيد في الفكر الاسلامي الحديث والمعاصر، د. هاشم يحيى الملاح، ص ٩-١٠.

(٥) الدين والدولة وتطبيق الشريعة، د. محمد عابد الجابري، ص ١٠-١٢.

(٦) رئيس الدولة في الفكر الإسلامي (بين نصوص الشريعة وتراث الفقه)، د. محمود بو ترعة، ط ١، دار المصطفى، دمشق، ٢٠٠٨، ص ١٦٢.

**المطلب الثاني: تكوين السلطة وقابليتها لتحقيق التعايش**

أكد الفقه حق المشاركة العامة في اختيار الخليفة عن طريق البيعة، التي هي علاقة وكالة بين الحاكم والرعية، لكن اختلف في تحديد شكلها إلى رأيان، فمنهم من يقول بالبيعة الخاصة كالإمام الشريفي ومحمد عبده، وبمقتضاه يتولى أهل الحل والعقد مهمة اختيار الحاكم كما حصل في مبايعة بعض الخلفاء الراشدين كسادتنا أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان ^(١). ويذهب رأي ثاني وهو الراجح نحو تأييد البيعة العامة لعموم أفراد الأمة من دون تمييز، وأن بيعة أهل الحل والعقد للخلفاء الراشدين لا تعدو أن تكون ترشيح لخلافة المنصب، يليه موافقة أفراد الأمة، وإن اختلفوا بشأن تحديد نسبة العامة التي تلزم للبيعة فمنهم من قال بالإجماع كأبو بكر الأصم من المعتزلة، ومنهم من قال بالأغلبية كابن تيمية وأبو حامد الغزالي والمودودي، وقد استند هذا الرأي للظروف التي كانت تجري فيها المبايعة ^(٢).

ويكفي في الاختيار أن يكون الحاكم قادراً على العمل والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء ^(٣). أما شرط الانتماء للأغلبية -التي كانت في السابق يعبر عنها بشرط الانتماء لأهل قريش- فكرة ظريفة تقابل ما يعرف بهذا العصر بالأغلبية الحزبية، ويضيف الإسلام شرطاً آخر مفاده قصر الرئاسة على الرجال الأكفاء دون النساء ^(٤). وأن يكون الحاكم مسلماً استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ ^(٥). وهو شرط مفترض طالما كان الغرض من البيعة إعمال شرع الله تعالى وحدوده.

والسؤال الوارد لدينا هو ما هو مركز طائفة غير المسلمين؟ وما مدى قابلية السلطة لتحقيق

التعايش؟

لا شك أن كانت البيعة عامة فذلك سيتيح للامة بما في ذلك اهل الذمة بالمشاركة في الاختيار، وإذا كانت البيعة خاصة فان اشراك غير المسلمين في إسناد السلطة إلى ولي الأمر

(١) لمزيد من التفصيل ينظر: رئيس الدولة في الفكر الإسلامي، ص ٨٦-١٠٠.

(٢) رئيس الدولة في الفكر الإسلامي، د. محمود بو ترعة، ص ١٠٤-١١٣.

(٣) د. طعيمة الجرف، المصدر السابق، ص ٣٣٣، ٣٣٥.

(٤) رئيس الدولة في الفكر الإسلامي، د. محمود بو ترعة، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(٥) سورة النساء، الآية ١٤٣.



يعتمد على مدى جواز تمثيلهم في مجلس الشورى (أهل الحل والعقد)، وهي مسألة كانت مدعاة اجتهاد الفقه، الامر الذي قاد إلى بروز عدة اتجاهات^(١):

الاتجاه الأول: ويتجه إلى استبعاد إشراكهم ضمن أهل الحل والعقد سواء في العضوية أو حتى المشاركة بالرأي، وحصر ذلك في المسلمين فقط، وهو قول يرجع إلى المالكية، والحنابلة، وطائفة من أهل العلم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢).
الاتجاه الثاني: ويميل إلى جواز عضوية غير المسلم في أهل الحل والعقد، وهو رأي يعود إلى الامام أبي حنيفة وطائفة من العلماء، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

الاتجاه الثالث: ويرى بالإمكان استشارتهم فقط، فقالوا بضرورة الجمع بين الأدلة، ولا سيما في عصر صدر الإسلام إذ اقتضت الشورى على المسلمين بسبب حالة العداء السائدة اذاك مع غير المسلمين، ثم حصل الاندماج بينهما لاحقاً في عصر الخلفاء الراشدون.
ويرجح الباحث الاتجاه الثاني، اي اشراك غير المسلمين في عضوية أهل الحل والعقد لغرض المشورة والتصويت في المسائل كافة، وكذلك لغرض الرجوع اليهم في المسائل الخاصة بثقافتهم الفرعية الدينية واللغوية، كما قد تحتاج الأمة إلى خدماتهم كثيراً في تسيير شؤون الحكم.
فعلى سبيل المثال ان صحيفة المدينة التي اعلنها الرسول الكريم محمد ﷺ عند الهجرة إلى المدينة المنورة انما هي وثيقة لتنظيم مختلف العلاقات بما فيها السياسية والاجتماعية بين الرسول وأهل المدينة ومثالاً للتعايش السلمي، حيث نظم شؤون اليهود وعاهدهم إذ جاء فيها "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس"، ويرجح استاذ التاريخ الإسلامي د.هاشم الملاح ان الاعلان سبقه مشاورات ومفاوضات مع مختلف فئات المدينة بغية تحقيق التكامل الاجتماعي في المدينة، كما ان مفهوم الأمة في الصحيفة لم يقتصر على اتباع ديانة واحدة، بل اتسع ليشمل كل من ارتضى ان يكون من أهل المدينة بقيادة الرسول بمن فيهم يهود بني عوف وغيرهم، ومشركي ابناء قبيلتي الاوس والخزرج^(٤).

(١) الشورى.. والديمقراطية وفاق أم خلاف؟، د. محمد بن صالح العلي، ١٥ فبراير ٢٠١٢، بحث منشور على صفحة بحوث صفحة الاسلام اليوم:

<http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-163295.htm>

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٣.

(٤) الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، د. هاشم يحيى الملاح، دار ابن الاثير للنشر والتوزيع، الموصل، ٢٠٠٥، ص ٢٠٣، ٢٠٤.



وبلاحظ ان الشورى في النظام الإسلامي تكون من قبل قادة الفكر في كل مجال من مجالات الحياة واصحاب التخصص والنظر والبحث في الشؤون المختلفة كالسياسة والحرب والمال والاقتصاد والزراعة والتجارة والصناعة والتشريع والتتفيذ^(١). ففي عهد الخلفاء الراشدون كان مجلس الشورى يضم اصحاب المعرفة ليس في امور الدين فحسب بل في مصالح الناس ايضاً وشؤون الحياة العامة كالحرب^(٢). كما لا توجد طريقة محددة لتعيين الحاكم، بل تترك لكل الاحتمالات والاجتهادات على وفق الاوضاع والظروف العامة باعتبارها مسألة دنيوية^(٣).

فالحكم النموذجي في الإسلام هو الذي يستطيع جمع شمل الأمة باختلاف الانتماءات من خلال جدارته وكفاءته^(٤). ولا يعني ذلك إمكانية تجزء الحكم كما لو كان خاضعاً لأمرة حاكم آخر، والذي عده ابن خلدون حكمه ناقصاً^(٥). ويقول بان "نجاح الحكم يأتي من وجود عصبية عامة جامعة لعصبيات مختلفة"^(٦). والا تكون فاسدة من خلال اتصافها بـ"المذلة والانقياد لسلطة خارجية، والترف والانغماس في النعيم على حساب العامة"^(٧).

(١) الوسيط في القانون الدستوري والنظم السياسية، د. نعمان احمد الخطيب، ط٧، دار الثقافة للتوزيع والنشر، عمان، ٢٠١١، ١٥٢ هامش ١. وهناك من يقول بـ"اشراك غير المسلمين في شؤون الحكم في امور محددة ومخصوصة شريطة عدم الاخلال بنظام الاسلام". ينظر: السلطة التشريعية في نظام الحكم الاسلامي والنظم المعاصرة الوضعية، د.ضو مفتاح غمق، منشورات ELGA، فاليتا-مالطا ٢٠٠٢، ص٤٥.

(٢) النظام السياسي الاسلامي مقارناً بالدولة القانونية، د. منير حميد البياتي، ط٤، دار النفائس، الرياض، ٢٠١٣، ص ١٧٦؛ د. ضو مفتاح غمق، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٣) الدين والدولة وتطبيق الشريعة، د. محمد عابد الجابري، ص ٧٦.

(٤) فكر ابن خلدون (العصبية والدولة)، د. محمد عابد الجابري، ط٨، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٩، ٨٧.

(٥) منطق السلطة (مدخل إلى فلسفة الأمر)، ناصيف نصار، ط١، دار أمواج، بيروت، ٢٠٠١، ص٤٩-٥٠؛ الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، د. خليل حسين، الملف الرابع، مقدمة ابن خلدون، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١١، ص٢٧٢.

(٦) فكر ابن خلدون ...، د. محمد عابد الجابري، ص١٨٦-١٩٠.

(٧) المصدر نفسه، ص١٨٤، ١٩٠.



ويجد د. عبد الحميد متولي ان المصالح المرسله هي ضرورية لدرء أي مفسدة فد تشوب النظام الحاكم^(١).

وتبعاً لذلك عندما يكون المجتمع تعديداً يضم طوائف مختلفة تحمل ثقافات فرعية فان وحدة الأمة تحتاج إلى صيغة مناسبة للإدارة تقع ضمن دائرة الخلو سواء تعلق الامر بنوع الحكم وصولاً إلى الحكم الراشد القادر على تدبير شؤون الأمة على افضل حال.

المطلب الثالث: وظيفة السلطة وقابليتها لتحقيق التعايش

من نافلة القول لم تتناول الشريعة الإسلامية بمصادرها الاصلية وظائف محددة للسلطة. إذ لا توجد أحكام ثابتة تتناول وظيفة السلطة واسلوب ممارستها، الامر الذي يجعلها تستوعب الوسائل والنظم الحديثة في الحكم وصولاً إلى حكم المجتمعات المتعددة. ففي عهد صدر الإسلام كان الرسول الكريم محمد ﷺ يجمع بين السلطات التنفيذية والقضائية (بينما كان التشريع مصدره الله ﷻ)، وكذلك في عهد الخلافة الراشدة اذ لم يكن هناك فصل واضح بين السلطات، ولا يعني ذلك إمكانية تصور إساءة استعمال السلطة بحق الأفراد، بالنظر لوجود اللوازع الديني والأخلاقي الذي يحملهم على الزهد في الدنيا، في حين كان الخليفة مقيداً بأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع المجتهدين في السلطة^(٢).

كما ان صور الحكم الإسلامي عبر العصور انما هي ممارسات فرضتها المصلحة^(٣). ويشير المفكر الإسلامي ابو الحسن الماوردي (٣٧٥هـ-٤٥٠هـ) إلى ان الولايات كانت اما خاصة يُعبر عنها بالأمانة التي كانت تتمتع بصلاحيات محدودة في "تدبير شؤون الجيش وحماية البيضة والذب عن الحريم" اي يتصرف الافراد في المعاش وينتسروا في الارض آمنين من دون اي تغريب بالنفس أو المال، فضلاً عن النظر في المنازعات القضائية، واما ولايات عامة ذات مهام اوسع تشريعية (في مسائل القوانين الاجتهادية)، والمالية والعسكرية والقضائية، ويرى د.محمد شريف في كتابه "الدولة الإسلامية من حيث التكوين" بضرورة ان تكون الاخيرة دولة

(١) لمزيد من التفصيل ينظر: مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، د.عبد الحميد متولي، منشأة المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ٢٣٦-٢٣٨.

(٢) مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، د.عبد الحميد متولي، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) الدين والدولة وتطبيق الشريعة، د. محمد عابد الجابري، ص ٤٢.



اتحادية تتكون من ولايات مستقلة وتدير شؤونها الخاصة، ولعل نظام الولايات الذي كان مطبق في ظل الحكم الاموي والعباسي والعثماني انما هو اقرب إلى الفيدرالية بالمفهوم المعاصر^(١).

وهكذا فان التنظيم الاداري والسياسي يبقى مرتبط بحاجات الأمة ومصالحها ولا ضير من التجدد طالما لا يتعارض مع قواعد الشريعة، فتتظلم الشؤون العامة وتفصيلاتها تعتبر مصالح تختلف من امة إلى اخرى، فيكفي العدل لتكوين السلطة وممارستها لأعمالها^(٢). بيد ان الفقه يتفق على ان مركز الخليفة هو ذي سلطات حقيقية في مجال تنفيذ السياسة العامة وصيانة الأمن ورعاية شؤون الرعية والدفاع عنهم، ويذهب د. محمود بوترة هناك حالتين تتيح للخليفة الرجوع للأمة مباشرة لاستخراج الحكم من عندها هما: حالة عدم قيام نواب الأمة بإصدار الأحكام في المسائل الداخلة في دائرة العفو، وحالة اختلاف رئيس الدولة مع نواب الأمة (أهل الشورى)^(٣). ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٤). بينما اجتهد الفقه حول مدى الزامية نتيجة رأي الأمة بين مؤيد ومعارض لإلزاميته^(٥). والسؤال الوارد لدينا هو ما مدى قابلية وظيفة الحكم لتحقيق التعايش؟

لما كانت وظيفة السلطة وتوزيعها متروك لتقدير الأمة وفق قانون اجتهادي يدخل ضمن باب المصالح المرسله، فانه ضمن الباب نفسه يعتبر توزيع وظيفة الحكم على أساس التوافق بين قطاعات المجتمع المتميزة ضرورياً لحفظ وحدة الامة. وأشار المفكر ابن خلدون في كتابه (المقدمة) بان وظيفة الحكم في الإسلام لا تنحصر في خدمة فئة ما، ولا تتحدد مهمة رجل السلطة في حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والذي اسماه بـ(الملك الطبيعي)، بل بحملهم على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع الضرر، وعندئذ يدعى

(١) الفيدرالية والديمقراطية للعراق، د. محمد هماوه ندي، ط١، دار ثاراس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠٢، ص ٤٣، ٥١، ٥٢.

(٢) السياسة الشرعية او نظام الحكم الاسلامي، العلامة عبد الوهاب خلاف بك، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٥٠ هـ، ص ١٩.

(٣) للمزيد ينظر: رئيس الدولة في الفكر الإسلامي، د. محمود بوترة، ص ١٧٨ وما بعدها.

(٤) سورة ال عمران، الآية ١٥٨.

(٥) لمزيد من التفصيل ينظر: أصول التشريع الدستوري في الإسلام، إبراهيم النعمة، ط١، ديوان الوقف السني، ٢٠٠٩، ص ٢٧٤ - ٢٨١.



الحاكم بـ(الملك السياسي)^(١). فإدارة الأمة على أفضل وجه يعتبر شكل من اشكال الحكم الراشد، ويذهب استاذنا د. هاشم الملاح "ان ذلك الحكم كما استقر في الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي المعاصر انما يرمز إلى تدبير أمر الناس على احسن وجه ممكن، والذي اطلق عليه ذلك الفكر بـ(السياسة العادلة)"^(٢). ولعل من الشواهد التاريخية لإشراك غير المسلمين في الحكم ان الخلفاء الراشدون كسادتنا عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب ؓ، وبعدهم خلفاء بني امية قد جعلوا رجال دواوينهم من الروم ممن لم يبدوا الخيانة والعداء تجاه المسلمين، واستمر ذلك لحين قيام عبد الملك بن مروان بنقل الدواوين إلى العربية^(٣). ويجد ذلك سنده في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَجِدُوا بِطَانَةَ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾^(٤).

مما تقدم تتسم سياسة الحكم في الإسلام بالتكيف بالنظر إلى عدم وجود أحكام قطعية الدلالة تتناول آلية إسناد السلطة ووظائفها وتوزيعها، مما يتيح مواكبة المتغيرات العامة في المجتمعات ولا سيما تلك المعقدة التي تحمل هويات فرعية، تتنافس بها الهوية الوطنية. الامر الذي يجب ان تكون فيه السلطة عنصر استقرار سياسي واجتماعي للحفاظ على وحدة الامة.

- (١) منطق السلطة (مدخل إلى فلسفة الأمر)، ناصيف نصار، ص٤٨-٤٩؛ الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، د. خليل حسين، ص٥٧٥-٥٧٦؛ فكر ابن خلدون... د. محمد عابد الجابري، ص١٩٨-١٩٩.
- (٢) الحكم الراشد والدعوات الى الحكم الديمقراطي... د. هاشم يحيى الملاح، ص ٢٥.
- (٣) الشريعة الاسلامية كمصدر اساسي للدستور، د. عبد الحميد متولي، منشأة المعارف بالإسكندرية، ب.ت، ص ٨٧.
- (٤) سورة ال عمران، الآية ١١٨.



الخاتمة

بعد دراسة موضوع الشرعية الإسلامية لنظم التعايش بين اتباع الديانات تم التوصل إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

١. تعتبر التوافقية في المجتمع التعددي من النظم الحديثة لتحقيق التعايش لفترة انتقالية، بينما الفيدرالية لا تكون ضامنة لوحدة الأمة بسبب إمكانية التداخل الاجتماعي، وما يتبعها من تعدد وتعقد الأجهزة، وتبقى الوحدة مهيأة للتجزئة متى ما اختلف القابضين على السلطة.
 ٢. تتسم سياسة الحكم الشرعي بالمرونة بالنظر إلى عدم وجود أحكام قطعية الدلالة تتناول آلية إسناد السلطة ووظائفها وتوزيعها، مما يتيح مواكبة المتغيرات العامة في المجتمعات.
 ٣. يمثل باب المصالح المرسله أساساً شرعياً يمكن من خلاله تبني النظام التوافقي عندما تكون وحدة الأمة مهددة بخطر التفكك وصولاً إلى الحكم الراشد القادر على تدبير شؤون الأمة على أفضل حال، وبالشكل الذي يضمن احترام المبادئ العامة في الإسلام.
- ثانياً: التوصيات:

١. ندعو إلى تبني الحلول الوسطى في إدارة السلطة بالشكل الذي يسمح للأقليات بالمشاركة في السلطة لتحقيق الثقة، ومن ثم الاستقرار.
٢. من المستحسن إنشاء مجلس خاص يمثل المجموعات المذهبية والقومية لضمان مشاركتها ولا سيما في المسائل التي تخص شؤونها الثقافية والاجتماعية.



قائمة المصادر

القرآن الكريم

أولاً: الكتب:

١. إبراهيم النعمة، أصول التشريع الدستوري في الإسلام، ط١، ديوان الوقف السني، ٢٠٠٩م.
٢. أرنت ليبهارت، الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة: حسني زينة، ط١، منشورات دار الفرات، بيروت ٢٠٠٦.
٣. جون الستر، رون سلا جستاد، الدستورية والديمقراطية (دراسة في العقلانية والتغيير الاجتماعي)، دار النسر للنشر، الأردن، ب.ت.
٤. د. حيدر المولى، التضامن الوزاري والحكومات الائتلافية، ط١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١١.
٥. د. خليل حسين، الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، الملف الرابع، مقدمة ابن خلدون، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١١.
٦. روبرت ماكيفر، تكوين الدولة، ترجمة: د. حسن صعب، دار العلم للملايين، ب.ت، سوريا.
٧. سمير المقدسي، وفاديا كيوان، وماركوس ماركتنر، لبنان: الديمقراطية المقيدة وتأثيرها الوطني، بحث ضمن كتاب: تفسير العجز الديمقراطي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة، ٢٠١١.
٨. د. عبد الحميد متولي، الشريعة الإسلامية كمصدر أساسي للدستور، منشأة المعارف بالإسكندرية، ب.ت.
٩. —، مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، منشأة المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٨.
١٠. د. عصام سليمان، الفيدرالية والمجتمعات التعددية ولبنان، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩١.
١١. صموئيل هنتكتون، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، ترجمة: سمية فلو عبود، ط١، دار الفجر العربي الجديد، بيروت، ١٩٩٣.



١٢. د. صالح طليس، محاضرات في القانون الدستوري والأنظمة السياسية، ط١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١٢.
١٣. طه حميد حسن العنكي، العراق بين اللامركزية الإدارية والفيدرالية، ط١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ع١٥٥، ٢٠١٠.
١٤. د.ضو مفتاح غمق، السلطة التشريعية في نظام الحكم الإسلامي والنظم المعاصرة الوضعية (دراسة مقارنة)، منشورات ELGA، فاليتا- مالطا ٢٠٠٢.
١٥. د. طعيمة الجرف، نظرية الدولة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٣.
١٦. العلامة عبد الوهاب خلاف بك، السياسة الشرعية أو نظام الحكم الإسلامي، المطبعة السلفية ومكنتها، القاهرة، ١٣٥٠ هـ.
١٧. فاليري جسكار دستان، الديمقراطية الفرنسية، ترجمة : عبد الله نعمان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط١، ١٩٧٧.
١٨. لطيف مصطفى أمين، الفيدرالية وأفاق نجاحها في العراق، دار سرمد، سليمانية، ٢٠٠٦.
١٩. د. منير حميد البياتي، النظام السياسي الإسلامي مقارناً بالدولة القانونية، ط٤، دار النفائس، الرياض، ٢٠١٣.
٢٠. د. محمد عمر مولود، الفيدرالية وإمكانية تطبيقها كنظام سياسي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩.
٢١. د. محمد المجذوب، القانون الدستوري اللبناني وأهم النظم السياسية في العالم، الدار الجامعية للطبع والنشر، بيروت، ١٩٩٩.
٢٢. د. محمود بو ترعة، رئيس الدولة في الفكر الإسلامي (بين نصوص الشريعة وتراث الفقه)، ط١، دار المصطفى، دمشق، ٢٠٠٨.
٢٣. د. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون (العصبية والدولة)، ط٨، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.
٢٤. —، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦.
٢٥. د.محمد هماوه ندي، الفيدرالية والديمقراطية للعراق، ط١، دار نازاس للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠٢.



٢٦. د. نعمان احمد الخطيب ، الوسيط في القانون الدستوري والنظم السياسية، ط٧، دار الثقافة للتوزيع والنشر، عمان، ٢٠١١.
٢٧. ناصيف نصار، منطق السلطة (مدخل إلى فلسفة الأمر)، ط١، دار أمواج، بيروت، ٢٠٠١.
٢٨. د. هاشم يحيى الملاح ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار ابن الاثير للنشر والتوزيع، الموصل، ٢٠٠٥.
- ثانياً: الدوريات:
١. حسنين توفيق إبراهيم، عبد الجبار احمد عبد الله، التحولات الديمقراطية في العراق (القيود والغرض)، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، ط١، ع٣، ٢٠٠٥.
٢. د. حميد فاضل حسن، إشكالية الطائفية السياسية في العراق بين الاستمرارية والانكفائية، مجلة كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد، ع٣٢، شباط، ٢٠٠٦.
٣. د. عامر هاشم عواد، الواقع السياسي وتداعياته على التخطيط الاستراتيجي للدولة العراقية، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي لقسم الدراسات السياسية، بيت الحكمة، بغداد ٢٠١١.
٤. عصام نعمة إسماعيل، ضوابط الديمقراطية اللبنانية، مجلة المستقبل العربي، عدد ٣١٤، ٢٠٠٥.
٥. د. هاشم يحيى الملاح، الحكم الراشد والدعوات إلى الحكم الديمقراطي الإسلامي الرشيد في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، بحث مقدم إلى الندوة العلمية الـ(٣٠) لمركز الدراسات الاقليمية -جامعة الموصل في ٢٥/٢/٢٠٠٩ حول (الحكم الراشد والتنمية المستدامة في العراق ودول الجوار).
٦. هناء صوفي عبد الحي، الديمقراطية التنافسية (الحالة اللبنانية)، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ع١٢، خريف ٢٠٠٦.
٧. د. وحيد عبد المجيد، النظام السياسي العراقي الجديد (قراءة في نموذج الديمقراطية التوافقية)، كراسات استراتيجية، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، ع١٤٤، أكتوبر ٢٠٠٤.



ثالثاً: المصادر على الانترنت:

١. د. محمد بن صالح العلي، الشورى.. والديمقراطية وفاق أم خلاف؟؟، ١٥

فبراير ٢٠١٢، بحث منشور على صفحة بحوث صفحة الإسلام اليوم:

<http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-163295.htm>

المصادر الاجنبية:

1. Adrian Vatter, Swiss Consensus Democracy in Transition. A Reanalysis of Lijphart's Concept of Democracy for Switzerland from 1997 to 2007, Department of Political Science, University of Zurich, Switzerland Research published on August 27 2015, the site the following: www.ipw.unibe.ch/.

2. Brian D. Williams, How Consensual Are Consensus Democracies? A Reconsideration of the Consensus/Majoritarian Dichotomy, University of California at Riverside. Research published on August 26 2015, the site follows; www.democracy.uci.edu/.





وأثره في خطاب الاعتدال في ضوء الكتاب والسنة العنف

د. محمد محسن راضي

جامعة الأنبار

كلية العلوم الإسلامية

hmudi72@gmail.com

ISSN: 2071-6028





ملخص باللغة العربية

يمر المجتمع أحياناً بفترة من النزاعات والصراعات، فيغيب خُلق العفو عن الخطاب المُوجّه للجمهور، فيكون تحريضاً إقصائياً، قد يصل حدّ الدعوة إلى الاقتتال؛ لذا فإنّ الدعوة إلى خطاب معتدل يحقق السلم المجتمعي لن توتي ثمارها من دون التّحلي بخلق العفو، فهو ضروري للتأسيس لخطابٍ معتدل؛ لأنّ شيوعه في المجتمع، سينعكس إيجاباً على نوع الخطاب السائد، ويأتي هذا البحث ليعالج هذه المشكلة بما يهدف إليه من: ١- الترويج في خُلق العفو، من خلال بيان معناه وفضله وأثاره على الفرد والمجتمع. ٢- الدعوة لأن يكون لخلق العفو حضورٌ قويّ في الخطاب المُوجّه، من خلال بيان أثره في الخطاب. واتبعت في هذا البحث منهجية تقوم على تحليل نصوص مُنتخبة من القرآن والسنة بما يُسلط الضوء على أثر خلق العفو في تعزيز خطاب الاعتدال، وجاءت خطته كالآتي: المبحث الأول: العفو تعريفه وفضله وأثاره، وفيه مطلبان. المبحث الثاني: أثر العفو في الخطاب المعتدل في ضوء الكتاب والسنة، وفيه ثلاثة مطالب. الخاتمة: وتضمنت أبرز النتائج والتوصيات. ويمكن إيجاز النتائج بالآتي: ١- للعفو آثارٌ إيجابية على الفرد، فهو سَكينة لنفسه، وطُمأنينة لقلبه، وصحة لبدنه. ٢- للعفو آثارٌ إيجابية على المجتمع؛ لأنّه سلوكٌ اجتماعيٌّ، يرفع شيوعه المستوى الأخلاقي للمجتمع كلّ. ٣- دلّت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على الأثر الكبير للعفو في نوع الخطاب المُوجّه. ٤- إنّ خلق العفو ضروري للتأسيس لخطابٍ معتدلٍ، يتناسب مع المرحلة التي يمرُّ بها بلدنا العراق. أما التوصيات فيمكن إيجازها بالآتي: ١- التعامل بالعفو على أنّه خلقٌ نبوي كريم، وظاهرة إنسانية. ٢- تربية الأجيال على خلق العفو، وتضمين المناهج التعليمية ما يحثُّ على التخلق به، وبيان أهميته. ٣- تفعيل واجب المسجد في الدعوة إلى الخطاب المعتدل القائم على العفو والتسامح. ٤- إنشاء مجاميع للسعي بين الناس بالعفو والصفح والمغفرة. ٥- عقد الندوات وورش العمل لبيان فضل العفو وأثاره الإيجابية على الفرد والمجتمع، وضرورة حضوره في الخطاب المُوجّه للجمهور. ٦- مراقبة الدولة لنوع الخطاب المُوجّه للجمهور، وحثّ المؤسسات كافة، لا سيما الإعلام، لاعتماد العفو كأساس فيه.

الكلمات المفتاحية: عفو، خطاب، اعتدال

Forgiveness and its effect on the Discourse of moderation in the Light of Quran and Sunnah

DR. Mohammed Mohsin Radhi

Abstract: Society sometimes undergoes times of disputes and conflicts when discourse directed to the masses lacks the element of forgiveness and turns into an instigative and displacing discourse leading at times to fight. Thus, the call for a moderate discourse that can secure societal peace is quite fruitless without the character of forgiveness which is quite necessary to establish a moderate discourse as its spread in society can prove positive on the common discourse at that society. This research addresses this problem through: Showing the attractiveness of forgiveness by stating its meaning, importance, and effects on individual and community. The call for a strong presence of forgiveness in the directed discourse through showing its effect on discourse. The method of investigation in this research is based on an analysis of selected texts from Quran and Sunnah to shed lights on the effect of forgiveness on enhancing the discourse of moderation. The major findings of the research are: Foregiveness has positive effects on the individual as it is a source of spiritual solitude, certitude, and physical health. Forgiveness has positive effects on society as it is a social behavior which elevates the ethical level of the whole community. Texts from Quran and Sunnah demonstrate the impact of forgiveness on directed discourse. The character of forgiveness is necessary to establish a moderate discourse up to the current state of Iraq. The research makes the following recommendations: Use forgiveness as an honorable Prophetic trait and a human phenomenon. Raising generations up after the character of forgiveness and incorporating it in educational texts to show its significance. Activation of the role of the Mosque in the spread of a moderate discourse based on forgiveness. Formation of guidance groups to spread the culture of forgiveness in community. Conduct seminars and workshops to educate community on the culture of forgiveness. The state should monitor the discourse directed to the masses and encourage the state institutions, especiall media, to adopt forgiveness as the basis of their work.

Keywords: amnesty, speech, moderation



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فلاشك أن لخطاب الاعتدال أهمية كبيرة في تحقيق السلم المجتمعي، بما يتضمّنه من رسائل إيجابية مُطمئنة لمكونات المجتمع جميعها، ولكن قد يستغرقنا البحث والتتظير فيه من غير النقات إلى العوامل المؤثرة في تحقيق أهدافه، ومن ثمّ ستعترض طريقنا صعوبات عند التطبيق العملي؛ لذا كان لزماً على الباحثين أن يُؤلّوا العوامل المؤثرة في فاعلية خطاب الاعتدال أهمية كبيرة. ومن هذا المنطق اخترت خُلُقَ (العفو)، ليكون موضوع بحثي للمشاركة في المؤتمر الدولي الأول الموسوم: (الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز التنمية المجتمعية)، الذي تقيمه جامعة الأنبار، وجاء البحث تحت عنوان: (العفو وأثره في خطاب الاعتدال في ضوء الكتاب والسنة).

وتتلخص مشكلة البحث في أن المجتمع يمرُّ أحياناً بفترة من النزاعات والإحقتانات والصراعات، فيغيب خُلُقُ العفو عن الخطاب المُوجّه للجمهور، فيكون تحريضاً إقصائياً، قد يصل حدّ الدعوة إلى الاقتتال؛ لذا فإنّ الدعوة إلى خطاب معتدل يحقق السلم المجتمعي لن توتي ثمارها من دون التّحلي بخُلُقِ العفو، فهو ضروري للتأسيس لخطابٍ معتدل؛ لأنّ شيوعه في المجتمع سينعكس إيجاباً على نوع الخطاب السائد بين مكونات المجتمع، ويأتي هذا البحث ليعالج هذه المشكلة بما يهدف إليه من:

- ١- الترغيب في خُلُقِ العفو، من خلال بيان معناه وفضله وآثاره على الفرد والمجتمع.
- ٢- الدعوة لأن يكون لخُلُقِ العفو حضورٌ قويٌّ في الخطاب المُوجّه، من خلال بيان أثره في الخطاب ليكون معتدلاً يُقرُّ بالتنوع بأشكاله كافّة، سالماً من التحريض، والدعوة إلى استعمال العنف ضد المخالف.

وتتجلى أهمية البحث في أنّ اتصاف المجتمع أفراداً وجماعات بخُلُقِ العفو سيؤثر في نوع الخطاب المُوجّه للجمهور، ومن ثمّ سيكون عاملاً فاعلاً في تحقيق السلم المجتمعي، والاستقرار على الصعيد الأمني والاجتماعي، وتقوية أواصر العلاقات والروابط الاجتماعية، وهذا يوفر الأرضية الخصبة لتحقيق التنمية على المستويات كافّة. واتبعت في هذا البحث منهجية تقوم على تحليل بعض النصوص المنتخبة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، بما يُسلط الضوء على أثر خُلُقِ العفو في تعزيز خطاب الاعتدال. وفي ضوء ما سبق جاءت خطة البحث في مقدمة ومبحثين، وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: العفو تعريفه وفضله وآثاره، وفيه مطلبان. **المبحث الثاني:** أثر العفو في الخطاب المعتدل في ضوء الكتاب والسنة، وفيه ثلاثة مطالب. **الخاتمة:** وتضمنت أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: العفو تعريفه وفضله وآثاره

المطلب الأول: تعريف العفو والألفاظ ذات الصلة:

أولاً: العفو لغةً واصطلاحاً:

أ- العفو لغةً: العفو لغةً: مِنَ الْفَعْلِ: عَفَا يَعْفُو عَفْوَاً، فَهُوَ عَافٍ وَعَفُوٌّ، وَيَأْتِي فِي اللَّغَةِ لِمَعَانٍ عِدَّة، مَا يَتَّصِلُ مِنْهَا بِمَوْضُوعٍ بَحْثْنَا، هُوَ: التَّجَاوُزُ عَنِ الذَّنْبِ وَتَرْكُ الْعِقَابِ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَنْ اسْتَحَقَّ عُقُوبَةً فَتَرَكَهَا فَقَدْ عَفَوَتْ عَنْهُ، وَأَصْلُهُ الْمَحْوُ وَالطَّمْسُ، يُقَالُ: عَفَتْ الرِّيحُ الْآثَارَ إِذَا دَرَسَتْهَا وَمَحَتْهَا، وَيَأْتِي مُتَعَدِّياً كَمَا سَبَقَ، وَلاَزِماً، نَحْوُ: عَفَتْ الْآثَارُ تَعْفُو عَفْوَاً. وَالْعَفْوُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ فَعُولٌ مِنَ الْعَفْوِ، مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ الْعَفْوُ عَنْ خَلْقِهِ الْغُفُورَ لَهُمْ.^(١)

ب- العفو اصطلاحاً: العفو في الاصطلاح، هو: ترك العقوبة والمؤاخذه بالذنب، وإسقاط الحق، كلاً أو جزء، مع القدرة على ضده. ومن العلماء من ذهب إلى أن العفو يكون قبل العقوبة، وقد يكون بعدها،^(٢) وقال بعضهم: قد يكون العفو مع اللوم والتوبيخ، ومنهم من ذهب إلى أن العفو قد يتضمن محو الذنب.^(٣)

(١) ينظر: مادة (عفو): لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ: ٧٢/١٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي الحموي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، بلا طبعة وتاريخ، ٤١٩/٢. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ١٣١٣.

(٢) كما إذا شرع في عقوبة المسيء، ثم رأى أن يعفو عنه قبل تمام العقوبة، أو كانت العقوبة فيها أكثر من جانب، كأن تكون بالمال والحبس أو الجلد، ونحوه، فيكتفي ببعضها فقط.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د.ت: ١٠٩-١١٠. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ت: ١٨٢/٣. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ١٤٠. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ: ٥٧٤، ٤٨٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ: ١٩٦/١. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م: ٣٩٧/١، ٧١/٢، ١١٨/٦، ١٤٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت: ٤٤٩/٥. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: أ.د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م: ٢٠٣. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ٥٩٨، ٦٣٢-٦٣٣. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م: ٦٧١/١، ٢٨٥/٢٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ١٤٨. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، ط ١٧، ١٤١٢هـ: ٧٩٦-٧٩٧/٢.



ثانياً: الألفاظ ذات الصلة:

هناك ألفاظ عدة ذات صلة بمفهوم العفو من أبرزها: الصفح والمغفرة، وفيما يأتي ذكرها مع بيان الفرق بينها وبين العفو بشيء من الإيجاز.

أ- الصفح:

١- الصفح لغةً:

الصفح لغةً: من الفعل: صَفَحَ عَنْهُ يَصْفَحُ صَفْحاً، إذا أَعْرَضَ عَنْ ذَنْبِهِ، وَهُوَ صَفُوحٌ وَصَفَّاحٌ، وأصل الصفح من الإعراض بصفحة الوجه، كأن من يصفح يُعرض بِوَجْهِهِ عَنْ ذَنْبِ المسيء، يُقَالُ: صَفَحْتُ عَنْ ذَنْبِ فُلَانٍ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ فَلَمْ أُؤَاخِذْهُ بِهِ؛ وَضَرَبْتُ عَنْ فُلَانٍ صَفْحاً إِذَا أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَتَرَكْتَهُ^(١).

٢- الصفح اصطلاحاً:

الصفح في الاصطلاح، هو: الإعراض عن المذنب بترك عقوبته، مع ترك التثريب عليه، حتى يزول أثره من النفس.

وترك التثريب عليه، يعني: لا لوم معه ولا عتب، ولا تعيير، ولا تذكير، ولا توبيخ؛^(٢) لذا فالصفح أبلغ من العفو؛ لأنَّ الإنسان قد يعفو ولا يصفح^(٣)، وبذلك يكون العفو أعمُّ من الصفح، فكل صفح عفو ولا عكس.

ب- المغفرة:

١- المغفرة لغةً:

المَغْفِرَةُ لغةً: اسمٌ مِنَ الْفِعْلِ: غَفَرَ يَغْفِرُ غَفْراً وَغُفْرَاناً، وأصل الغفر: التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ، وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتُهُ، فَقَدْ غَفَرْتُهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلَّذِي يَكُونُ تَحْتَ الْبَيْضَةِ (الْخُوْذَةِ) عَلَى الرَّأْسِ: مِغْفَرٌ، وَيُقَالُ: غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، أَي: صَفَحَ عَنْهُ، وَغَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ، أَي: سَتَرَهَا، وَالْغَفْرُ وَالْمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْعَفْوُ عَنْهَا، وَاسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ سَأَلْتُهُ الْمَغْفِرَةَ.

- (١) ينظر: مادة: (صفح): لسان العرب، ٥١٥/٢. المصباح المنير: ٣٤٢/١. القاموس المحيط، ٢٢٩.
- (٢) ينظر: في معنى التثريب، التفاسير: المحرر الوجيز، ٢٧٨/٣. الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٧/٩-٢٥٨. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ)، ت: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ١٣٢/٢. التحرير والتوير: ٥٠/١٣. تيسير الكريم الرحمن: ٤٠٤. وينظر: معاجم اللغة، مادة (ثرب): لسان العرب (١/٢٣٥) المصباح المنير: ٨١/١، القاموس المحيط: ٦٢.
- (٣) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٣٦. المفردات في غريب القرآن: ٤٨٦. المحرر الوجيز: ١٤٤/١، ١٩٦. الجامع لأحكام القرآن: ٧١/٢. معجم مقاليد العلوم: ٢٠٣، الكليات: ٥٦٢، ٦٦٦. التحرير والتوير: ٦٧١/١، ٢٨٥/٢٨.



وَالْعَفُورُ وَالْغَفَّارُ، مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ، وَهُمَا مِنْ أُنْبِيَةِ الْمُبَالِغَةِ وَمَعْنَاهُمَا السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُتَجَاوِرُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ^(١).

٢- المَغْفِرَة اصطلاحاً:

المَغْفِرَة في الاصطلاح، هي: التجاوز عن الذنوب، وسترها وعدم إشاعتها، وصيانة صاحبها من أن يمسه العذاب^(٢).

ويذكر القرطبي (ت ٦٧١هـ) أَنَّ الغفران هو ما لا يكون معه عقوبة البتة، بخلاف العفو فَإِنَّهُ يكون قبل العقوبة، وقد يكون بعدها^(٣)، ولكنَّ الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) يرى أَنَّ العفو أبلغ من المغفرة؛ لِأَنَّهَا تُنْبِئُ عن الستر، بينما العفو يُنْبِئُ عن المحو، أي محو الذنوب والسيئات^(٤). والظاهر أَنَّ هذه المصطلحات متقاربة المعنى، وإن كان لكل منها خصوصيته، ولكن كل واحد منها قد يتضمن معنى الآخر عند استعمالها منفردة، كما أشار إليه ابن عطية (ت ٥٤٢هـ)^(٥)، ويرى الكفوي (ت ١٠٢٤هـ) أَنَّ معنى العفو عن الذنب يصحُّ أن يرجع إلى ترك ما يستحق المذنب من العقوبة، ويصحُّ أن يرجع إلى محو الذنب، ويصحُّ أن يرجع إلى الإعراض عن المؤاخذه^(٦).

أما إذا اجتمعت هذه المفاهيم في سياق واحد، فيحتفظ كلٌّ منها بخصوصيته، كما في اجتماعها معاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوَّلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]^(٧)، يقول النسفي (ت ٧١٠هـ): «وَإِنْ تَعَفَّوْا» عنهما، إذا اطلعت منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها، «وَتَصَفَّحُوا» تُعرضوا عن التوبيخ، «وَتَغْفِرُوا» تستروا ذنوبهم، «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم^(٨).

(١) ينظر: مادة (غفر): لسان العرب: ٢٥/٥-٢٦. المصباح المنير: ٤٤٩/٢. القاموس المحيط: ٤٥١.

(٢) ينظر: المقصد الأسنى: ٨٠-٨١، ١٠٥، ١٤٠. المفردات في غريب القرآن: ٦٠٩. الجامع لأحكام القرآن: ٣٩٧/١. التعريفات: ٢٢٣. الكليات: ٦٣٢، ٦٦٦. التحرير والتنوير: ٢٨٥/٢٨.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٩٧/١. الكليات: ٦٣٢، ٦٦٦.

(٤) ينظر: المقصد الأسنى، ١٤٠.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز، ١/١٤٤.

(٦) ينظر: الكليات، ٦٣٢.

(٧) أثبت الآيات بالرسم العثماني مستعملاً برنامج مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي الإصدار: (٢٠٠٠).

(٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٤٩٣/٣.



ثالثاً: العفو يكون ممن يملك القدرة ولمن يستحقه:

أ- العفو ما كان صادراً ممن ملك القدرة:

إنَّ العفو لا يُسمَّى عفواً إلا عندما يكون صادراً ممن يملك القدرة على أخذ الحق، المعاقبة على الذنب، والمؤاخذة بالإساءة^(١)، أما إذا لم يقدر على الإنسان ذلك، فلم يستطع الوصول لحقه، ومعاقبة من أساء إليه، فإنَّ ذلك لا يُسمَّى عفواً، بل عجزاً وضعفاً.

ب- العفو لا يكون إلا لمن يستحقه:

على الرغم من ترغيب الشرع بالعفو، إلا أنَّه لا يكون إلا إذا كان لمن يستحقه، فليس كل مسيء يُعفى ويُصفح عنه، فإذا كان المسيء معترفاً بزلته مقلعاً عنها، سائلاً العفو والصفح، وأظهر الانكسار والندم على ما كان منه، فهذا هو من يُندب العفو عنه.

أما إذا كان المسيء فاسقاً مجاهراً بفجوره، مؤذياً للصغير والكبير، لم يُظهر ندماً ولم يبدِ انكساراً، أو كان العفو عنه يحول دون قطع مادة الأذى، ويزيده جرأة وإفساداً في المجتمع، فالأولى أخذه بالعقوبة، وردَّ إساءته إليه؛ لأنَّ العفو المطلوب هو ما يُرجى منه صلاح المجتمع وذلك بإصلاح المسيء،^(٢) قال تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

المطلب الثاني: فضل العفو وآثاره على الفرد والمجتمع:

يتبوأ العفو مكانة مميزة في الأخلاق التي دعا إليها الإسلام وحثَّ على مراعاتها، وذلك لما له من أهمية كبرى للإنسان، تتجلى في أمرين:

الأول: الفضل والأجر الذي يناله المرء بالتخلق بالعفو، فقد حثَّ الإسلام على ذلك وفي صور متنوعة نصَّ عليها كتاب الله وسنَّه رسوله ﷺ، **والثاني:** الأهداف المرجوة منه والآثار الإيجابية التي تنتج عن شيوعه سواء على مستوى الفرد أو المجتمع، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولاً: العفو من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته ويحبه الله تعالى لعباده:

العفو اسم من أسماء الله تعالى، وصفة من صفات ذاته العلية، كما أخبرنا في آيات عدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ خُفِّفُوا أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]^(٣)، وفي هذه الآية دعوة من الله تعالى لعبادة للتخلق بهذا الخلق العظيم^(٤).

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ١٣٠/٢. الجامع لأحكام القرآن، ٣١٦٧/٥، ٤/٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٤٥١/٢. نظم الدرر، ٤٤٩/٥. الكليات، ٦٣٢. التحرير والتنوير، ٧/٦. في ظلال القرآن، ٧٩٧/٢.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٣٩/١٦، ٤٤. التحرير والتنوير، ١١٤/٢٥. تيسير الكريم الرحمن، ٧٦٠. في ظلال القرآن، ٣١٦٧/٥.

(٣) ومن ذلك أيضاً الآيات: النساء: ٤٣، ٩٩، الحج: ٦٠، المجادلة: ٢.

(٤) في ظلال القرآن، ٧٩٦-٧٩٧.



وتعددت الآيات التي نصّت على عفو الله تعالى عن عباده، منها: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ رِبَّاسَاتٍ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]^(١)، فهو سبحانه العفو الذي يعفو عن العباد ويتجاوز عن إساءاتهم مع قدرته عليهم.

وقد أخبرنا النبي ﷺ عن محبة الله تعالى للعفو، بعد أن وصف الله تعالى به، وحثنا على الدعاء به، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيْ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)^(٢)، فأَيُّ خُلُقٍ هذا الذي يخبرنا النبي ﷺ بأن الله تعالى يُحِبُّه، ويحثنا على طلبه من الله تعالى والدعاء به!!

لاشكَّ أنَّ الاعتقاد بأنَّ العفوَّ من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته، وأنَّه الله تعالى يحبه، سيكون له الأثر البالغ في نفس الإنسان، حيث سيكون دائم الرجاء له من الله تعالى، وهذا سينعكس أثره على تصرفات العبد وسلوكه، فهو كما يحب أن ينال عفو الله تعالى، سيسعى إلى التخلص بهذا الخلق العظيم في التعامل مع الآخرين.

ثانياً: العفو من صفات النبي ﷺ وقد أمره الله تعالى به والمتصف به متبع له: سُنَّتِ السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ الحبيب المصطفى ﷺ، فقالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)^(٣)؛ لذا كان العفو والمغفرة والصفح من الصفات التي تميَّز بها ﷺ.

- (١) ومن ذلك أيضاً الآيات: البقرة: ٥٢، ١٠٩، النساء: ٩٩، ١٠٩، المائدة: ١٥. الشورى: ٣٠-٣١.
- (٢) رواه أحمد، قال الأرنؤوط: "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين"، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، عدة سنوات انتهت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٢٣٦/٤٢ برقم (٢٥٣٨٤). وابن ماجه، سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٢٠/٥ برقم (٣٨٥٠). والترمذي، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ٥٣٤/٥ برقم (٣٥١٣).
- (٣) رواه أحمد، قال الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين، مسند الإمام أحمد، ١٨٣/٤٢ برقم (٥٣٠٢).



وسألها أبو عبد الله الجدلي عن خلقه ﷺ، فقالت: (لَمْ يَكُنْ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً وَلَا صَخَّاباً فِي الْأَسْوَاقِ^(١))، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ^(٢).

والمتنوع لسيرة المصطفى ﷺ يجد ذلك واضحاً جلياً من قوله وفعله، فقد كان - بأبي هو وأمي ونفسي - عفواً متسامحاً يصفح فلا يأخذ بالانتقام^(٣).

وكما جاءت نصوص الشرع بوصف النبي ﷺ بالعفو والصفح، جاءت النصوص التي يأمر الله تعالى فيها نبيه الكريم بهذا الخلق، فقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]^(٤).

فالعفو خلق النبي ﷺ، وأمر الله تعالى له وعهده إليه، وهذا له ولأمرته من بعده، فقد أمرنا الله تعالى باتباع النبي ﷺ، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، فالمتحلي بالعفو سيكون ممتثلاً لأمر الله تعالى، متصفاً بصفة من صفات النبي ﷺ متبعاً له، ومن ثم يكون قد أخذ بسبب من أسباب

(١) (ولا صَخَّاباً)، الصَخَّاب، هو: المبالغ في رفع الصوت المكثّر فيه، لا سيما عند الخصام، وفيه بعض الروايات: (ولا سَخَّابٍ)، وهي لغة فيه. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، بلا طبعة، ١٣٧٩هـ، ٣٤٣/٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين علي بن [سلطان] محمد، الملا الهروري القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٣٦٧٩/٩. حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، نور الدين أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي، (ت ١١٣٨هـ)، تح: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ٢٧٣/٤-٢٧٤.

(٢) رواه الترمذي، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، سنن الترمذي، ٣٦٩/٤ برقم (٢٠١٦). والحديث عند البخاري من رواية عبد الله بن عمرو ؓ، لكن حول صفته الواردة في التوراة. رواه البخاري في موضعين: صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تح: حمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: فؤاد عبد الباقي، تعليقات: د. مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٦٦/٣ برقم (٢١٢٥)، ١٣٥/٦ برقم (٤٨٣٨).

(٣) وستأتي نماذج وصور من ذلك عند دراسة أثر العفو على الخطاب المعتدل في ضوء السُّنة النبوية.

(٤) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْتَضَوْا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وسيأتي الكلام على بعض هذه الآيات عند دراسة أثر العفو على الخطاب المعتدل في ضوء القرآن الكريم.



محبة الله تعالى ورضاه، وهذا يجعل أثر العفو يتعدى الفرد نفسه؛ لأنه سيظهر في سلوكه مع بقية أفراد المجتمع.

ثالثاً: العفو سبب لمغفرة الله ورحمته:

عندما وقعت حادثة الأفك التي خاض فيها المنافقون وطعنوا فيها بعرض رسول الله ﷺ، كان ممن خاض فيها مسطح بن أثاثه، وكان أبو بكر الصديق ﷺ ينفق عليه لقربته منه، فلما أنزل الله تعالى البراءة وكشف مؤامرة المنافقين، ماذا فعل الصديق ﷺ وكيف كان خطاب القرآن بإزاء هذا الموقف؟

جاء في الحديث الصحيح: (قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقربته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢]، قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً^(١).

فالصديق ﷺ لم يبارزه بالعداوة، ولم يُعَيِّرْهُ بفقره، ولم يَمْنْ عليه بما كان يعطيه قبل خوضه في حادثة الإفك، ولما كشف الله الغمة وأظهر الحق، اكتفى بمنعه من العطاء، ثم لم يلبث أن عاد الصديق إلى ما كان عليه من الإنفاق، عندما جاء الأمر الرباني بالعفو والصفح، والترغيب فيه كونه سبباً لمغفرة الذنوب.

وهكذا تنتوع دعوة الشرع للتحلي بخُلُق العفو، وهذه المرة رغب فيه بأن جعله سبباً من أسباب نيل مغفرة الله ورحمته،^(٢) وثمرة ذلك تخلق أفراد المجتمع به وشيوعه بينهم، بما ينعكس على رقيه على المستوى الأخلاقي، وطبيعة العلاقات والروابط التي تربط بين أفرادها.

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، ١٠٥/٦ برقم (٤٧٥٠). صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ٢١٣٦/٤ برقم (٢٧٧٠).

(٢) ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَدِهِمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ٤]. ينظر: التحرير والتنوير، ٢٨٥/٢٨. تيسير الكريم الرحمن، ٨٦٨.



رابعاً: العفو من صفات المتقين وثمرته الإحسان:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، في هذه الآية يخبرنا القرآن أنَّ العفو من أخص الصفات المميزة للمتقين، فالمتقي هو مَنْ يعفو عن الناس؛ لأنَّه من أجلَّ ضروب فعل الخير، ففي الوقت الذي يجوز للإنسان أن يأخذ حقه فإنَّه يتركه ويؤثر العفو والصفح، ويأتي العفو هنا لإنهاء حالة كظم الغيظ الحرجة؛ لأنَّ مجرد كظمه يترك الاحتمال قائماً بالرجوع فيه، فيُظهر غضبه، ويأخذ حقه، أما بعد العفو والصفح فإنَّ النفس تطمئن فلا رجوع، ثم تختم الآية ببيان ثمرة هذا العفو بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، فالعفو يصل بصاحبه إلى مقام المحسنين الذين يحبهم الله تعالى، وهو نوعان: الإحسان في عبادة الخالق، والذي فسَّره النبي ﷺ بقوله: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)^(١)، والإحسان إلى المخلوق، الذي يشمل إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ولا شك بأنَّ العفو عن المسيء والصفح عنه من جملة ذلك، فمن يعبد الله كأنَّه يراه ويستحضر مراقبة الله تعالى له، فلا شكَّ يسعى لأن يتقرب إليه بما جعله من صفات المتقين ألا وهو العفو^(٢)، ومن ثمَّ سيكون هذا الخُلُق حاضراً في سلوك الفرد بما يعود بالنفع على المجتمع ككله.

خامساً: العفو سبب للعزة والرفعة:

عندما يحتدم النزاع والخلاف، الذي قد يتطور فيُفضي إلى الاقتتال، فإنَّ كل طرف يرى أن عفوهُ تنازل، ورسالة سلبية تدلُّ على ضعفه وسذاجته، يأتي الإسلام ليكبح هذا الشعور، وينتزعهُ من النفس، فعن رسول الله ﷺ قال: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ)^(٣)، وفي رواية أخرى: (وَلَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا)^(٤)، فيصحح المفهوم الخاطئ الذي يُصوِّر العفو عن المسيء ضعفاً ومذلةً، بأنَّ العفو والصفح: رِفعة وعِزة، ويحتننا عليه ويحببه إلينا بما له من أجر عظيم ومنزلة كريمة، وإذا نظر الإنسان إلى العفو بهذه النظرة فلا شكَّ بأنَّه لن يتردد في بذله للمسيء، وهذا يحيي في المجتمع الميول الإيجابية ويقضي على وهم تصور العزة في الانتصار للنفس.

(١) متفق عليه. صحيح البخاري، ١٩/١ برقم (٥٠). صحيح مسلم، ٣٧/١ برقم (٨).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ٥٠٩/١-٥١٠. الجامع لأحكام القرآن، ٢٠٦/٤-٢٠٩. التحرير والتنوير، ٩٠/٤-٩١. تيسير الكريم الرحمن، ١٤٨-١٤٩. في ظلال القرآن، ٤٧٥/١-٤٧٦.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ٢٠٠١/٤ برقم (٢٥٨٨).

(٤) رواه الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، ١٣٩/١٢ برقم (٧٢٠٦).



سادساً: العفو سَكينة للنفس وطمأنينة للقلب وصحة البدن:

أ- أما كون العفو سَكينة للنفس وطمأنينة للقلب، فقد ذكرنا فيما سبق أنَّ العفو من صفات المتقين وثمرته الإحسان، وأنه يأتي لإنهاء حالة كظم الغيظ الحرجة القابلة للرجوع؛ لأنَّ الغيظ، هو: أصل الغضب، وكثيراً ما يتلازمان، وكظمه: حبسه ورده وإمساكه وإخفاؤه حتى لا يظهر، ومنه كَظَمَ القربة إذا مَلأها وأمسكَ فيها، فهو تمثيل للإمساك مع الامتلاء، والإنسان قد يكظم غيظه ولكن قد يتحول الغيظ الفائر إلى إحنة غائرة، ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين، فالغيظ وقرَّ على النفس حين يُكظم، وشواظٌ يلفح القلب، ودخانٌ يغشى الضمير؛ لذلك فإنَّ نفوس المتقين لا تكتفي به، بل تترقى بالعفو وتسمو به، لتجد البرد في القلب، والسلام في الضمير^(١).

فالعفو يأتي لِيُطفئ نار الغيظ، فتحصل السكينة للنفس والاطمئنان للقلب؛ لذلك كان للعفو الأثر الكبير في صقل النفس، وضبط انفعالاتها، فالإنسان العفو المتسامح لا ينجسه كدر الحقد، ولا يشغله الانتقام ممن ظلمه أو أساء إليه، بخلاف الذي يهيمن عليه شعور الحقد والرغبة في الانتقام، فهو يهدر طاقته، ويعكر صفو مزاجه، بل قد يلزمه ذلك حتى في أحلامه، والعفو بذلك يكون طريقة مثلى لمعرفة الإنسان مدى قدرته على التحكم في نوازع نفسه^(٢).

ب- وأما كون العفو صحة للبدن، فقد ذكرت دراسات عدة أنَّ للعفو جملة من الآثار الإيجابية على صحة الجسد، منها: أنَّ الأشخاص الذين تعودوا على الصفح والعفو أكثر انتظاماً في ضربات القلب، وأبعد عن أمراض ضغط الدم، وأنَّ أدمغتهم أكثر فاعلية؛ لأنَّ العفو يقلل من موت الخلايا العصبية، كما أكدت بعض الدراسات أنَّ العفو والصفح والمغفرة يزيد من مناعة الجسم للأمراض^(٣).

وعندما يلمس الإنسان ما في العفو عن المسيء من سَكينة لنفسه وطمأنينة لقلبه وصحة لبدنه، لاشكَّ أنَّه سيشكل أنموذجاً ودافعاً في شيوعه بين أفراد المجتمع، وستعود ثمرة ذلك على المجتمع أجمع.

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ١/٥٠٩-٥١٠. الجامع لأحكام القرآن، ٤/٢٠٦-٢٠٩. التحرير والتوير، ٤/٩٠-٩١. تيسير الكريم الرحمن، ١٤٨-١٤٩. في ظلال القرآن، ١/٤٧٥-٤٧٦. وينظر أيضاً: معاجم اللغة، مادة: (كظم): لسان العرب، ١٢/٥١٩-٥٢٠. القاموس المحيط، ١١٥٥. المصباح المنير، ٢/٥٣٤.

(٢) ينظر: دور الوالدين في تنشئة الأبناء على خلق العفو، د. حنان عطية الجهني، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، المجلد الثاني، العدد الثاني، رجب ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ٢٦٤-٢٦٦. موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي: أسرار السعادة.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

سابعاً: العفو عامل مؤثر في رقي أخلاق المجتمع وتماسكه وحقن دمائه:

لا يكاد مجتمع من المجتمعات يخلو من الاختلاف والتنوع فكرياً وعرقياً وثقافياً واجتماعياً وقبلياً واقتصادياً... الخ، وليست هذه بمشكلة، وإنما المشكلة تكمن في استغلال ذلك لإذكاء النزاعات والصراعات، مما يؤثر على نوع الخطاب المتداول، إذ يكون تحريضاً إقصائياً، يصل أحياناً حدّ الدعوة إلى الاقتتال، كطلب الثأر والصراعات الطائفية والعرقية.... الخ، وهنا يأتي أثر العفو، فإنّ أجره وفضله وآثاره على مستوى الفرد التي مرت بنا سابقاً، ستتعاكس إيجاباً على المجتمع ككل، بما سيكون له من أثر عند تخلّق أفراد بهذا الخُلق الكريم، وشيوعه بينهم، فلنا أن نتصور نوع المجتمع الذي يعتقد أفرادُه أنّ العفو عن المسيء والصفح عنه يحقق العزة والرفعة، وما سيعززه في النفوس من ميول إيجابية تقضي على حظوظ النفس أو على الأقل تحييدها.

إنّ خُلق العفو سلوكٌ اجتماعيٌّ؛ لأنّه يقوم على أكثر من طرف؛ لذا يُعدُّ شيوعه وتحقيق أهدافه وآثاره عاملاً مهماً في رفع المستوى الأخلاقي للمجتمع ككل؛ لأنّه يؤدي إلى جمع القلوب، وتأليف النفوس، وطهارة المجتمع من أمراض الغل والحقد، وتنقيته من الرغبة في الانتقام والثأر، وهذا يُوفّر مناخاً مناسباً لفضّ النزاعات والتعالي على الخلافات، ومن ثمّ ينتشر السلام بين أفراد الأمة كلّها، وتتعرّز أواصر العلاقات والروابط الاجتماعية، وتخلّ الرحمة ومشاعر المحبة والصداقة محل الرغبة في الانتقام والبغض والعداوة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]^(١)، وهذا لاشكّ يؤدي إلى حماية الأرواح وصيانتها، وبقي تماسك المجتمع، ويعزز أمنه واستقراره، ومن ثمّ ازدهاره وتطوره على المستويات كافة^(٢).

(١) كما في قصة ثمامة بن أثال سيد اليمامة الذي تحوّل من عدو لدود للنبي ﷺ إلى مؤمن وصديق حميم. متفق عليه، صحيح البخاري، ١٧٠/٥ برقم (٤٣٧٢). صحيح مسلم، ١٣٨٦/٣ برقم (١٧٦٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ١١٦/٢٥-١١٧. في ظلال القرآن، ٤٧٥/١-٤٧٦، ٧٩٦-٧٩٧، ٣١٦٧/٥. الأخلاق الإسلامية وأسسه، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م، ٤٤٨/١. دور الوالدين في تنشئة الأبناء على خلق العفو، ٢٥٣-٢٥٤، ٢٦٤.

المبحث الثاني: أثر العفو في الخطاب المعتدل في ضوء الكتاب والسنة المطلب الأول: أثر العفو في الخطاب المعتدل في ضوء القرآن الكريم:

ثمة نصوص قرآنية عدة يمكن من خلالها الوقوف على أثر العفو في خطاب الاعتدال، وفيما يأتي نخبه منها:

أولاً: أثر العفو في الخطاب في ضوء الدعوة للمعروف:

إن من أبرز نصوص القرآن التي يتجلى فيها أثر العفو في الخطاب قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (١) ما أنزل الله تعالى هذه الآية إلا في أخلاق الناس (٢)، أي: لتحث على العفو والتسامح فيما يظهر من أخلاقهم (٣)، وفي رواية أخرى: (أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس) (٤).

فقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ خطاب جامع للأمر بحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فأمر تعالى نبيه الكريم ﷺ أن يتعامل مع الناس بالعفو، أي: بما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، وإن وقع منهم ما يُخل فإِنَّه يقبل عذرهم، ويتجاوز عن تقصيرهم ويعفو عن إساءتهم، وفي الوقت نفسه يأتي الخطاب للنبي ﷺ: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾، أي: المعروف، وهو شامل لكل قول حسن وفعل جميل، مرضي عند الله تعالى، وهذا الخطاب وإن كان موجهاً لحضرة النبي ﷺ، إلا أنه تأديب لجميع الخلق (٥)، فقد سأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق (فَتَلَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، ثُمَّ قَالَ ﷺ: هُوَ أَنْ تَصِلَ مِنْ قَطْعِكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ) (٦).

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، ٦٠/٦-٦١ برقم (٤٦٤٣).

(٢) فتح الباري، ٣٠٥/٨.

(٣) ينظر: تعليقات الدكتور مصطفى ديب البغا (مطبوع بهامش صحيح البخاري)، ٦٠/٦.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، ٦١/٦ برقم (٤٦٤٤).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز، ٤٩٠/٢-٤٩١. الجامع أحكام القرآن، ٣٤٤/٧-٣٤٧. تيسير الكريم الرحمن، ٣١٣. في ظلال القرآن، ١٤١٩/٣. الأخلاق الإسلامية وأسسها، ١/٤٦٠-٤٦٥.

(٦) قال الحافظ العراقي: "أخرجه ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٩٣٠.



فلاحظ أنَّ الآية الكريمة نصَّت على الأمر بالعفو، وقرنت معه ما لا يتصور انفكاك الخطاب المعتدل عنه، وهو الأمر بالمعروف، إذ حقيقة الخطاب المعتدل هو ما كان أمراً بالمعروف وما يقتضيه من النهي عن المنكر، وهذا يدل على الأثر العظيم للعفو على نوع الخطاب الموجَّه، والعلاقة الوثيقة بينهما، فلا يؤتي الأمر بالمعروف أكله إلا إذا كان العفو حاضراً فيه.

ثانياً: أثر العفو في الخطاب في ضوء الدعوة للسلام:

كما جمع الخطاب القرآني بين الأمر بالعفو والدعوة للمعروف، جاء أيضاً ليجمع بين الأمر بالصفح والدعوة للسلام، فقال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩]، فهذه الآية وإن كان المفسرون قد صرحوا بأنها منسوخة بآية القتال^(١)، ولكن وجه الاستدلال فيها أنَّ الخطاب القرآني جاء بأمر النبي ﷺ بأن يصفح عمَّا يأتيه من أذيتهم القولية والفعلية، وفي الوقت نفسه يأمره: ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾، فلا يبدر منه بإزائهم إلا السلام الذي يقابل به أولو الألباب والبصائر الجاهلين، كما قال تعالى عن عباده الصالحين: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، فامتثل ﷺ لأمر ربه، وتلقى ما يصدر إليه من قومه، وغيرهم، من الأذى بالعفو والصفح، ولم يقابلهم عليه إلا بالإحسان إليهم والخطاب الجميل^(٢).

فالآية فيها أمر بالصفح، وقرن مع ذلك الأمر بنوع محدد من الخطاب، وهو: ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾، وهذا جمعٌ صريحٌ جليٌّ بين العفو ونوع الخطاب المطلوب مراعاته، وهو الخطاب الذي يحقق السلام، فإذا أردنا اليوم أن يكون الخطاب الموجَّه معتدلاً داعياً للسلام، فلا بدَّ من العفو والصفح والمغفرة لتحقيقه.

ثالثاً: أثر العفو في الخطاب في ضوء النهي عن الداء على المخالفين:

بعد تعرُّض النبي ﷺ للأذى من قبل المشركين، نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وثمة روايات عدة توضح الظروف التي نزلت فيها، سأذكر طائفة منها بما يُسلط الضوء على غرض البحث وهو بيان أثر العفو في الخطاب المعتدل.

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ٦٧/٥. الجامع لأحكام القرآن، ١٦/١٢٤-١٢٥.

(٢) ينظر: ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ٧٧١. في ظلال القرآن، ٥/٣٢٠٤.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ^(١))، وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٢)، وفي رواية: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ شرع يدعو على رجالٍ بعينهم من المشركين، فنزلت الآية، (فَتَرَكَ ذَلِكَ)^(٣)، أي: ترك الدعاء عليهم، وفي رواية: (اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ كَلَّمُوا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)^(٤).

وأخرج ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، قوله رضي الله عنه: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)^(٥)، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ هَذَا الدَّعَاءَ كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَأَنَّ الْمُرَادَ لَيْسَ مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ مُطْلَقًا، وَإِلَّا لَأَسْلَمُوا بِبِرْكَةِ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ الْعَفْوَ عَنْهُمْ لَمَّا اقْتَرَفَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ شَجٍّ وَجْهَهُ الشَّرِيفَ وَكَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ^(٦). إذا نظرنا في الروايات السابقة نجد أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَهُ قَدْ لَحَقَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ الشَّدِيدِ يَأْسٌ مِنْ فَلَاحِ كِفَارِ قَرِيشٍ وَهَدَايَتِهِمْ، فَمَالَتْ نَفْسُهُ إِلَى الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ لِيَرِيحَ مِنْهُمْ، فَكَانَ الْخُطَابُ الْمَوْجَّهَ مُعْبَرًا عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ: (كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ ...)، (اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا)، (اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ ...)، لَكِنْ جَاءَ الْخُطَابُ الْقُرْآنِيُّ مُغَايِرًا لِذَلِكَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ

(١) (كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ): بفتح الراء وتخفيف التحتية، السِّن الذي بين الشَّيْبَةِ وَالنَّابِ، وَكَانَتْ الرِّبَاعِيَّةُ الْمَكْسُورَةُ هِيَ السُّفْلَى مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ (وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ): بضم شين وتشديد جيم، أي: جرح رأسه، (فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ): بضم اللام، أي: يُزِيلُ الدَّمَ عَنْهُ، (وَيَقُولُ) أي: استعظماً واستعجاباً (كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ). ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ١٤٨/١٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٧٤١/٩.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٧/٣ برقم (١٧٩١).

(٣) رواه أحمد، قال الأرنؤوط: "إسناده حسن"، مسند الإمام أحمد، ٢٠١/١٠ برقم (٥٩٩٧).

(٤) رواه الطبراني، المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ١٦٢/٦ برقم (٥٨٦٢). قال الهيثمي (ت ٨٠٧هـ): "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤، ١١٧/٦ برقم (١٠٠٩٧).

(٥) رواه ابن حبان، قال الأرنؤوط: "إسناده حسن"، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان النُّسْتِي (ت ٣٥٤هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٢٥٤/٣ برقم (٩٧٣).

(٦) صحيح ابن حبان، ٢٥٤/٣ برقم (٩٧٣).



يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ»، نهياً له ﷺ عن الدعاء عليهم باللعنة والطرده عن رحمة الله تعالى، فقرر الخطاب احتمال إسلامهم فيتوب الله تعالى عليهم، وفيه تذكير للنبي ﷺ بوظيفته، وهي البلاغ وإرشاد الخلق والحرص على مصالحهم، وأن الأمر لله تعالى هو الذي يدبر الأمور، فلا تدع عليهم بل أمرهم راجع إلى ربهم، عند ذاك طمع النبي ﷺ بإسلامهم، فطلب لهم المغفرة،^(١) فدعا قائلاً: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).

وهكذا نرى صورة قرآنية جليلة تكشف أثر العفو في تعزيز الخطاب المعتدل، فعدم حضور العفو أثر في نوع الخطاب الموجّه، فجاء متضمناً للعن وطلب التعذيب، ولكن على الرغم من الموقف الذي تجلّت فيه عداوة المشركين لله ورسوله والمؤمنين، جاء الخطاب القرآني مغايراً لذلك: «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ»، فنصّ على أن احتمال العفو والمغفرة قائم بأن يسلموا فيتوب الله عليهم، عند ذاك عفا النبي ﷺ عنهم، فجاء خطابه متأثراً بالعفو فدعا لهم بالمغفرة.

رابعاً: أثر العفو في الخطاب في ضوء الدعوة إلى الإصلاح:

يتجلى أثر العفو في الخطاب القرآني في ضوء دعوة القرآن إلى الإصلاح، فقد جاء الجمع بينهما صريحاً في قوله تعالى: «وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» [الشورى: ٤٠]، فهنا قال: عفا وأصلح، وهذا إرشاد وتبنيه على ما للعفو من أثر بالغ في الإصلاح لصاحب الحق وللمسيء على حدّ سواء، فهو إصلاح للمسيء لما في ذلك من إعطائه فرصة أخرى فيخجل ويدفعه ذلك إلى تقويم تصرفاته وأعماله، وهو إصلاح لصاحب الحق لما في ذلك من تهذيب للنفس وصفائها والسموّ بها في درجات الكمال^(٢). ومن الصور البارزة أيضاً لأثر العفو في الخطاب القرآني في ضوء الدعوة إلى الإصلاح ما جاء في سورة الحجرات المعروفة بما تضمّنته من الخطاب الداعي إلى التحلي بالأخلاق الحميدة، والصفات الجليلة، والتحذير من غيرها، ففي قول تعالى: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [الحجرات: ٩، ١٠]، جاء الخطاب القرآني بالأمر بالإصلاح، إذ نزلنا على إثر اقتتال وقع بين المسلمين في المدينة، فعن أنس بن

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ٥٠٦/١. الجامع لأحكام القرآن، ١٩٩/٤-٢٠٠. تيسير الكريم الرحمن، ١٤٧.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، ٣١٦٧/٥.

مالك رحمه الله، قال: (قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا، فَأَنْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبْخَةٌ^(١))، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَشْتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالْأَيْدِي وَالنِّعَالِ، فَلَبَعْنَا أَنَّهَا أَنْزَلَتْ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾^(٢).

يقرر الخطاب القرآني في هاتين الآيتين ما يجب فعله في مثل تلك الحالة، وهو الأخذ على يد المعتدي والباغي وإيقافه عند حدّه، ثمّ يبيّن وجوب إنهاء حالة الاقتتال، فليس من الإنسانية في شيء أن تستمر هذه الحالة لما فيها من تقويض للسلم المجتمعي، وهدم للبناء الإنساني، ودخول المجتمع في أتون المنازعات، وغياهب الثارات، ثم أرشد الخطاب إلى ما يضمن استمرار هذا الإصلاح، وتحقيق نتائجه المرجوة منه، فدعا إلى أن يكون إصلاحاً قائماً على العدل والقسط، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، ثمّ ذكر الخطاب بالأصل الذي تقوم عليه العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم، والرابطة التي تربطهم، ألا وهي: الأخوة الإيمانية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فهي أخوة تقوم على الإيمان بالله تعالى وثمرته من ثمراته، فذكر بالأخوة الإيمانية على الرغم من كون الوضع في الأصل هو حالة الاقتتال، في دلالة واضحة إلى أنّ وقوع مثل هذا الأمر لا يقتضي انتفاء الإيمان^(٣).

ونجد أثر العفو في الخطاب الموجّه لطرفي النزاع متمثلاً بالآتي:

من جهة أهل الحق يذكّرهم أنّ مخالفاتهم ومقاتلتهم والباغين عليهم هم أخوة لهم، وأنهم مؤمنون، فلا يُفَرِّطُوا في العقوبة ويتجاوزوا الحدّ في القصاص.

وأما من جهة الباغين فعندما وصفهم بالإيمان وقرر بقاء الأخوة لهم، فإنّه ترك لهم الباب مفتوحاً للرجوع عن الطغيان والعدول عن مقاومة أهل الحق والتماذي في الباطل.

وكان لهذا النوع من الخطاب القرآني القائم على العفو والإصلاح الأثر الواضح في تعامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع من قاتله من المسلمين، فقاتلهم قتال تأديب لا قتال استئصال، فلم يجهز على جريح، ولم يسب ولم يَغْنَمْ منهم، وعندما سئل عن أهل الجمل:

(١) أرض سَبْخَةٌ: هي الأرض التي لا تثبت لملوحة أرضها. ينظر: شرح النووي على مسلم، ١٥٩/١٢. فتح الباري، ٢٩٨/٥.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، ١٨٣/٣ برقم (٢٦٩١). صحيح مسلم، ١٤٢٤/٣ برقم (١٧٩٩).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٣١٥-٣٢٤. تيسير الكريم الرحمن، ٨٠٠-٨٠١.



(أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا! قيل: أمانفون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً! قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا)^(١)، وكذلك قبوله للصلح مع أهل الشام بعد معركة صفين، وإرساله ابن عباس رضي الله عنه وغيره، لمناظرة الخوارج ودعوتهم للرجوع إلى الحق.

وفي ضوء ما سبق نعلم أن الدعوة إلى الإصلاح لا تأتي أكلها إلا إذا كانت قائمة على العفو، ونلاحظ الأثر الكبير للعفو في نوع الخطاب الموجّه عند الدعوة إلى الإصلاح؛ لأنّ الخطاب القرآني دعا إلى العفو والإصلاح فجمع بينهما: ﴿مَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾، وفي سورة الحجرات أكد على الإصلاح، فتكررت الدعوة إليه ثلاث مرات: ﴿فَأَصْلِحُوا﴾، والإصلاح لا بُدَّ له من عفو وصفح ومغفرة، إذ كيف يتحقق الإصلاح من غير أن يعفو صاحب الحق ويتجاوز عن المسيء والمعتدي الباغي؟!

المطلب الثاني: أثر العفو في الخطاب المعتدل في ضوء السنة النبوية:

تعبق السنة النبوية الشريفة بمواقف عدة يتجلى فيها أثر العفو في نوع الخطاب الموجه إلى الآخرين على مستوى الفرد والمجتمع، على مستوى الاتباع والأعداء، ولكن المقام لا يتسع لتتبعها وسردها كلها؛ لذا سأقتصر على نماذج مختارة تُظهر مدى هذا الأثر:

أولاً: صور العفو وأثره في الخطاب المعتدل في ضوء الدعاء للمخالف:

ثمّت مواقف عدة في سيرة النبي صلى الله عليه وآله كان للعفو الأثر البالغ في نوع الخطاب الموجّه، فبدل الدعاء على المسيء وطلب هلاكه دعا له وطلب إمهاله، ومن ذلك:

أ- أثر العفو في الخطاب في ضوء الدعاء للمخالف بالهداية:

ومن ذلك ما جاء في شأن قبيلة دؤس، إذ قدم الطفيل بن عمرو الدؤسي وأصحابه على النبي صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا رسول الله إن دوساً قد كفرت وأبّت، فادعُ الله عليها، فقيل: هلكت دؤس، فقال: (اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ)^(٢).

فلم يلتفت النبي صلى الله عليه وآله لطلب الطفيل بالدعاء على قومه بعد أن عرضوا عن دعوة الإسلام، وبدل ذلك دعا لهم النبي صلى الله عليه وآله بالهداية، وأمر الطفيل أن يرجع إلى قومه ليدعوهم وطلب منه أن يرفق بهم^(٣).

(١) رواه ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم خواسطي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ، ٥٣٥/٧ برقم (٣٧٧٦٣). والبيهقي في موضعين، السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ٣٠٠/٨ برقم (١٦٧١٣)، ٣١٥/٨ برقم (١٦٧٥٢).

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، ٤٤/٤-٤٥ برقم (٢٩٣٧)، صحيح مسلم، ١٩٥٧/٤ برقم (٢٥٢٤).

(٣) ينظر: السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام المعافري، (ت ٢١٣هـ)، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ٣٨٤/١.

فكان العفو عاملاً أساسياً في نوع الخطاب، فلو أجاب النبي ﷺ طلب الطفيل لدعا عليهم ولهلكوا، ولكن العفو والمغفرة، ورجاء دخولهم في الإسلام، حوّل الخطاب من خطاب دعاء عليهم إلى خطاب دعاء لهم.

ب- أثر العفو في الخطاب في ضوء الدعاء للمخالف بالمغفرة لجهله:

عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: تكلم رجل من الأنصار كلمة فيها موجدة على النبي ﷺ، فلم تقرني نفسي أن أخبر بها النبي ﷺ، فَلَوِدْتُ أَنِّي افْتَدَيْتُ مِنْهَا بِكُلِّ أَهْلٍ وَمَالٍ^(١)، فقال: (قَدْ آذَوْا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبْرٌ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ نَبِيًّا كَذَبَهُ قَوْمُهُ، وَشَجَّوْهُ حِينَ جَاءَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَقَالَ: وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)^(٢).

لا شك أن التكلم في حق النبي ﷺ -مهما بدا هيناً- ليس كالكلام في حق غيره، ومن هذا المنطلق تحرك ابن مسعود ؓ حمية ونصرة لرسول الله ﷺ فاخبره بما بدر من ذاك الرجل، فماذا كان موقف النبي ﷺ، وكيف كان خطابه؟

ولو فرضنا تغيب جانب العفو في هذا الموقف، لكان الخطاب هكذا: أين فلان الذي يتكلم على الرسول المبعوث من الله، فليتنق الله قوم يقولون كذا وكذا... الخ، بل على العكس من ذلك نجد في هذا الموقف حضوراً قوياً لخلق العفو وأثراً كبيراً في نوع الخطاب الموجّه، الذي تضمن رسالة واضحة وصريحة من النبي ﷺ لتغليب جانب العفو، وأنه خلق الأنبياء والمرسلين، وضرب لذلك مثلين:

الأول: موسى عليه السلام، وكيف صبر على ما ناله من أذى قومه.

والثاني: عرض النبي ﷺ صورة مؤلمة لنبي من الأنبياء عليهم السلام، وأن قومه لم يكتفوا بتكذيبه، بل تعدّوا عليه وشجّوا رأسه، ولكنه مع ذلك يمسح عن وجهه الدماء ويدعوا لهم بالمغفرة؛ لأنهم لا يعلمون عاقبة صنيعهم من العذاب الشديد.^(٣)

(١) قوله: (تكلم رجل من الأنصار كلمة...)، معناه: أن هذا الرجل تكلم بكلمة (فيها موجدة) أثر غضب، أي: تكلم بعصب على النبي ﷺ، (فلم تقرني نفسي): من القرار، أي: لم ترتج نفسه ولم تهدأ إلى أن أخبر النبي ﷺ بما كان من هذا الرجل، وقوله: (فلودت أني افتديت منها بكل أهل ومال)، أي: أنه تمنى لو لم يخبره بها؛ لأنها كانت سبباً فيما وقع للنبي ﷺ من تعب أو نحوه. ينظر: حاشية السندي على مسند أحمد، ٢٤١/٣.

(٢) رواه الإمام أحمد، قال الأرنؤوط: "صحيح لغيره"، مسند أحمد، ٣٥١/٧-٣٥٢ برقم (٤٣٣١). والحديث أخرجه البخاري ومسلم مختصراً، صحيح البخاري، ١٧٥/٤-١٧٦ برقم (٣٤٧٧)، صحيح مسلم، ١٤١٧/٣ برقم (١٧٩٢).

(٣) ولعل النبي ﷺ هنا يتكلم عمّا ناله من قريش يوم أحد، وقد سبق ذكره.

ثانياً: أثر العفو في خطاب الاعتدال في ضوء صيانة المجتمع من الاقتتال والفتنة:

لاشكَّ أنَّ المجتمع الذي وضع النبي ﷺ أسسه وبناه في المدينة يُعدُّ مجتمعاً متميزاً يندر تكراره مرة أخرى، ولكن مع ذلك فهو ليس مجتمعاً ملائكياً، بل يبقى مجتمعاً بشرياً؛ لا سيما وأنه لم يكن خاصاً بالمؤمنين وحدهم، فهناك المسلمون بمختلف مستوياتهم في قوة الإيمان، وهناك اليهود من أهل الكتاب، وكذلك المنافقون؛ لذا يطالعنا التاريخ عن جملة من الحوادث التي تعكس هذا التنوع، ومن ذلك الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، فيقول: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ^(١) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟! قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتَبَةٌ، فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَحْطَبَةَ فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا؟! وَاللَّهِ لَنَرَنَّ رَجْعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ، قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُقُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: دَعُهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ^(٢)).

يمكن في ضوء هذا الحديث أن تُميَّز صورتين اثنتين للوقوف على أثر العفو في الخطاب المعتدل:

الأولى: الفتنة التي أوشكت على الوقوع بين المهاجرين والأنصار:

فهذا التداعي بين الأنصاري والمهاجري أوشك أن يُوقع فتنة تعصف بالمجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، فجاء الخطاب من الطرفين تحريضاً داعياً إلى الانتصار بالقوم العشيرة، فكيف كان الخطاب المؤجَّه إزاء هذه الحادثة؟

الخطوة الأولى: تمثلت في بيان أصل هذه الدعوة وجذورها: (مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟!)، فهي دعوة جاهلية؛ لأنَّ أهل الجاهلية اعتادوا على أخذ حقوقهم بالعصبات والقبائل، والانتصار لبعضهم البعض بصرف النظر عن تقصي حقيقة الأمر وتمييز الظالم مِمَّن وقع عليه الظلم، وهذا يتعارض مع ما أصبح عليه المجتمع بعد الدخول في الإسلام، فقد أبطل ذلك كله، وأمر بالرجوع إلى القضاء، وفصل النزاعات بمقتضى حكم الشرع^(٣).

(١) ((كَسَعَ)): بسين مخففة مهملة أي ضرب دبره وعجزته بيد أو رجل أو سيف وغيره. ينظر: شرح

النووي على مسلم، ١٣٨/١٦. فتح الباري، ٥٤٧/٦.

(٢) متفق عليه. صحيح البخاري، ١٨٣/٤ برقم (٣٥١٨). صحيح مسلم، ١٩٩٨/٤ برقم (٢٥٨٤).

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم، ١٣٧/١٦. فتح الباري، ٥٤٦/٦.

الخطوة الثانية: النهي عن مثل هذه الدعوة، ووصفها وصفاً تصويرياً بشعاً: (دَعُوهَا.. فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ)، أي: قبيحة كريهة خبيثة^(١)، فهنا للسامع أن يتخيل ريحاً منتنة تنبعث من شيء، فماذا يفعل؟ لا شك أنه سيتبعد عنه، ويتجنب كل ما يقرب هذه الريح المنتنة إلى منخره. ولولا رحمة الله تعالى، ثم سرعة مبادرة النبي ﷺ لوأد الفتنة، لاستجاب الطرفان لهذه الدعوة ولكانت معركة تقوّض بناء هذا المجتمع الإسلامي.

أما أثر العفو هنا فهو أن المجتمع مهما بلغ من الرقي فإن ثمة أفراد تبقى فيهم رواسب الحياة الماضية، تطفو بين الفينة والأخرى، فليس من الحكمة أن يُستوقف الناس عند كل زلة وهفوة، إذ لا يخفى ما في ذلك من حرج وتنفير لهم، بل يُكتفى بالعفو والصفح، والنصح العام والتحذير من هذه التصرفات، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ، فلم يطلب المتنازعين للتأنيب والتعنيف والعقوبة بسبب ما وقع منهما، بل صفح عنهما، وحذر من مغبة إحياء العادات الجاهلية والدعوة لها، وأكد على الابتعاد عنها كما ينأى الإنسان عن الريح المنتنة.

أما الصورة الثانية: فهي موقف النبي ﷺ من المنافقين:

أحياناً لا يكون الغرض المقصود من العفو والمغفرة هو الشخص نفسه ولكن المجتمع ككل، فقد وقعت في المدينة أحداث عدة كان وراءها المنافقون، ومنها ما جاء في هذا الحديث، فقد حاول رأس النفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول استغلال الموقف فاستعمل خطاباً يوجب نار الفتنة: (قد فعلوها؟! والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ)، فكلامه وإن كان في ظاهره موجّهاً إلى المهاجرين ووصفهم بالدّلة، إلا أنّ حقيقة قصده كان الإسلام ككل وفي مقدمة ذلك رسول الله ﷺ - أعزه الله ورفع ذكره - بدليل ما جاء في رواية أخرى أن ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول، قال له: (والله لا تتقلب حتى تُقَرَّ أَنَّكَ الذليل، ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل)^(٢).

وتكررت تجاوزات المنافقين في مناسبات عدة، ولكن على الرغم من ذلك نجد النبي ﷺ لم يأذن بقتلهم، ولم يُعلم بهم إلا نفرّاً مخصوصاً من الصحابة رضي الله عنهم، ولم تُهيم عليه حساسية الموقف، بل نجده غلب جانب العفو والصفح، وإن كان على الصعيد الدنيوي فحسب، بما كان له الأثر البالغ في نوع الخطاب الموجّه فقال: (لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)؛ لأنّ الناس لها الظاهر فتحكم به، فهؤلاء جزء من المجتمع الإسلامي، والظاهر أنّهم مسلمون، فراعى الخطاب بُنية المجمع المسلم؛ لأنّ مجتمعاً يقوم قائده بتصفية المحسوبين عليه، لن يكون أنموذجاً تتطلع إليه البشرية للانعقاد من ريقه العبودية وقيود الظلم والاضطهاد.

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم، ١٣٨/١٦. فتح الباري، ٦٤٩/٨.

(٢) رواه الترمذي، وقال: "هذا حديث حسنٌ صحيح"، سنن الترمذي، ٤١٧/٥ برقم (٣٣١٥).



ثالثاً: صور العفو وأثرها في الخطاب المعتدل في ضوء فتح مكة:

لا شك بما كان لصلح الحديبية من أثر كبير في وضع أوزار الحرب بين المسلمين والمشركين، ولكن نقض قريش للعهد وتعديها على حلفاء رسول الله ﷺ، كان السبب في تحرك الرسول ﷺ لفتح مكة^(١)، وفي ظل المقاييس الاعتيادية فإنّ هذا الموقف يقتضي الشدة والحزم والتعامل بالقوة المفرطة، وانتهاز الفرصة للانتقام من قوم آذوا الرسول ﷺ وأصحابه، بالتعذيب والتجويع المُفضي إلى القتل، وسلب الأموال وانتهاك الحرمات، وتأليب القبائل والتحالف مع اليهود في محاولة استئصال المسلمين، وما إلى ذلك، ثم نقض العهد وغدر الآمنين، إلا أنّه وعلى الرغم من ذلك كلّه نجد هذا الحدث العظيم قد تخلّلت مواقف عدة اتسمت بالعفو والصفح، غيّرت مجرى هذا الحدث الجلل، وكان لها الأثر الكبير في نوع الخطاب الرسمي إبّان فتح مكة، فجاء ليناً مفعماً بالأمل والرحمة وفتح صفحة جديدة مع هؤلاء القوم، سواء قبل فتح أم بعده، وفيما يأتي بيان ذلك:

أ- أثر العفو في الخطاب المعتدل قبل فتح مكة:

وتجلى ذلك في موقفين اثنين:

الأول: الموقف من أبي سفيان خصوصاً:

فكونه رأساً من رؤوس الكفر وقتذاك، وفعل ما فعل من قيادة حملات التتكيل بالمسلمين وتعذيبهم وسلب أموالهم، ومن ثم محاربتهم وتأليب القبائل عليهم لا سيما في معركة الخندق، في ضوء ذلك فإنّه من الطبيعي أن يكون الخطاب في حقه خطاباً تحريضياً، بل ويجعل مكافأة لمن يأتي برأسه، ولتسابق المسلمون في طلبه؛ للانتقام، ولكن لما كان العفو حاضراً نجد أنّ النبي ﷺ أبى إلا أن يحفظ لهذه الشخصية المؤثرة في المجتمع المكي مكاناتها، فقبل منه إسلامه، وراعى واقعه المُحب للفخر^(٢)، وكان خطاب النبي ﷺ تجاهه يدور في فلك العفو، بل وما فوقه، فقال ﷺ: (مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ)^(٣)، فجعل داره محل أمان، وليس ذلك إلا لأنّه قد عفا

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٣٩٠/٢-٣٩١. السنن الكبرى للبيهقي، ٣٩٠/٩.

(٢) عن العباس بن عبد المطلب ؓ قال: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلٌ يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: (نعم، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ)، قال: فتفرّق الناس إلى دُورهم، وإلى المسجد. رواه أبو داود، وسكت عنه، وقال الأرئوط: "صحيح لغيره"، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تح: شعيب الأرئوط/محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ٦٣٣/٤-٦٣٤ برقم (٣٠٢٢). وقال الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) بعد أن ساق رواية الطبراني: "رجاله رجال الصحيح"، مجمع الزوائد، ١٦٤/٦-١٦٧ برقم (١٠٢٣٤).

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ١٤٠٧/٣ برقم (١٧٨٠).



عنه، وغفر له ما كان منه، وبغفوه ﷺ عن قائد قريش أمين منهم المقاومة والمواجهة المفضية إلى سفك الدماء في الحرم.

وهنا نرى ما كان للعفو من أثر بالغ في نوع الخطاب الموجّه للجمهور فيما يتعلق بمثل هذه الشخصية، ومن ثمة الأثر على الموقف منها، وكيفية التعامل معها، وصولاً إلى الأثر على المجتمع ككل.

الثاني: الموقف من قريش عموماً:

فإنّ العفو كان حاضراً في الخطاب الموجّه للجيش الإسلامي منذ البدء، فهو وإن أُولِيَ أبا سفيان مزيد اهتمام وتمييز، إلا أنّه لم يجعله خاصاً به، فلم ينسَ سائر أهل مكة، فقال ﷺ أيضاً: (وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ)^(١)، وفي رواية أخرى: (وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ)، قال: فتفرّق الناس إلى دُورهم، وإلى المسجد^(٢).

فكون الخطاب الموجه وصف من أخذ بأحد هذه السبل بأنّه آمن، فهذا واضح بتقديم العفو والصفح والمغفرة لكل قريش، وكفّ اليد عنهم، فحقن دماءهم مرة أخرى.

ب- أثر العفو في الخطاب المعتدل بعد فتح مكة:

فبعد أن تمّ لرسول ﷺ فتح مكة، وبسط فيها نفوذه، وانتشرت فيها قوات الجيش الإسلامي وسيطرت على مفاصلها، فإنّه قد يدور في خلد أهل مكة ويعتمر في نفوسهم أنّ الخطاب الذي قدّم الأمان لأهلها كان خطاباً مرحلياً لا يلبث أن يتغير حال تمكّن النبي ﷺ منهم، فاجتمع الناس من حوله في المسجد، وفيهم المشركون، والأبصار شاخصة تنتظر ماذا سيكون مصيرها، فماذا فعل رسول الله ﷺ؟ وكيف كان خطابه في شأنهم؟

لو تركنا لأذهاننا تخيل نوع ذلك الخطاب.. لكان تذكيراً بما كان منهم تجاه الإسلام والمسلمين، فيوجّه إليهم الكلام القاسي وبأقوى ألفاظ الوعيد، ولكان هكذا: يا معشر قريش أنتم كفار عبدة أوثان، عذبتمونا، صادرتم حريتنا في الدعوة إلى الإسلام، حاصرتمونا، سرقتم أموالنا، قتلتمونا، اتهمتموني بالكذب والسحر والكهانة، سعيتم لاغتيالي، أخرجتمونا من أحب أرض الله إلينا، ألَبَّتم بقية القبائل علينا، ونقضتم العهد، أنتم تستحقون القتل والتشريد والتكيد والعذاب الشديد، فتتأجج بذلك مشاعر الجيش الإسلامي ويُسْتَقَرُّوا، ثُمَّ يأمرهم باستئصالهم وقطع دابرهم.

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ١٤٠٧/٣ برقم (١٧٨٠).

(٢) رواه أبو داود، وسكت عنه، وقال الأرنؤوط: "صحيح لغيره"، سنن أبي داود، ٦٣٣/٤-٦٣٤ برقم (٣٠٢٢). وقال الهيثمي بعد أن ساق رواية الطبراني: "رجاله رجال الصحيح"، مجمع الزوائد، ١٦٤-١٦٧ برقم (١٠٢٣٤).

ولكن لما كان العفو حاضراً فإنَّ الخطاب لم يتضمن أيّاً مما يسبب سفك الدماء، بل ولم يتضمن شيئاً جارحاً، فقال لهم النبي ﷺ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَقُولُونَ؟ قَالُوا: نَقُولُ: ابْنُ أَخٍ، وَابْنُ عَمٍّ رَجِيمٌ كَرِيمٌ، ثُمَّ عَادَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ﴿قَالَ لَا تَزِرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]، فَخَرَجُوا فَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ^(١)، وفي رواية أخرى: (مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٍ كَرِيمٍ، وَابْنِ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ)^(٢).

هكذا جاء خطابه ﷺ موجزاً بليغاً، فشبه مكانته منهم كمكانة يوسف من أخوته، وهو من عفا وصفح عنهم على الرغم من شدة أذيتهم له، فعفا النبي ﷺ وصفح وتجاوز عن تلكم الإساءات كلها التي امتد قرابة عشرين عاماً، ومن دون شروط مسبقة، ومن دون منٍّ، ولا تثريب: فلا تعيير، ولا لوم، ولا توبيخ، ولا حتى تذكير بما كان منهم؛ لأنه يجرحهم ويحزنهم، بل دعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وهم طلقاء فلن يطلبهم أحد بما سلف منهم، وهذا غاية في الإحسان؛ لذلك كان لهذا الخطاب القائم على العفو عاملاً فاعلاً في دخولهم الإسلام.

وهكذا كان الخطاب المنضبط بالعفو والمغفرة والصفح سبباً في حقن الدماء مرة أخرى، فلو غُيِّب جانب العفو في ذلك الموقف لكان خطاباً موجحاً لمشاعر الانتقام الدفينة، ولكان فتح مكة مجزرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ولكن مع حضور خُلُق العفو تغَيَّر الخطاب تغيراً جذرياً، فجاء خطاباً ليناً عطوفاً مفعماً بالأمل والتسامح، ليطوي صفحة سوداء من تاريخ مكة.

المطلب الثالث: ضرورة العفو لخطاب الاعتدال في واقعنا المعاصر:

لا شك أنَّ واقعنا في العراق يحمل الكثير من صور الإساءة والتجاوز في الأقوال والأفعال، شملت نواحي الحياة كافة، وعانت منها مكونات الشعب العراقي جميعاً، لا سيما بعد أحداث داعش وسيطرتها على مساحة واسعة من البلاد عام ٢٠١٤م، ومنها محافظة الأنبار، فعاثوا في الأرض الفساد، واستباحوا الدماء والأموال، بل والأعراض، وشوهوا صورة الإسلام، ولا زال البلد يعاني من تداعيات تلك المرحلة، فعندما نقول ضرورة العفو لخطاب الاعتدال في واقعنا المعاصر، فإنَّه يعني مراعاة هذه الحالة الاستثنائية التي يعيشها البلد، فلا بُدَّ من تجنُّب الخطاب

(١) رواه النسائي، سنن النسائي (السنن الكبرى)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تح: حسن عبد المنعم شلبي (بإشراف شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ١٥٤/١٠ برقم (١١٢٣٤). والبيهقي، السنن الكبرى، ٩/١٩٩ برقم (١٨٢٧٥).

(٢) رواه البيهقي، السنن الكبرى، ٩/٢٠٠ برقم (١٨٢٧٦). وينظر أيضاً: السيرة النبوية لابن هشام، ٤١٢/٢.



التحريضي والإقصائي، سواء المُوجَّه للأفراد أم الجماعات، بقصد تحقيق مكاسب سياسية أو فئوية أو طائفية، أو اقتصادية، ... الخ.

ولو نظرنا في الصور والمواقف المُشبعة بالعفو المؤثرة في نوع الخطاب، سواء التي عرضنا لها في هذا البحث، أو غيرها، لوجدنا كثيراً منها مُوجَّهاً إلى أناس مخالفين في الاعتقاد، محاربين لله تعالى ولرسوله ﷺ، فمن باب أولى أن ينطلق الدعاة والمصلحون والمربون والقادة والسياسيون والصحفيون في خطابهم المُوجَّه إلى أبناء الدين الواحد، وأبناء البلد الواحد من خُلق العفو، فهو ضروري لتأسيس خطابٍ معتدل، يتناسب مع هذه المرحلة، ولابدُّ من حضوره في الخطاب على المستوى الرسمي والشخصي، فارتفاع صوت العفو سيكون له الأثر الكبير في وأد الفتنة، وتطبيب النفوس، وتليين القلوب التي غُلُظت بسبب الأحداث الجسيمة المتسارعة، والأحقاد الدفينة والثارَات القديمة.

ولا ينبغي أن نتجاهل حقيقة أنَّ أصنافاً ممن انخرط في أعمال العنف، ووقعوا في الإساءة والتجاوز، إنَّما انخرطوا لأسباب آنية، فمنهم من انجرف عاطفياً مع الجهل بأحكام الشرع، أو لضرِّ أصابه في نفسه أو أهله أو ماله، أو بسبب غمط حق له، أو اتهامات باطلة أو دعوى كيدية، ... الخ، فلم يكن ذلك منه عن سابق تخطيط وقصد، ولم يجد نفسه إلا وهو الطرف المعادي لأهله ومجتمعه، تُحيط به قيودٌ من الشعور بالظلم، والغضب والحقد، فضلاً عن العزلة التي تُحيطهم بها تلك الجماعات الموتورة، فهنا يكون للعفو الأثر البارز في احتواء مثل هذه الأصناف، فبه نعيد الثقة لهم، ونفتح أبواب الأمل لانخراطهم في المجتمع مجدداً، وبخلاف ذلك فإننا سنجعل منهم صيداً سهلاً لدعاة التطرف والعنف، وقد يكونون السبب في إغواء دماء جديدة معهم، فنخسر جزءاً من النابذة التي نُعوّل عليها في بناء مستقبل البلد، ولكن لا ينبغي أن يتعدى التركيز مع هؤلاء عن محاولة كسبهم إلى المجتمع مرة أخرى وإعطائهم الثقة ليكونوا عناصر فعَّالة فيه، فليس من الحكمة جعلهم في موقع القيادة وتسليم زمام بعض الأمور لهم، فهؤلاء في طور البناء وإعادة التأهيل فلا يصح أن يُفسح لهم المجال بأكثر من الاندماج في المجتمع، وإثبات صدقهم في عودتهم إلى كنف المجتمع.

ومع هذه الأهمية البالغة للعفو وضرورته على المستوى العملي وفي الخطاب المُوجَّه، لابدُّ من الحذر من أن يُبدل العفو إلى من لا يستحقه، فلا عفو عمَّن لم تظهر عليه علامات الندم، والرغبة في الخروج من مستنقع العداوة والعنف، فلا بدُّ من إيقاع العقوبة في مثل هؤلاء، لتكون رسالة تُظهر قوة السلطة وجديتها في الاقتصاص وإنفاذ القصاص بمن يستحقه؛ لئلا تسوّل للمرضى أو الحاقدين الموتورين نفوسهم فيتخذوا من هذا العفو والصفح وسيلة وغطاء للعبث في المجتمع على المستوى الفكري والأمني.



خاتمة في أبرز النتائج والتوصيات

يُمكن إيجاز نتائج هذه الدراسة بالآتي:

- ١- العفو، هو: ترك العقوبة والمواخظة بالذنب، وإسقاط الحق، كلاً أو جزءاً، مع القدرة على ضده، ولا يكون إلا لمن يستحقه، ممن اعترف بذلته وأظهر الندم عليها، فلا يكون للمُصّر على فجوره، وأذية المجتمع وإفساده.
- ٢- يتبوّأ العفو مكانة مميزة في الأخلاق التي دعا إليها الإسلام وحثّ على مراعاتها، تتضح من خلال فضله وأجره الذي نصّ عليه كتاب الله وسنة رسوله A، وفي صور متنوعة.
- ٣- للعفو آثار إيجابية على الفرد، فهو سكينه لنفسه، وطمأنينة لقلبه، وصحة لبدنه.
- ٤- للعفو آثار إيجابية عظيمة على المجتمع؛ لأنّه سلوك اجتماعي يقوم على أكثر من طرف، يرفع شيوعه المستوى الأخلاقي للمجتمع كلّ؛ لما فيه من تأليف للقلوب، وتنقية المجتمع من الحقد الانتقام والثأر، وهذا يُوفّر مناخاً مناسباً لفضّ النزاعات والتعالي على الخلافات، ومن ثمّ ينتشر السلام بين أفراد الأمة كلّها، وهذا لاشكّ يؤدي إلى حماية الأرواح وصيانتها، ويقوي تماسك المجتمع، ويعزز أمنه واستقراره، ومن ثمّ ازدهاره وتطوره على المستويات كافّة.
- ٥- دلّت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على الأثر الكبير للعفو في نوع الخطاب الموجّه، فجاء خطاباً معتدلاً ليناً عطوفاً، مفعماً بالأمل والرحمة، بعيداً عن تأجيج مشاعر الحقد والانتقام، لا سيما في ضوء الدعوة للمعروف والسلام والإصلاح، وفي ضوء الدعاء للمخالف بالهداية والمغفرة، وفي ضوء صيانة المجتمع من الاقتتال والفتنة، فكان حضور العفو في الخطاب عاملاً فاعلاً في حقن الدماء، وتماسك المجتمع، وتقوية أواصر العلاقات والروابط الاجتماعية.
- ٦- إنّ خُلُق العفو ضروري للتأسيس لخطابٍ معتدلٍ، يتناسب مع المرحلة التي يمرُّ بها بلدنا العراق، ولا بُدّ من حضوره في الخطاب على المستوى الرسمي والشخصي، فارتفاع صوت العفو سيكون له الأثر الكبير في وأد الفتنة، وتطبيب النفوس، وتليين القلوب التي غلظت بسبب الأحداث الجسيمة المتسارعة، والأحقاد الدفينة والثرات القديمة.



أما التوصيات فيمكن إيجازها بالآتي:

- ١- التعامل بالعتفو على أنه خُلُق نبوي كريم، وظاهرة إنسانية، لأبد من الالتزام بها في القول والفعل.
 - ٢- تربية الأجيال على خُلُق العفو وتوعيتهم على أهميته للفرد والمجتمع حتى يكون سجيّة لهم.
 - ٣- تضمين المناهج التعليمية ما يحثُّ على التخلق بالعتفو، وبيان أهميته في الخطاب المعتدل، سواء على مستوى الدراسات الأساسية أم الثانوية أم الجامعية.
 - ٤- تفعيل واجب المسجد في الدعوة إلى الخطاب المعتدل القائم على العفو والتسامح، من خلال الخطب والمحاضرات، والسعي للصلح بين الناس، وحثّ المتنازعين على العفو.
 - ٥- إنشاء مجاميع للسعي بالعتفو والصفح والمغفرة، على المستوى الرسمي والأهلي، تتبّع مواقف النزاع لمعالجتها وحثّ الأطراف على الصلح.
 - ٦- عقد الندوات وورش العمل لبيان أهمية العفو وفضله وأثاره الإيجابية على الفرد والمجتمع، وضرورة حضوره في الخطاب الموجّه للجمهور.
 - ٧- مراقبة الدولة لنوع الخطاب الموجّه للجمهور، وحثّ المؤسسات كافة، لا سيما الإعلام، لاعتماد العفو كأساس فيه.
- وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٢. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٠م.
٣. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٥. الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٦. حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، نور الدين أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي، (ت ١١٣٨هـ)، تح: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
٧. دور الوالدين في تنشئة الأبناء على خُلُق العفو، د. حنان عطية الجهني، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، المجلد الثاني، العدد الثاني، رجب ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٨. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
١٠. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.



١١. (سنن البيهقي) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٢. سنن النسائي (السنن الكبرى)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تح: حسن عبد المنعم شلبي (بإشراف شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٣. السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت ٢١٣هـ)، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
١٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٥. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تح: حمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: فؤاد عبد الباقي، تعليقات: د. مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٦. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، بلا طبعة، ١٣٧٩هـ.
١٨. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، بلا طبعة وتاريخ.
١٩. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
٢٠. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.



٢١. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٢. لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٢٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، بلا طبعة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤.
٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين علي بن [سلطان] محمد، الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٢٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، عدة سنوات انتهت ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٢٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، بلا طبعة وتاريخ.
٢٩. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٣٠. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.



٣١. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: أ. د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٣٢. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ(الراغب الأصفهاني) (ت ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
٣٤. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
٣٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا طبعة وتاريخ.
٣٧. الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، موقع: [موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي: أسرار السعادة](#).





أهم الأثر المترتبة على خطاب الاعتدال

م.د. محمود عريبي سلمان

جامعة الفلوجة

كلية العلوم الإسلامية

mahmoodalnuaimi941@gmail.com





ملخص باللغة العربية

ان حالة الفوضى الفكرية التي تعيشها الامة منذ عقود من الزمن نتيجة خروجها عن طريق الاستقامة الذي امر به الحق سبحانه، البعيد عن الافراط والتفريط قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣). وسبيل الله المستقيم الذي بينه في كتابه الكريم هو طريق الوسط والاعتدال، البعيد عن الغلو والتقصير ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة ١٤٣). وإذا ما اردنا أن نفهم المعنى الدقيق للاعتدال فلنتأمل ملبا في قول الامام ابن القيم رحمه الله (وما امر الله بأمر الا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط واضاعة، وإما إلى افراط وغلو. وبين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما ان الجافي عن الامر مضيع له فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد)، وخطاب الاعتدال الذي تبناه الشارع الكريم لا بد له من آثار على الفرد والمجتمع، وهذا ما سأعمد على بيانه مع عمل مقارنة بين الاسلام والاديان الاخرى من خلال تلك الآثار معززا ذلك بالدليل .

الكلمات المفتاحية: آثار ، مرتبة ، خطاب

The most important implications of the letter of moderation
Dr. Mahmood Uraibi Salman

Abstract

The situation of our life these days which the nation has lived for decades it's very difficult through the verification which is ordered by the Almighty away from the confusion and abandonment.

And this is my path straight follow him and follows the ways and you will be separated from his path.

And I will judge you so that you may be careful.

And the straight path of God, which is described in his holy book is the middle way and moderation which is far from hyperbole and default (as well as we have made you a mediate nation). If we want to understand the precise meaning of moderation, let us consider the words of Imam Ibn al-Qayyim (may Allah have mercy on him). God commanded by the order of love in which two extremes either to waste and waste, or to excessive and gross and the religion of God amid like a person leave his manor, like the valley between two mountains, and guided between two misfortunes and the mediate between the two extremes, as person leave the matter is lost to him, and fanatic person who lost to him. This is short of the limit, and this exceeded the limit. The letter of moderation adopted by the street is a must of the effects on the individual and society, both of that reward reinforced by evidence.

Keywords: effects, order, letter



المقدمة

ان حالة الفوضى التي تعيشها الأمة منذ عقود من الزمن نتيجة خروجها عن طريق الإستقامة الذي امر به الحق سبحانه، البعيد عن الإفراط والتفريط، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ﴾ (الأنعام: ١٥٣) وسبيل الله المستقيم الذي بينه في كتابه الكريم هو طريق الوسط والاعتدال البعيد عن الغلو والتقصير، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة ١٤٣). فالتوسط والاعتدال حالة بين الزيادة والنقصان، فإن زاد الأمر عن حده اصبح غلوً وإفراطاً وإن نقص عن ذلك اصبح تفريطاً وكلاهما انحرافٌ وميلٌ عن الطريق الحق، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعَوْا﴾ (هود: ١١٢). من هنا نوقن ان الاعتدال والوسطية صفة لازمت دين الإسلام واتصف بها، اعتدالٌ واتزان في العبادة وفي الأخلاق وفي التشريع على المستويين القانوني والاجتماعي^(١).

واليوم تعيش الأمة الإسلامية أسوأ مراحلها في السلوك مع نفسها ومع غيرها من الأمم، وهذا ما قضَّ مضاجع المصلحين والدعاة الساعين لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور وهم يرون الأمة تعيش حالة من الإفراط والتفريط، من الغلو والاسراف... حتى ظهرت على الساحة اليوم الأفكار القديمة التي اراقت الدماء واستخفت بالأنفس. ومقابل ذلك ظهر من يدعو إلى الجفاء واضاعة معالم الدين واصلول العقيدة كردة فعل وحرصاً (ظنا منهم) على جمع الناس والحفاظ على وحدة الصف. وبين هذه وتلك كان لا بُدَّ من وقفة نققفي الأثر وتصحيح المنهج وتقود الأمة إلى بر الأمان على المنهج الحق الذي سار عليه سلف الأمة الكرام منتشليين الأمة من غلو الغالين وانتحال المبطلين، من هنا جاءت رغبتني في ان اساهم ولو باليسر في انقاذ هذه الأمة من ذلك الواقع المؤلم والمهلك واعادتها إلى رشدها من خلال سلوكها الوسطي المعتدل وذلك من خلال بحثي الموسوم (اهم الآثار المترتبة على خطاب الاعتدال)، فقسمته إلى مقدمة ومبحثين، المبحث الاول كان توطئة في مفهوم خطاب الاعتدال والمبحث الثاني استعرضت فيه اهم اثار خطاب الاعتدال والوسطية على الفرد والمجتمع ولكل اثر مطلب وثم الخاتمة والتي بينت فيها ما يجب على المؤسسات التعليمية والدينية من واجبات لإظهار فضائل الإسلام واخلقه وسماحته ورد شبه من حملوا راية تشويبه واطاره بصورة المارد الساعي إلى العنف والقتل والتضييق الفكري.

سائلا الله تعالى ان أكون قد وفقت في عرض تلك الآثار والمساهمة ولو باليسر في عملية الإصلاح التي يدعوا لها الإسلام ..

(١) وسأبين ذلك في التوطئة بالتفصيل.



المبحث الأول: توطئة عن مفهوم خطاب الاعتدال

التعريف بالعنوان:

الآثار: ومفرده أثر والأثر: العلامة وما خلفه السابقون، واثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، وبقية الشيء وما يدل على وجوده نحو قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم: ٥٠) فرحمة الله كناية عن الغيث الذي به تحيا الكائنات الحية، وهذا دليل على وجوده سبحانه وقدرته، ثم انسحب لفظ الأثر على السنة الباقية والخبر المروي نحو قوله تعالى: ﴿آتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ (الأحقاف: ٤)، أي بقية من علم يؤثر ويروى^(١).

وقد ابداع التهانوي في تعريف الكلمة حيث قال: الأثر له أربعة معاني:

الأول: بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء.

الثاني: بمعنى العلامة.

الثالث: بمعنى الخبر.

الرابع: ما يترتب على الشيء وهو المسمى بالحكم عند الفقهاء^(٢).

الإعتدال: هو توسط حال بين حالين في كم أو كيف، كقولهم جسم معتدل بين الطول والقصر، وماء معتدل بين البارد والحر، ويوم معتدل طيب الهواء^(٣).

وإذا ما اردنا ان نفهم المعنى الدقيق للإعتدال فلننتأمل ملياً في قول الإمام ابن القيم رحمه الله: وما أمر الله بأمر إلا و للشيطان فيه نزعتان: إما إلى تقريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ظلايتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما ان الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد.

دعوة الإعتدال في القرآن الكريم

اول سورة في كتاب الله تعالى نفتتح بها صلاتنا كل يوم تحمل بين ثناياها الدعوة إلى الإعتدال والوسطية، وذلك في سؤل الحق ﷻ ان يهدينا الصراط المستقيم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

(١) موسوعة الالفاظ القرآنية: ص ٢٩، مختار فوزي النعال، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، والمفردات في غريب القرآن: ص ١٩، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق محمد خليل عيتاني، كتاب الألف، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ٢٠٠١م.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٨٨، باب الالف، فصل الرءاء، العلامة محمد بن علي بن علي بن محمد التهانوي (ت ١١٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٦/ ١٢٥، باب العين، العلامة ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.



الْمُسْتَقِيرَ ﴿٦﴾ الصراط المعتدل البعيد عن منهج اليهود الموغل في المادية والواقعية حتى قتلوا انبيائهم ومنهج النصارى الموغل في الروحانية والرهبانية والانسلاخ من الدنيا حتى قدسوا انبيائهم وخالفوا الفطرة الإنسانية، اما الإسلام فهو يدعو اتباعه إلى التزام منهج الاعتدال البعيد عن تطرف النصارى الذين ألّهُو انبيائهم وإفراط اليهود الذين قتلوا انبيائهم وذلك دليل الخيرية للأمة.

وتتجلى صفة الاعتدال والوسطية كصفة ملازمة لهذه الامة الخاتمة برسالتها لرسالات السماء في فعل النبي ﷺ عندما جاءه ثلاثة من الصحابة الكرام وهم يستعرضون مهاراتهم في خروجهم عن الفطرة البشرية فقال احدهم: اما انا فأصوم ولا افطر، وقال اخر: اما انا فأقوم الليل ولا انام، وقال الثالث: اما انا فلا اتزوج النساء، في دعوة منه إلى الرهينة، فما كان من رسول الله ﷺ إلا ان يعلمهم وسطية الإسلام في العيش على هذه الأرض، فقال: ما بال اقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني اصلي وانام، واصوم وافطر، واتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني^(١).

اذاً من سنن الإسلام الوسطية والاعتدال، فوسطية الإسلام تتجلى في العبادة بأروع صورها في الجمع بين الجانب الروحي والمادي، فها هو يفرض على المسلم شعيرة محددة في اليوم والليلة وهي الصلاة دون ان ترهقه، بل فيها يَرِي الحق سبحانه المسلمين على كيفية الانضباط بدءاً من اصطفاقيهم وتأديتهم لحركات واحدة متمثلة بالركوع والسجود وانتهاءً بالتربية الروحية التي تضيفها الصلاة على المسلم .. فالكل يقف وقفة واحدة، الصغير والكبير، الغني والفقير ليبدأوا صلاتهم بالتكبير والتي تحمل معنى عظيماً بأن الله اكبر واعظم من كل الموجودات، تلك التكبير التي يبدأ فيها المسلم رحلة روحانية لا تحتاج إلى كثير تهيئة من زاد وراحلة وانما بعض الآيات والادعية التي تسمو بالإنسان إلى ربه فتفصلها عن الجانب المادي .. بضع دقائق يقفها المسلم كل فرض تسمو بروحه وتغذي وتنشط جسده^(٢).

ثم في السنّة فريضة الصيام لشهر واحد، لتربية الروح وترويضها على ترك الحلال فتكون اكثر استعداداً لترك الشهوات المحرمة، لذلك قال الحق سبحانه في اخر اية فريضة الصوم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ موازنة بين متطلبات الجسد وبين تربية الروح وترويضها.

أما في اليهودية فإن الصيام يقتصر على حالات الخطيئة والحزن والإنهزام في الحروب، مع إلغاء التربية الروحية وصفائها حيث لا يباشرون فيها النساء لا ليلاً ولا نهاراً ولا يأكلون ولا يشربون إلا للضرورة القصوى..

(١) صحيح مسلم: ص ٥٨٦ برقم (٣٤٠٣)، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه، الامام

مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار السلام، الرياض، ط ٢، ٢٠٠٠.

(٢) ينظر: مقارنة الأديان: ١٣٨/٣-١٤٠، احمد شلبي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط ١٢ ١٩٩٧.



وأما النصارى فصيامهم يختلف باختلاف فرقهم، فبعضهم يصوم أربعين يوماً تنتهي بعيد الميلاد، والأرثوذكس يصومون ٥٥ يوماً قبل عيد القيامة، ويقتصرون على اكل البقول ويمتنعون عن اكل لحم الحيوان وكل ما يتولد منه أو يُستخرج من أصله، ولا يُعقد سر الزواج أثناء الصوم^(١).

ثم فريضة الحج في العمر مرة واحدة، ليبقى الانسان مستمراً في ممارسة حياته المادية وسعيه في طلب الرزق.

اعتدالٌ وموازنة في الجمع بين الجانب الروحي الموصل إلى الآخرة، والجانب المادي الموصل أيضاً إلى الآخرة إن روعي فيه تعاليم الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة ٩-١٠)، جمع بين العمل والعبادة.

والوسطية تتجلى في أروع صورها في الأخلاق ليؤكد الإسلام ان الإنسان ليس ملاكاً وفي نفس الوقت ليس شيطاناً، يقول الرسول ﷺ: والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، و لجاءَ بقوم يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم^(٢).

فالإنسان ألقم بوارد الخير ونوازع الشر، فهو بطبيعته المتوازنة يُحب ويكره، يُسامح وينتقم ويدافع. لا كما النصرانية التي توغل في التسامح إلى درجة ان قالوا "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الايسر".

اما الإسلام فكفل للمعتدى عليه حق الرد او التسامح، فالإنسان يحمل في داخله غريزة الإنتقام والدفاع عن النفس مع خلق التسامح الذي دعا اليه الإسلام، فنرى التوازن بأن كفل الإسلام له حق الرد قال تعالى: ﴿مَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمْثِلُ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴿١٦١﴾﴾ (البقرة: ١٩٤)، وفي نفس الوقت دعا رسولنا الكريم ﷺ إلى التسامح فقال: (إذا وقف العباد للحساب جاء قومٌ واضعي سيوفهم على رقابهم، تقطر دماً، فازدحموا على باب الجنة، فقل من هؤلاء ؟ قيل: الشهداء، كانوا احياء مرزوقين. ثم نادى منادٍ ليقم من اجره على الله، فيدخل الجنة، ثم نادى الثانية: ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة، قال: ومن ذا الذي اجره على الله عز وجل ؟ قال: العافين عن الناس..^(٣)

(١) ينظر مقارنة الأديان: ١٤٦/٣-١٤٧.

(٢) صحيح مسلم: ص ١١٩١ برقم (٦٩٦٥)، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار.

(٣) المعجم الأوسط: ٢٨٥/٢، سليمان بن احمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة.



تلك هي ثقافة الإسلام في الاعتدال في الأخلاق والسلوك فمن دافع فنتلك غريزة زرعت في داخله، حتى عُدَّ شهيداً اذا مات من اجل ذلك فقال ﷺ: (من مات دون ماله فهو شهيد ومن مات دون ارضه فهو شهيد ومن مات دون عرضه فهو شهيد).

ومن عفى وسامح فذلك الجانب الاخر من الاخلاق التي دعا لها الإسلام وهو خلق العفو والمسامحة .

ولا ينحصر الاعتدال في الجانب الاجتماعي او جانب العبادة وانما يتعدى إلى الاعتراف بالآخر، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

إذاً اسلامنا بدعوته الوسطية هو بعيدٌ كُلُّ البعد عن الحقد والكراهية، فالإسلام يتقبل مجتمعاً فيه المؤمن والكافر، المؤمن والمنافق، الطائع والعاصي، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩).

لذلك لم يكن الجهاد منظومة ظلم وقهر للشعوب بقدر ما هو منظومة دفاع وحفظ لحدود وحقوق الدولة الإسلامية.

فثقافة الاعتدال هي الدافع لأن يدعوا رسول الله ﷺ وهو في مواجهة العدو أصحابه فيقول: لا تقتلوا طفلاً، لا تقتلوا امرأة، لا تقتلوا شيخاً، لا تقطعوا شجرة.

علاقة الوسطية بالشهادة على باقي الامم

(إن وصف الحق سبحانه امة محمد ﷺ بالوسطية تقتضي أن يكون هناك طرفان مسرفان، طرفٌ هنا وطرفٌ هناك ثم يأتي الإسلام ليكون وسطاً مقبولاً بينهما... وسطٌ في الإيمان والعقيدة، ووسطٌ بين الملحدين الذين اسرفوا في المادية واهمال القيم الروحية... وبين من آمنوا بالقيم الروحية وحدها...).

فالإسلام آمن بالمادة المحروسة بقيم السماء، أي يريد من المؤمن ان يعيش مادية الحياة بقيم السماء وليس بالقيم الأرضية.

فالحق سبحانه لا يمنع من البحث في ماديات الكون لرفاهية البشر.. ولكن ما يدخل فيه اهواء البشر سيضع لنا سبحانه قانونه. وهذا هو جوهر الخلاف بيننا وبين الأديان الأخرى^(١).

ثم بيّن سبحانه علة وصف تلك الأمة بالوسطية قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فالعلة لتكونوا شهداء على

(١) ينظر: تفسير الشعراوي: ١/٦٤٤، الشيخ محمد متولي الشعراوي، القاهرة، ط ١، ١٩٩١م.



الناس... وأصل الشهود هو الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر أو البصيرة، ولا يكون ذلك إلا عن علم حصل نتيجة المشاهدة^(١).

ان الأمة الوسط في التصور والإعتقاد وفي التفكير والشعور وفي التنظيم والتنسيق وفي الإرتباطات و العلاقات وفي التوازن بين زمن الطفولة البشرية والرشد العقلي، تلك الأمة الوسط فيما ذكرنا حقاً لها ان تكون شاهدة على الناس لتقيم بينهم العدل وتحدد لهم القيم وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في امرها ... فهي بذلك شهيدة على الناس وفي مقام الحكم العدل بينهم، وبينما تلکم الأمة تشهد على باقي الأمم فان الرسول الكريم يكون شهيداً عليها، يقرر موازينها وقيمها ويحكم على اعمالها وتقاليدها، ويقول فيما يصدر عنها كلمته الأخيرة وبهذا تتحقق حقيقة هذه الامة ووظيفتها وتستعد لتلك الوظيفة استعداداً لائقاً.

ان الأمة التي تبني جسداً تلبست به الروح، وتنتظر في نتاج كل فكر ولا تجدد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة، ولا تدع الحياة كلها للمشاعر والضماير، او للتشريع والتأديب، وبذلك لا تكلمهم إلى سوط السلطان او إلى وحي الوجدان... ولكن مزج بين هذا وذاك. الأمة التي لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته ولا تطلقه فرداً أثراً جسعاً لا هم له إلا ذاته، وانما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو..

مثل تلك الأمة حقاً لها أن تكون شاهدة على بقية الأمم لأنها تجمع المعنيين للوسطية، الحُسن والفضل أو الاعتدال والقصد^(٢).

اما تيه الأمة اليوم فليس لمنهجها الوسطي الذي اختاره الله تعالى لها وانما لتخليها عن ذلك المنهج، فأمست تتخبط ذات اليمين وذات الشمال في ظلمة الإفراط والتفريط.

(١) ينظر: محاسن التأويل: ٣٥٨/١، محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد

الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ١٣٠-١٣١، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٤، ٢٠٠٤م.

**المبحث الثاني: اهم آثار خطاب الاعتدال على الفرد والمجتمع**

إن الشريعة الإسلامية منهجاً إلهياً جاء ليلبي كل شيء في حياة الإنسان ويرسم له العلاقة المثالية بينه وبين ربه وبينه وبين مجتمعه، بالنهاية فإن شريعة السماء هي التي تصنع المجتمع لا العكس...

وان وسطية الإسلام (الصفة الملازمة له) الداعية إلى الموازنة بين الحقوق والواجبات دون إفراط او تفريط تلك الدعوة قطعاً لها أثرها على الفرد والمجتمع، وسأعمد في هذا المبحث على ذكر تلك الآثار ودورها في السلم الإجتماعي وبناء مجتمع آمن ورصين.

المطلب الاول: الرفق بالناس

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

هذا هو شعار الإسلام الذي رفعه للتعامل مع المنتسبين اليه قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨).

فديننا قائم على اليسر دون تكليف الانسان فوق طاقته، يقول تعالى: ﴿هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الحج: ٧٨).. ولم تخرج السنة النبوية عن هذا المفهوم الذي به يسمو المجتمع ويرتقي ويستقر، فرسولنا الكريم وهو يوجه الامة ويسيرها نحو بر الأمان فعن عائشة (رضي الله عنها) انها قالت: ما خير النبي ﷺ بين امرين الا اختار ايسرهما^(١).

وفي ذلك إشارة واضحة إلى ان هذا الدين دين يسر ورفق وسلام، يقول ﷺ: (ان الدين يسر، ولن يشاد الدين احد الا غلبه، فسددوا وقاربوا، وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشي من الدلجة)^(٢).

ومن أروع الأمثلة على الرفق بالناس هي سياسة التدرج في التشريع والتي عُرف بها الإسلام، وذلك فيما يتعلق بالأمر والنهي بعبادة وتقليد او بوضع اجتماعي؛ اما ما يتعلق بالاعتقاد فالإسلام يقضي فيه قضاءً حاسماً منذ اللحظة الأولى.

فكل ما كان يتعلق بالعادة وإلف المجتمع لها فان الإسلام يعالجها بالتدرج و يهئ الظروف الواقعية التي تيسر التنفيذ والطاعة، ومن أروع الأمثلة على ذلك هو التدرج في تحريم

(١) صحيح البخاري: ص ١٢٣٢ برقم (٦٧٨٦)، باب اقامة الحدود، ابي عبد الله الامام محمد بن

اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠١م.

(٢) صحيح البخاري: ص ٢٣ برقم (٣٩) باب الدين يسر.



الخمير، فالخمرة كان قد ألفها المجتمع العربي آنذاك ومن الصعب ان تحرم بأمر واحد، تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): (اول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل اول ما نزل لا تزنا لما تركه احد، ولو نزل اول ما نزل لا تشربوا الخمر لما تركها احد)^(١).

فنزلت الآية الأولى في ذلك: ﴿وَمَنْ ثَمَرَتْ النِّخِيلُ وَالْأَعْنَبُ تَخْذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ (النحل: ٦٧). فوصف الرزق هنا بالحسن وسكت عن السكر.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ٢١٩). فوصف الاثم بالكبير وسكت عن وصف المنافع لقلتها وحصرها بالجانب المادي. ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣). وبذلك قيد الوقت المباح لشرب الخمر وهو ليلا فقط، حتى ان الكثير من الصحابة بدأت انفسهم تحدثهم بالتحريم.

ثم جاء الامر قاطعا: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة: ٩٠)، وبذلك التدرج الجميل في التشريع عالج الإسلام مشكلة اجتماعية كانت قائمة وبذلك يُعد الإسلام المسلم ذهنيا وعقليا ونفسيا لتقبلها.

وهذا هو الأسلوب الأمثل في علاج أي مشكلة اجتماعية او دينية، فلا بد اذا ما اردنا التغيير ان نلجأ إلى تهئية العقول والقلوب لذلك التغيير، واذا ما اردنا التغيير بصورة مباشرة فان ذلك الامر يلقي عدم قبول ونفور من الدين وتعاليمه.

ومن الأمثلة الأخرى على وسطية الإسلام وحمله لِهَم الفرد والمجتمع ان رسول الله ﷺ خرج في عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى اذا بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا بقدر من ماء فرفعه، حتى نظر الناس اليه، ثم شرب، فقبل له بعد ذلك: ان بعض الناس قد صام، فقال: أولئك العصاة، أولئك العصاة^(٢).

وهنا يُربي النبي ﷺ أصحابه على ثقافة الرخصة التي اجازها الله ﷻ للمسافر والمريض ومن أرقه الصيام، وعدَّ إيذاء النفس مقابل ترك الرخصة معصية... انها سماحة الإسلام ومراعاته لقدرة وطاقة النفس البشرية فمن خالفها وآذى نفسه فقد عصى...

(١) صحيح البخاري: ص ٩٤٤ برقم (٤٩٩٣) باب تأليف القرآن، ط ١، ٢٠٠١ م.

(٢) صحيح مسلم: ص ٤٥٥ برقم (٢٦١٠).



إذا دعوة الإسلام جاءت لتجمع لا لتفرق، جاءت لتستقطب لا لتتفر، وما ذلك الاعرابي الذي بال في المسجد فأراد الصحابة تأنيبه ومنعه تعظيماً منهم لبيت الله تعالى، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن يقول لهم: دعوه، وأهريقوا على بوله ذنباً من ماءٍ فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين^(١).

لغة الاقتناع والتحييب هي لغة الإسلام التي بها دخل وانتشر في ربوع أفريقيا وآسيا، ورحمة وعدالة الإسلام هي التي جعلت نصارى إسبانيا يستغيثون بالمسلمين لنصرتهم من أبناء دينهم وجلدتهم؛ ومخطأ كل من يظن أن الإسلام لا يعرف إلا لغة العنف والقهر وإنزال الحدود، ومن أروع الأمثلة التي ضربها لنا رسول الله ﷺ في أن الغاية ليست إيقاع الحد بقدر ما يُراد منه التربية وتركية النفس، هي تلك المرأة الغامدية التي زنت فأُتت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله اني قد زنيْتُ فطهرني، فردها أربع مرات حتى قالت: يا رسول الله لِمَ تَرُدُّني لعلك ان تَرُدُّني كما رددت ماعزا، فوالله اني لحُبلى، فقال لها الحبيب محمد ﷺ: اذهبي حتى تضعي، فلما وضعت أتت به في خرقة، هذا قد ولدته، وهي حريصة على تركية نفسها وتطهيرها والنبي الكريم حريصٌ على ألا يظلمها ويظلم طفلها، فقال: اذهبي فأرضعيه حتى تقطميهِ، فلما قطمته أتت به وفي يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد قطمته، فدفع الصبي إلى رجلٍ من المسلمين ثم امر بها فحُفِرَ لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيُقبَلُ خالدُ بن الوليد بحجرٍ، فرمى رأسها، ففتنَّحَ الدُمُ على وجه خالدٍ، فسبَّها، فسمع نبي الله ﷺ سبَّه إياها، فقال: مهلا يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبةً لو تابها صاحب مكسٍ لَغُفِرَ له^(٢).

فالنبي ﷺ لم يكن حريصاً على إيقاع العقوبة عليها فردها أربع مرات حتى أُصرت على فعلها للعمل، وعندما سبها خالد ﷺ نهاه رسول الله ﷺ فاعمل ليس مدعاة للانقاص والتشهير والإساءة.

(١) صحيح البخاري: ص ٥٧ برقم (٢٢٠)، باب صب الماء على البول في المسجد.

(٢) صحيح مسلم: ص ٧٥٢ برقم (٤٤٣٢)، باب رجم الثيب في الزنى.

المطلب الثاني: تلبية المتطلبات الروحية مع عدم اهمال قوة البدن

الإسلام هو الدين الوحيد الذي يجمع بين روحانية المسيحية ومادية اليهود^(١)، فلم ينكر الجانب الروحي وحاجة الانسان اليه ليرتقي بالعلاقة مع ربه، ولم ينكر متطلبات الجسد، وما جُبِلَ عليه، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧) أي اخلل في نظام الموازنة بين متطلبات الجسم ومتطلبات الروح يؤدي إلى الافساد في الأرض وبالتالي عدم الاستقرار.

فالإسلام يدعو إلى السمو بالروح وتمتين العلاقة بالله تعالى دون اغفال متطلبات الجسد وقدرته على التحمل، ولعل ما حصل لسيدنا معاذ مع قومه وهو يطيل فيهم الصلاة رغبة منه في السمو الروحي، فشكو ذلك للنبي ﷺ فما كان من رسول الله ﷺ الا ان يطلب من سيدنا معاذ ان يخفف عن قومه في الصلاة وان يراعي متطلبات الجسد مع عدم إغفال الجانب الروحي، فقال له: أَفَتَأَنَّ أَنْتَ يَا معاذ، صلي صلاة اضعفهم فإن منهم المريض وذا الحاجة^(٢).

ومثال اخر يبين فيه الإسلام دعوته الوسطية واعتداله في مجال العبادة، فعن انس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبلٌ ممدودٌ بين ساريتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: لزينب (بنت رسول الله) تصلي، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ لا حلوه، ليصلي احدكم نشاطه، فإذا فتر

(١) المسيحية ومنهجها القائم على الروحانيات، وذلك بإعلائها وتمجيدها والاعراق في مفهوم العبادة والرهينة، حيث يقوم منهجها على الغلو والرهينة القاسية على النفس، تحرم الزواج وتكبت الغرائز، وتمنع كل انواع الزينة وطيبات الرزق، بل وتراه رجساً من عمل الشيطان وبالغوا في العبادة، واخرجوها عن كیفيتها والمراد منها، واصبحت رهبانية غالبية مشوهة، قال تعالى: ﴿وَرَهَبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (الحديد: ٢٧).

واليهودية التي بالغت في التفريط والجفاء حتى قدست المادة، فلا تقرأ في اسفار التوراة ذكراً للآخرة، وما ورد فيها من وعدٍ ووعدٍ وإنما متعلق بالدنيا فقط، فلا يعمل الشخص الا لتحقيق كسبٍ عاجل، او خوفاً من عقوبة عاجلة، بل وصلت ماديتهم الى حد معرفة الله تعالى فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: ٥٥).

وفقا لذلك التصور المادي قدس اليهود المحسوسات، حتى اصبحت القيم المادية محور الحياة، فأصبح الانسان عندهم آلة تتحرك ومعدة تهضم وكائن يلهو متمسكين بذلك بالحياة، قال تعالى: ﴿وَلَيَجِدُنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة: ٩٦)، أي حياة. ينظر: الوسطية في القرآن الكريم: ص ٣٦٤، د. علي محمد الصلابي، مكتبة الايمان، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥.

(٢) شرح الامام النووي على صحيح مسلم: ٢٧٦/٣، محي الدين النووي يحيى بن شرف ابي زكريا الدمشقي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، باب القراءة في العشاء، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.



فليقعد^(١). توجيه نبوي نحو الاعتدال والتوسط ومراعاة الجانب الجسدي وما يتحملة، يقول ﷺ: "خذوا من العمل ما تطبقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا"^(٢).

المطلب الثالث: التعايش

التعايش ... من الآثار المهمة المترتبة على لغة الاعتدال والوسطية، يقول رسول الله ﷺ: "لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"^(٣).

ولا يقتصر ذلك الحب والتعايش مع الأخ المسلم، وانما مع الديانات الأخرى، يقول رسول الله ﷺ في خطبة الوداع: "يا أيها الناس، ان ريكم واحد وان اباكم واحد، الا لا فضل لعربي على اعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على اسود ولا لأسود على احمر الا بالتقوى، إن اكرمكم عند الله اتقاكم"^(٤).

ومن أروع الأمثلة على التعايش السلمي ما ذكر في القرآن الكريم من دعوة اهل الكتاب إلى التعايش تحت خيمة إله واحد ورب واحد، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَمْ ؕ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (آل عمران: ٦٤). قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَجَلَ لَّكُمُ ٱلْظَّيْمَتِ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حُلٌّ لَّكُمُ وَطَعَامُكُمْ حُلٌّ لَّهُمُ ٱلْمُحْصَنَتِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَتِ وَٱلْمُحْصَنَتِ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة: ٥).

مثال آخر تتجلى فيه الوسطية والاعتدال في أروع صورها وهي تبيح للمسلم اكل طعام الذين اوتوا الكتاب بل والزواج من نسائهم المحصنات... ذلك ان الجفوة والاعتزال عن اهل الكتاب لا تجدي نفعاً ولا تضيف وداً، فالأكل من طعامهم، والنكاح منهم ومعاشرتهم تُعرفهم

(١) صحيح البخاري: ص ٢١٤ برقم (١١٥٠)، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة.
(٢) صحيح مسلم: ص ٣١٨ برقم (١٨٣١)، ومختصر صحيح البخاري: ص ٣١، باب احب الدين الى الله انومه، احمد بن عبداللطيف الزبيدي (ت ٨٩٣هـ)، تحقيق رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار، القاهرة.

(٣) صحيح البخاري: ص ١٨، برقم (١٣)، كتاب الايمان، باب من الايمان ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(٤) مسند الامام احمد: ١٢/١٧ برقم (٢٣٣٨١)، الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار الحديث، القاهرة.



بحقيقة الإسلام وتزِيل الجفوة التي تحجبهم عن محاسن الإسلام. فمن يريد الارتباط بهم نسباً ينبغي ان يستحضر تلك الحكمة وهي اظهار محاسن الإسلام وسعة ورحمة هذا الدين ويكون قدوة صالحة لامراته الكتابية ولأهلها، فيظهر صلاحاً وخلقاً وحسن معشر وبذلك يتعرفون حقيقة هذا الدين.

يقول سيد قطب في تفسيره الظلال "وهنا نطلع على صفحة من صفحات الساحة الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين، ممن يعيشون في المجتمع الإسلامي (في دار الإسلام)، او تربطهم به روابط الذمة والعهد، من اهل الكتاب.

ان الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية ثم يعتزلهم، فيصبحوا في المجتمع الإسلامي مجفوين معزولين انما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية، والمودة، والمجاملة، والخلطة. فيجعل طعامهم حلاً للمسلمين وطعام المسلمين حلاً لهم كذلك، وبذلك يظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة^(١).

أروع صورة للتعايش السلمي تُمنح للبشرية على اختلاف الأديان لا تجدها في غير الإسلام، فالكاثوليكي المسيحي يتخرج من نكاح الارثوذكسية او البروتستانتية او المارونية ولا يقدم على ذلك الا المحللون من العقيدة (أي عندهم). وكذلك اليهودية يمنعون الزواج من غيرهم. انها سماحة الإسلام وعدالته ووسطيته ونظرته المتساوية لغيره من الملل والأديان.

(١) في ظلال القرآن: ٨٤٨/٢، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٤، ٢٠٠٤م.



الخاتمة

الإسلام لم يأتي ليُلغي الآخر أو لِيُعدِمَهُ ولكن ليحتويه ويعيش معه شريكاً في الإنسانية وإن لم يكن شريكاً في الدين فتلك المدينة المنورة كانت خليطاً من المسلمين واليهود حتى غدر الأخير فكان الجلاء، وتلك ارض العراق والشام ومصر كانت تعج بأصحاب الديانات الأخرى وهم يمارسون حياتهم وتجارتهن بشكل طبيعي مع كامل حقوقهم .

وبعد هذه الرحلة اليسيرة في كتابة هذا البحث المتواضع والذي بينت فيه آثار وسطية الإسلام واعتداله في الخطاب على الفرد والمجتمع، وكيف انه السبيل الوحيد إذا ما التزمنا به للعيش تحت قبة واحدة ومع أصحاب الديانات الأخرى بلا ظلم ولا كراهية...

وهنا سأجمل اهم النتائج التي توصلت اليها من خلال تلك الرحلة المتواضعة:

١. أن الوسطية من سنن الإسلام التي دعا لها سواء في الماديات او الروحيات والتي تدعوا إلى الموازنة بين الحقوق والواجبات دون افراطٍ او تقريط.

٢. إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يجمع بين روحانية المسيحية ومادية اليهود، فلم يُنكر الجانب الروحي مقابل متطلبات الجسد.

٣. إن الإسلام لم يحتقر الديانات الأخرى ولكن وضع لذلك الضوابط التي تحكم العلاقة معهم.

٤. إن ما تعيشه الأمة اليوم من مآسي وآلم سببه التخلي عن منهج الاعتدال الذي جاء به الإسلام والفهم الخاطئ للكثير من النصوص الشرعية سواء في مجال العقيدة او العبادات او السلوك.

٥. إن الشريعة الإسلامية منهجاً إلهياً جاء ليُلبي كل شيء في حياة الإنسان ويرسم له العلاقة المثالية بينه وبين ربه وبينه وبين مجتمعه، فالشريعة الحق المبنية على الفهم هي التي تصنع المجتمع المسلم لا العكس.

٦. إن هذا الدين يُسر ولن يُشاد الدين أحدٌ الا غلبه، وأن الإسلام جاء بثقافة الإصلاح لا إنزال العقاب.



٧. إن لغة الإقناع والتحبيب هي لغة الإسلام التي بها دخل إلى افريقيا واسيا ومعظم البلاد الإسلامية.

٨. إن الإفراط والتفريط يؤثر سلباً على السلم الإجتماعي وصفاء سريرة الشعوب.

٩. التعايش من الآثار المهمة المترتبة على لغة الاعتدال والوسطية، ولا فرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم ؛ فالإسلام يدعو إلى التعايش المبني على أساس الإنسانية وحق العيش لكل البشر.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في إعطاء البحث حقه وان يُبارك في تلك الصفحات وان تكون رصيد حسنات لي يوم القاه انه ولي ذلك والقادر عليه .



المصادر

- القرآن الكريم.

١. تفسير الشعراوي: الشيخ محمد متولي الشعراوي، القاهرة، ط ١، ١٩٩١م.
٢. تفسير في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٤، ٢٠٠٤م.
٣. شرح الامام النووي على صحيح مسلم: محي الدين النووي يحيى بن شرف ابي زكريا الدمشقي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.
٤. صحيح البخاري: الامام ابي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. صحيح مسلم: الامام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار السلام، الرياض، ط ٢، ٢٠٠٠م.
٦. كشف اصطلاحات الفنون: العلامة محمد بن علي بن علي بن محمد التهانوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
٧. لسان العرب: العلامة ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٨. محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
٩. مختصر صحيح البخاري: احمد بن عبداللطيف الزبيدي (ت ٨٩٣هـ)، تحقيق رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار، القاهرة.
١٠. مسند الامام احمد: الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار الحديث، القاهرة.
١١. المعجم الأوسط: سليمان بن احمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة.
١٢. المفردات في غريب القرآن: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ٢٠٠١م.



١٣. مقارنة الأديان: احمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.
١٤. موسوعة الألفاظ القرآنية: مختار فوزي النعال، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.
١٥. الوسطية في القرآن الكريم: د.علي محمد الصلابي، مكتبة الايمان، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.





وسْطِيَّةُ الْإِسْلَامِ

وأهميتها في الدعوة الإسلامية

سهيل بن عبد الله الفيضي
الهند

حرم الوافي الجامعي

mkskodassery@gmail.com

ISSN: 2071-6028





هدف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى توضيح وسطية الإسلام في مختلف المجالات عامة، وفي مجال الدعوة خاصة، حيث يواجه الإسلام تحديات عديدة من أعداء الإسلام والجهال عنه، بما يقولون عنه إنه دين التشدد والتطرف والإكراه لا اعتناقه. منهجية الدراسة: يعتمد هذا البحث على منهج التحليل النظري، فسردي بيانات البحث هو بتحليل النصوص من الكتب المعتمد عليها والاكتشاف منها. النتائج المرجوة من البحث: أرجو بإتمام هذه الدراسة إزالة المشكلات والظنون عن وسطية الإسلام في الأمور سيما في الدعوة والتعايش مع الآخرين، بالتوضيح عن وسطية الدين الإسلامي، ومنهج الإسلام في الدعوة إليه. الخاتمة والتوصيات: أعتقد بأن هذه الدراسة تكون مفيدة لإبراز قيم الوسطية، والاتجاهات الإسلامية حول الوسطية. وينبغي أن تكون نطاق الوسطية واسعة من أجل السلام العالمي، وإليها بعض التوصيات: ١. تعميم منطق الحوار بين الحضارات والأديان والاتجاهات. ٢. تشجيع المؤتمرات والشورى عن هذا الموضوع بما فيها غير المسلمين أيضاً. ٣. توظيف الفن والتعليم بما يبرز قيم الوسطية. ٤. توفير الترجمات للكتب العربية التي حول الوسطية إلى لغات أخرى.

الكلمات المفتاحية: وسطية ، أهمية ، دعوة

The Significance of Islamic Moderation in the Dissemination of Islamic Doctrine
Dr. Suhail Abdullah Al-Fadhy

Abstract: The study discusses the significance of Islamic moderation in various domains, particularly in the dissemination of the Islamic doctrines to confront claims of opponents using clear cut evidences from the Holy Quran and Prophet Traditions as well as books of interpretation. The study aims at clarifying the moderation of Islam in the domain of preaching whereby Islam confronts opponents' accusations as being a religion of extremity and coercion. To achieve this objective, the study adopts the theoretical analytical approach by analyzing data collected from outstanding references to arrive at plausible justifications. It is hoped that by conducting this study, problems and doubts concerning the moderation of Islam will be removed, particularly when it comes to preaching and coexistence. The significance of this study stems from its attempts to highlight the values of moderation and Islamic trends concerning moderation. The scope of moderation must be wide enough to achieve world peace. Based on the findings of the study, the following recommendations can be highlighted; - Enhancing dialogue among civilizations, religions and trends. - Holding conferences and consultations on moderation. - Arts and educational institutions should be employed to highlight the values of moderation. - Translating books in Arabic that focus on moderation to other languages.

Keywords: medium, importance, call



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي وفقنا لهذا، والصلاة والسلام على من أرسل إلى كافة الخلق بشيرا ونذيرا، وعلى آله وصحبه الفائزين بجهدهم لاتباعهم له أجمعين... وبعد:

فما يتفق فيه الجميع أن الانسان حيوان اجتماعي، فلا يمكن لأحد أن يعيش وحيدا في العالم، بدون اعتماد إلى الآخرين بوجه ما. فالانسان يعيش في الأرض اجتماعيا ولو كانت دياناتهم مختلفة وعقائدهم متلونة. فلا يظلم بعضهم بعضا، ولا يظهر بعضهم عداوة بعضهم، لأجل أن تكون الحياة مستقرة وهادئة في العالم، وأن يتفق الأفراد معا، في الشؤون العامة والأمور الاجتماعية، حتى يكون جميع أفراد المجتمع تحت مظلة السلامة، مع اختلاف أديانهم وعقائدهم. فدور التعايش السلمي بين هذه الأديان العديدة بالتعاون بين الأشخاص بغض النظر عن الديانة الخاصة بهم مهم لا يستغني عنه أحد من الناس.

إن المجتمع يتكون من الأفراد بما فيهم أهل أديان مختلفة وملل متنوعة، فلا يمكن عيشهم بالسلامة والتعاقد والتعاطف إلا بوسطيتهم في التعامل مع الأديان العديدة، واعتدالهم في خطاب جميعهم مع الآخرين. لكن في العصر الراهن يتعرض الإسلام وأهله لتحديات خطيرة، واتهامات شديدة، ولا نريد هنا إرخاء السدول عن حقيقة ما يتهم به بعض أعداء الإسلام. على أي حال يجدر القيام هنا باكتشاف أساس الإسلام ومناهجه في التعامل مع الآخرين من غير المسلمين في العالم، وتوضيحها بالنصوص الواردة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتاريخ الإسلامية، كما يجدر القيام على مضامين وسطية الإسلامية ودورها في الدعوة الإسلامية حيث يواجه الإسلام تحديات عديدة حول التشددية والإكراه وغيرها مما يجعل الناس خائفين من الاقتراب منه والسماع عنه.

المبحث الأول: وسطية الإسلام

المطلب الأول: مفهوم الوسطية وأهدافها

الوسطية اسم مؤنث منسوب إلى "وسط" ^(١)، ووسط الشيء ما بين طرفيه ^(٢)، فالوسط: اسم لما بين طرفي الشيء، وهو المعتدل، أو ما بين الجيد والردئ كما جاء في الصحاح للجوهري، وأوسط الشيء: أفضله وخياره وأعدله ^(٣).
فمعنى الوسط العدل ثابت عن النبي ﷺ، فقد روى الإمام أحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ فسر الوسط بالعدل ^(٤).

(١) معجم اللغة العربية المعاصر، مادة "وسط".

(٢) معجم لسان العرب، مادة "وسط".

(٣) القاموس، مادة "وسط".

(٤) صحيح البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان: ٥٨٥ برقم (٣٣٣٩).



ويفهم من هذا أن أوسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى فإنه خير من طرفيها، وكوسط الدابة للركوب فإنه خير من طرفيها ليتمكن للراكب من الركوب سهلاً. فالوسطية نعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرده الطرف المقابل وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغي على مقابله ويحيف عليه. فالتوازن والتوسط ظاهرة في الكون كله، ننظر في هذا العالم من حولنا فنجد الليل والنهار والظلام والنور والحرارة والبرودة والماء واليابس كلها بقدر وميزان وحساب لا يطغى عليه شيء منها على مقابله ولا يخرج عن حده. فالهدف بهذه الوسطية والتوازن بين الطرفين أعظم، لأن قوام الكون مستمد عليها حيث إذا وقع فيها أي خلل لما يقع الكون مستقيمة، كما إذا استمرت الحرارة دون برد أو بالعكس لما استطاع العيش في العالم هادئاً ساكناً. فأهمية الوسطية مما لا حد له ولا مثيل في العالم.

المطلب الثاني: وسطية الإسلام ومجالاتها

يمكن تعريف الإسلام بتعاريف كثيرة منها "هو الخضوع والاستسلام ولانقياد لله رب العالمين، ويشترط فيه أن يكون اختيارياً لا قسرياً لأن الخضوع القسري لله رب العالمين أي لسننه الكونية أمر عام بالنسبة لجميع المخلوقات ولا ثواب فيه ولا عقاب^(١)، قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٢). والوسطية تُعرف بشكل عام بأنها نقطة تتوسط وتفصل بين التشدد والانحلال، وتعتبر الوسطية الإسلامية بأنها موقف أخلاقي ومنهج فكري وسلوكي ينتهجه الإسلام، بقمع التشدد في الخطاب وفي غيرها من التعامل بالآخرين. إن الوسطية سمة من سمات الإسلام، منهج الأمة المسلمة الذي سلم من الإفراط والتفريط، وقد جاءت في القرآن والأحاديث النبوية دلائل كثيرة لها. فمنهج الإسلام في كل مجالاتها من العبادات والتشريع والأحكام والأخلاق.

ومن الآيات الكريمة التي تشير إلى وسطية الإسلام في العقيدة قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣). نجد في هذه الآية التحذير عن مجاوزة الحد في الدين، ومن ذلك أمر عيسى عليه السلام، فهني سبحانه

(١) أصول الدعوة، الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،

ط ٩: ص ٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٣.

(٣) سورة النساء، الآية ١٧١.



عن حطه عن منزلته أو رفعه فوق قدره. وهذا وسطية الإسلام في الاعتقاد، وهكذا نرى في جميع جوانب الحياة الإسلامية وسطية.

والعبادات الإسلامية كلها يتوسط التكليف بمعناه العام فلا مشقة فيه ولا هوان في أمره، فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محمودة في اليوم كالصلاة أو في السنة كاصوم، ليظل دائما موصولا بالله غير مقطوع عن رضاه ثم يطلقه بعد ذلك ساعيا منتجا يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله، وإليه تشير آية القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١). فاجتمع في العبادات عظمة التكليف في قيمته ويسره في أدائه. وإليه يشير قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٢).

فمن وسطية الإسلام في الخطاب أن ليس فيه إكراه مع أحد من الخلق لاعتقاده، ولكن منهج الإسلام هو مجرد التذكير والتنبية، حيث قال الله جل شأنه في محكم تنزيله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣). وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد الجرجسي عن زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: الحصيني كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي ﷺ: ألا أستكرهما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك^(٤). فهذا موقف الإسلام في الخطاب مع الآخرين من غير المسلمين.

وقد بين الله تعالى وسطية الإسلام والمسلمين في أمورهم بأي أخرى، حيث إنه تعالى وصف المسلمين أمة وسطا، يقول ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥). أوضح الطبري هذا التشبيه بقوله: كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه السلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقلبة إبراهيم وملته،

(١) سورة الجمعة، الآيتان ٩-١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م: ٢٠/٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٤٣.



وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطاً. والوسط في كلام العرب: الخيار. ثم قال: وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، ووصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم (قولهم) في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم - أي المسلمين - أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها^(١). فهذه الآية تدل على أن الإسلام دين الوسطية في الأعمال والأقوال والمحبة والبغض وما يتصل بها من جميع نواحي الحياة. وقد قال النبي ﷺ: "خير الأمور أوسطها"^(٢).

فالمبالغة في الأمور والإسراف فيها، مما يصعب به القيام بالعدل والسلامة في العالم بالتوازن الاجتماعي. فالإسلام دين الوسطية يدعو إلى إقامة العدل والتعامل بالقسط، حتى مع غير المسلمين، ويقف موقف الوسط في تعاليمه وتشريعاته، سواء في الميدان الاجتماعي أو الميدان الاقتصادي، وفي ممارسة العبادات، وفي ميدان المعاملات، فالمسلم انسان متوازن معتدل في معتقده وسلوكه. وقد جاءت آيات كثيرة أخرى لتُظهر مناهج الدين الواسعة ووسطيته القيمة في حياة المجتمع بالتعايش السلمي، بين المجتمع والقيام بالمساوات والعدل بين الناس، على الرغم من أنهم ينتمون إلى أديان مختلفة، حتى تكون الحياة مستقرة هادئة تحت مظلة الانسانية والسلام. فلا يمكن القيام بالعدل في الدنيا إلا بالوسطية والاعتدال في التعامل مع الآخرين في المجتمع. لأن المناهج التشددية معارضة للعدل والفكر الواسع، فلا يكون العدل مع وجود التطرف والتشدد في المجتمع، والإسلام قد حذر عن هدم القيام بالعدل باسم اختلاف الديانات والجنسيات وما إلى ذلك، من التعدديات الموجودة بين الناس.

ومن وسطية الإسلام في التشريع ضرورة المساوات في التشريع، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(٣)، إن النبي ﷺ علّمنا حدود الوسطية وسلوكها بمعاملاته الشامخة مع الآخرين من اليهود والنصارى وغيرهم. وكان يقوم بالعدل والمساوات في الأحكام والتعامل، حيث أمر الله جل شأنه أن يقوم الجميع بالعدل رغم اختلاف الأفراد في عقائد وأخلاق واختلافات متنوعة أخرى، يقول سبحانه في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ الْقَوْمِ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ«تفسير الطبري»: ١١/٢.

(٢) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية، بمبائي بالهند، ط ١: ٢٦١/٥.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٦.



أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^(١)، وهذه الساحة والوسطية التي ساعدت في انتشار الإسلام، عبر العالم طول الزمان منذ بداية هذا الدين القويم، فالوسطية هي سمة من سمات الإسلام، يمكن به لكافة الناس القيام بالعدل والمساوات في المجتمع دون النظر إلى ديانات الأفراد وعقائدهم.

وكان النبي ﷺ مثالا لهذا الاعتدال والوسطية في كلامه وحركاته وسكناته كلها، حيث قال: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يَشَادَ هَذَا الدِّينَ إِلَّا غَلْبُهُ"^(٢). وهذا يشير إلى الاقتصاد في الطاعة، يعني أن هذه الشريعة لم يضع الله ﷻ فيها على هذه الأمة الأصار والأغلال، التي كانت على من قبلنا، وإنما جاءت الشريعة سهلة ميسرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣)، والنبي ﷺ يقول: "بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ"^(٤)، وذلك أن الله تبارك وتعالى لم يكلفنا فيها ما لا نطيق، كما جاء في التنزيل: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٥).

فبالجملة، إن هذه الشريعة لا يوجد فيها تكليف واحد يخرج عن طوق المكلفين وقدرتهم، بحيث لا يتمكنون منه، أو أنهم يتعرضون بها لمشقة باهظة عظيمة، ومن أبلغ الأمثلة لتوسطية الإسلام في العبادات، نهى النبي محمد ﷺ أصحابه عن الغلو والمبالاة في العبادة، لئلا تصل إلى مشقة بالغة ومضرة باهرة، حيث قال لأصحابه الذين أرادوا حرمان أنفسهم، من طيبات الدنيا ظناً منهم أن ذلك يقربهم من الله: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني^(٦). وهكذا بين ﷺ منهج الإسلام في العبادة القائم على كمال الوسطية، فعندما أراد سعد بن أبي وقاص ﷺ أن يوصي بماله كله أو نصفه، أجاز له ﷺ أن يوصي بثلث ماله، وقال له: "الثلث والثلث كثير"^(٧). وقد حدد الإسلام لكل شيء حدودا وضوابط، حتى في المحبة والبغض، مع أن الإسلام دين الأخوة والمحبة. وإلى هذا قول النبي ﷺ: "أحب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما"^(٨).

(١) سورة المائدة، الآية ٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ص ٢.

(٣) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر: ص ٢.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح: ص ٩٣٢.

(٧) صحيح المسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن حجاج القرشي النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، مكتبة عباد الرحمن، مصر، ط ٢، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث: ص ٥٥٤.

(٨) سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض: ٦٢٢/١.



فالوسطية في الخطاب عنصر من أهم عناصر الخطاب السلمي، حتى لا يشعر في ذهن المخاطب عداوة ولا نفرة على المتكلم. وهذه الوسطية هي التي ساعدت في نشر الإسلام في العالم. ومن المفهوم أن العصبية والتشددية تنبعث من عدم هذه الوسطية والاعتدال، لا سيما في الخطاب فلا تستقر الحياة في العالم هادئة ساكنة.

المطلب الثالث: وسطية النبي ﷺ في تعامله مع كفار مكة

ومن أساس الوسطية في الخطاب والتعامل مع الآخرين التعايش السلمي، ولقد أبلغت نصوص القرآن ومواقف السيرة النبوية بما يدل على أن الإسلام يُؤثّر دائماً السلام، وكان رسول الله ﷺ يبحث عن الطرق السلمية والوسطية في جميع الأحوال، للتعامل مع المخالفين له من المسلمين وغير المسلمين والتعايش بهم، ويحرص على تجنب الحرب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. فلا شك في أن الوسطية هي عنصر هام للسلام بين الناس، لا سيما بين الأديان المختلفة. وأهم آثار النبي ﷺ في التعايش مع كفار مكة ما يلي:

• الدعاء لهم بالهداية:

ومن دلائل وسطية النبي ﷺ وسماحته، أن كان يدعو لهم بالهداية، ولم يلتفت إليهم بالإكراه ولا بشدة. فكان ﷺ يخصّ بدعائه كل المشركين، بل ومن عاداه كل العداء، كأبي جهل وعمر بن الخطاب قبل إسلامه، وكانا من ألدّ وأشهر وأقوى أعداء الإسلام والمسلمين. فكان النبي ﷺ يدعو لهما حيث قال: "اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ"^(١). ولا يستطيع لأحد أن يسره هداية الآخرين، إلا بركة قلبه وعطفه، وهما تنبعث من منهج الاعتدال.

• مشاركته في المعاهدات مع الكفار:

كان النبي ﷺ يشارك في المعاهدات والمعاملات مع الآخرين، من غير المسلمين، كما كان مع المسلمين. وقد عقد رسول الله ﷺ عدّة معاهدات مع المشركين؛ سواء منهم من كان حول المدينة أو في مكة ذاتها. ومن أهم تلك المعاهدات حلف الفضول، هو أحد الأحلاف الجاهلية الأربعة التي شهدتها قريش، وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضول فتّم في دار عبد الله بن جدعان التميمي أحد رؤساء قريش، وكان المتحالفون بني هاشم، وبني المطلب ابني عبد مناف، وبني أسد بن عبد العزى، وبني زهرة بن كلاب، وبني تيم بن مرة تحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، حتى تردّ إليه مظلمته، وقد حضر هذا الحلف رسول الله ﷺ مع أعمامه، وقال بعد أن شرّفه الله بالرسالة: "لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب: ص ١٠٩٠.



دعيت به في الإسلام لأجبت^(١). وهذا من نموذج لحضور النبي ﷺ في المعاهدات مع الكفار على أنه ﷺ من يعيش معهم في المجتمع، فلا ينبغي لأعضاء المجتمع أن تكون مستقلة عن الآخرين باسم الأديان والعقائد.

● الخطاب بالتبشير:

كانت حياة رسول الله من أقوال وأفعال مبنية على التبشير، ولم يكن يخرج عن هذا الطبع على الرغم من قسوة المشركين عليه؛ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدَّيْلِيِّ وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَقْلِحُوا"، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَقْلِحُوا" وَإِلَّا أَنْ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِيٌّ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَذْكُرُ النَّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا! قَالَ: لَا وَاللَّهِ إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقَلُ^(٢).

ولم يخرج رسول الله ﷺ عن أدبه وتوسطيته، في المعاملة والخطاب حتى مع السفاهة الواضحة لأبي لهب، وظلَّ على منهج التبشير يدعو الناس إلى الفلاح والنجاة، بل إنه كان يُبَشِّرُهُمْ بِمُلْكِ الدُّنْيَا قَبْلَ نَعِيمِ الْآخِرَةِ إِنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَلَمْ يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَبُو طَالِبٍ فَجَاعَتَهُ قَرِيشٌ وَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كِي يَمْنَعُهُ، وَشَكَّاهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ ﷺ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمَ الْجَزِيَّةَ^(٣) (ما يؤخذ من أهل الذمة من خراج^(٤)). قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟! قَالَ: "كَلِمَةً وَاحِدَةً". قَالَ: "يَا عَمَّ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ". فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا؟! مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ، إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ، قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِمْ آيَاتُ مِنْ سُورَةِ ص: ﴿لِئَلَّا وَقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾^(٥).

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري بك (ت ١٣٤٥هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان: ص ٢٢. والبداية والنهاية، الإمام الحافظ المؤرخ أبو الفداء إسماعيل بن كثير

(ت ٧٧٤هـ)، طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ٢٠١٥ م: ٨٣/٣.

(٢) صحيح السيرة النبوية، الشيخ إبراهيم العلي، دار النفائس للنشر والتوزيع، العبدلي، مقابل عمارة جوهرة القدس، عمان، الأردن، ط١: ص ٦٦.

(٣) معجم المعاني، مادة "الجزية".

(٤) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص: ص ٩٦٤.



كان هذا هو الأسلوب النبوي في التعامل مع المشركين في هذه المرحلة الصعبة من تاريخ الدعوة، ولم يخرج رسول الله ﷺ أبداً عن أدبه ودماثة خلقه، ولم يُغلق قضية من القضايا دون حوار، ولم يضع خطوطاً حمراء لاستفسارات المشركين، إنما كان يصول ويجول هنا وهناك، في منتهى الأدب والتواضع، داعياً إلى الله ورسوله محمد ﷺ.

• حوار هـ مع المشركين:

لقد كانت الوسيلة الأولى التي اعتمدها رسول الله ﷺ في مقاومته لوسائل الكافرين المتعددة في حربه، هي وسيلة "الحوار"؛ فقد كان رسول الله ﷺ يعلم أن حجة الله بالغة، وأن المكذّبين لا يمتلكون دليلاً قوياً على أباطيلهم؛ ومن ثمّ فميدان المناظرة والمحاورة هو ميدان عظيم للمؤمنين، وخسارة المشركين فيه مؤكدة، خاصةً إذا كان الحوار هادئاً غير متعصب، رقيقاً غير متشدد، يخاطب العقول حيئاً، ويخاطب القلوب حيئاً آخر؛ ولهذا كان الحوار هو المنهج الأساسي في الدعوة إلى الإسلام، على الرغم من التعتن الكافر، والسخرية المستمرة.

ويمكن أن نرى صورة من صور ذلك الحوار الذي كان يدور بين الرسول ﷺ وبين مشركي مكة بما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾^(١). إذ يحاور الرسول ﷺ المشركين، مُبلِّغاً عن رب العالمين، أنه لو فرض أن الله ﷻ ولداً على الحقيقة كما تزعمون، لعبدته سبحانه على ذلك؛ لأنني عبدٌ من عبيده، مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته؛ ولكن هذا ممتع في حقه تعالى^(٢). فلم يكن الرسول ﷺ يعيش في المجتمع، بعيداً عن الناس بل كان يخالطهم ويعاملهم ويحاورهم في طريقة وسطية، مع أنه متيقن بالحق والهدى من الله، بل كان يقوم بالحوار مع الآخرين من غير المسلمين، امتثالاً للمنهج القرآني الذي ورد في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ادْعَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٣).

• صبر رسول الله ﷺ:

وكان النبي ﷺ أشد الناس صبراً على إيذاء العدوان له، كما كان صابراً على ابتلاء الله ﷻ، ولم يتعامل مع أحد من الناس تعدياً على وسطية الإسلام في مواجهة المشكلات والإيذاء. فقام ﷺ يصبر على ما واجهه من القريش في مكة من الإيذاء والأوجاع. فعن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن

(١) سورة الزخرف، الآية ٨١.

(٢) تفسير ابن كثير، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: ١٣٧/٤.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥.



أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ^(١). وهكذا نرى كثيراً من الأوجاع والتهمات التي أصابته ﷺ، فكان موقفه الأعلى الوسطية والصبر والرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى، ولو كانت معاملاته -فرضاً- مع الكفار وغيرهم ممن كان يعرض عليه أنواع من العذاب والتهمات وهو في البراء عن جميعها، بالمعاقبة والانتقام بمنهج الثأر بأكثر مما أصابه من العذاب، لَمَا كَانَ استقرار الدين الحنيف في العالم، لأن معاملاته كلها مع الآخرين هي التي قَلَّبَتْ قُلُوبَ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وجعلتهم ممن أسلموا لله جل شأنه. وإلى هذا يشير قول ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتُ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِي﴾^(٢)، ولكن الله ﷻ جعله صاحب المناقب المحمودة الشامخة، التي تناسب لمن يتحمل رسالة الله العظيمة، حيث قال في محكم تنزيله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

وهكذا كان قيامه ﷺ في جميع أحوال الشدة والمصيبة، ولم ينفِرْ أَحَدًا مِنْ عَاقِبِيهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ، ولم يعامل معهم بالشدة والكراهية قط، تحدياً حدود الوسطية الإسلامية، بل قام على المحافظة بالاعتدال في الخطاب والمعاملات الأخرى.

وكما اشتدَّ الأذى على رسول الله ﷺ بعد موت عمِّه أبي طالب وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً. فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكي، ورسول الله ﷺ يقول: "لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك"^(٤). ورغم هذا الإيذاء الذي سقنا طرفاً منه إلا أن النبي ﷺ لم يمنع التعامل معهم، بل ظلَّ على حُسْنِ المعاملة من بيع وشراء. ومن فرط رحمته وحرصه عليهم لم يدعُ الله عليهم بالهلاك، هكذا كان تعامل النبي ﷺ مع مشركي قريش تعاملًا قائمًا على الرحمة والشفقة، ودليلاً أكيداً على نبوته.

(١) صحيح البخاري: ص ٦٤٥

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) سورة القلم، الآية ٤.

(٤) البداية والنهاية، ص ٣٦١.



المطلب الرابع: وسطية النبي ﷺ في تعامله مع غير المسلمين في المدينة

ولقد حاول الرسول ﷺ أن يعيش هو والمسلمون في المدينة أيضا بعد الهجرة إليها، في جو هادئ مع من يجاورونهم من اليهود والنصارى والمنافقين، ولم يسعَ عليهم بالقتال قط، بل كان دائما مؤثرا السلم على الحرب، والوفاق على الشقاق. ولم يكن النبي ﷺ متشددا ولا مفرطا في تعامله معهم ولم يكره أحدا لاعتناق الإسلام رغم أنه والمسلمون كانوا قادرين عليهم، بل جعل ﷺ في المدينة جوا مناسبا للتعايش بين المسلمين وغيرهم من اليهود والنصارى، حتى لقد كتب رسول الله ﷺ وثيقة سياسية اجتماعية، كانت في مثابة الدستور الذي سار عليه أهل المدينة، وثيقة قائمة على العدالة. كانت تلك الوثيقة على أربعة محاور:

- التعايش السلمي بين الجميع، وتوفير الأمن للجميع.
- المحافظة على الحرية الدينية للجميع.
- إعطاء الفرصة للجميع في المشاركة الاجتماعية والسياسية والعسكرية بصورة عادلة.
- إقرار مبدأ المسؤولية الفردية، وأصل هذه المسؤولية هو الإعلان عن النظام، وأخذ الموافقة عليه^(١).

فكان المعاهدون من اليهود والنصارى آمنين في حكومة الإسلام في المدينة، حتى قد حذر الرسول ﷺ عن قتلهم تحذيرا شديدا، يقول ﷺ: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما"^(٢). قال أيضا: "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيبي يوم القيمة"^(٣). وكان ﷺ أيضا يعود مرضى اليهود والنصارى، فقد روي أن غلاما يهوديا كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأناؤه النبي ﷺ يعود فقع عند رأسه فقال له: أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار"^(٤). فعيادته ﷺ رغم اختلاف دين غلامه اليهودي من دينه ﷺ علّم من أعلام الدين المعتدل، ومنهج من مناهج الإسلام المتوسط، هذا هو المنهج النبوي الساطع بالتعامل مع الآخرين. فالوسطية في الخطاب والتعاملات الأخرى لها دور عظيم في الدعوة، لأن السلوكيات التي استندت بالوسطية هي الوسيلة الفذة للدعوة الصحيحة إلى الدين القويم، فانتشار الإسلام في العالم كان على هذه الوسيلة المعتدلة.

(١) قال الإمام المبادئ العظمى، الإمام العلامة نور الدين علي جمعة، الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠١٠م: ص ٢٦٦.

(٢) صحيح البخاري: ص ٥٥٧.

(٣) سنن أبي داود، مكتبة تهانوي، ديوتند، أوتر براديش، الهند: ص ٤٣٣.

(٤) صحيح البخاري: ص ٢٣٥.



المبحث الثاني: دور الوساطية في الدعوة الإسلامية

المطلب الأول: مفهوم الدعوة وأهميتها

الدعوة مصدر "دعا"، ومعنى "دعا إلى الأمر": حثٌّ على اعتقاده، نادى به^(١). وإن الله خلق الخلق، وأسبغ عليهم النعم، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض؛ كل ذلك ليقوموا بعبادته سبحانه وتوحيده؛ ولذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ ليبينوا للناس كيف يعبدون ربهم، وكيف يوحدونه، وليبينوا لهم المنهج الذي شرعه الله تعالى لعباده: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٢)، والدعوة إلى الله تعالى يُقصد بها الدعوة إلى دينه، إلى الإسلام ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾^(٣).

فالدعوة إلى الله ﷻ هي وظيفة الرسل والأنبياء، وهي من أعظم الأعمال التي يؤديها المسلم في دنياه، ويحتسبها لأخراه. أمر الله سبحانه وتعالى لأنبياء المرسلين أن يقوموا في الأرض، بتبليغ الدين والدعوة إليه، حيث يقول تعالى لمحمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَمَا بَلَّغْتُمْ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكُم مِّنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٤). فالدعوة الإسلامية لها أهمية كبيرة وشأن عظيم، فهي مهمة العلماء بعد الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء كما مر. ويجدر هنا بعض النقاط التي بها تظهر أهمية الدعوة إلى الله:

- إن الله تعالى تولاهما بنفسه؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥).
- إنها وظيفة الأنبياء والمرسلين؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٦).
- أمر النبي ﷺ أمته بالدعوة إلى الله ﷻ، حسب استطاعتهم وقدرتهم، بقوله ﷺ: "بَلِّغُوا عني ولو آية"^(٧).

(١) معجم المعاني، مادة "دعا".

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٥.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٥) سورة يونس، الآية ٢٥.

(٦) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٧) صحيح البخاري: ص ٦١٢.



- نالت هذه الأمة بالدعوة إلى الله الخيرية، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ﴾^(١).
- الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الأعمال التي يحبها الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).
- الدعوة سبب لعظيم الأجر والثواب، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور مَنْ تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، وَمَنْ دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام مَنْ تبعه، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً"^(٣).

المطلب الثاني: أساليب الدعوة

إن أساليب الدعوة إلى الله متنوعة ومختلفة، وقد أوضح الله تعالى منهاج الدعوة السليم في القرآن الكريم في عدة مواضع، ومثل الرسول ﷺ تلك الأساليب بحبائه الدعوية بأحسن تمثيل، حيث كان قدوة حسنة لصحابته الذين ساروا على نهجه، بعده في القيام بالدعوة الإسلامية، ولكن اليوم تواجه الدعوة الإسلامية تحديات كبيرة، لما يعدلون الكثيرون من الداعية عن أساليب الدعوة الإسلامية التي انتهجها السلف الصالح، وينسون أن الإسلام دين الوسطية. وعلى أي حال إن أساليب الدعوة الهامة التي جاء في القرآن الكريم نرى في قوله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٤).

نتعرف من هذه إلى ثلاثة أساليب للدعوة:

أسلوب الحكم وأسلوب الموعظة الحسنة وأسلوب المجادلة. فأسلوب الحكمة هو أسلوب يقوم على السداد في القول والعمل، واستخدام الطريقة والكلمات المثلّية مع المدعويين، واختيار ما يناسبه مع تحكيم عقل الداعي. ومصادر تعلم هذا الأسلوب قراءة القرآن والسنة، ومجالسة الحكماء والافتداء بهم. ومن مظاهر هذا الأسلوب أن يلتزم الداعي بتقديم الأهم على المهم، كأن يقدم العقائد والمسلمات على غيرها من العبادات والأخلاق ولا يتشدد في ذلك منفراً للناس. ومنها أيضاً:

- (١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.
- (٢) سورة فصلت، الآية ٣٣.
- (٣) صحيح مسلم، ص ٧٥٤.
- (٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.



• التدرُّج في الدعوة والصبرُ على ما أصاب من الناس من الردود والاستهزاء وما إلى ذلك.

- الموازنة بين أسلوب الدعوة ومستويات الناس وأعمارهم.
- الاهتمام بأخلاق الداعي ليكون مرغوباً ومسموعاً بين الناس.
- استخدام الوسائل التي تساعد على نشر دعوته وفقاً بما يتواءم مع الجيل الذي يخاطبه والعصر والبلد الذي يعيش فيه.
- دراسة الموقف بشكل تام لمعرفة الحالة واختيار الطريقة المناسبة للدعوة، فقد يصلح أسلوب لحالة من الأحوال ولكنه قد لا يصلح لغيره.

وأما الموعظة الحسنة في المنهج الدعوي فهي مثل النصيحة والتذكير بالعواقب. ولها أشكال مختلفة منها القول المباشر بأسلوب لطيف ولين، والتعريض، وأسلوب التذكير بنعم الله، وأسلوب الترغيب والترهيب، واستخدام المدح والذم، وأسلوب القصة الهادفة. وقد جعله الله أمراً في القرآن ومنهجاً للدعوة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١)، وعمد جميع الأنبياء على استخدام هذا الأسلوب في دعوتهم فكانوا خير قدوة في ذلك. ولكن هذا الأسلوب ليس بمجادلة ينبعث بها بين الداعي والمدعوين مخاصمة سلبية، ولكن ينبغي أن تكون هذا الجدل حواراً إيجابياً مستنداً على الوسطية، حتى لا تكون نتيجته عداوة وكراهية بينهم.

فلا بد أن يكون الخطاب الإسلامي يراعي التوازن بين العقل والوحي، وبين المادة والروح، وبين الحقوق والواجبات، ويراعي جميع جوانب الحياة؛ دون إفراط أو تفريط، ودون غلو أو تشدد وانحلال، فهو منهج الاعتدال والتوسط. ولا ينبغي أن يكون في خطاب الداعي حزية بغیضة ولا مذهبية ضيقة، حتى يدعي كل واحد أنه على الحق وما سواه هو الباطل، ويتعامل مع الناس على هذا الأساس ويبرز في خطابه للآخرين. وهذا معارض للوسطية والاعتدال في منهج الدعوة، لأن ما على من يقوم بالخطاب الديني هو القيام بالاعتدال في خطابه مع الآخرين حتى يُثبت بالدلائل والآيات الإلهية أن هذا صراط مستقيم، بلا إظهار كراهية أديانهم وبطالانها بكلام واحد. فهذا هو الذي اعتمد عليه النبي ﷺ، وسيلةً للدعوة إلى الله ورسالته.

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.



ونرى في كلام الله ما يشير إلى تلك السلبيّة في الخطاب يعني الحزبية الهالكة والمذهبية الضيقة بلا حوار معتدل بين مختلف الأجناس من الناس، حيث يقول جل شأنه: ﴿فَنَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١).

فالمفهوم من التاريخ والأحاديث أن النبي ﷺ كان يتعامل مع الآخرين من المشركين واليهود والنصارى من أعداء الإسلام والمسلمين بالتعاضد والوسطية، مع أنه ﷺ كان يدعوهم إلى الدين القويم ويبشرهم بنعيم الإيمان ويحذرهم عن عاقبة الكفر، وهذه الطريقة الوسطية نطلع عليها طول حياته الكريمة، ومن نماذج وسطيته في التعامل مع الأسراء من غير المسلمين تاريخ ثمامة بن أثال ﷺ. فبعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فريطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكرك وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكرك فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي ما قلت لك فقال أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نجل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟" فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتنق^(٢).

فالنماذج لوسطية الرسول ﷺ لا يمكن الإتيان بها جميعاً هنا لما أنها كانت كثيرة تستغرق أوراقاً عديدة، ولأجل وجود الإمكانية لمن يريد أن يقف على جميعها باكتشاف كتب السرية النبوية. فالوسطية التي سبقت تفاصيلها أعلاه هي تلعب دوراً بارزاً في الدعوة، أي كانت أساليبها.

(١) سورة المؤمنون، الآية ٥٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال: ص ٧٦١.



المطلب الثالث: صفات الداعية المسلمة

الداعي هو المُبلِّغ للإسلام، والمعلِّمُ له، والساعي إلى تطبيقه في الحياة. وهو القائم بأمر الدعوة إلى الله تعالى. ومقامه مقام بالغ الأهمية والخطورة، فهو ينوب عن الأنبياء في تبليغ أعظم رسالة في الوجود، من أعظم مرسل لها، لأعظم أمر وجد له الإنسان. وتأتي أهمية الداعية من كونه أسوة للمدعوين؛ لأن كثيراً من المدعوين يتأثرون بالأفعال أكثر من تأثرهم بالأقوال، وكثيراً منهم يرى أكثر مما يسمع، ولذلك كلما اتصفت الداعية بالأوصاف الحميدة، كان أثره في الدعوة أكبر، لهذا وجب على الداعية أن يتحلى بصفات مخصوصة، ويتجمل بمميزات محمودة، وأن يلتزم بأخلاق معينة، ويتصرفات مشكورة، لكي يؤثر في المدعوين، كيفما تثمر دعوته، وتؤتي أكلها، وإلا انعكست آثار ذلك على الدعوة سلباً، فيمكن هنا إيجاز أهم صفات الداعية المسلمة فيما يلي:

- الإيمان العميق بمن يدعو إليه، وبالمنهج الذي يدعو إليه.
- الاتصال الوثيق بمن يدعو إليه، وبمن يدعو كذا.
- الفهم الدقيق، والعلم والبصيرة بما يدعو إليه.
- العمل بالعلم، والاستقامة في السلوك، وتَحَرِّي القدوة الصالحة
- الوعي والإدراك الكامل بالبيئة والمحيط الذي يمارس فيه دعوته.
- الحكمة في الأسلوب.
- التَّخَلُّقُ بِالْخُلُقِ الحسن.
- إحسانُ الظن بالمسلمين.
- أن يستر على الناس زلَّاتهم، وعيوبهم.
- أن يُخَالِطِ الناس حيث تَحَسَّنُ الخُلُطة، ويعتزلهم حيث يَحَسُنُ الاعتزال.
- أن ينزل الناس منازلهم، وأن يعرف لأهل الفضل فضلهم.
- أن يتعاون مع غيره من الدعاة، ويشاورهم ويتناصح معهم في أمر الدعوة، وغيرها من أمور العامة والخاصة^(١).

(١) أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية في الجانب النظري، د. رمضان محمد علي مبروك مطاير، برنامج الدعوة والإعلام، ٥١٠٢م، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة قطر: ص ٤٦-٤٧.



تتكون هذه الصفات مما ينبغي أن يحافظ عليه الداعي بينه وبين الخالق المنان، ومما يلزم به الداعي بينه وبين الخلق. فما بينه وبين الخالق فهو سر لا مجال فيه لأحد سواه، فما بينه وبين الخلق ينبغي أن يكون بالوسطية والتعاضد السلمي، لأنه يتأثر في ثمره الدعوة. وفوق جميع هذه الصفات المذكورة، ينبغي أن يتحلى الداعي المسلم بصفات نفسية هامة أخرى، وهي الإيمان بالله، والإخلاص، والجرأة، والتفاؤل. أمّا الإيمان بالله فحيث يتحلّون بالشجاعة والكرم ومراقبة الله، وتتوق نفوسهم إلى الشهادة والجنة. وأمّا الإخلاص فحيث يترفعون عن المصالح والغايات، ويقصدون بأعمالهم وجه الله سبحانه. وأمّا الجرأة فحيث يقولون الحق، أينما كانوا لا يخشون في الله لومة لائم. وأمّا بالتفاؤل فحيث ينطلقون في ميادين الدعوة والجهاد بابتسامة أمل، ونفسية عزيزة، دون أن يتركهم يأس أو يستحوذ عليهم القنوط.



الغاتمة

نتعرف من مضامين هذه الدراسة أنه لم يتم انتشار الإسلام في العالم بالحروب ولا بالمنازعات، ولكن كان بالمثالية العالية والقُدوة الحسنة التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من المخلصين في الدين مع القيام بالدعوة الإسلامية، بالأقوال والكتابات وما إلى ذلك، وإنهم كانوا ينجون في تعاملهم وخطابهم مع الآخرين بالوسطية الواسعة والرحمة الشاملة. فالوسطية تلعب دورا واسعا في السلام العالمي خلال التعددية الثقافية والاختلاف الديني، وفي الدعوة الإسلامية. وأعتقد بأن هذه الدراسة تكون مفيدة لإبراز قيم الوسطية، والاتجاهات الإسلامية حول الوسطية. وينبغي أن يكون نطاق الوسطية أوسع مما يوجد الآن من أجل السلام العالمي، وإليها بعض التوصيات:

- تعميم منطق الحوار بين الحضارات والأديان والاتجاهات.
- تشجيع المؤتمرات والشورى في هذا الموضوع بما فيها غير المسلمين أيضا.
- توظيف الفن والتعليم بما يبرز قيم الوسطية.
- توفير الترجمات للكتب العربية التي حول الوسطية إلى لغات أخرى.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أصول الدعوة، للدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٩.
٢. البداية والنهاية، الإمام الحافظ المؤرخ أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ٢٠١٥م.
٣. تفسير ابن كثير، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢٠٠١م.
٥. سنن أبي داود، مكتبة تهانوي، ديوتند، أوتر براديش.
٦. سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
٧. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١.
٨. صحيح البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
٩. صحيح السيرة النبوية، الشيخ إبراهيم العلي الشبلي الجيني (ت ١٤٢٥هـ)، دار النفائس للنشر والتوزيع، العبدلي، عمان، الأردن، ط١.
١٠. صحيح المسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن حجاج القرشي النيسابوري (ت ٢٢١هـ)، مكتبة عباد الرحمن، مصر، ط٢.
١١. كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، يوسف القرضاوي، دار الشروق، مدينة القاهرة، مصر، ط٣، ٢٠١١م.
١٢. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري بك (ت ١٣٤٥هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
١٣. المبادئ العظمى، الإمام العلامة نور الدين علي جمعة، الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٠م.



ANBAR UNIVERSITY JOURNAL OF ISLAMIC SCIENCES

A QUARTERLY SCIENTIFIC
JOURNAL

Terms of Use

1. Magazine aimed at Anbar University of Islamic Sciences to the publication of original scientific research and humanitarian excellence
2. Research published in Arabic and the journal is published four issues per year
3. The research by specialists before acceptance for publication.
4. Required in the search should not have been published or accepted for publication in any other magazine.
5. Require that the research in terms of reference (the Islamic sciences in all its branches, and other sciences related to the legitimate science).
6. In the research submitted to our magazine, it is required to send it to the electronic calculator center in our university for the purpose of examining it on the Turnitin program, with the payment of fifteen thousand dinars for examination fees, provided that the search percentage

does not exceed 20% according to the instructions in force.

7. The researcher or researchers to send three printed copies of the research, the researcher calls a printed copy of new and compact disc to look after the acceptance for publication and evaluation by experts.
8. And demanding researcher with a summary of the definitions of research in both Arabic and English, certified by the Advisory Centre for Translation at the Faculty of Education / University of Anbar, with CD-ROM to do so
9. Find computer and printed individually and spaces on one side but not more than (30) line in a single page.
10. Do not publish research only after the payment of wages and Calendar Posted by researchers
11. Researcher bear full legal responsibility in case of attack on the intellectual property rights of others.
12. Posted wages (50.000) Iraqi Dinars for the first twenty pages, each page in excess of twenty-first page add the amount of (2000) Iraqi Dinars
13. Researcher provides a single copy of the magazine after the print, or three copies of reprints of his research
14. Publications do not represent the opinion of the magazine, but represent the opinion of the owners only.
15. Drafts of the research will not be returned to their owners, whether published or not
16. Page Setup: Top and bottom (2 cm) left and right (2 cm), paper size (B5) write research on a single page of the paper and numbered pages
17. Write Arabic letters in bold (Simplified Arabic).
18. Writes only the first page of search words (Journal of Anbar University of Islamic Sciences) on the top right of the page, and have underlined the right to the left of the page (12 bold)
19. The title of this research volume (18) black broad middle of the page
20. Write the names and addresses of researchers size (17) black broad middle of the page

21. The sequence of writing to look as follows: Title of President, the names and addresses of researchers, abstract in Arabic and English, Introduction, detective or demands, conclusion, footnotes, and sources.
22. Initial write address: (Introduction, detective or demands, conclusion, footnotes, sources) size (16) bold center of the page
23. Write address high volume (15) black wide right of the page
24. Search writing board size (14) with the page and adjust the left indent (1 cm) only the first line of each paragraph of text
25. Margins are placed on the same page with the board search and the font size (12) and the number is the margin between the parentheses in the following form (1) and the numbering of footnotes for each page separately.
26. The order of the alphabet according to sources.
27. Placed between each paragraph and the other distance (10 cm) (the title of this research, the names and addresses of researchers).

**For more
information see:
Journal of Anbar
University of Islamic
Sciences / University
of Anbar / Faculty of
Islamic Sciences /
Grey.**



★★★★★
**ANNUAL
SUBSCRIPTION FEES**

- 1. For individuals, universities and other departments within Iraq (50.000) fifty thousand dinars.*
- 2. For individuals, universities, organizations and companies outside Iraq (60 \$) dollars or the equivalent in Iraqi dinar exchange rate according to the CBI.*

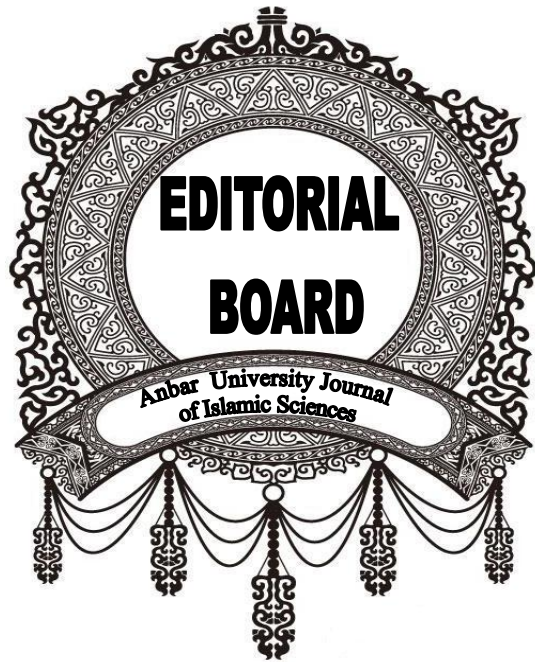
E-mail:
Islamic_anbcoll@univ_anbar.org
www. univ_anbar.org

Managing Editor:
Ass. Prof. Dr.
Abdul-Satar I. Saleh

Correspondence
directed to the
following address:
Republic of Iraq -
Anbar province -
Anbar University /
Faculty of Islamic
Sciences / gray.

**Prof . Dr.
Firas Y. Abdul-Jalil**

**Ass. Prof . Dr.
Abdul-Satar I. Saleh**



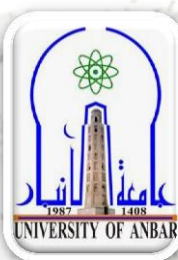
Editing Staff

Proff. Dr. Ahmed Abdul Malik Al-Saadi
Proff. Dr. Subhi Fandi Al-Kubaisy
Proff. Dr. Mishaan Sawood Al-Essawi
Proff. Dr. Hamdi Salih Majeed
Proff. Dr. Abdul Munim Khalil Ibraheem
Assist. Proff. Dr. Omer Ali Muhammad

Consultant Board

Proff. Dr. Khalil. R. Hamdan Al-Kubais
Proff. Dr. Abdullah M. Ali Al-Falahi
Proff. Dr. Abdul Rahman Hamdi Shafe
Proff. Dr. Qasim Salih Ali
Proff. Dr. Abdullah .k. Olaiwy
Proff. Dr. Ahmed T. Arsalan
Proff. Dr. Sadiq K. Ayoob
Assist. Proff. Dr. Salah Al-Deen Namiq Khamees

REPUBLIC OF IRAQ
MINISTRY OF HIGHER
EDUCATION & SCIENTIFIC
RESEARCH
UNIVERSITY OF ANBAR
COLLEGE OF ISLAMIC
SCIENCES \ RAMADI



NINTH YEAR, NINTH VOLUME, 37TH EDITHION



THE
SECOND PART
THE RESEARCHES
19-36

A special Issue on the
proceedings of Anbar
University International
conference on Moderation of
Religious and Political
Discourse and its Impact on
Boosting Societal
Development



Safar
1440 A.H
November
2018 A.D

No. of commitment at the Documentary office in Baghdad (1235) 2009 A.D

ISSN: 2071-6028